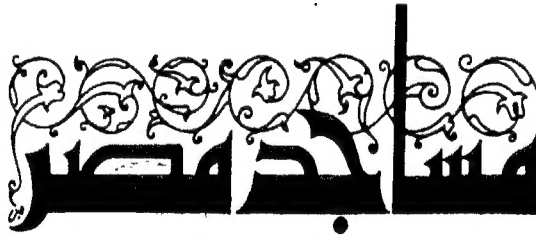


جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية



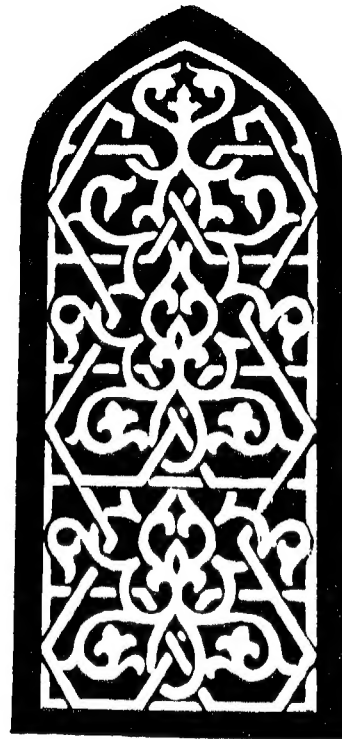
وأولياؤها الصالحون

الجزء الخامس

الدكتورة سعاد ماهر محمد

القاهرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

العمارة كما سبق القول هي السجل الذى يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وازدهار ، أو تدهور وتخلف ، ومن ثم فقد سجلت لنا العمارة الإسلامية وخاصة الدينية منها تاريخ الدول المتعاقبة وأعطتها صورة صادقة عن منشئها . ذلك أن العقيدة الإسلامية التى تغلغت فى نفوس معتنقيها لسماحتها وملاءمتها لطبيعة النفس البشرية ولحرصها على الإسعاد فى الدارين ، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعمارة المساجد التى يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يحش إلا الله . ويعمرها الزاهدون ، والمتصوفون ، والذاكرون الله كثيراً ، والعارفون بالله . وتعمرها حلقات الدرس من فقه وحديث ومنطق وكلام ، ومجالس الأدب من نحو وبلاغة ونقد ، وندوات الاجتماع التى تتعرض لسائر العلوم . ويعمرها العلماء والفقهاء ، والأئمة والأدباء ويقوى بها الضعيف والغريب ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين ، ويرفع صوته فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعى إلى الخير .

فالمساجد دين وخلق وهدى ونور ، وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ، ودرك للغزة فى الأولى والفوز العظيم فى الآخرة .

ولقد تناولت فى الأجزاء السابقة من كتابي « مساجد مصر وأولياؤها الصالحون » الذين تنشر بذكرهم الصدور وتعمر القلوب وتوثب الهمم ، ولما فيها من عظة حافذة ، وعبرة بالغة ولما لهم علينا من حق يشرفنا أداؤه ويسعدنا قضاؤه . وقد تناولت فى الجزء الأول عمارة المسجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتدرجت فى تسلسل زمنى حتى وصلت إلى نهاية العصر الفاطمى . وتناولت فى الجزء الثانى عمارة العصر الأيوبي حتى بداية العصر المملوكى ، وفى الجزء الثالث المماليك البحرية ، وفى الجزء الرابع عمارة المماليك الشراكسة . وفى الجزء الخامس تناولت التقسيم الإدارى لمصر وكذلك عمارة المسجد فى العصر العثماني .

وقد تناولت فى كثير من الأحيان دراسة تاريخ البلد أو الحى الذى يوجد فيه الأثر .

وأتبعت هذه الدراسة التاريخية بوصف معمارى للأثر منذ نشأته والإصلاحات والترميمات التى أجريت له خلال العصور ، وإتماماً للفائدة فقد زودت الكتاب بمجموعة من الرسوم التخطيطية وبعدها من اللوحات - الملونة والبيضاء والسوداء .

وعنيت عناية خاصة بعمل مجموعة من ثبت الفهارس وخصصت بعضها لوصف اللوحات والأشكال وصفاً تفصيلياً دقيقاً وأخرى لأسماء الأعلام وثالثة لأسماء الأماكن والبقاع ، ورابعة للمراجع العربية والأجنبية ، هذا بالإضافة إلى فهرس الموضوعات .

وبعد :

فإننى أجد لزاماً على وأنا أضع الجزء الخامس من كتابى (مساجد مصر) بين يدى القارئ أن أسجل كلمة شكر وعرفان بالفضل والجميل لكل من أسهم فى إصدار هذا المجلد .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

الحيزة ذو الحجة ١٤٠٣ - أغسطس ١٩٨٣ .

د / سعاد ماهر محمد

مصر في العصر العثماني

قضى الأمر واستولى سليم الأول العثماني على مصر سنة ١٥١٧م، فتحوّلت القاهرة من عاصمة إمبراطورية مترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية من الولايات التابعة للقسطنطينية. وكان من المقدر لهذه العاصمة أن تظل بعد هذا التاريخ ثلاثة قرون تحت حكم الولاة العثمانيين المزعزع تتقاذفها الأهواء وتلعب بمقاديرها الأحداث السياسية حتى الحرب العالمية الأولى.

أقام سليم الأول بالقاهرة ثمانية شهور بعد فتح مصر، وضع في أثنائها نظاما خاصا لحكم البلاد وذلك لكيلا يطمع أحد من حكامها في الاستقلال بها منتهزا فرصة بعدها عن القسطنطينية، فوزع السلطة بين ثلاث هيئات متنافسة وهي أولا: الوالي الذي ينوب عن السلطان في حكم مصر - ثانياً: الديوان المؤلف من قواد جيش الاحتلال التركي، ثالثاً: المماليك حكام مصر قبل الاحتلال، أما الوالي فكان يلقب بالباشا ويقم بالقلعة، وكان من أهم واجباته تنفيذ أوامر السلطان وتبليغها لرجال الحكومة والشعب وكانت مدة ولايته لا تزيد على ثلاث سنوات خشية أن يطمع في الاستقلال وكان معظم الولاة لا هم لهم إلا جمع الضرائب وإرسالها إلى القسطنطينية ثم جمع المال لأنفسهم، وكثيراً ما قام النزاع بين الوالي والديوان أو بينه وبين المماليك، وعند ذلك تصبح القاهرة مسرحاً للفتنة والحروب والمعارك الدموية.

وكان الديوان يتألف من قواد جيش الاحتلال، وكان يجتمع في القلعة ومهمته مراقبة الوالي ومساعدته. وكان لجيش الاحتلال نفوذ كبير في بادئ الأمر فكثيراً ما كان يشور ضد الوالي ويعزله أو يقتله حتى أصبح كثير من الولاة ألعوبة في يده. وبمرور الزمن فقد هذا الجيش كثيراً من صفاته الحربية وركن رجاله إلى عيشة الكسل والخمول.

أما المماليك ويلقبون بالبكوات ، فهم بقايا المماليك الجراكسة الذين بقوا بمصر بعد موت السلطان طومان باى ، فعين منهم السلطان سليم حكاما للمديريات وكان عدد هذه المديريات آنذاك ٢٤ مديرية ، وأسند إليهم الوظائف الكبرى فى الحكومة . ومع أن عدد المماليك الذين بقوا بمصر فى العصر التركى كان لا يزيد على عشرة آلاف إلا أنهم كانوا يؤلفون طبقة الأرستقراطية فى القاهرة ويعيشون عيشة بذخ وترف ويسكنون القصور الفخمة المظلة على بركة الأزبكية وبركة الفيل ، ويلبسون الجوخ والحرير ويقتنون الجوارى ويشترون الغلمان ويدربونهم على ركوب الخيل والحرب والصيد ، ويعلمونهم مبادئ الدين الاسلامى وإذا كبر المملوك حرره سيده ورقاه إلى رتبة (بك) فى احتفال عظيم وجعله من أتباعه . وقد عظم نفوذ المماليك لسببين ، الأول هو ضعف الدولة العثمانية منذ نهاية القرن السابع عشر والثانى هو كثرة تغير الولاة والنزاع الدائم بين الوالى والديوان حتى صار رئيس المماليك المسمى (شيخ البلد) الحاكم الحقيقى لمصر يعزل الوالى إذا أراد ، وذلك بأن يرسل إليه رسولا يسميه العامة (أبو طبق) لأنه كان يلبس فوق رأسه قبة لها حافة واسعة تشبه الطبق ، ويدخل على الوالى فى القلعة فيحييه ويثنى طرف السجادة الجالس عليها ، ويتلو عليه أمر العزل بقوله (انزل يا باشا) وبذلك يصبح الوالى معزولا ويغادر البلاد .

وبعد أن وضع سليم الأول نظام الحكم فى البلاد نقل إلى القسطنطينية كل ما هو نفيس وغال ، نقل الأسلحة والكتب والمخطوطات النادرة ، كما جمع ما يقرب من ١٨٠٠ صانع من أمهر صناع القاهرة ، وبذلك حرمت البلاد من جهود هؤلاء الفنانين ، فأخذت فنون القاهرة فى التأخر بينما تقدمت فنون استامبول وترعرعت ، كذلك أخذ سليم معه الخليفة العباسى (هو أحد سلالة الخلفاء العباسيين ، حضر إلى مصر بعد أن قضى التتار على الدولة العباسية فى بغداد سنة ١٢٤٨م وبقي فى مصر يتمتع بلقب الخلافة هو وذريته من بعده دون أن يتولى شيئا من الحكم) وجعله ينزل له عن لقب الخلافة ، فصارت الخلافة منذ ذلك الوقت عثمانية لا عباسية .

وفى صدر العصر العثمانى كانت القاهرة تزخر بالأسواق والوكالات والخانات والفنادق والحمامات التى تطلبتها حالة الرواج التجارى فى عصر المماليك حتى القرن السادس عشر الميلادى تاريخ اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح ، وحتى بعد اكتشاف هذا الطريق لم تهجر بضائع البندقية وجنوا ومرسيليا أسواق القاهرة كما بقى جزء كبير من

تجارة الهند والشرق بها . وكان عادة التجار أن يجتمعوا أمام حوانيتهم ويجلسوا فوق مقاعد خشبية عربية الطراز ، مزخرفة بطريقة الخرط والحشوات المجمعمة والمطعمة بالعاج والصدف ويشربون النرجيلة والشيك (أشبه بغم السجائر) والقهوة ويعقدون صفقاتهم التجارية مشافهة . . وفي سنة ١٥٣٥ فقدت القاهرة كل ما كان يمكن أن تجنيه من مرور تجارة الهند بها وذلك عندما وافق السلطان سليمان الثانى على منح فرنسا فرمان الامتيازات الأجنبية لحماية التجار الفرنج والمتاجر الفرنسية ، وذلك لأن هؤلاء التجار لم يكتفوا بحماية تجارتهم فحسب بل راحوا يفرضون إرادتهم على حكومة مصر ويتحكمون فى مرافقها العامة . وسرعان ما طلبت انجلترا ثم باقى البلاد الأوربية تطبيق هذا النظام على تجارهم ومتاجرهم حتى أصبحت هذه الامتيازات مع الزمن عقبة فى سبيل تقدم مصر الحديثة ، وبقيت كذلك إلى أن ألغيت فى مؤتمر مونتر و سنة ١٩٣٧ .

أما حالة مصر من الناحية الفنية فقد دخل الأتراك مصر فوجدوا عاصمتها تزدهم بالقصور والعمائر والمساجد والوكالات والمدارس والقلاع والحصون ، فكان من المنتظر أن يحافظوا عليها حتى تصبح درة فى جبين إمبراطوريتهم ولكنهم أهملوها . ولم ينل قلب القاهرة تطورا أو تغيرا فقد ظل على ما هو عليه حتى أواسط القرن التاسع عشر ، ولم يعكر صفو ساكنيه سوى معارك الجند والمماليك بين الفينة والفينة ، والظاهر أن حى باب اللوق لم يصبه ما أصاب الأحياء الأخرى من التخريب والدمار ، فقد كانت تحيط به من شماله جملة برك وفى جنوبه مدافن وفى شرقه مجموعة من المروج وبركة القرايين وكان حى باب اللوق يشبه جزيرة مستطيلة معزولة عن المناطق القريبة منها ، أما حى بولاق فكان يوجد جنوبه مقابر ومزارع وعلى يساره يمتد الخليج الكبير ماراً بين بركتى السقاين وأبى شمعة ، وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ازدهم حى قناطر السباع (حى السيدة زينب) بالسكان وكان يحده الخليج من الغرب (ردم) ومكانه شارع الخليج (بورسعيد الآن) وبركة الفيل من الشرق ، كما استجدت منطقة بين بركة الفيل والقلعة هى حى ابن طولون ومركزها مسجد ابن طولون القائم على جبل يشكر . أما الجهات القريبة من القلعة وجامع السلطان حسن ، فقد اختفى سكانها الأغنياء بعد أن أفزعتهم حركات المشاغبين ، وتحولت المنازل إلى أحواش سكنها الرعاع أما أغنياء الحى فقد هجروه إلى حى بركة الفيل أو بركة الأزبكية اللتين أصبحتا المقرين المفضلين لدى الأمراء والخاصة .

وقد كثر في العصر العثماني بناء المساجد وتكايا الدراويش والخانات والوكالات ، كما شيد الأغنياء في القرن السابع عشر والثامن عشر كثيراً من البيوت والقصور الأنيقة وجواسق النزهة على شاطئ النيل أو على الخليج المصري ، ولا تزال بقايا تلك القصور قائمة في القاهرة حتى اليوم . ففي حي الجمالية بيت الشيخ محمد أمين السحيمي بالدرب الأصفر وهو يرجع إلى سنة ١٦٤٨م . وقصر المسافر خانة (ولد به الخديو إسماعيل) وقد بنى سنة ١٧٨٩م بدرب المسمط . وفي حي درب الأحمر نجد بيت جمال الدين الذهبي بحارة حوش قدم (١٦٣٧م) وبيت زينب خاتون بعطفة الأزهرى وبنى السيدة زينب يوجد بيت إبراهيم كتخدا السنارى بحارة مונج بالسيدة زينب . وبنى طولون يوجد بيت الست الجردلية الملاصق لجامع ابن طولون .

التقسيم الإدارى لمصر فى العصر العثمانى

وإذا كنا قد أوجزنا الحديث عن التقسيم الإدارى لمصر فى جميع عصورها الإسلامية وذلك لأن التطور والاختلاف كان بسيطا ، إلا أن الأمر قد اختلف اختلافاً بينا فى العصر العثمانى . فبعد أن كانت مصر قاعدة للحاكم ، منذ العصر الفاطمى (٩٦٩-١٠٩٨ م) فيها مقر الخليفة ، ثم هى عاصمة السلطان فى العهد الايوبى والمملوكى ، أضحت فى العصر العثمانى مجرد ولاية تدور فى فلك السلطان فى القسطنطينية . ومن ثم فإن الأمر يتطلب أن نفردها فصلا خاصا عن تقسيمها الإدارى فى العصر العثمانى .

لقد أبقى العثمانيون التقسيم الإدارى فى مصر فى أول الأمر على ما كان عليه فى العصر المملوكى ، وهو التقسيم التقليدى ، وذلك خلافا للسنة التى ساروا عليها فى غيرها من الولايات العربية الأخرى التى خضعت لهم . فقد قسموا سوريا على سبيل المثال إلى نابات عدة مثل حلب وحماة وحمص وطرابلس والقدس وصفد وغزة ، ثم عادوا فاختصروها إلى ثلاث نابات ، هى حلب ودمشق وطرابلس . ثم عادوا فقسموا كل نابة إلى عدد من الصنجقيات^(١) ولكن عندما مسحت الأراضى المصرية مسحا جديدا فى عهد السلطان سليمان القانونى وعلى يدى سليمان باشا الخادم (٩٣٣هـ / ١٥٢٦م) وهى المساحة التى أشير إليها فى الوثائق باسم دفتر الربيع^(٢) ، فى هذه العملية تغيرت أسماء التقسيمات القديمة من كور وأعمال إلى ولاية وولايات . والواقع أن كلمة ولاية التى استعملت فى مصر هى مرادفة لكلمة لواء خارج مصر وقد اجمعت المصادر التاريخية على أن مصر قسمت فى العصر العثمانى الى خمسة أقاليم كبرى تحمل كل منها اسم ولاية^(٣) ، وهى الغربية وعاصمتها المحلة الكبرى ، المنوفية وقاعدتها

(١) احمد عزت عبد الكريم : التقسيم الادارى لسوريا فى العهد العثمانى صفحة ١١٣

(٢) الاسحاقى : اخبار الاول صفحة ١٥٠

Poeoke : A Description of the East P. 16 (٣)

يوسف الملوانى : تحفة الأحباب صفحة ٨٣

Vansleb : The Present State of Egypt. P.17

أحمد شلبى : أوضح الاشارات صفحة ٦

منوف الشرقية وعاصمتها المنصورة، والبحيرة وعاصمتها دمنهور، جرجا وعاصمتها جرجا .
ثم قسمت مصر الى أقسام إدارية أخرى أصغر من الولايات عرفت باسم الكاشفيات ، بلغ
عددها أربعة وعشرين قسما . وجد منها ثلاثة بمصر السفلى وهى بلبس وقلوب شرقى الدلتا
ثم طرائه التابعة للبحيرة غربى الدلتا .

وقسمت مصر الوسطى الى سبع كاشفيات ، هى اطفيح شرقى النيل والجيرة والفيوم وبنى
سوف والمنيا والأشمونيين ومنفلوط غربى النيل ^(١) وقسمت مصر العليا الى أربع عشرة
كاشفية هى أسبوط وابوتيج وطما وطهطا واخميم وفرشوط ويرديس وهو وبهجورة وقنا
وقوص واسنا وابريم الواح .

هذا وقد تغيرت أقسام مصر الإدارية عدة مرات فى العهد العثمانى نذكر منها تعديل
(١٩٧٧ - ١٩٦٩م) الذى تم فى عهد اسكندر باشا ، وتعديل ١٩٩٩ / ١٩٩٠م الذى حدث فى
ولاية أحمد باشا حافظ . والتغيير الذى حدث (١٩١٨ / ١٧٠٦م) فقد كانت هناك كاشفية
قطا وكانت إيراداته تأتى أساسا من الضرائب التى تفرض على القوافل التى تعبر

الأراضى الصحراوية الواقعة شرقى ولاية الشرقية ، الى دمشق وحلب وبالعكس . وكان على
قطيا حماية تلك القوافل وامدادها بالمعونات . ثم ألغى الإقليم كوحدة إدارية مستقلة وأصبحت
إيراداته والتزاماته من اختصاص حكام الشرقية وقلوب ومديرى جمارك بولاق ومصر القديمة ^(٢)

وهناك تغيرات أخرى فى مصر السفلى كذلك حدثت فى ١٩٠١ / ١٩٩٢م فى المنزلة التى
ظلت مستقلة حتى ١٩٢٠ / ١٧٨٦م ثم أعيد إلى المنصورة .

وقد اتسعت ولاية جرجا فى العصر العثمانى حتى أصبحت تشمل معظم أقاليم الصعيد وكان
هدف العثمانيين من ذلك هو توحيد الصعيد تحت ادارة واحدة ، وتقوية حاكمها الذى يمثل
الحكومة بحيث يستطيع القضاء على أى تدمير أو ثورة تفكر فى القيام بها القبائل العربية
المنتشرة فى الصعيد . هذا فضلا عن أن جرجا تعتبر وسط الصعيد ومن ثم فانه من السهل
عليها الاشراف على البلاد التى فى أعلاها والتى فى أسفلها .

أما بالنسبة للعاصمة وهى القاهرة فقد اعتبرت ولاية مصر كلها ، فقد كانت مقر الحكومة
والادارة ويشرف عليها الباشا . اما بالنسبة للنواحي الخاصة بالأمن فيها فقد كان أغا ^(٣)

(١) محمد رمزى : القاموس الجغرافى صفحة ٣ ، ٧

(٢) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ١٦

(٣) أغا : كلمة تركية بمعنى آمر ، بك ، سيد ضابط ، المتنازين ، الخدام والاتباع .

وأغا الانكشارية : تعنى قائد فرقة الانكشارية ، وله الرئاسة على الأغوات باقى الفرق وقد اختص بحفظ الأمن فى القاهرة

(ليل عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى صفحة ٤٣٩)

الانكشارية يتولى السلطة العليا للبليس فيها ويشاركه في حفظ الأمن فيها والتموين زعماء مصر الثلاثة وهم ، زعيم مصر أو والى مصر ، وزعيم ، بولاق وزعيم مصر القديمة ^(١) ، وأمين الاحتساب

هذا ولما كانت القاهرة من أهم وأعظم المدن في الدولة العثمانية ، إذهى المدينة الثانية بعد اسطنبول ، وكان لها صاحبتان كبيرتان مهمتان هما صاحبة بولاق وصاحبة مصر القديمة ، لذلك فقد كان يقوم بحراستها ليلا البكوات الخفراء أو رجال القلقات وهى قوة عسكرية كانت تقوم بالحراسة وحفظ الأمن . وكانت لهذه القوة ثلاثة مراكز تجتمع فيها وهى القبة ومصر القديمة والثالث فى منطقة الأمام الشافعى .

وكانت القاهرة فى العهد العثمانى مقسمة إلى ثلاثة وستين حيا أو حارة وكانت لكل حارة أو حى بوابة تتقدم مدخل الشارع المؤدى به . وما يجدر الإشارة إليه أن باب حى المبيضه التى أنشئت (١٠٨٣هـ / ١٦٧٣م) ما تزال باقية حتى الان . ^(٢)

وكان لكل حى شيخه الذى كثيرا ما يكون هو نفس شيخ الطائفة الحرفية التى يسكن معظم أجزاء الحى . وكانت وظيفة شيخ الحارة هو واسطة اتصال بين السلطة وبين الرعية ، ومن ثم فانه اذا حدثت أزمة ما خاصة بالأسعار أو التموين فقد كان الباشا يفوض أغا الانكشارية لحل الأزمة . فكان يعقد الاجتماعات لشيوخ الطوائف الحرفية ، ويتفق معهم على إعداد قائمة بالأسعار المخفضة . اما دور شيوخ الحرف فيكون إقناع أعضاء الحرفة التابعة لهم على السير على ما تم الاتفاق عليه مع سلطة الادارة ^(٣) .

(١) شفيق غربال : ترتيب الديار المصرية صفحة ٣٣

(٢) اندويه ريمون ، القاهرة العثمانية صفحة ٢١٩ (ترجمة زهير الشايب المجلد ٢٣ ١٩٧٣

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار ج١ صفحة ١٠٣

أحياء القاهرة القديمة

وإذا كان لنا أن ندرس مساجد القاهرة ذات الطابع والطرز العثماني، والذي يكاد يكون مقتصرًا عليها، فلا بد لنا أن نرجع إلى نشأة مدينة القاهرة لنعرف خططها وحياراتها القديمة. ثم نسير مع القاهرة عبر تاريخها الطويل في العصر الأيوبي والمماليك البحرية والجراكسة ونعرف ظواهرها وضواحيها وامتداداتها وخاصة في جهتها الشمالية لنعرف ما استجد من حارات وخطط، حيث أقيمت المساجد والعمائر العثمانية^(١) وهناك عدد كبير من أحياء القاهرة التي كان لها شأن يذكر في تاريخها الإسلامي ولا يزال الكثير منها يحتفظ بمركزه وكيانه، بل وباسمه في كثير من الأحيان حتى اليوم، وفيما يلي أهم هذه الأحياء.

حي الحسينية^(٢):

وكان هذا الحي في أول الأمر حارة كبيرة واقعة خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح، والحسينية منسوبة لجماعة الأشراف الحسينيين قدموا من الحجاز ونزلوا تلك المنطقة واستوطنوها وكان ذلك في أيام الملك الكامل محمد بن العادل كما يقول محمد رمزي، أما المقریزی وابن عبد الظاهر فيقولان إنهم أتوا في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أي قبل الملك الكامل بما ينيف عن مائتي سنة. ولما استقرت هذه الطائفة بالحي المنسوب إليها، بنوا المدايع وصنعوا الأديم المشبه بالطائفي، نسبة إلى مدينة الطائف بالحجاز وكانت مشهورة بمدايع الجلود.

ثم سكن الأحفاد بعد ذلك هذا الحي وكانوا من طوائف الريحانية الغزاوية والمولدة

(١) ابن إياس ج ٢ ص ٣٢٦

(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٥، صبح الأعشى، ج ٣ ص ٣٥٥ الخطط التوثيقية ج ٢ ص ٣

والعجمان وعبيد الشراء . وفي العصر المملوكي أصبح الحى يتكون من ثمانى حارات ، حارة حامد والمنشية الكبرى والمنشية الصغرى والحارة الكبيرة والحارة الوسطى وكانت لعبيد الشراء ، والوزيرية وكان يسكنها الأرمن .

ويتوسط حى الحسينية اليوم من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومى من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق (ميدان الجيش الآن) وما يزال هذا الحى يحتفظ حتى اليوم بكثير من مظاهره فى العصور الوسطى .

باب اللوق^(١) :

جاء فى المقرئى يقال لاق الشيء يلوقه لوقا ولوقه لينه . وقال ابن سيده فكانت هذه الأرض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضا لينة وإلى الآن فى أرض مصر إذا ما نزل عنها ماء النيل لا تحتاج إلى الحرث لينها بل تلاق لوقا . وقد ظهرت أرض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر ثم أضيفت إليها طروحات أخرى فى أوائل عهد دولة المماليك البحرية . وكانت أرض اللوق تشمل المنطقة التى يحدها اليوم من الشمال شارع قنطرة الدكة ومن الغرب أول شارع رمسيس عند مصلحة المجارى ومن الجنوب مستشفى القصر العينى وشارع بستان الفاضل . ومن الشرق شارع بورسعيد الآن (الخليج المصرى) فشارع سعد الدين فشارع نوبار إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ربحان الآن (حسين رشدى) ثم ينعطف شرقا حتى يتصل بشارع عماد الدين (محمد فريد الآن) عند تلاقيه بشارع الخديو إسماعيل ثم يستقيم الحد متجها إلى الشمال إلى أن يتقابل مع الحد البحرى عند شارع قنطرة الدكة . وقد جاء فى كتاب النجوم الزاهرة ، أن الحد الشرقى لأرض اللوق كان هو مكان الشاطئ الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ٦٩٩هـ (١٢٨٨م) أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق .

وذكر المقرئى أنه أنشئ بأرض اللوق كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل وبستانه ومنشأة ابن ثعلب . وبستان ومنشأة الكتبة وغيرها . ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضا زراعية حتى سنة ٦٦٠هـ حين قدم إلى مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك بيبرس البندقدارى فى دور كان قد أمر ببنائها لهم فى أرض اللوق . ومنذ ذلك الوقت أصبحت بأرض اللوق عدة أحكار عامرة وآهلة بالسكان ، ولكنها سرعان ما تخربت وتحولت إلى أرض زراعية مرة ثانية وبقيت كذلك حتى عام ١٨٥٨م

(١) المقرئى ج ٣ ص ١٩٢ ، الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٦١ .

حيث لم يوجد بها إلا مجموعة من المساكن الواقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وشارع جامع جركس ، وقد بدأت عمارة أرض اللوق منذ عهد الخديو اسماعيل واكتظت بالمباني والعمائر حتى صارت المنطقة كلها مشغولة بالدور والقصور ويتخللها الشوارع الواسعة والميادين التي تمتد من قنطرة الدكة إلى مستشفى قصر العيني وشارع بستان فاضل .

الجسر الأعظم وقناطر السباع (حي السيدة زينب)^(١)

أنشأ الظاهر بيبرس جسرا على الخليج عرف باسم قناطر السباع . ويقول المقرئى إن الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل ثم أصبح بعد ذلك شارعا مسلوكا يمتد من قلعة الكباش حتى قناطر السباع . ويعرف مكان هذا الجسر اليوم باسم شارع مراسينا ، ويوصل بين ميدان السيدة زينب حيث كانت قناطر السباع وبين جامع سنجر الجاولى الذى يقع تحت قلعة الكباش . وهناك يعرف امتداده باسم شارع الخضيرى . وقد عرفت قناطر السباع بهذا الاسم نسبة إلى نقش السباع الموجود عليها وهى (رنك) الظاهر بيبرس ، ثم عرفت بعد ذلك باسم قنطرة السيدة زينب ، وكانت تتكون من قنطرتين إحداهما توصل بين شارع الكومى وشارع السد ، والثانية كانت توصل بين شارع الكومى وشارع مراسينا . وفى سنة ١٨٩٨م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج وبردمه اختفت هذه القناطر تحت ميدان السيدة زينب الذى دخل فيه جزء من شارع الكومى وجزء آخر من شارع مراسينا . وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد أكثر من ستين حكرا على ضفة الخليج الغربية ابتداء من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) إلى قنطرة باب الخرق (ميدان باب الخلق) الآن . وعلى ذلك فإن أغلب الأحياء الموجودة حتى الآن فى هذه المنطقة عمرت منذ ذلك الحين . وقد وسع هذا الميدان فى سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٨م) . وعند عملية التوسع اكتشف واجهة جامع السيدة زينب الذى كان الوالى العثمانى على باشا قد جدد سنة ٩٥٥هـ (١٥٤٧م) ، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٧٠هـ (١٧٦٨م) . ومنذ اكتشاف واجهة الجامع فى القرن التاسع عشر ، أصبح يطلق على ميدان قناطر السباع اسم ميدان السيدة زينب^(٢) .

(١) المقرئى ج ٣ ص ٢٣٨ .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٣ ص ١٦

حى شبرا^(١) :

كان شاطئ النيل الشرقى لمدينة القاهرة في عهد الدولة الفاطمية ينتهى عند شارع عماد الدين (محمد فريد الآن) فقرية أم دنين حيث يوجد جامع أولاد عنان الآن فميدان باب الحديد بالمنطقة القائم عليها محطة كوبرى الليمون ثم يتجه النيل شمالا إلى الشرايبة ، ثم منية السرج ومنها إلى المكان الذى تبدأ منه اليوم ترعة الإسماعيلية . وكان ثغر القاهرة في ذلك الوقت في المكان الذى يعرف اليوم بميدان السكة الحديد ، وكان به أعظم دار للصناعة وبناء السفن خاصة ، حيث بنى أسطول المعز لدين الله وأسطول صلاح الدين ودولة المماليك الذين قضوا به على أساطيل الصليبيين ، ولكن حدث في أواخر الدولة الفاطمية أن غرق في النيل بالقرب من هذا الثغر مركب اسمه الفيل وترك في مكانه فتراكم فوقه الطمي والرمال وانحسر عنه النيل فصار جزيرة فيما بين المنبه وأرض الطبالة ، وارتفعت أراضيها بالتدريج وأطلق عليها الناس اسم (جزيرة الفيل) ، وصارت هذه الجزيرة في وسط النيل . وما برحت تتسع حتى أخذت شكلها النهائي سنة ٥٧٠ هـ في عهد صلاح الدين الأيوبي ، حيث استغلت في الزراعة ومن ثم أوقف صلاح الدين ريعها على المدرسة التى أنشأها بالقرافة بجوار ضريح الإمام الشافعى المعروفة بالمدرسة الصلاحية ، والتى عرفت بالمدرسة الناصرية ، وقد أزيلت هذه المدرسة وبنى مكانها جامع الإمام الشافعى^(٢) .

على أن مساحة الجزيرة أخذت تزداد كلما انحسرت عنها مياه النيل في كل عام . ولما تولى الملك المنصور قلاوون أمر بأن توقف - على بيمار ستانه الموجود بشارع المعز ، وقد سبق الكلام على غلة الأرض التى استجدت بعد وقف صلاح الدين على مدرسته . وقد سكن الناس بها والزراع بصفة خاصة فأكثرُوا من زراعة البساتين . وفى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون انحسر النيل عند جانب المقس الغربى وصارت رمالا متصلة من الجهة البحرية بجزيرة الفيل . وفى جنوب الجزيرة توجد أراضى اللوق التى سبق أن تكلمنا عنها

(١) المقرئى ج ٣ ص ٣٠١ .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٦ ص ٩ .

وبذلك أخذت المباني والعمائر تنتشر في تلك الرمال المستجدة التي تعرف اليوم ببولاق واتصلت عمارتها بعمارة القاهرة ومصر ، كما كان بجزيرة الفيل الكثير من القصور والعمائر والبساتين حتى لم يخل مكان منها وحكر ما كان منها وقفا على المدرسة الصالحية وعلى البيمارستان وغرس ذلك كله بساتين فبلغ تعدادها سنة ٧٤١هـ ما ينيف على مائة وخمسين بستانا .

كما أنشئ بها سوق كبير يباع فيه أكثر الحاجات التموينية وبنى بها جامع واصطفت حوله الدور وأصبحت قرية كبيرة وأخذت تنمو نمو مطردا .

أما مكان جزيرة الفيل الان فهي المنطقة التي يخترقها شارع شبرا الان من الجنوب إلى الشمال ، وكان يحدها (وقت أن كانت وسط المياه) من جهة الغرب النيل وشارع أبو الفرج . ومن الجنوب شارع جزيرة بدران وشارع بركات ومن الشرق منطقة كوبري الليمون والفجالة وبركة الرطل ، ومن الشمال الشراية ومنية السيرج ومنها إلى فم ترعة الاسماعيليه . وفي عصر المنصور قلاوون ظهرت في النيل الأرض المعروفة الان باسم بولاق ثم طمى السيلة ، التي كانت تفصل هذه الأرض عن جزيرة الفيل ، فاتصلت هذه الجزيرة بأرض بولاق وبالشاطيء الشرقي القديم للنيل أمام القاهرة .

وفي العصر التركي تغير اسم جزيرة الفيل وأصبحت تعرف باسم جزيرة بدران^(١) نسبة إلى الشيخ بدران صاحب الضريح الموجود بجامع الشيخ بدران بشارع ترعة جزيرة بدران بقسم روض الفرج ، ولما جاء محمد على أنشأ بناحية شبرا الخيمة قصرا خاصا به ومد إليه شارع شبرا الحالى وكان ذلك سنة ١٨٠٨م فعرفت المنطقة المحيطة بهذا الشارع باسم شبرا ، وأخذت هذه المنطقة في العمران وأقبل الناس عليها إقبالا كبيرا حتى أنها أصبحت الان من أكبر أقسام القاهرة ، مما أدى إلى تقسيمها إلى قسمين وهما قسم شبرا وقسم روض الفرج .

بولاق^(٢) :

ذكرنا من قبل أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أنشأ دارا لصناعة السفن على البر الغربى للخليج في المنطقة التي عرفت قديما باسم أم دنين ، ولما تولى الحاكم بأمر الله رابع

(١) Description de l'Égypte. XX11 p. (72).

(٢) المقرئى : ج ٣ ص ٢١٢ .

خلفاء الفاطميين أقام مسجداً في تلك المنطقة ، ومن ثم أصبحت منطقة آهلة بالسكان بعد أن كانت دار صناعة فقط وأضحت من أهم ثغور القاهرة ، وعرفت منذ ذلك الوقت باسم المقس . ويقول أبو عبد الله القضاة إن المقس إنما سميت بهذا الاسم لأن (العاشر) يقعد بها وهو صاحب المكس وقلبت (الكاف) (قافا) والعاشر أو العشار هو الماكس والمكس لغة الجباية . وقال ابن سيده في كتابه المحكم : المكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق .

وكانت المقس على ساحل النيل في ذلك الوقت فلما انحسر ماء النيل بعد سنة ٥٧٠هـ^(١) وظهرت جزيرة الفيل التي سبقت الإشارة إليها تقلص النيل عن سور القاهرة الذي ينتهي عند المقس ، فامتألت المنطقة بالرمال وظهرت الجزر التي أخذت تزداد سنة بعد أخرى حتى أصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة إلا في أيام الفيضان ، أما في باقى أيام السنة فكانت قطعة فسيحة من الأرض يكسوها البصوصى والحلفاء وتنزل فيها ممالك السلطان للرياضة ولرمى الشباب في التلال الرملية الموجودة بها وعرفت منذ ذلك الحين باسم بولاق . فلما كانت سنة ٧١٣هـ أقبل أهل القاهرة على عمارتها لما بدا من عناية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بها فسكنها الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة ، حتى لم يبق موضع بها من غير عمارة وأصبحت شوارعها مسلوكة وأزقتها مطروقة وقصورها عامرة وبساتينها ناضرة (انظر لوحة ٦) .

ومنذ سنة ٥٨٠هـ انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الآن . واستمرت بولاق ثغراً لمدينة القاهرة حتى عهد سعيد باشا حيث افتتح أول خط حديدى بين القاهرة والاسكندرية سنة ١٨٥٦ م فأخذت أهمية هذا الثغر تقل تدريجاً وقلت حركته التجارية شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مقصورة على بعض المراكب التجارية والترسانة . وكانت الأرض التي بين بولاق وشارع رمسيس الحالى أرضاً زراعية وبساتين يمتد في وسطها جسر يوصل إلى السلطان أبى العلاء (شارع ٢٦ يوليو الآن) وفي عهد الخديو إسماعيل عمرت تلك الأراضي الزراعية .

(١) المقرئى : ج ٣ ص ١٩٦ ، الخطط التوفيقية : ج ٣ ص ١٠٥ ، النجوم الزهرة : ج ٤ ص ٥٣ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٧ .

الخانكة^(١) :

الخانكة أو الخانقاه كلمة فارسية معناها البيت وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ، وقد ظهرت الخوانك في الدولة العباسية في القرن الرابع الهجرى في العراق وهى أماكن خصصت ليختل فيها الصوفية لعبادة الله . أما في مصر فإن أول من أنشأ الخانقاه هو صلاح الدين الأيوبي ، فقد أقام الخانقاه الصلاحية مكان دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر الفاطمي ، وكان غرض صلاح الدين من بناء تلك الخانقاه هو إيواء الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد النائية ، ووقفها عليهم وكان ذلك في عام ٥٦٩ هـ . أما الخانقاه التي نحن بصدد الكلام عليها فتعرف باسم خانقاه سرياقوس ويقص علينا المقرئى القصة الاتية عنها يقول : كان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من عادته أن يخرج للصيد في الأحراش والميدان الذى أنشئ حول بركة الجب بمنطقة سرياقوس شمال القاهرة . واتفق أن ركب على عادته للصيد هناك فلما وصل إلى منطقة سرياقوس أحس بألم عظيم في جوفه كاد يأتى عليه وهو يتجلد ويكتم ما به حتى عجز عن احتمال الألم فنزل عن الفرس والألم يتزايد به ، فنذر لله إن عافاه ليبين في هذا الموضع مكانا يعبد فيه الله . ثم عاد إلى قلعة الجبل فلزم الفراش عدة أيام فلما عوفى ركب بنفسه ومعه عدد من المهندسين وخط على بعد ميل من ناحية سرياقوس هذه الخانقاه وجعل فيها مائة خلوة مائة صوفى وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة وبنى بها حماما ومطبخا . ولما تم بناء الخانقاه سنة ٧٢٥ هـ خرج بنفسه ومعه الأمراء والقضاة ومشايخ الخوانق ومدت الأسطة داخل الخانقاه ، وخلع السلطان الخلع على الأمراء وأرباب الوظائف وفرق بها ستين ألف درهم فضة ، ومنذ ذلك الحين رغب الناس في السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات حتى صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس .

وقد يكون من المفيد أن نذكر على سبيل المثال ما كان يجرى من أرزاق على نزلاء الخانقاه من الصوفيين لنستبين منه ما كانت عليه البلاد في ذلك الوقت من يسر ورخاء كما يدل في نفس الوقت على مدى تقدير سلاطين الممالك وإجلالهم للمشتغلين بالدين والمنقطعين للعبادة . يقول المقرئى : كان يصرف لكل صوفى في اليوم من لحم الضأن

(١) المقرئى : ج٤ ص ٢٨٤ .

المطبوخ رطل ومن الخبز النقى أربعة أرطال ، ويصرف له كل شهر مبلغ أربعين درهما من الفضة ، ورطل حلوى ورطلان من زيت الزيتون ، ومثل ذلك من الصابون ، ويصرف له ثمن الكسوة في كل سنة وتوسعة في شهر رمضان وفي العيدين وفي مواسم رجب وشعبان وعاشوراء . وكلما ظهرت فاكهة يصرف له مبلغ لشرائها ، كذلك كان يوجد بالخانقاه مخازن للسكر والأشربة والأدوية . وفي أول شهر رمضان كان يفرق على الصوفية كيزان لشرب الماء وتبيض لهم قدورهم النحاس ويعطون الأسنان لغسل الأيدي . كما عين للخانقاه أطباء متخصصون مثل الطبائعى (طبيب الأمراض الباطنية) والجرائعى (الجراح) والكحال (طبيب العيون) كذلك يعين لهم مصلح الشعر ، كما يعين حلاق بالحمام التابع للخانقاه لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم فكان المنقطع بها لا يحتاج إلى شيء غيرها ويتفرغ للعبادة .

ولما تدهورت حالة البلاد الاقتصادية في أوائل القرن التاسع الهجرى بطل صرف الطعام وصار يصرف لهم ثمنه نقدا .
أما الآن فقد درست الخانقاه وحلت محلها مستشفى للأمراض العقلية وإن كانت المنطقة ما زالت تعرف حتى الآن باسم الخانكة .

حى الخرنفش^(١)

الخرشتف هو ما يتحجر مما يوقد به في مياه الحمامات من القمامات وغيرها ، وقد حرف الاسم الآن وأصبح الخرنفش . وكان حى الخرنفش في العصر الفاطمى عبارة عن ميدان بجوار القصر الغربى والبستان الكافورى . فلما زالت الدولة الفاطمية ، اختط الناس فيه خطوطا وبنوا الدور والأسواق وأصبحت أهلة بالسكان . وترجع تسمية الحى بهذا الاسم إلى أن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بنى به اصطبلات وطواحين ، وحمامات ، فكانت ترمى به مخلفات الحمامات أى الخرشتف التى جاء منها اسم الحى . وما زال هذا الحى يحتفظ حتى الآن بطابعه الشرقى القديم .

(١) النجوم الزاهرة : ج٤ ص ٤٧ .

حى جاردن سيتى^(١)

كان هذا الحى من جملة أراضى بستان الخشاب الذى يقع بين مدينة القاهرة ومصر (الفسطاط والعسكر والقطائع) وكان هذا الموضع قبل ذلك مغمورا بمياه النيل . وفى سنة ٧١٤هـ أنشأ السلطان محمد بن قلاوون ميدانا فى هذا المكان عرف بالميدان الناصرى^(٢) . وغرست فيه الأشجار وأحيط بالبساتين والمتنزهات . وكان من أجمل الميادين لأنه يطل على النيل . وكان السلطان يركب إليه من القلعة دائما كل يوم سبت فى الأيام الشديدة الحرارة بعد وفاء النيل ويستمر ترده على هذا الميدان مدة شهرين من كل عام ، وكان خروجه إلى هذا الميدان فى موكب رسمى يعتبر بناء على وصف المقرئى له : استعراض لقوات السلطان وجنده : « إذ كانت تخرج معه فرق الخيالة من الأمراء واستجد ركوب الأوجاقية بكوافى الزركش على صفة الكاسات فوق رؤوسهم فيركب منهم اثنان بثوبى حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية ذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدى السلطان » .

وفى سنة ٧٢٠هـ أراد الناصر محمد بناء زريبة بجانب الجامع الطيرسى فاحتاج فى بنائها إلى طين فركب إلى مكان قريب من الميدان الناصرى فى مكان كان يعرف باسم جنان الزهرى ، ثم خربت وصار موضعها كوم تراب ، وعين مكان الحفر . فلما تم الحفر هناك ظهرت بركة عرفت بالبركة الناصرية . ونقل ما خرج منها من الطين إلى الزريبة ثم أجرى الماء إلى البركة من عند مورد البلاط ، فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة فحكر الناس حولها وبنوا عليها الدور العظيمة وما برح خط البركة الناصرية عامرا إلى أن كانت حوادث سنة ٨٠٦هـ فشرع الناس فى هدم ما عليها من الدور فهدم كثير مما كان هناك وردمت البركة ولكن سرعان ما عادت الحياة إلى الحى مرة أخرى وعمر مرة أخرى بالدور والمساكن .

ويمكن تحديد بستان الخشاب اليوم بشارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس إلى النيل من الشمال ومن الغرب نهر النيل ومن الجنوب مستشفى القصر العينى وشارع

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٥٦ ، ٨٠ ، ٨٢ (العاشية) .

(٢) المقرئى ج ٣ ص ٣٢٥ .

بستان فاضل وما في امتداده من الجهة الشرقية ، ومن الشرق شارع الخليج (بور سعيد الآن) .

وينقسم البستان إلى قسمين الشرقي منها ويقع بين شارع المنيرة وشارع بور سعيد وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان الذين يشربون المزر وهو نوع من (البوطة) يسميه أهل السودان المريسة . أما القسم الغربي فيقع بين شارع المنيرة وشاطئ النيل وكان يعرف بالميدان الناصري ، ومكانه اليوم خط القصر العالى المسمى (جاردن سيتى) وقد خطط حتى جاردن سيتى في القرن العشرين .

حتى بركة الفيل^(١)

تقع هذه البركة فيما بين القاهرة ومصر وكانت مساحتها كبيرة جدا ولم يخط بها مبان . فلما أنشأ جوهر الصقل مدينة القاهرة واختط خارج باب زويلة حارة السودان وحارة اليانسية ، أصبح لا يفصل هاتين الحارتين عن البركة غير فضاء . وفي سنة ٦٠٠ عمرت البركة وكثرت مبانيها وصارت مساكنها من أجمل مساكن مصر كلها . وقال ابن سعيد في وصف القاهرة « وأعجبت في ظاهرها (أى القاهرة) ببركة الفيل لأنها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرح أصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك منظر عجيب وفيها أقول :

انظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هى والأبصار التى ترمقها كواكب قد أداروها على القمر
ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظر إلى بركة الفيل التى نحرت لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك محفوا ببهجتها تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

وكان ماء النيل يدخل إلى بركة الفيل من الموضع الذى كان يعرف بالجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب الآن) كما يأتى الماء إليها أيضا من الخليج الكبير من قنطرة كانت تعرف قديما باسم المجنونة . وظلت البركة باقية حتى ردمت فى القرن العشرين . (انظر لوحة رقم ٧)

(١) المقرئى ج ٣ ص ٢٦٢ ، صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٨ .

وبحي بركة الفيل شارع يعرف باسم الحوض المرصود^(١) ، نسبة إلى حوض من الحجر الصوان الأسود موضوع في فجوة بسعته بالقرب من شارع قلعة الكيش وكان معدا للسقى فلما جاءت الحملة الفرنسية استولت عليه وأرسلته إلى باريس ولكن الإنجليز أخذوه قبل أن يصل وأرسلوه إلى لندن وهو محفوظ الآن بمتحف لندن .
حي القبة: (٢)

عرف هذا الحي بهذا الاسم نسبة إلى القبة التي أنشأها الأمير يشبك (سنة ٨٨٤ هـ) وهو من أمراء السلطان قايتباى .
وكان السلطان الغورى كثيرا ما يتردد عليها وينزل بها للنزهة فنسبت خطأ إليه . وفي القرن السابع عشر بنى الناس دورا كثيرة حول هذه القبة فعرفت المنطقة باسم القبة . ثم اتسعت المنطقة بعد أن كثرت مبانيها وازدحمت بساكنيها فأصبحت تشمل حي حدائق القبة وحمامات وسراى القبة وكوبرى القبة وكل منها يعد من ضواحي القاهرة .
القبة الفداوية: (٣)

عرفت القبة الفداوية بهذا الاسم نسبة إلى طائفة من الشيعة عرفوا بالفداوية وذلك لاسترخاصهم الحياة في سبيل سيادتهم الروحية وقد عنى بهم سلاطين المماليك وخصصوا لهم المرتبات . وقد أنشأ لهم هذه القبة الأمير يشبك أيضا كما أنشأ بجوارها مدرسة وغرس حولها الحدائق والبساتين .
الأزبكية :

كانت المنطقة عبارة عن أرض زراعية تقع إلى الجنوب من خط المقس (ميدان باب الحديد الحالى) وكانت مياه النيل تغمر تلك الأراضي سنويا وكان يتخلف بها بعد الفيضان بركة . وكانت أرض هذا الحي عامرة بالبساتين والمناظر وكانت تسمى حينذاك باسم مناظر اللوق^(٤) . وفي عهد الدولة الأخشيديّة حفر كافور في تلك المنطقة ترعة لكى تروى البستان

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) القاموس الجغرافى : محمد رمزى ج ١ ص ١٥ .

(٣) القاموس الجغرافى .

(٤) الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٦٦ ، ١١٠ ، المقرئى ج ٢ ص ١٩٠ .

المقسى الذى بقى حتى عهد الخليفة الظاهر الفاطمى . وكان ماء الترعة يصب فى البركة سالفة الذكر وقد عرفت هذه الترعة باسم خليج الذكر لأن أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس يدعى شمس الدين الذكر قام بتوسيعها وتطهيرها فنسبت إليه وقد بنى فوق هذه الترعة قنطرة وفوقها دكة لكى يجلس عليها الناس أثناء تنزههم فى بستان المقس ، وقد عرف المكان باسم قنطرة الدكة ولا يزال شارع وميدان قنطرة الدكة^(١) يحملان اسم هذا المكان وقد كانت هذه المنطقة قبل ذلك عبارة عن قرية صغيرة تعرف باسم أم دين .

وفى عهد السلطان قايتباى كانت تلك المنطقة مهمة فتحوّلت إلى تلال وكيما فى أرض سماء بها سنط وأشجار أثل فقام قائده أزيك بتعمير المنطقة ومن ثم فقد أخذت البركة وكذا المنطقة اسم معمرها وعرفت بالأزبكية . وفى عهد الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٧ ردمت بركة الأزبكية بطمى النيل بارتفاع مترين وأنشئت فيها حديقة الأزبكية وغرست فيها الأشجار النادرة المستوردة من جميع أنحاء العالم وأحيطت بسور مرتفع وفتح بها أربعة أبواب وكانت تبلغ مساحتها عشرين فدانا . أما باقى مساحة أرض البركة فقد أقيمت عليها دار الأوبرا وميدان إبراهيم باشا والشوارع المحيطة بها من جهة الشرق ذات البوائك .

العباسية :

(أرض الطبالة^(٢)) كانت حدود هذه المنطقة من الشمال شارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل مع شارع مهمشة ، ومن الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر حيث كان يمر النيل فى العصر الفاطمى ، ومن الجنوب شارع الفجالة وسكة الفجالة ومن الشرق شارع بور سعيد (الخليج المصرى سابقا) وكانت تقدر مساحة تلك المنطقة بحوالى مائتى فدان فى عهد الخليفة المستنصر . وقد عرفت تلك المنطقة باسم أرض الطبالة .

أما السبب فى هذه التسمية فيرجع إلى ما حدث فى العراق من خلاف شديد بين الأمير أبى الحارث أرسلان البساسيرى والخليفة القائم بأمر الله العباسى مما دعا البساسيرى إلى الخروج من بغداد والانتماء إلى الدولة الفاطمية الشيعية المذهب فأمدّه الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بالجيش والزاد والعتاد حتى تمكن من الاستيلاء على بغداد

(١) المقرئى ج٣، ص ٢٤٦ .

(٢) صبح الأعشى ج٣ ص ٣٥٦ ، الخطط التوفيقية ج٣ ص ٧٣ ، المقرئى ج٣ ص ٢٠٣ .

وأخذ قصر الخلافة وأزال دولة بنى العباس وأقام الدولة الفاطمية وأرسل كل تحف قصر الخلافة في بغداد والغنائم النفيسة إلى القاهرة ، فسر المستنصر سرورا عظيما وزينت مدينة القاهرة بهذا النصر العظيم وفرح أهل مصر وابتهجوا بهذا الانتصار فوقفت السيدة (نسب) وكانت طبالة المستنصر وأنشدت وهى واقفة تحت قصر الخلافة ومعها بطانتها :

يا بنى العباس ردوا ملك الأمر معد
ملككم معار والمعارى تسترد

فأعجب المستنصر بها أيما إعجاب وطلب منها أن (تمنى عليه) فسألت أن تقطع هذه الأرض المجاورة للمقس فأقطعها إياها وسميت منذ ذلك الحين باسم أرض الطبالة . وقد عمرت تلك الأراضى وبنيت بها الدور والعمائر وكانت من أجمل وأغنى خطط القاهرة ، ثم ضربت هذه المنطقة سنة ٦٩٦هـ عندما انتاب البلاد الوباء والغلاء وكان ذلك في سلطنة الملك العادل وبقيت كذلك حتى سنة ٧١١هـ حينما شرع الناس في سكناها وزاد الإقبال عليها عندما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة ٧٢٥هـ ثم وصل الخليج ببركة الطوايين التى عرفت فيما بعد ببركة الرطلى ، ثم أقيم على الخليج قنطرة عرفت بقنطرة الحاجب وبذلك أعيدت الحياة إلى أرض الطبالة كما كانت في العصر الفاطمى بل وأكثر وأصبحت بها عدة حارات منها حارة العرب وحارة الأكراد وغيرهما واستمرت أرض الطبالة غاصة بساكنيها عامرة بأسواقها وأراضيها الزراعية حتى اندثرت تماما سنة ٨٠٦هـ وصارت خرابا يبابا :

وفى سنة ١٨٤٩ أنشأ الوالى عباس باشا الأول ثكنات للجيش في المنطقة الواقعة الآن تجاه قصر الزعفران ، ثم تبعه الأهالى والتجار في تعمير المنطقة التى أصبحت تعرف منذ ذلك الحين باسم العباسية نسبة إلى عباس الأول وبعد ذلك أنشأ ضباط الجيش دورهم في هذه الجهة وكانت الأرض تمنح مجانا لمن أراد البناء فانتسع العمران حتى شمل أرض الطبالة تقريبا .

الفجالة^(١) :

وفى القرن الثانى عشر للهجرة كان الجزء الغربى من أرض الطبالة أرضا زراعية تزرع فيها الخضروات وبخاصة الفجل فاشتهرت المنطقة باسم غيط الفجل . ولما امتدت

(١) الخطط التوفيقية : ج٣ ص ٧٠ ، المقرئى .

المباني إلى تلك الجهة سمي الشارع المجاور لفيط الفجل باسم شارع الفجالة وكان هذا الشارع يسير موازيا لسور القاهرة القديمة الممتد من المقس (باب الحديد) إلى باب الشعرية . ولما جاءت الحملة الفرنسية مهدت أرض هذا الشارع فقد كان يصعب المرور بها فسويت الأرض من قنطرة باب الحديد إلى قنطرة العدوى .

الزمالك :

ظهرت في القرن الخامس عشر جزيرتان منفصلتان في مكان جزيرة الزمالك الحالية وكانت الجزيرة الجنوبية منهما تعرف باسم جزيرة أروى^(١) وباسم الجزيرة الوسطى وذلك لأنها تقع بين جزيرة الروضة وبولاق وبين بر القاهرة وبر الجيزة ولم ينحسر عنها الماء إلا بعد سنة ٧٠٠هـ . فبنى الناس بها الدور وأقاموا الأسواق وغرسوا البساتين وشيدوا المساجد وحفروا الآبار وصارت من أحسن وأجمل متنزهات القاهرة .

أما الجزيرة الشمالية فقد ظهرت في النيل سنة ٧٤٧هـ ما بين بولاق والجزيرة الوسطى (أروى) وسمتها العامة باسم (حليلة) ونصبوا فيها عدة أخصاص وزرعوا حولها أشجار الفاكهة وبعض أنواع الخضروات ويقول المقریزی إن ثمن الخس منها بلغ ثلاثة آلاف درهم نقرة ، أى ما يساوى مائة وخمسين جنيها مصريا وأقام أهل الخلاعة والمجون في تلك الأخصاص وتهتكوا بكل أنواع المحرمات وكثر تردد الناس على هذه الجزيرة حتى ارتفع سعر أراضيها وبلغ ثمن القصبة عشرين درهما نقرة ، ووصل إيجار الفدان في ستة أشهر ثمانية آلاف درهم نقرة (٤٠٠ جنيه مصرى) وعلى ذلك يكون إيجاره في السنة ستة عشر ألف درهم نقرة (أى ٨٠٠ جنيه) وأتلف الناس هناك كثيرا من الأموال وجأهروا بكل ما هو قبيح مما دعا الأمير أرغون العلاني وزير الملك الكامل شعبان ابن محمد بن قلاوون إلى هدم هذه الأخصاص وحرقها وإراقة الخمر . . وبذلك تدمرت هذه الجزيرة .

وفي عهد الحملة الفرنسية ظهرت جزيرة ثالثة بالقرب من الجزيرتين السابقتين وأصبحت الجزائر الثلاث تعرف بالأسماء الآتية جزيرة عازار وجزيرة بولاق الكبيرة وجزيرة مصطفى أغا . ثم اتصلت هذه الجزائر ببعضها وأصبحت جزيرة واحدة عرفت باسم جزيرة بولاق لمواجهتها لقرية بولاق .

(١) المقریزی ج ٣ ص ٣٠٢ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٢٦ .

وفي سنة ١٨٣٠ أقام محمد على قصرا كبيرا بين المزارع في الجهة الشمالية من أرض الجزيرة واتخذة للنزهة . وقد أقيم بالقرب من القصر أخصاص وعشش عدة يصطاف فيها رجال الحاشية والحرس وعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم (الزمالك) . والزمالك كلمة تركية معناها العشش المصنوعة من البوص أو القش لأقامة العسكر بدلا من الخيام .
حى الغورية^(١)

وسمى بهذا الاسم نسبة إلى السلطان الغورى آخر ملوك دولة المماليك الجراكسة ، وقد كان هذا الحى يعرف قبل ذلك باسم (سوق الشربين) إذ كانت به حوانيت لصناعة وحياسة الخلع التى ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة فى المواسم والأعياد . وقد أنشأ الغورى مجموعة كبيرة من المباني بهذا الحى تتكون من مدرسة ينتهى طرفها القبلى بعمارة مربعة شاهقة الارتفاع تنتهى بدورة مكونة من أربعة رؤوس وبجانب المدرسة قبة كانت مكسوة بالقاشانى الأزرق ويقوم فى الطرف البحرى لقبة الغورى سبيل وكتاب . وعند نهاية السبيل منزل كان معدا لسكنى شيخ المدرسة . وتجىء بعد ذلك وكالة كبيرة شملت شارع التبليطة ويقع خلفها حمام معروف بحمام العرائس وقد تم بناء هذه المجموعة فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى . (انظر لوحة رقم ١٠) .
 كما أعاد الغورى بناء منطقة خان الخليلى التى سبق الإشارة إليها .

ولا تزال عمائر الجراكسة تجتذب إليها المعمارين والمصورين والزائرين من نواحي العالم وذلك لضخامتها الهائلة ومآذنها الرشيقة الدقيقة وقبابها المزركشة ومقرنصاتها الكثيرة على المداخل وكرانيشها المصطفة وفسقياتها الرخامية وقبلاتها الزاهية المذهبة .
 وبسقوط دولة المماليك واستيلاء السلطان سليم الأول التركى على مصر سنة ١٥١٧م ، تحولت القاهرة من عاصمة امبراطورية مترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية من ولايات الدولة العثمانية . وعلى ذلك يمكن أن تعتبر فترة القرون الثلاثة التى خضعت فيها مصر للدولة العثمانية - الحد الفاصل بين القاهرة القديمة والقاهرة الحديثة التى بدأت فى القرن التاسع عشر الميلادى .

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٢٤ .

حى بين القصرين ”الصاغة“

كان حى بين القصرين أقدم أحياء القاهرة على الإطلاق ، نشأ بنشأتها وبقي ببقائها ذلك أن أول عمائر بنيت فى القاهرة كانت قصرى الخليفة ، القصر الكبير الذى عرف باسم الشرقى لوقوعه الى الشرق من المدينة والصغير وعرف باسم الغربى لوقوعه غرب القصر الكبير وعرف الطريق الفاصل بينهما باسم خط بين القصرين .

فقد ذكره المسيحى باسمه فى حوادث سنة خمس وتسعين وثلاثمائة أى بعد نشأة القاهرة بسبعة وثلاثين عاما اذ يقول : وفيه منع كل أحد ممن يركب من المكارين أن يدخل من باب القاهرة راكبا ولا يجلس أحد على باب خط القصرين من التجار وغيرهم ولا يمشى أحد ملاصق القصر من باب الزهومة (يقع فى الطريق بين القصرين الصاغة حاليا) الى أقصى باب الزمرد (مشهد الامام الحسين حاليا) . ووصفه الرحالة ابن سعيد المغربى فى كتابه النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، عندما زار القاهرة فى القرن السابع الهجرى فقال ، خط بين القصرين أعمر أخطاط القاهرة وأزهرها ، وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيرا وبرجا واسعا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل ، فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الأيوبية وغيروا معالمها صار هذا الموضع سوقا وقعد فيه الباعة بأصناف المأكولات من اللحمان المتنوعة والحلاوات المصنعة والفاكهة وغيرها فصار منتزها تمر فيه أعيان الناس وأماثلهم فى الليل مشاة لرؤية ما هناك من المسارج والقناديل الخارجة عن الحد فى الكثرة ، ولرؤية ما تشتهى الانفس وتلذ الأعين مما فيه لذة للحواس الخمس »

ولم تقتصر أهمية خط بين القصرين على سعته وازدحامه وكثرة ما به من التجارة فحسب بل إنه كان ملتقى المثقفين من أهل القاهرة ، فقد كان يجتمع فيه الأدباء والشعراء

وكتاب السير ، ففيه تعقد الحلقات لقراءة السير والأخبار وإنشاد الاشعار ، كما كان مسرحا تعرض فيه بعض أنواع اللهو واللعب فيصير الحى كما يقول عنه المقرئى « مجمعا لا يقدر له قدره ولا يمكن حكاية وصفه » ويحدثنا المقرئى عن أنواع المأكولات التى تباع فى سوق بين القصرين فيقول : وكانت الباعة تجلس بعد القصر بصنف من الطيور التى تقلى صفا فيباع لحم الدجاج المطجن ولحم الأوز المطجن كل رطل بدرهم وتارة بدرهم ورربع وتباع العصافير المقلوة كل عصفور بفلس ويصف الفاكهة فيقول : وكان يعمل من البطيخ فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا فى كل مرص ما شاء الله من البطيخ . كما يزدحم السوق بالجبانين (بائعى الجبن) الذين يضعون الجبن الشفاف فى أوان فخارية يبلغ وزن شقفة الجبن من نصف الرطل إلى الرطل .

وفى العصر الأيوبى عرف خط بين القصرين بالصاغة ، ويصف ابن تغرى بردى مكانها فيقول : والصاغة سوق تجاه المدارس الصالحية (ما تزال باقية فى الصاغة) بخط بين القصرين . وهى الآن (أى فى القرن الخامس عشر) وقف على المدارس الصالحية ، وقفها الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر ركن الدين البيبرس البندقدارى على الفقهاء المقربين بالمدارس الصالحية ويذكر المقرئى أن الصاغة عرفت كذلك بسوق القفيصات ، بصيغة الجمع والتصغير من قفيص ، ذلك لأن السوق كله كان معدا لجلوس أناس على تخوت تجاه شبايك القبة المنصورية (قبة قلاوون بالصاغة) وفوق تلك التخوت أقفاص صغار من حديد مشبك فيها الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلايلهن وغير ذلك .

ويأخذ مباشر المارستان المنصورى (اى المشرف على مستشفى قلاوون) عن هذه الاقفاص أجرة الأرض التى هى عليها ، وذلك لأن هذه الأرض كانت موقوفه على جامع المقس (بميدان المحطة الآن) .

وقد كان تجار الصاغة على جانب من الثراء والرفاهية وطيب العيش حتى إنهم طلبوا إلى ناظر المارستان (مستشفى قلاوون) الأمير جمال الدين أقوص فى سنة ست وعشرين وسبعمائة من الهجرة أن يزيد فى أجرة الأرض التى عليها اقفاصهم مقابل ان تقيم عليهم ظله تقيهم حرارة الصيف وشدة البرد فى الشتاء ، وهنا يقول ابن بطوطة ، وعمل فيها الأمير جمال الدين أقوص المعروف بنائب الكرك أشياء من ماله فيها خيمة اتساعها مائه ذراع (٧٥ سم) نشرها من أول جدار القبة (قبة قلاوون) إلى آخر الصاغة

فصارت فوق مقاعد الاقفاص تظلهم من حرارة الشمس وعمل لها حبالا تمد بها عند الحر وتجمع بها اذا امتد الظل وجعلها مرتفعة في الجو حتى ينحرف الهواء .
ويقص علينا قاضى القضاة عماد الدين الكركى عن انطباعاته عن خط بين القصرين عندما قدم الى القاهرة من الكرك سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة فيقول : كدت أذهل عند مشاهدة بين القصرين ، فقد حسبت أول ما شاهدته أن زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما لم تنقطع المارة سألت ، ما بال الناس مجتمعين للمرور من هنا ، ف قيل لى هذا دأب الخط دائما .

وهكذا نرى . أن حى الصاغة الذى نشأ بنشأة القاهرة سار معها فى ركب الزمن ينمو ويتطور بتطورها حتى اذا ما بلغت الألف من عمرها المديد حلى جيدها وجبينها وعنقها بما لديه من روائع الحلى والجواهر واللالىء .



الضواحي الجنوبية للقاهرة

حلوان^(١)

أنشأ عبد العزيز بن مروان والى مصر مدينة حلوان ٦٧ هـ (٦٨٦ م) أى قبل سنة ٧٠ هـ وهى السنة التى ظهر فيها الطاعون الذى من أجله اضطر عبد العزيز بن مروان أن يغادر الفسطاط ويقيم فى حلوان التى أنشأها قبل ذلك لراحته ونزهته . ويقول ياقوت فى معجم البلدان « إن حلوان قرية من أعمال مصر مشرفة على النيل من جهة الصعيد بينها وبين الفسطاط فرسخان » وأضاف « وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر وضرب بها الدنانير وبنى بها دورا وقصورا واستوطنها وزرع بها بساتين وغرس فيها كروما ونخلا ، وقد اختار عبد العزيز بن مروان المكان الذى أنشأ فيه حلوان لارتفاعها عن الفسطاط مع قربها منها وحسن موقعها من النيل وجودة هوائها . والظاهر أنه اختار لهذه القرية اسم حلوان لأن حالتها وموقعها يتفقان مع حالة وموقع حلوان التى بالعراق من كل الوجوه . ويستفاد مما ذكره المقرئى نقلا عن ابن عبد الحكم ، أنه كان يوجد بصحراء حلوان عيون ماء عذبة غير عيونها الكبرى ، فقد قال ابن عبد الحكم : « وقد خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخل الصحراء فى موضع منها يقال له « أبو قرقورة » وهو رأس العين التى احتفرها عبد العزيز بن مروان وساق ماءها إلى نخيله الذى غرسه بحلوان سنة ٦٨٧ م ثم توجه إليها سنة ٧٠ هـ وكان معه جيشه وخفراؤه وبنى هناك جامعا وقصورا ومقياسا للنيل (وهذا المقياس أقدم من مقياس الروضة) .

وجاء فى الخطط للمقرئى « أن عبد الله (المأمون) أمير المؤمنين لما قدم مصر أقام فى حلوان وقد سعدت حلوان طوال الحكم العربى وازداد عمرانها بأقامة الأمراء والأعيان فيها ، ثم أخذت بعد العصر المملوكى فى القرن (١٦ م) تتقهقر حتى تخربت قصورها

(١) معجم البلدان ، المقرئى ج ١ ص ٣٣٧ ، الولاة والقضاة ص ٤٩ ، أحسن التقاسيم .

ومساجدها وكنائسها في سنة ١٧٤٦ حيث أزال شيخ البلد ما بقى فيها من معالم الحياة ، ويقول الجبرتي « إنه أحرقها سنة ١٧٨٦م ، أما الآن فانها قرية عادية مدفونة في غابة من النخيل . .

وظلت حلوان قرية مهجورة ومتخربة حتى القرن التاسع عشر عندما أوفدت بعثة طبية سنة ١٨٦٨م لتحليل مياه العيون الكبرى ومعرفة حالة الجو في تلك المنطقة ، وقد تقرر بناء على نتيجة البحث إقامة مبنى بالقرب من ينبوع ، كما وضع تخطيط شامل للمدينة وشجع على إقامة المباني والفنادق . وفي سنة ١٨٧٣ مد خط حديدى من المنشية بجوار القلعة إلى حلوان عن طريق قرية البساتين ، ومن ثم فقد أمها الناس بكثرة وازدحمت بسكانها وأنشئت بها المدارس ، وفي سنة ١٨٩٩ تم إنشاء حمامات حلوان . وتوالت يد الإصلاح والتعمير على حلوان حتى كانت سنة ١٩٣٩ حين أصدرت وزارة المالية قرارا بتجميل حلوان وحماماتها .

مرصد حلوان :

اشتهرت مصر منذ القدم بتضلع كهنتها في علوم الفلك ، ومن الثابت أن كهنة جامعة عين شمس ، وهى أول جامعة عرفها العالم كانت لهم اليد الطولى في رصد حركات الشمس والقمر والنجوم وتعرف تنقلاتها . ولما انتقل مركز الثقافة من جامعة عين شمس إلى جامعة الاسكندرية في العصر البطلمى والرومانى والمسيحى ظل علم الفلك من أهم العلوم التى اشتغل بها علماء الاسكندرية .

وفي العصر الإسلامى انتقل مركز الثقافة إلى الفسطاط ثم العسكر ثم القطائع واستقر أخيرا في القاهرة في الجامعة الأزهرية . وظل علم الفلك من العلوم البارزة في برامج الأزهر لعدة قرون . وفي العصر الحديث أنشئ مرصد بالقلعة سنة ١٨٣٨م ثم نقل إلى العباسية سنة ١٨٥٩م وأقيم في المبنى المعروف حتى الآن باسم الرصد خانة وقد تحول هذا المبنى إلى ديوان للقرعة ثم هجر أخيرا لتصديق مبانيه . وفي سنة ١٩٠٣ اتسعت الأعمال التى يقوم بها المرصد فاشتملت على الأرصاد الخاصة بالمغناطيسية الأرضية وغيرها ، ولما كانت هذه الأعمال تتطلب أن تكون أجهزتها بعيدة عن كل ما يؤثر عليها كالخطوة الحديدية وغيرها نقل المرصد من مكانه بالعباسية إلى مقره الحالى بحلوان .

طره

طره^(١) .

قرية قديمة ذكر لها جويثية في قاموسه عدة أسماء فقال إن اسمها المصرى (Taraou) ومعنى ذلك (أرض المغارات المخيفة) أى المحاجر . ووردت في ترجمة الأستاذ جولينشيف باسم (Daraou) وهى واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل وهى شهيرة بمحاجرها التى تخرج الحجر الجيرى الأبيض الجميل . ثم حرف اليونان اسمها إلى (Troya) أو (Troy) ومن ذلك اسمها القبطى (Troyo) .

ووردت في معجم البلدان (طرا) قرية في شرقى النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد . وفي قوانين ابن ممانى وفي تحفة الإرشاد طرا من الأعمال الاطفيحية . وكانت القرى الواقعة شرقى النيل جنوب الفسطاط (مصر القديمة) كلها تابعة لإقليم أطيح الذى يعرف اليوم بمركز الصف . ووردت في تاريخ سنة ١٨١٣م برسمها الحال ، أما مساكنها فقديمة وريفية . ويقال لطره اليوم طره البلد تميزا لها من قريتين أخريين فصلتا منها وهما طره الحجارة وطره الأسمنت وهما مجاورتان لها .

وفي سنة ١٩٤١ عثرت مصلحة الآثار في مغارة قديمة في جبل طره على عدد من المخطوطات المكتوبة على أوراق البردى وهى تتضمن على تفسير للكتاب المقدس وترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى . ولعل وجود هذه المخطوطات في تلك المغارة يشير إلى الدير الذى أسسه القديس أرستىوس في تلك المغارات وعرف باسمه وقد عاش أرستىوس بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس^(٢) . وقد عرف هذا الدير باسم دير القصير ، ثم عرف بعد ذلك بدير البغل ، وفي سنة ٤٠٠هـ أى القرن الحادى عشر الميلادى . أمر الحاكم بأمر الله . الخليفة الفاطمى بهدم دير القصير ومع ذلك ظلت بعض أجزاء منه باقية حتى القرن الرابع عشر الميلادى حيث اندثرت تماما . وبلدة طره مشهورة الآن بوجود ليمان طره وورشه المختلفة بها وبما لمصلحة السجون هناك من محاجر وإدارات .

(١) القاموس الجغرافى ج٣ ص ٢٥ ، معجم البلدان ، المقرئى ج١ ص ١١٥ .

(٢) أبو صالح الارمينى : الديوره والكنائس .

المعادي^(١)

القسم القديم من المعادي كان عبارة عن قرية قديمة عرفت باسم منية السودان . وقال الإدريسي : « من خرج من مصر يريد الصعيد سار من الفسطاط إلى منية السودان وهي منية جليلة تتصل بها عمارات بضروب من الفلات ، ثم قال وهي على الضفة الغربية من النيل » وقد علق محمد رمزي على ذلك بقوله : « والصواب أن منية السودان واقعة على الضفة الشرقية للنيل ، بدليل أن أبا صالح الأرميني ذكر في كتابه الديورة والكنائس أن دير العدوية واقع بأرض منية السودان ولا يزال هذا الدير واقعا على شاطئ النيل الشرقي بين المعادي وطهره ويعرف بدير العدوية نسبة إلى سيدة مغربية تسمى العدوية وهي التي أنشأتها وتسميه النصارى الآن كنيسة العذراء » .

وورد في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد « أن العدوية من أعمال الأطفحية (مركز الصف) » وفي معجم البلدان : « العدوية قرية ذات بساتين قرب مصر (مصر القديمة أو الفسطاط) على شرقي النيل لتقاء الصعيد » . وورد في الانتصار لابن دقمان : « العدوية ضمن ضواحي القاهرة بين بركة الحبش (دير الطين) طرا »

وفي العهد العثماني ألغيت ناحية العدوية من عداد النواحي ذات الوحدة المالية وأضيف زمامها إلى أراضى ناحية البساتين وبذلك أصبحت العدوية من توابع ناحية البساتين . ومن ذلك العهد عرفت العدوية بين الجمهور باسم (معادي الخبيرى) حيث كان بها مرسى المراكب المخصصة لتعديده الناس والجند المتوجهين من وإلى مصر والقاهرة وبلاد الصعيد لأن النيل ضيق ويسهل اجتيازه . وكان يتولى رئاسة تلك المعادي رجل يسمى الحاج على الخبيرى فنسبت إليه واشتهرت باسمه .

ومنذ سنة ١٨٦٠ عرفت العدوية في الدفاتر الرسمية باسم « عزبة برنجى آلاى » لأنه كان يجاورها مبنى ثكنات الآلاى الأول من آلايات الجيش المصرى في ذلك العهد ، وفي سنة ١٨٩٢ تقرر جعل (عزبة برنجى آلاى) ناحية إدارية قائمة بذاتها من الوجهة الإدارية لحفظ الأمن في طريق حلوان مع بقائها تابعة لناحية البساتين من الوجهتين العقارية والمالية . أما القسم الحديث من المعادي فقد أنشأته شركة الدلتا سنة ١٩٠٨ بعد أن اشترت

(١) القاموس الجغرافى ج ٣ ص ١٧ ، نزهة المشتاق .

الأرض من الحكومة وفي سنة ١٩٣٠ أصبح اسم المعادى اسماً رسمياً في جدول وزارة الداخلية وفي جميع مصالح الحكومة ، وإن كانت لا تزال المعادى تابعة لناحية البساتين من الناحيتين المالية والعقارية ولمحافظة القاهرة فيما عدا ذلك .

أثر النبی^(١)

قرية صغيرة كانت تتبع مديرية الجيزة وهي على الشاطئ الشرقي للنيل ، وملاصقة لدير الطين . وقد أخذت القرية اسمها من وجود حجر أثري قديم على هيئة قدم تزعم الناس أنه أثر قدم النبي عليه الصلاة والسلام . وقد أدخل هذا الحجر في المسجد الذي أقامه الملك الظاهر بيبرس في القرن الثالث عشر الميلادي وبني قبة فوق هذا الأثر . وقد زينت القبة بالقاشاني وبها شبابيك مصنوعة من الجبس المفرغ والزجاج الملون المعروف باسم (القمریات أو الشمسيات) وأرضها مفروشة بالرخام . وقد رُمم المسجد في العصر العثماني كما تثبت ذلك اللوحة الرخامية الموجودة به وهي باللغة التركية ومؤرخة سنة ١١٧٥ أي في القرن الثامن عشر الميلادي كما رتبت له (الروزنامة) ألفا قرش سنوياً لإقامة شعائره كما بنى تحته رصيف لدفع ماء النيل عن بنائه .

وكان يزرع بأثر النبي الذرة والقمح والشعير وقليل من القرطم وبها أرحيه (جمع رحي) تديرها الدواب وفي الجهة البحرية منها موردة ترسو فيها المراكب الواردة من الصعيد .

وبالقرية دير مشهور يعرف بدير الملوك وبهذا الدير بشر تعتقد النساء أن من وقفت عن الحمل واغتسلت فيها فإنها تحمل .

وفي تاريخ سنة ١٨١٣ ضمت الأراضي الزراعية الواقعة في منطقة البستان المعشوق وبركة شطا وبركة الشعبية إلى بعضها وتكون منها زمام خاص باسم ناحية أثر النبي ، وبذلك أصبحت هذه القرية من ذلك التاريخ ناحية قائمة بذاتها من الناحيتين المالية والإدارية وهي الآن تتبع محافظة القاهرة ويسمى العامة أثر النبي بالتاء بدل التاء .

(١) المقرئى : ج ٤ ص ٢٩٥ ، القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٣ .

الضواحي الشمالية للقاهرة

عين شمس والمطرية^(١)

ذكرت مدينة عين شمس في التوراة باسم (أون) وكانت في العصر الفرعوني عاصمة دينية وقاعدة من قواعد مقاطعات الوجه البحرى ومعنى كلمة (أون) مدينة الشمس فلما أتى البطالمة ترجموا هذا المعنى فجعلوا اسمها (هليوبوليس) على أن اسم (أون) ظل باقيا يطلقه الأقباط على المدينة حتى القرن السابع الميلادى أيام الفتح العربى . وكان بجوار المدينة عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس فغلب اسمها على اسم المدينة وعرفت به . وقد نقل ابن سعيد عن كتاب « لذة الملمس في حلى كورة عين شمس » أنها كانت في قديم الزمان عظمة الطول والعرض ، متصلة البناء بمدينة مصر حيث قامت مدينة الفسطاط ، ومعنى هذا أن مدينة عين شمس كانت إلى ما قبل الفتح العربى تمتد من موقعها الحالى جنوبا حتى حصن بابليون (بمصر القديمة) . ويقول بتلر في كتابه فتح العرب لمصر ، إن المدينة عند مجيء العرب لم يكن باقيا من مجدها القديم - إلا أسوار مهدمة وتماثيل لأبى الهول نصفها مدفون في الأرض والمسلة المشهورة الباقية إلى اليوم عند قرية المطرية .

والآن يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية في شمال محطة المطرية .

والمطرية من المدن المصرية القديمة . وردت في معجم البلدان لياقوت حيث قال : « إنها من قرى مصر وبأرضها يزرع شجر البلسان يستخرج منه نوع من الدهن الطبى » ووردت المطرية في التحفة السنية لابن الجيعان بأنها من ضواحي مصر . وذكرها المقرئى باسم منية مطر . ويقول محمد رمزى « إن المطرية هذه لا تزال موجودة في الضواحي الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة وبها محطة للسكة الحديدية الموصلة بين محطة كوبرى الليمون وبين قرية المرج .

(١) نزهة المشتاق ، معجم البلدان ، قوانين ابن مائى .

وبناحية المطرية شجرة تعرف باسم شجرة العذراء ويقال إن السبب في تسميتها بهذا الاسم أنه لما جاءت عائلة السيد المسيح أو العائلة المقدسة إلى مدينة (أون) بعد هروبها من حاكم فلسطين الروماني استراحت تحت ظل هذه الشجرة القديمة المورقة، ومن ذلك الوقت عرفت باسم شجرة العذراء. وتضيف الأسطورة أن الطفل يسوع الناصري (عيسى عليه السلام) جلس تحت هذه الشجرة وضرب الأرض بقدمه فانفجرت عين من المياه العذبة المنعشة فشربت مريم وطفلها ويوسف النجار وحمارهم حتى ارتووا ثم غسلت العذراء ملابس طفلها بمياه هذه العين ثم أَلقت بالمياه المتخلفة على عصا يوسف التي كان قد غرسها في الأرض فتحوّلت إلى شجرة البلسم المعروفة أيضا باسم البلسان. ثم أينعت هذه الشجرة وفاحت منها رائحة زكية. ولما نمت زراعة البلسم وغدا عصيره ناجعا لجميع الجروح والأمراض الجلدية المستعصية أصبح البلسان موضع رعاية وعناية الناس والحكومة. وأيا كان نصيب هذه الأسطورة من الصحة فمما لا شك فيه أن ناحية المطرية كانت ولا تزال تشتهر بزراعة شجر البلسم. وفي العصر الإسلامي أحيط هذا الموضع بسور متين وتولت الشرطة حراسة مزرعة البلسان في زمن الحصاد وأحيانا كان يعهد بهذه الحراسة إلى الأسرى المسيحيين. وكانت طريقة حصاد البلسان هي فصد فروع الشجرة وجمع السائل المتخلف من هذا الفصد في أوان فضية وتعمل هذه العملية في وقت فيضان النيل.

ومن الأساطير الماثورة عن ضاحية المطرية قولهم (أهل المطرية لا يخمر لهم خبز) وذلك نظرا لما أظهروه من البخل قبل العائلة المقدسة حين قصدت إلى هذا المكان جائعة.

مصر الجديدة^(١)

يستفاد مما جاء في خطط المقرئى أن الريدانية اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقل أحد خدام العزيز بالله الخليفة الفاطمي، وكان يحمل المظلة على رأس الخليفة. ثم اختص بالخليفة الحاكم بأمر الله بعد وفاة والده العزيز بالله إلى أن قتله الحاكم في سنة ٣٩٣هـ أي أوائل القرن الحادى عشر الميلادى. ويقول محمد رمزى «إنه لما كان بستان الريدانية يقع في حدود الصحراء الواقعة في شمال القاهرة وكان العمار ينتهى إليه فقد أطلق اسم الريدانية على البستان، وعلى ما جاوره من الأرض الرملية الفضاء التى

(١) المقرئى ج٣ ص ٢٢٩، القاموس الجغرافى ج١ ص ١٧.

كانت تمتد في ذلك الوقت ما بين المكان الذى فيه اليوم ميدان فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التى بها الآن مدينة مصر الجديدة». ويضيف ويؤكد ذلك جميع الوقائع والحوادث التى وقعت فى الريدانية منذ نهاية العصر المملوكى فقد حدثت فيها معركة حاسمة بين المماليك والسلطان سليم الأول سنة ١٥١٧م انتهت باحتلال العثمانيين لمصر وفى سنة ١٨٠٠م التقت فيها جيوش الحملة الفرنسية بقيادة (كلبير) مع جيش العثمانيين وانتهت بانتصار جيوش الحملة.

ويدخل فى حدود الريدانية الآن الوايلى والعباسية وثكنات الجيش الواقعة على جانبى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة.

وقد أنشئت مصر الجديدة سنة ١٩٠٦ ويطلق عليها أيضا اسم هليوبوليس وهى تقع بالصحراء الشمالية الشرقية لمحافظة القاهرة - وكانت أرض مصر الجديدة ملكا للشركة البلجيكية التى يمتلكها البارون أمبان، فقد اشترى ٦٠٠٠ فدان من الحكومة بواقع جنيه للفدان الواحد ثم زيدت المساحة إلى ١٢ ألف فدان، وشرعت بعد ذلك فى تشييد العمائر بها على الطراز العربى، وقد أمتت أملاك الشركة البلجيكية الآن وأصبحت ملكا للدولة.



طرز العمارة الدينية في العصر العثماني

قبل أن نتناول دراسة الطرز المعمارية للمنشآت الدينية التي أقيمت في العصر العثماني لابد لنا من وقفة سريعة نلقى فيها الضوء على المؤثرات الدينية والسياسية والاجتماعية التي لعبت دورا فعالا في حياة العثمانيين والتي تركت بصمات واضحة في منشآتهم المعمارية عامة والدينية منها بصفة خاصة .

من المعروف أنه قد خرج في الربع الأول من القرن الثالث عشر كثير من القبائل التركية الذين عرفوا بالغز مهاجرة من موطنها الأصلي في التركستان هاربة من المغول الذين خرجوا من أواسط آسيا بزعامه جنكيزخان . وقد وصلت هذه القبائل التركية المهاجرة حتى جبال أرمينية واستقرت هناك بعض الوقت . وقد انضم الكثير من هذه القبائل إلى صفوف علاء الدين ، سلطان سلاجقة الروم في قونية . وبرغم اختلاف الكتاب في تاريخ الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر ، إلا أن المؤرخ (Gibbons)^(١) استطاع أن يصل إلى رأى منطقي معقول مقبول مؤداه أن السلطان علاء برغم عدم اطمئنانه إلى تلك العناصر المهاجرة إلا أنه منحهم بقعة بعيدة من دولته وهي (اسكى مشهر) . وفي تلك البقعة كان عليهم من أجل الإبقاء على حياتهم والاحتفاظ بما منحهم علاء الدين ، أن يحاربوا الدولة البيزنطية في نيقية . وقد بدأت الدولة العثمانية مرحلة البناء في القرن الرابع عشر بالتوسع في أوروبا وذلك من عهد عثمان حتى عهد سليم الأول في أوائل القرن السادس^(٢) عشر . ثم تلا ذلك مرحلة التوسع في الشرق العربي كما امتد نفوذها في الدول العربية في شمال إفريقيا . من هذا العرض الموجز نستطيع أن نتبين التيارات والتأثيرات المختلفة التي تركت

(١) Gibbons : The Foundation of the Ottoman Empire P. 29

(٢) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي صفحة ١٣

بصمات واضحة على جميع مناحى الحياة الاجتماعية والعمرائية للدولة العثمانية . ولعل من أهم وأقوى تلك المؤثرات ، الدين والحضارة الاسلامية ذلك أن الدولة العثمانية اعتنقت الدين الاسلامى الذى اعتنقته من قبل جميع القبائل التركية التى وفدت على الدولة العباسية منذ أوائل القرن الثالث للهجرة ، التاسع الميلادى وحتى مجيء السلاجقة الذين كانوا اصحاب الأمر والنهى فى الدولة العباسية منذ ٤٤٧هـ وحتى سقوط بغداد فى يد المغول ٦٥٦هـ .

على أن اتصال العثمانيين بسلاجقة الروم ذلك الاتصال المباشر ، جعلهم يأخذون الكثير ، فهم الذين ورثوها بعد سقوطها ١٣٠٨ فى آسيا الصغرى ، وبذا بدأ استقلال العثمانيين وتكوين دولتهم الفتية خاصة بعد أن فتح أورخان بن عثمان مدينة بروسة واتخذها عاصمة له . ثم استولى بعد ذلك على ازنك (Iznik) ١٣٣١م كما ضم إليه إمارة قراس وذلك قبل أن يعبر العثمانيون الدردنيل وتبدأ فتوحاتهم فى أوروبا^(١) .

وعلى ذلك نستطيع ان نقول فى ثقة واطمئنان بأن العنائر الدينية الأولى للدولة العثمانية إنما هى استمرار للعمارة السلجوقية . وقد تميزت العمارة السلجوقية منذ عهد وزيرهم العظيم نظام الملك (المتوفى ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) بأسلوب معمارى متميز ، عرف بطراز المدارس ، نسبة الى الوظيفة الاساسية التى كان يقوم بها المسجد الى جانب وظيفة الصلاة . فقد أخذ نظام الأروقة^(٢) التى تحيط بصحن المسجد يكتفى ويحل محله نظام الايوانات التى تحيط بالصحن من جميع الجهات أو من جهتين أو من جهة واحدة وذلك تبعاً لعدد المذاهب السنية التى كانت تدرس بالمدرسة الجامع .

وكان الايوان فى العمارة السلجوقية^(٣) وغيرها من العمارة الاسلامية التى استعملت طراز المدارس السلجوقية^(٤) ، يتكون من مستطيل كثير العمق غالباً يحتوى على ثلاثة جدران أما الضلع الرابع فمفتوح كلية على صحن المدرسة والمستطيل يقبوا^(٥) عادة .

وقد انتشر طراز المدارس السلجوقية^(٦) عند سلاجقة الروم بطبيعته الحال إلا أن البيئة الجغرافية فى آسيا الصغرى ، ذات الأمطار الغزيرة والبرودة القارصة حتمت عليهم إحداث بعض تغيرات تتناسب والبيئة الجغرافية فقد حولوا الصحن المكشوف الى صحن مغطى وجعلوا الإيوانات المستطيلة^(٧) مساحات مربعة صغيرة أو كبيرة حسب أهميتها بالنسبة للمسجد وحولوا التغطية من أقباء مستديرة أو مدببة أو بيضاوية الى قباب مرتفعة^(٨) أو ضحلة^(٩) ، اذ هى الوسيلة الوحيدة المناسبة فى تغطية المساحات المربعة^(١٠) .

Witteck Paul : The Rise of the Ottoman Empire P. 40 (١)

(٢) سعاد ماهر : مساجد مصر ج ٢ صفحة ٢٩

كذلك اضطرتهم قسوة المناخ في بلادهم إلى فصل مكان الصلاة عن بقى المسجد بحيث أصبح مكان الصلاة مربع الشكل تغطيه قبة كبيرة وفي أركان المربع قطاعات من قباب صغيرة ويتقدم مكان الصلاة مساحة تكبر أو تصغر حسب المقام يشغلها في معظم الأحيان سقيفة^(١) مغطاة بأقباء متقاطعة أو قباب ضحلة . وقد يكتنف مكان الصلاة غرفتان من جهة واحدة أو أكثر من جهة . ومن أحسن الأمثلة التى ما تزال باقية حتى الان والتي تمثل طراز المساجد العثمانية القديمة جامع^(٢) علاء الدين بك بمدينة بروسه (Bursa) ، ومن ثم فقد عرف هذا الأسلوب المعماري باسم طراز بروسه انظر شكل (١)

ومن الطرز المعمارية القديمة في الدولة العثمانية ، أسلوب المدرسة السلجوقية المكون من صحن تحيط به ثلاثة إيوانات أما الضلع الرابع فتشغله سقيفة . ويغطي الصحن والايوانات الثلاثة المحيطة به قباب مرتفعة ، أما السقيفة فمقسمة إلى مربعات صغيرة تغطيها قباب ضحلة وأقباء متقاطعة . ومن أحسن الأمثلة لذلك جامع أورهان بك في بروسه (انظر شكل (٢)

أما المرحلة الثانية في تطور العمارة الدينية في الدولة العثمانية ، وهى المرحلة التى يسميها علماء تاريخ الفنون من الأوروبيين^(٣) باسم مرحلة الانتقال بين طراز بروسه القديم والنظام التقليدى العثمانى الذى ظهر بعد فتح القسطنطينية ، ففى رأينا أنه طراز متأثر إلى حد كبير بالعادات والتقاليد الدينية التى انتهجها سلاطين الدولة العثمانية بعد أن ثبتت أقدامهم وقويت دولتهم .

فمن المعروف إن رؤساء العثمانيين منذ عهد أرطغرول وعثمان وأورخان كانوا يلقبون بلقب الغازى نسبة الى انتمائهم إلى القبائل التى تسمى (الأوغوز) والتى خففت فعرفت (بالغز)^(٤) . إلا أن أورخان أراد أن يتقرب إلى المسلمين فاستبدل لقب الغازى بلقب السلطان ، بل أكثر من ذلك فقد رأى أن يقلد تاج السلطنة فى ضريح الصحابى الجليل أبى أيوب الأنصارى ، الذى استشهد فى عصر الخليفة أبى بكر الصديق عند ما جاء لفتح القسطنطينية . ومنذ عهد أورخان أصبح السلطان لا يتولى سلطته ويتوج سلطانا على الدولة العثمانية الا فى المسجد الملحق بضريح أبى أيوب الأنصارى ، تيمنا وتبركا بهذا الصحابى الجليل .

ولم يكتف بذلك السلطان بايزيد بن السلطان مراد الأول الذى تولى الحكم ١٣٨٩ ، بل أراد ان يزداد تقربا الى المسلمين ، فقد أرسل بعد توليته السلطنة بخمس سنوات ، إلى

(١) Kuran: The Mosque in Early Ottoman architecture P. 36

(٢) Gabriel Albert: Les Mosquées de Constantinople. P. 48

(٣) Unsal Behcet: Turkish Islamic architecture P. 20

(٤) عبد المنعم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق صفحة ١٦

الخلافة العباسي (الموجود بمصر في ذلك الوقت) يطلب منه الاعتراف به سلطانا على بلاد الروم ، فأجابه الخليفة الى طلبه بطبيعة الحال . ولعل ما قام به من حروب ضد الصليبيين وانتصاره عليهم في (نيكوبوليس)^(١) ليؤكد شدة تمسكه بالدين الاسلامي وإجهاده في سبيل الله ونصرة دينه الحنيف . ومن ثم فقد كان بايزيد أول سلطان عثماني أضاف الى لقب السلطان الصفة الدينية الى جانب الصفة المدنية^(٢) .

وهكذا نرى ، أنه كان من الطبيعي إزاء هذه الرغبة الملحة في إظهار سلاطين العثمانيين تمسكهم الشديد بالدين الاسلامي ، أن يعيدوا إلى تخطيط بناء المسجد سنته القديمة ، وهو إيجاد الصحن المكشوف الذي تحيط به الأروقة مع الاحتفاظ بمكان الصلاة المفطى بالقبة الكبيرة . لذلك نجد المعمار العثماني يقسم المساحة المراد بناؤها الى قسمين قد تكون مربعة فتصبح بعد التقسيم مستطيلين كما هو الحال في جامع اوشمى شريفي في أدرنة (التي اصبحت عاصمة للعثمانيين قبل فتح القسطنطينية) والذي أقيم في عهد السلطان مراد الثاني الذي تولى من (١٤٣٧ الى ١٤٤٧) أى قبل فتح القسطنطينية .

ويتكون الجامع من مربع مقسم إلى مستطيلين يشغل المستطيل الجنوبي منهما مكان الصلاة ، وقد قسمه المعمار بدوره إلى ثلاثة أقسام قسم كبير يتقدم المحراب وتغطيه قبة كبيرة وفي أركانها قباب أربعة صغيرة . أما القسمان الباقيان من مكان الصلاة فقد قسم كل منهما الى مربعين أقيم على كل منهما قبة ، بحيث أصبح مكان الصلاة يغطيه قبة كبيرة في الوسط وعلى كل من جانبيها قبتان صغيرتان (انظر شكل ٣) .

أما المستطيل الثاني وهو الذي يطلق عليه الأتراك اسم حرم الجامع ، فيتكون من صحن مكشوف عادة تتوسطه نافورة معدة للوضوء وتحيط به الأروقة من جميع الجهات . وقد قسمت هذه الأروقة إلى مربعات صغيرة تغطيها قباب ضحلة . وقد زخرفت هذه القباب من داخلها برسوم زيتية نباتية وهندسية جميلة .

ولعل في إطلاق اسم حرم الجامع على هذا الصحن المكشوف وما يحيطه من الأروقة المغطاة بالقباب الضحلة ، تشبها بالحرم المكي الشريف الذي أعيد بناؤه في عهد السلطان مراد الرابع على هذا النحو .

ويحتوى حرم الجامع عادة على مدخلين أو ثلاثة للجامع ، كما يكتنف ركنى الضلع المواجه لحائط القبلة مئذنتان ، وقد يكتنف أركانه الأربعة أربعة مآذن . وتتكون المآذن العثمانية

(١) Encyclopaedia Britannica vol. 22. P. 591

(٢) Wittek Paul: The Rise of the Ottoman Empire P. 41

من شكل اسطوانى يسترق كلما ارتفعنا إلى أعلى وينتهى القديم منها بشكل خوزة متأثرة بالاسلوب المغولى ، أو بشكل مخروطى يعرف باسم (شكل القلم الرصاص أو شكل المسلة) وهو طراز عثمانى لم يسبق إليه . وتتخلل المآذن عادة ثلاث شرفات ومن ثم فقد أطلق كلمة أوشى (US) التركية ومعناها ثلاثة على كثير من المساجد ،

أما الأسلوب الذى يطلق عليه علماء تاريخ الفنون طراز آيا صوفيا فى العمارة العثمانية فعلى رأينا هو أسلوب مفتعل لا وجود له ، اللهم إلا إذا اعتبرنا أن ضخامة العمارة واتساع رقعتها ، أسلوب فى حد ذاته . وللتدليل على صحة ما ذهبنا إليه سهل ميسور . فقد أجمعت المصادر الأوروبية^(١) على اعتبار جامع بايزيد الثانى فى القسطنطينية الذى أنشئ (١٥٠١م - ١٥٠٧م) أول المساجد الكبيرة التى تأثرت بأسلوب عمارة آيا صوفيا ، انظر شكل (٤) ، وذلك لتخطيطه الصليبي والذى تتوسطه قبة كبيرة تحيط بها أنصاف قباب ، بينما يغطى الرواقين الجانبين قباب أصغر حجما (انظر شكل (٥)) والحقيقة أن التخطيط الصليبي ليس جديدا على العمارة الاسلامية ، فقد أملت عليها ضرورة إيجاد أربعة إيوانات لتدريس المذاهب السنية الأربعة التى بدأ انتشارها منذ القرن الخامس الهجرى فى عهد السلطان السلجوقى مللكشاه ووزيره نظام الملك التى ما تزال مدارس باقية فى بغداد والرى وغيرها من البلاد الاسلامية .

وقد عرفت تلك المنشآت الدينية (المدرسة) بعمارتها ذات التخطيط المتعامد أو كما يسميها الأوروبيون^(٢) (بالصليبي) والذى انتشر فى شرق العالم الاسلامى ووسطه وغربه ، وما تزال مصر والشام تزخر بالعديد منها وكلها ترجع إلى القرن السابع الهجرى والثامن الهجرى (الثالث عشر والرابع عشر للميلاد) أى قبل فتح القسطنطينية (١٤٥٣م) وتأثر العمارة الاسلامية بعمارة منشآتها ، بل وقبل أن يستولى كذلك العثمانيون على الأناضول . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، إذا استعرضنا شكل آيا صوفيا من ناحية التخطيط الأصيل (شكل (٤)) ، لا نجده متعامدا ، بل هو عبارة عن مستطيل يتوسطه مربع أقيم فوقه قبة وغطى باقى أركان المستطيل الأربعة أنصاف دوائر . ويحيط بالمستطيل الداخلى رواقان من ضلعين كبيرين غطيا بقباب ضحلة ، ويتقدم المدخل الرئيسى سقيفة ذات أعمدة . وهكذا نرى ان هناك فرقا كبيرا بين تخطيط آيا صوفيا وجامع بايزيد الثانى بالقسطنطينية .

(١) Goodwin : A History of Ottoman architecture P. 245.
Launay : L'architecture Ottoman : P. 6.
Kuhnel : Islamic art and architecture P. 17.
Creswell : Muslim architecture in Egypt. P. 1 P. 152.
Aslapana : Turkish art and architecture P. 218.

أما القول بأن التغطية بالقبّة أخذت عن العمارة البيزنطية، فهذا قول غير مقبول، فقد عرفت العمارة الساسانية، بتغطية الأجزاء المربعة في منشآتها بالقبّة وتغطية المستطيل بالقبو. ولعل أول عمارة إسلامية غطت الأجزاء المربعة منها بقبة، هي ضريح أم الخليفة المنتصر بالله العباسي في مدينة سامراء ويرجع البناء إلى ٢٤٨هـ. ثم انتشر في باقى العالم الاسلامى، وخاصة في العمارة الفاطمية في مصر.

على أننا لا ندعى، عدم تأثر العمارة العثمانية بالعمارة البيزنطية أو عمارة أيا صوفيا، فهذا ضد طبيعة الأشياء، ولكن في اعتقادنا أن هذا التأثير كان في التفاصيل وليس في الجوهر، خاصة إذا عرفنا أن سلاطين الدولة العثمانية كانوا سنين متعصبين، فلم يقبلوا التغير في جوهر المسجد الذي أخذ عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن هذه التفاصيل القباب الضحلة التي تغطى أروقة الحرم وكذا القطاعات الكروية التي تشغل الأركان والتي حلت محل المقرنصات التي انتشرت في العمارة الإسلامية.

وإذا كان هذا هو حال العمارات الدينية في مقر الدولة العثمانية، فإن الوضع مختلف في البلاد العربية عامة ومصر بصفة خاصة.

فالعمارة الدينية في مصر في العصر العثماني تمتاز بأسلوبين أو طرازين مختلفين إلى حد كبير. فقد ظلت العمارات الدينية وخاصة المساجد في أقسام مصر الإدارية في شمال وجنوب الوادي متأثرة إلى حد كبير، بل أننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنها استمرت محتفظة بالطراز المملوكي، سواء في بناء المساجد ذات الصحن المكشوف الذي تحيط به الأروقة من جميع الجهات، على أن يكون رواق القبلة أكثرها عمقا لاحتوائه على عدد أكبر من الأروقة. أما بناء المدارس فقد ظل كذلك محتفظا بطرازه المملوكي، إلا أن صغر مساحة المدرسة، جعل تخطيط المدرسة المتعامدة يتلاشى تدريجيا، بحيث اقتصرت المدرسة في معظم الأحيان على رواقين فقط وفي بعض الأحيان على رواق واحد، وهي التي أطلق عليها في العصر العثماني اسم (الزاوية).

أما الخانات، التي وجدت في مصر منذ عصر صلاح الدين الأيوبي، مثل خانقاه سعيد السعداء، فقد اختفى اسم الخانقاه في العصر العثماني وحل محله كلمة (تكية) للدراويش أي الصوفية المنقطعين للعبادة، وكذا لتناولة السلطان، أي الكسالى من العثمانيين الذين يغدون على مصر ولا عمل لهم، فتلتزم الولاية بأبوائهم ومعاشهم ولباسهم في تلك (التكيا)

وإذا كان اسم الخانقاه قد تغير ، إلا أن تخطيط التكية لم يختلف كثيرا عن تخطيط الخانقاه ، ذلك أن كلا منهما يحتوى على فناء متسع مكشوف يحيط به مجموعة كبيرة من الخلاوى لايواء المتصوفة . كما يحتوى كل منهما على أكثر من طابق واحد وكلها تحتوى على مجموعة من الخلاوى .

ولعل الفارق بين الخانقاه والتكية ، هو أن الأولى تحتوى على إيوانات متعامدة تشبه المدرسة وفي بعض الأحيان تقتصر الخانقاه على إيوانين فقط . أما التكية فنجدها في معظم الأحيان تقتصر على إيوان واحد للصلاة .

أما من حيث الوظيفة فإن معظم الخانقاوات تكون الدراسة فيها إجبارية ومن ثم يتولى مشيختها كبار العلماء والفقهاء كما تمنح الدارسين بها إجازات علمية . أما التكية فلا التزام على المقيمين بها ، ومن ثم فلا تقوم فيها فصول للدراسة المنتظمة ، وإن كان الأمر لا يخلو من عقد محاضرات للوعظ والأرشاد كما تجتمع فيها حلقات الذكر .

أما الأسلوب أو الطراز المعماري الثاني الذي وجد في مصر في العصر العثماني وبصفة خاصة في القاهرة عاصمة البلاد ، فهو الطراز العثماني ، المكون من مستطيل منقسم الى مربعين ، الأول يتوسطه صحن مكشوف تتوسطه نافورة للوضوء ، ويطلق عليه (الحرم) . يحيط بهذا الحرم الأروقة من جميع الجهات . وقد حرص المعمار العثماني على ان يقسم هذه الأروقة الى مربعات صغيرة ثم غطاها بقباب ضحلة .

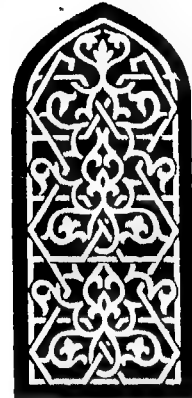
أما المربع الثاني والذي يطلق عليه (بيت الصلاة) فتغطى وسطه قبة كبيرة تقوم على رقبه مرتفعة تفتح فيها مجموعة من النوافذ للتهوية وللضوء . وفي أركان المربع توجد قباب صغيرة أو قطاعات من قباب كبيرة .

أما عن السبب في وجود هذا الطراز في القاهرة فقط ، فذلك لان كل المساجد التي أقيمت في العصر العثماني تقريبا ، أمر بإنشائها سلاطين العثمانيين ، ومن تولى أمرها من الباشوات .

هذا فضلا عن ان المهندس الذي صمم تلك المساجد كان عثمانيا نقل معظم تخطيطاتها من مساجد الدولة العثمانية ، بل ان بعض المساجد التي اقيمت في القاهرة كانت نسخة مطابقة تماما لمساجد السلاطين في القسطنطينية مثل مسجد السلطان أحمد ومسجد محمد علي بالقاهرة .

مسجد الشيخ عبد القادر الدشطوطى

بالقرب من ميدان
باب الشعرية عام ٩٢٤هـ



نشأ الشيخ محيى الدين عبد القادر بن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين المدعو بشرف الدين موسى الدشطوطى بقرية دشطوط بقسم ببا الكبرى بمحافظة بنى سويف . وكانت قرية دشطوط ذات أهمية خاصة فى العصور الوسطى وخاصة فى العصر المملوكى فيقول ابن اياس : ان مبانيها من الحجر والآجر وبها كثير من الجوامع المعمورة وفى غربها نخيل كثير ويشتغل معظم أهلها بالزراعة . وكان عبد القادر الدشطوطى شافعى المذهب ولم يتخذ زوجة ولا ولدا بل عاش حياته ناسكا زاهدا سائحا لا يأكل الطعام إلا قليلا وكان غذاؤه عادة من القراقيش والزعتر . ولم يكن يهتم بمظهره أو بملبسه وكان يسير دائما مكشوف الرأس لا يحلق رأسه ويلبس جبة خشنة . ويصف الشعرانى لبس الدشطوطى فيقول : ولما فقد بصره فى أواخر أيامه صار يتعمم بجبة حمراء وعليه جبة أخرى فاذا اتسخت تعمم بالأخرى .

وقد لازم الشعرانى الدشطوطى عند مجيئه القاهرة وذبوع صيته لما اشتهر به من الزهد والورع وفى ذلك يقول الشعرانى ، كان الدشطوطى رحمه الله من أكابر الأولياء صحبته نحو عشرين سنة وحصل لى منه نفحات وجدت بركتها . وكان أول لقاء لى به فى أول يوم من رمضان سنة اثنتى عشرة وتسعمائة وكتب دون البلوغ ، فقال : اسمع منى هذه الكلمات واحفظها تجد بركتها إذا كبرت ، فقلت له نعم فقال : يقول الله عز وجل « يا عبدى لو سقت اليك ذخائر الكونين فملت بقلبك إليها طرفة عين فأنت مشغول عنا لا بنا » فحفظتها فهذه بركتها . ويضيف الشعرانى فيقول : وقال لى أمورا أخرى لم يأذن لى فى افشائها ، وكان يسمى بين الاولياء صاحب مصر ، وقالوا انه ما رؤى قط فى معدية ، إنما كانوا يرونه فى مصر والجيزة فى وقت واحد . ومن القصص التى تروى فى هذا الشأن ،

أن رجلين حلفا أن الشيخ نام عند كل منهما إلى الصباح في ليلة واحدة في مكانين ، فأفتى شيخ الأسلام الشيخ جلال الدين السيوطي بعدم وقوع الطلاق . كذلك يروى الأمير يوسف ابن أبي الأصبع القصة التالية : لما أراد السلطان قايتباي أن يسافر إلى بحر الفرات استأذن الشيخ الدشوطي في السفر فاذن له ، ويضيف الأمير يوسف فيقول : وكنا طول الطريق ننظره يمشى أمامنا فإذا أراد السلطان أن ينزل إليه يختفى ، فلما دخلنا حلب وجدنا الشيخ الدشوطي ضعيفا بالبطن في زاوية بمدينة حلب مدة خمسة شهور فتحرينا في امره .

وكان رحمه الله مهيبا معظما عند الملوك والأمراء وعلية القوم ورسالته عندهم لا ترد ويذكر ابن إياس في حوادث سنة أربع وتسعين وثمانمائة القصة التالية : « وفيه وقعت نادرة غريبة هي أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح وكان له خصاصة بالسلطان الأشرف قايتباي قال له إن عبد القادر الدشوطي شخص من عباد الله الصالحين ، وكان قصد السلطان الأجتماع به ، فأخبره أنه يتردد إلى جامع بالقرافة تحت جبل المقطم ، فقبال له السلطان : ان حضر هناك أعلمني » فعمد عبد القادر بن الرماح الى شخص كان شبيها بالشيخ الدشوطي فاعلم السلطان قايتباي بأن الدشوطي يحضر تلك الليلة إلى المكان المذكور ، فصلى السلطان العشاء ونزل وبصحبه ثلاثة اشخاص ، فأتى الى ذلك المكان ونزل عن فرسه ، فوجد ذلك الشخص جالسا ورأسه في عبه فشرع السلطان يقبل رجله ويقول « يا سيدى احمل حملتى مع ابن عثمان » فصار ذلك الشخص يغرب عنه ويقول له : انت ما ترجع عن ظلم العباد فطال المجلس بينهما ، ثم ان السلطان دفع له كيسا فيه ألف دينار ، فصار يتمنع والسلطان يتلطف به ويقول له : فرق ذلك على الفقراء ، ثم مضى وهو يظن انه الدشوطي . وبعد ايام ظهر للسلطان أن الواقعة مفتعلة فامر باحضار ابن الرماح ومن تزيا بزى الدشوطي فضربوا بين يدي السلطان بالمقارع . واما ابن الرماح الذى كان سببا في ذلك فأمر السلطان بحلق ذقنه وشهره في القاهرة على حماره ثم سجنه بالمقشر الى ان مات عقيب ذلك » .

وكان الدشوطي معروفا ومحبويا عند الناس وكانت تأتية النذور من كافة انحاء القطر فينشئ بها المساجد والجوامع والخوانق كما كان يشير على الملوك والسلاطين باقامة الجوامع والمساجد ، فقد أشار على السيدة خوند اصلباي زوجة السلطان قايتباي باقامة الجامع الذى يقع على مدخل قنطرة الوداع بمدينة الفيوم . ولما دنا أجله أكثر من البكاء والتضرع وكان يقول للبناء الذى امره السلطان قايتباي ببناء قبة له : عجل في البناء فان

الوقت قد قرب فمات وبقي منها يوم فكملت بعده ، ودفن في قبره وأوصى ألا يدفن عليه أحد ، وأوصى أن يعمل فوقه وجانبه مجاديل حجر حتى لا يتسع القبر لاحد معه . ويصف على مبارك جنازته فيقول : وارتجت القاهرة لوفاته ونزل لجنازته ملك الأمراء العثمانية والامير قايتباي الدودار والقضاة الاربعة وأعيان الناس وخرجت جنازته من بيت المعلم حسن الصياد المهندس خارج باب الشعرية ورفعت له الأعلام على جنازته وحضر اطفال المكاتب وعلى رؤوسهم المصاحف ومشوا حول جنازته واستمروا حتى وصل إلى مسجده حيث دفن وذلك في التاسع من شعبان سنة أربع وعشرين وتسعمائة (أى بعد استيلاء الدولة العثمانية على مصر بسنة واحدة) . وكان له من العمر نحو ثمان وثمانين سنة .

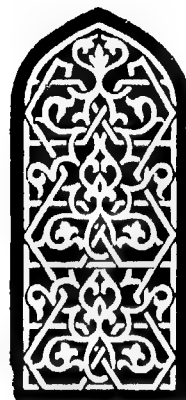


الموصف المعماري

يقع جامع الدشوطى بشارع بورسعيد بالقرب من ميدان باب الشعرية وما يزال المسجد محتفظا بجزء كبير من البناء الأصيل الذى يرجع الى القرن الخامس عشر الميلادى . وقد بنى المسجد على شكل المدارس المتعامدة ، فهو يتكون من صحن مربع الشكل يتوسط المسجد ومغطى بسقف خشبى وبه فتحة مربعة (شخشيخة) ويحيط بالصحن أربعة إيوانات اعمقها إيوان القبلة الذى يتقدمه ثلاثة عقود نصف دائرية محمولة على عمودين . وإلى جانب إيوان القبلة من الجهة الجنوبية غرفتان معقودتان ومفتوحتان على الأيوان وتحتويان على نوافذ قنديلية مغطاة بزجاج معشق متعدد الألوان . ويقابل أيوان القبلة أيوان مماثل في الجهة الغربية ويحتوى على دكة للمبلغ . ويوجد في الجانب الشمالى من جدار الأيوان الغربى ثلاث حنيات مغلقة يعلوها حنيات أخرى مما يدل على ان هذا الجزء من المسجد كان يتصل ببناء خلف هذا الايوان اقتطع من المسجد الآن وبني مكانه منزل . . أما الإيوان الشمالى والجنوبى فأصغر من الأيوانين السابقين وحليت فتحتهما المطللة على الصحن بكرادى خشبية جميلة . ويحتوى الأيوان الشمالى على ست نوافذ تطل على شارع جانبى ، أما الايوان الجنوبى فيحتوى على باب يؤدى إلى طرقة تنتهى إلى مدخل المسجد الرئيسى الذى يطل على شارع بورسعيد .

ويمتاز مسجد الدشوطى بتصميم معمارى فريد ، فقد بنيت دورة مياهه الأصلية تحته ولعل المعمار أراد بذلك أن يتفادى - النشع - الذى قد يصيب المسجد وقت الفيضان لوقوعه على الضفة الغربية للخليج الذى كان يخرج من فم الخليج بمصر القديمة وينتهى عند خليج السويس والذى ردم في أوائل القرن العشرين . وقد أبطل استعمال هذه الدورة القديمة وبنيت بدلا منها دورة أخرى تقع في الضلع الجنوبى للمسجد .

ويقع ضريح الشيخ عبد القادر الدشوطى في الركن الشمالى الشرقى للمسجد ، وهو عبارة عن غرفة مربعة يدخل إليها من الأيوان الشمالى . وفي أركان المربع توجد حنية واحدة كبيرة حولت المربع إلى مثنى أقيمت فوقه قبة مرتفعة . وقد فتحت في حوائط الضريح الأربعة نوافذ قنديلية ماثلة للتي بالفرفتين المطلتين على إيوان القبلة وهذه النوافذ غشيت بالزجاج المعشق .



ضريح شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصارى

بقبة الإمام الشافعى
(٩٢٦هـ / ١٥٢٠م)

هو الشيخ زكريا الأنصارى الخزرجى ، جاء الى القاهرة فى عهد السلطان قايتباى والنحى بالأزهر الشريف ، وكان شابا فى الثامنة عشرة من عمره . ويحدثنا تلميذه الشعرانى عن قصة حياة شيخه منذ جاء إلى مصر فيقول : حكى لى الشيخ زكريا مرة أمره منذ مجيئه إلى مصر حتى وقتنا هذا (أى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى) قال : أحكى لك أمرى من ابتدائه حتى انتهائه حتى تحيط به علما كأنك عاشرتنى من أول عمرى ، فقلت له نعم ، فقال : جئت من البلاد وأنا شاب فلم أعكف على أحد من الخلق ولم أعلق قلبى به وكنت أجوع فى الجامع (الأزهر) كثيرا فأخرج بالليل إلى قشر البطيخ الذى كان بجانب الميضاة وغيرها فأغسله وأكله الى أن قبض الله لى شخصا كان يشتغل فى الطواحين فصار يتفقدى ويشترى لى ما أحتاج اليه من الكتب والكسوة ويقول يا زكريا لا تسأل أحدا فى شىء ، فمهما تطلب جئتك به ، فلم يزل كذلك سنين عديدة . ويستمر الشيخ زكريا فى سرد قصة حياته مع ذلك الرجل المحسن لتلميذه الشيخ الشعرانى حتى يأتى إلى نهايتها فيقول : « وفى ليلة من الليالى والناس نيام جاءنى وقال لى قم ، فقممت معه فوقف لى على سلم الوقاد الطويل وقال لى اصعد هذا فصعدت فقال لى اصعد فصعدت إلى آخره ، فقال لى تعيش حتى يموت جميع أقرانك وترتفع على كل من فى مصر من العلماء ، وتصير طلبتك شيوخ الاسلام فى حياتك حتى يكف بصرك فقلت ، ولا بد لى من العمى ، قال ولا بد لك ثم انقطع عني فلم أره من ذلك الوقت » .

واستمر الشيخ زكريا ملازما للأزهر الشريف والاستماع على كبار علمائه وفقهائه والمتصوفين منهم خاصة حتى أصبح أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف . وكان رحمه الله عليه دائما فيما ينفعه وينفع الناس ، كما كان للوقت عنده حساب كبير . وفى ذلك يقول

الشعرانى : قد خدمته عشرين عاما فما رأيته قط في غفلة ولا اشتغال بحالا يعنى ليلا ولا نهارا ، وكان مع كبر سنه يصلى سنن الفرائض تماما ويقول لا أعود نفسى الكسل . وكان اذا جاءه شخص وطول في الكلام يقول بالعجل ضيعت علينا الزمن .

وقد التحق فترة غير قصيرة بخانقاه سعيد السعداء ، فقد كان ، كما قال عن نفسه ، « من صغرى وأنا أحب طريقتى القوم (أى التصوف) وكان أكثر اشتغالى بمطالعة كتبهم والنظر في أحوالهم ، فاجتمع بشيوخ المتصوفين ، وقد تسنى له أثناء أقامته بخانقاه سعيد السعداء أن يجتمع بشيوخ المتصوفين فانتفع بعلمهم في الطريق كما انتفعوا بعلمه في الفقه وعلوم الشريعة ، وقد ظهر أثر الخانقاه واضحا في بعض مؤلفاته مثل شرحه على رسالة القشيري في علم التصوف وكتابه المسمى بقواعد الصوفية . وحاشيته لتفسير البيضاوى .

والخانقاه ، كلمة فارسية تعنى المكان الذى ينقطع فيه المتصوف للعبادة ، ويفصل المقرئ معنى خانقاه فيقول : الخوانك جمع خانكاه وهى كلمة فارسية معناها بيت الأكل وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك . ويتكلم عن نشأة العماثر الدينية التى عرفت بالخوانق في الاسلام فيقول : والخوانك نشأت في الاسلام في حدود القرن الرابع للهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى . أما في مصر فلم تظهر الخوانق إلا في القرن السادس الهجرى وفي عصر صلاح الدين الأيوبي . أما من حيث التخطيط المعماري لهذه المنشآت الدينية فقد اقتضت وظيفتها أن يكون لها تخطيط خاص ، فهى بذلك تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة ويضاف إلى هذين التخطيطين الغرف التى يختل أو ينقطع بها المتصوف للعبادة والتى عرفت في العمارة الإسلامية باسم الخلاوى .

وقد يكون من المفيد أن نعرف شيئا عن تاريخ خانقاه سعيد السعداء أول خانقاه أنشئت في مصر وهى التى انقطع فيها شيخنا زكريا للعبادة فترة غير قصيرة ، والتى جاء في ترجمة حياته أنه كان لا يأكل إلا من خير خانقاه سعيد السعداء ، ويقول « ووقفها كان من الملوك الصالحين ، ووقف وقفها باذن النبى صلى الله عليه وسلم » . تقع هذه الخانقاه بخط رحبة باب البعد من القاهرة كما يقول المقرئى ، (حى الجمالية الآن) ، وكانت أول دار تعرف في عصر الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء ^(١) ، وهو كما يقول ابن ميسر ، (بيان) ولقبه سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

(١) الخطط ج٤ ص ٢٧١

وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة ، فلما تولى الصالح طلائع الوزارة سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سردابا تحت الأرض ليمر فيها . فلما استولى صلاح الدين على مصر ، وقف هذه الدار على الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد النائية وذلك في سنة ٥٦٩ هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليهم كثيرا من الاوقاف عقاريه بالقاهرة وزراعية بالبهنسا (بالنبيا الآن) . وقد جاء في شرط الوقفية أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني ، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيرة ورتب للصوفية في كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم ، وهنا يقول المقریزی ، فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت باسم (دويرة) الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ » .

وقد تهيأت للشيخ زكريا أن يضع في خانقاه سعيد السعداء الكثير من مؤلفاته العظيمة نذكر منها شرح البخارى المعروف باسم فتح البارى للحافظ ابن حجر وشرح البخارى للكرمانى وشرحه للعيني الحنفى وشرحه لشهاب الدين العسقلانى . وكان يقوم بالكتابة له في معظم الأحيان تلميذه الشيخ الشعرائى فهو يقول : « وكان خطى متميزا فيه وأظنه يقارب النصف ، ويضيف فيقول ، وكنت إذا جلست معه كأنى جالست ملوك الأرض الصالحين العارفين ، وكان أكبر المفتين بمصر يصير بين يديه كالطفل وكذلك الأمراء والأكابر . وقد جاء في ترجمته أن بواذر الكشف بدأت تظهر عليه بعد تأليفه لكتابه شرح (البهجة) الذى استبعد جماعة من أقرانه أن يكون هو مؤلفه ، فكتبوا على نسخة منه كتاب الاعمى والبصير تنكيئا عليه ، كما يقول ، لكون رفيقى فى الاشتغال كان ضريرا ، وكان تأليفى له فى يومى الاثنين والخميس فقط فوق سطح الجامع الأزهر . وهنا يصرح الشيخ زكريا بظهور الكشف عليه فيقول : وكان وقتى رائقا وظاهرى بحمد الله محفوظا ، وكنت مجاب الدعوة لا أدعو على أحد إلا ويستجاب الدعاء فأشار على بعض الأولياء بالتستر بالفقه ، وقال استر الطريق فليس هذا زمانه ، فلم أكد أنظاھر بشيء من أحوال القوم إلى وقتى هذا . ويستطرد الشيخ زكريا فى الحديث عن كشفه فيقص علينا القصة التالية : « كنت معتكفا مرة فى العشر الأخير من شهر رمضان فوق سطح الجامع الأزهر فجاءنى رجل تاجر من الشام وقال لى إن بصرى قد كف ودلنى الناس عليك تدعو الله أن یرد على بصرى . وكان لى علاوة فى إجابة دعائى فسألت الله أن یرد عليه بصره ، فأجابنى ولكن بعد عشرة أيام ، فقلت له الحاجة قضيت على شرط أن تسافر من هذا البلد إن أردت أن

يرد الله عليك بصرك ، وذلك خوفاً أن يرد عليه بصره في مصر فيهتكنى بين الناس . فسافر فرد عليه بصره في غزة وأرسل لى كتابا بخطه ، فأرسلت أقول له متى رجعت إلى مصر كف بصرك فلم يزل بالقدس إلى أن مات بصيرا .»

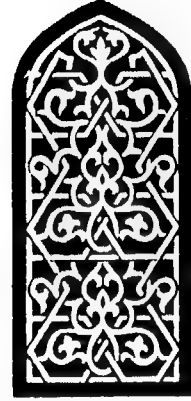
وقد بدأت تظهر تنبؤات الرجل المحسن الذى تولى أمر الشيخ زكريا عندما جاء إلى القاهرة معد ما لا يجد قوت يومه ، عندما عرض عليه وظيفة قاضى القضاة وأخذ يرفضه المرة تلو المرة ولم يقبلها حتى ألح عليه السلطان فى الرجاء ، وهنا يقول : « تزايد على الحال الى أن عزم على السلطان بالقضاء فأبيت ، فقال إن أردت نزلت ماشيا بين يديك أقود بفلتك إلى أن أوصلك الى بيتك ، فتوليت وأعاننى الله على القيام به » ويصف لنا حاله بعد تولى وظيفة القضاء وأحاسيسه النفسية فيقول : ولكن أحسست من نفسى أنى تأخرت عن مقام الرجال (أى المتصوفين) ، فشكوت إلى بعض الرجال فقال إن تشعر وتحس به إنما هو تقديم إن شاء الله تعالى فان العبد اذا رأى نفسه متقدما فهو متأخر وأن رأى نفسه متأخرا فهو متقدم فسكن روعى .»

وكان للسلطان قايتباى فيه اعتقاد وولاية فينصح بنصحه ويقبل لاذع نقده بمنتهى الرضا ورحابة الصدر ، وكان الشيخ زكريا يحس بهذا ويعلمه تمام العلم ، فهو الذى يقول : ما كان أحد يحملنى كما يحملنى السلطان قايتباى فقد كنت أحط عليه فى الخطبة حتى أظن أنه ما عاد قط يكلمنى . فأول ما أخرج من الصلاة يتلقانى ويقبل يدي ويقول جزاك الله خيرا . وقد أوعزت هذه المعاملة الكريمة التى عامل بها السلطان الشيخ زكريا ، صدور كثير من حساده من الامراء والشيوخ على السواء ، خاصة وقد عرف عن قايتباى الشدة والصرامة فى معاملة أتباعه وحاشيته وعدم قبوله للنقد على الاطلاق ، فكيف وهو يستمع الى شتائم الشيخ زكريا تكال عليه عيانا بيانا فى خطبة الجمعة . فلم يزل هؤلاء الحساد حتى أوقعوا بينهما وبرغم ذلك فلم يصدر من قايتباى لفظ أو فعل يسىء الى الشيخ وفى ذلك يقول : فلم تزل الحسدة بنا حتى أوقعوا بيننا الوقيعة وكان ماسكا الى الأدب ما كلمنى كلمة تسوءنى قط ، ولقد طلعت له مرة فأغلظت له القول فأصفر لونه ، فتقدمت اليه وقلت له والله يا مولانا انما أفعل ذلك معك شفقة عليك وسوف تشكرنى عند ربك وإنى والله لا احب أن يكون جسمك هذا فحمة من فحم النار فصار ينتفض كالطير . وكنت أقول له أيها الملك تنبه لنفسك فقد كنت معدما فصرت وجودا وكنت رقيقا فصرت حرا وكنت مأمورا فصرت أميرا وكنت أميرا فصرت ملكا ، فلما صرت ملكا تجبرت ونسيت مبدأك ومنتهاك »

الموصف المعماري

يحدثنا الشيخ الشعراني أن الشيخ زكريا عرف مكان قبره قبل مماته دون أن يكون له فيه اختيار ، فيقول : كنت يوما أطلع له في شرح البخاري ، فقال لي قف ، اذكر لي ما رأيته في هذه الليلة ، وقد كنت قد رأيت أنني معه في مركب قلعها من حرير وحبالها وفرشها سندس أخضر وفيها أرائك ومتكات من حرير والامام الشافعي رضى الله عنه جالس فيها والشيخ زكريا عن يساره ، فقبلت يد الامام الشافعي ، ولم تزل تلك المركب سائرة بنا حتى أرست على جزيرة من كبد البحر الحلو . وأخذ يصف الشعراني كل ما في الجزيرة من بساتين وفاكهة وزهور ونساء كحور الجنة حتى اذا ما انتهى من سرد منامه قال له الشيخ زكريا : إن صح منامك فأنا أدفن بالقرب من الامام الشافعي رضى الله عنه .

فلما مات الشيخ زكريا هيا له أصدقاؤه وتلاميذه قبرا بقرافة باب النصر فجاء جماعة من أصدقاء الشيخ الشعراني ممن يعرفون منامه وقالوا له لقد كذب منامك يا شعراني وهنا يقول الشعراني « فبينما نحن كذلك وإذا بقاصد الأمير خير بك نائب السلطنة بمصر يقول ، ان ملك الامراء ضعيف لا يستطيع الركوب إلى هنا ، وأمر أن تركبوا الشيخ زكريا على تابوت وتحملوه للامير ليصل عليه في سبيل المؤمنين بالرميلة (ميدان القلعة) . فحملوه وصلوا عليه ، فقال خير بك ادفنوه بالقرافة عند الشيخ نجم الدين الخيوشاني تجاه وجه الامام الشافعي . وكان ذلك في ذى الحجة سنة ست وعشرين وتسعمائة » .



مدرسة خاير بك

(٩٢٨ هـ ١٥٢٢ م)

عندما استولى السلطان سليم الأول العثماني على مصر (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م)، رأى
يبعد نظره، بعد مدة الثمانية أشهر التي قامها بمصر، أن يعين خاير بك المملوكي نائبا
عنه في مصر، بدلا من يونس باشا، وذلك لمساعدة خاير بك للعثمانيين في الاستيلاء على
بلاد الشام^(١)، هذا فضلا عن أن سليم الأول رأى أن يستعين في المرحلة الاولى من الحكم
العثماني، بالحكام المحليين المواليين لهم

أما عن أصل خاير بك فهو من المماليك الجراكسة، قيل إنه ولد بقرية يقال لها
صمصوم من بلاد الكرج بالقرب من أقليم جورجيا. وقد عنى والده بتربيته وتنشئته فلما
كبر باعه إلى السلطان قايتباي فالحقه بمجمله ممالكه السلطانية. وقد أخذ خاير يترقى في
سلم الوظائف العسكرية في عهد قايتباي حتى وصل إلى درجة "مقدم ألف".

وفي عهد السلطان الغوري تولى وظيفة حاجب الحجاب، ثم خلع عليه السلطان لقب
أمرة الأمراء وقرره في نيابة حلب. واستمر خاير بك في إمارة حلب حتى مجيء العثمانيين
إلى مصر والشام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م)

وقد كان لسياسة خاير بك الحكيم في إعطائه الأمان للمماليك تنفيذا لأوامر السلطان
سليم، أكبر الأثر في كسب ودهم ووقوفهم إلى جانبه. فقد اشترك المماليك مع القوات
العثمانية في الحملات التي وجهها خاير بك ضد البدو، كما استخدمهم في قمع فتن

(١) ابن اياس: بدائع الزهور ج٥ صفحة ٢٠٢

الانكشارية التي قاموا بها ضد أوامر السلطان سليم القاضية باعادتهم إلى الأناضول بسبب اثارهم المتاعب للسلطة الحاكمة في مصر .

وقد بدأ خاير بك سياسته في مصر باعطاء الأمان للمماليك فسمح لهم بركوب الخيل وشراء السلاح ، والتزى بزي المماليك لا بالزي العثماني . كما انفقت عليهم الجامكية (الرواتب) كسابق عهدهم .

هذا ويجب أن نشير هنا إلى ملاحظة هامة ، وهى استمرار جلب المماليك إلى مصر والحرص على شرائهم ، وذلك رغبة من السلطان العثماني في إبقاء المماليك كجند ، مما أدى في نهاية القرن الثامن عشر إلى سيطرتهم على إدارة الحكم في مصر ولم يكتف خاير بك بابقاء المماليك كطائفة عسكر فحسب ، بل استعملهم كذلك في شغل المناصب الادارية الهامة كالكشوفيات وكذا بعض الوظائف المالية والدينية كامارة الحج وما إليها .

وقد استمر خاير بك في ذلك في منصبه واليا على مصر حتى وفاه الأجل ٩٢٨هـ ، حيث مات في القلعة وشيعت جنازته ودفن في مدرسته بجوار أخوته .

أما عن تاريخ مدرسة خاير بك فقد اختلف علماء الآثار في تاريخ إنشائها ، فبينما نجد ابن^(١) زمبل يذكرها في تاريخه باسم (الخيريكيه) يرجعها إلى العهد العثماني ، في حين يقول ابن اياس في حوادث ٩٠٨هـ بأنها كانت موجودة وان جان بلاط المحمدى أخو خاير بك دفن في تربة المدرسة التى أنشأها خاير بك بباب الوزير . هذا وقد ناقش الدكتور محمد مصطفى نجيب تاريخ المدرسة مناقشة دقيقة مفصلة في رسالته^(٢) .

ومهما يكن الأمر في اختلاف المؤرخين في تاريخ الانشاء ، إلا ان الأمر الذى يهمنا بالنسبة للعمارة الاسلامية ، سواء أكانت من منشآت العصر العثماني أم المملوكي . إلا أنه من الثابت أنها مملوكية التطراز مع وجود تفاصيل زخرفية في الرسوم القالبية والرسوم المحفورة على الخشب متأثر بالطراز العثماني .

(١) ابن زنبيل : تاريخ السلطان سليم مع قصصه الفوري ص ١٢٨

(٢) محمد مصطفى نجيب : مدرسة خاير بك (رسالة / ماچستير ١٩٦٨ جامعة القاهرة مخطوطة)

الوصف المعماري

تقع مدرسة خاير بك بحى باب الوزير، جنوب القاهرة المعزية، بجوار سور القاهرة الذى أقيم فى العصر الأيوبي (٥٧٢هـ / ١١٧٦م) الذى يقع إلى الجنوب الشرقى للمدرسة. اما الجانب الجنوبي الغربى منها فيشغله قصر الأمير الين آق الذى بنى (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م). وفى الجهة الشمالية الشرقية من المدرسة يوجد مسجد آق سنقر الذى أقيم (٧٤٧هـ / ١٣٤٧م)

وتتكون المدرسة من شكل مستطيل، يتوسطه صحن مغطى ويشغل اضلاعه الاربعهٗ ايوانات متعامدة، الا ان الايوانين الشرقى والغربى اكثر عمقا من إيوان القبلة الذى يشغل الضلع الجنوبي من المدرسة والايوان الشمالى المقابل له، وذلك لان المدرسة مستطيلة الشكل وليست مربعة.

ويحيط بجدران الايوانات جميعها وزرة رخامية بارتفاع ١,٥ من أرضية المدرسة يعلوها شريط نقشت عليه آيات من سورة الفتح.

ويتوسط الايوان الجنوبي المحراب ويكتنفه حنيتان أقل عمقا. وتشغل هذه الحنيات الثلاث جميع مساحة الايوان الجنوبي. ومما يستدعى النظر فى تخطيط مدرسة خاير بك، هو انفرادها بظاهرة لم تسبق إليها، كما إنها لم تستعمل بعد ذلك، وهو قلة عمق إيوان القبلة.

لقد وجدت ظاهرة قلة عمق بعض ايوانات مدارس عصر المماليك الشراكسة ولكنها كانت على الإيوانات الشرقية والغربية، وليست إيوان القبلة وما يقابله مثل مدرسة السلطان اينال^(١)، وقد أطلق على هذا النوع من الإيوانات القليلة العمق فى العمارة المملوكية (السدلتان)

أما بالنسبة لمدرسة خاير بك، فلعل مساحة الأرض التى أقيمت عليها المدرسة والمحصورة بين سور القاهرة القديم وبين العمائر السابقة عليها والتزام المعمار بجهة معينة لتكون جهة القبلة، كل ذلك، فى رأينا، هو الذى حتم على المعمار ان يكون إيوان القبلة وما يقابله ضحلا يشبه (السدلهٗ).

(١) المؤلف: مساجد مصر ج٢ ص ٢٠٠ (مدرسة اينال)

ويوجد بالايوان الشمالى المقابل لأىوان القبلة أربعة كتيبات على مستويين تحفظ فيها الكتب الدينية وغيرها من المراجع والمصادر التى يحتاجها الدارس والمدرس .
ويوجد بايوان القبلة منبر خشبى جميل الصنع ، انشأه سليمان باشا الخادم نائب السلطنة العثمانية على مصر فى ولايته الثانية (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) . كما انشأ دكة للمبلغ فى الايوان المقابل لايوان القبلة.

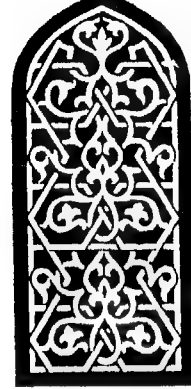
ويتوسط الأيوان السابق بابان الشمالى منهما صغير وذو عتب مزرر يؤدى الى المدفن الصغير . والجنوبى كبير ويؤدى الى مدفن ثان ، ويقع فى تجويف عميق يكتنفها مصطبتان ، ويعلوه عقد ذو ثلاث فصوص يشغلها خمس حطات من المقرنصات والدلايات .
ويغطى صحن المدرسة قبة مفتوحة تقوم على مقرنصات ركنية كبيرة . كما فتحت فى الايوانات جميعها نوافذ معقودة مملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

وقد الحق بالمدرسة مدفنان أحدهما كبير ، ويتكون من مربع يتخلله فتحات النوافذ . كما يحيط بأعلى الجدار وزرة رخامية يعلوها نص كتابى يضم القاب خاير بك وتاريخ الانشاء ٩٠٨هـ ويعلو المدفن قبة بصلية الشكل تقوم على رقبة رقعة مرتفعة يتخللها (١٦) نافذة أما المدفن الصغير فيتكون كذلك من مربع يحتوى على نافذتين أحدهما تطل على الرحبة التى تتقدم المدرسة والأخرى تطل على الطريق . ويحيط بالمربع من أعلى شريط من الكتابة القرآنية من سورة آل عمران . ويعطى المدفن قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية .

أما المئذنة المدرسة فتعلو المدفن الصغير وبجوار قبة الضحلة ، وهى تتكون من ثلاث طوابق ، تقوم على قاعدة مربعة ، ويتكون الطابق الأول من شكل ثمانى يتخلله أربع فتحات . أما الطابق الثانى فمستدير الشكل ، اما الطابق الثالث فقد سط . وتمتاز هذه المئذنة بأنها تحتوى على سلمين يلتفان على شكل حلزونى حول المئذنة من الداخل بحيث لا يلتقيان الا فى الطابق الثالث

السبيل

وقد الحق بمدرسة خاير بك سبيل يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة ويتكون السبيل من عدة طوابق، الاول منها مربع الشكل وبه شاذروان في جهته الجنوبية، وفي الجهة المقابلة توجد حجرة مربعة بها فتحة بئر يجاوره حوض حجري لوضع الماء به. ويعلو هذه الحجرة، حجرة ثانية بها حوض مثنى تجاور الفتحة العليا للبئر. ويوجد تحت الطابق الأول صهريج لتخزين المياه، وهو بناء مطمور تحت الأرض، يغطيه وتبرز الواجهة الشمالية الغربية للسبيل عن الواجهة الرئيسية للمدرسة، وبهذه الواجهة شايك بها طاسات نحاسية ذات سلاسل مربوطة يستعملها الناس في الشرب من الصنابير التي بأسفل هذه الشايك.



مسجد الدمرداش وزاويته

بالعباسية

(٩٢٩هـ / ١٥٢٣م)

اختلف المؤرخون وكتاب السير في اسم الشيخ الدمرداش فقد جاء في هامش كتاب (تحفة الأتخباب^(١)) للسخاوي ، أن اسمه محمد بن الأمير دمرداش المحمدي . وجاء في كتاب طبقات الحنفية وأخذ عنه محمد لبيب الحلبي في بحثه (الفيوضات النورانية^(٢)) أن اسمه هو العارف بالله أبو عبد الله محمد شمس الدين المعروف بالمحمدي والملقب بالدمرداش . وهكذا نرى أنهم اختلفوا في الاسم ولكنهم اتفقوا في الكنية واللقب وهو (الدمرداش المحمدي) .

ولد الشيخ أبو عبد الله محمد الدمرداش بمدينة تبريز بإيران سنة ٨٥٧هـ (سنة ١٤٥٣م) وقد أمضى طفولته وبعض شبابه في مدارس تبريز السنية التي كانت تعنى في المرتبة الأولى بتدريس اللغة العربية إلى جانب اللغة الفارسية بطبيعة الحال . وقد تفقه شيخنا في علوم الدين والحديث كما حفظ معظم القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ودرس الفقه على مذهب الامام أبي حنيفة . وبرغم كثرة تردد أبو عبد الله على مسجد تبريز الرسمي المعروف باسم الجامع الأزرق^(٣) الذي شيده السلطان تيمورلنك في منتصف القرن التاسع الهجري . حيث يدرس المذهب الشيعي وخاصة مذهب الامامية الاثنى عشرية ، نجده في نفس الوقت يعكف على دراسة مبادئ التصوف على طريقة (محي الدين بن العربي) وكان لاعتناقه المذهب السني وتصوفه أثر كبير في عدم وصوله الى وظائف الدولة الهامة او دخوله في بلاط الملوك والأمراء رغم علمه الوفير وخلقه القويم ، فقد كانت الدولة الشيعية المذهب ولا تعتمد ولا تثق الا فيمن كان على

(١) تحفة الاحباب وبغية الطلاب في المزارات والتراجم والبقاع المباركات للسخاوي ص ١٦ ، ١٧

(٢) الفيوضات النورانية في محيا الطريقة الدمرداشية - لمحمد لبيب محمد الحلبي .

(٣) يعد الجامع الأزرق من أبداع عمائر العصر التيموري بنى في تبريز في منتصف القرن ٩هـ ويمتاز المسجد باحتوائه على قاعة كبيرة تنوسطه يعلوها قبة وتحيط بها القاعات من جميع الجهات . وفي أحد جوانب المسجد يوجد ضريح مغطى بقبو نصف دائري . وقد زين هذا المسجد بفسيفساء من الخزف في غاية الابداع والجمال وفيها اللون الأزرق الناصع والأزرق الداكن ومن هنا أخذ الجامع اسمه .

دينها ومذهبها ، وقد أدى هذا بدوره بالاضافة الى غلظة سلاطين التتر وتعسفهم في معاملة الشعب الى رحيل أبى عبد الله محمد شمس الدين عن تبريز وحضوره الى مصر .
ويختلف المؤرخون مرة أخرى بالنسبة لموضوع رحيله وهجرته من ايران ، فبعضهم^(١) يقول إن والده حضر الى مصر في عهد السلطان الظاهر أبى سعيد ومعه ولده أبو عبد الله محمد شمس الدين وشغل أكبر وظائف الدولة في عهده . ويذكر البعض الآخر^(٢) - وهو الراجح أن الشيخ أبا عبد الله هو الذى حضر الى مصر في عهد السلطان الاشرف قايتباى ، والتحق بخدمته وما زال يترقى من وظيفة الى أخرى حتى وصل أمير مائة . وقد قربه السلطان قايتباى اليه واصطفاه لما بلغه عنه من حسن الخلق والتقوى ، مما أوغر صدر حساده عليه فأخذوا يحيكون ضده المؤامرات فأبلغوا السلطان انه كثيرا ما يترك الحراسة الى حيث لا يدرون وبذلك تعرض حياة السلطان للخطر . ولما كان قايتباى شديد الثقة فيه فقد صمم على أن يتبين الأمر بنفسه فخرج في ليلة عاصفة بردها قارص ، فلم يجده في حراسته ، وأما وجده يتعبد في الخلاء بعيدا عن أعين الناس ، فتعجب من أمره وقوة تحمله وقال له بالفارسية (ديمر طاش) ومعناها أنت كالصخر أو الحديد في تحملك ، فأصبحت منذ ذلك الوقت لقباله ، ثم حرفت فأصبحت تنطق الدمرداش .

وقد ارتفع قدر الدمرداش عند السلطان قايتباى بعد هذه الحادثة كما تأكد من ورعه وتقواه ، ولذلك دعاه للحج وزيارة المدينة المنورة معه سنة ٨٨٤هـ . ويقول ابن اياس في حوادث سنة ٨٨٦هـ أن صاعقة عظيمة سقطت على المسجد الشريف النبوى فأحرقت منه المنارة والسقوف الخشبية والجدران والأعمدة ، ولم يسلم سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وقد أصبح المسجد جميعه كالتنور . فلما سمع بذلك السلطان قايتباى بكى فأبكى من كان حوله . وشرع قايتباى في الحال في تجديد المسجد الشريف وأرسل جماعة من البنائين والنجارين والمرخين وعلى رأسهم الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن ، كما أرسل مع هذه البعثة أبا عبد الله محمد شمس الدين ليكون عينا له عليها ، لما يعرفه عنه من الورع والتقوى وحبه الشديد للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد أنتهى العمل في الحرم النبوى الشريف في أواخر سنة ٨٨٧هـ - ويصف ابن اياس عملية التجديد فيقول : « فجاء غاية في الحسن من أجل الابنية وأعظمها حتى قيل إن السلطان صرف على بنائه نحو من مائة ألف دينار وجدد معالمه ، وتناهى في زخرفته إلى الغاية » . وقد كان لشدة حرص أبى عبد الله محمد

(١) تحفة الأعيان ص ١٦

(٢) ابن اياس ، الفيوضات النورانية .

شمس الدين في أن يتم تجديد الحرم النبوي الشريف في أقصر وقت ممكن وأبهى وأجمل صورة - أثر كبير في محبة الناس وتقديرهم له ، حتى أنهم أطلقوا عليه (المحدثي) وهكذا أصبح كنية أبي عبد الله محمد شمس الدين (الدرمداش) ولقبه المحدثي .

وبعد عودة الشيخ الدرمداش من مهمته في بعثة تجديد الحرم النبوي ، عينه السلطان قايتباي إماما وخطيبا لقبة الأمير يشبك بن مهدي بالمطرية (جامع القبة بسراي القبة حاليا) ولما أراد السلطان الحج سنة ٨٨٩هـ نزل بهذه القبة يوم الجمعة فصرى به إماما الشيخ الدرمداش وخطب خطبة بليغة فأعجب بها السلطان فأنعم عليه بهبة ملكية عظيمة من دنائير كما أقطعته أرضا بنى في وسطها زاوية له ولفقرائه فاستقال من وظيفته وانقطع للعبادة وزراعة الارض المقطوعة له ، وبنى عددا من الخلاوى حول زاويته لأصحابه ومريديه .

وكان الشيخ الدرمداش مهيب الجانب قوى الشخصية ، قدوة حسنة لأصحابه ومريديه إذ كان يعمل ليأكل^(١) من كسب يده ، وقد أفاض الله عليه نعمته فكثرت ماله . وقد أوقف ثلثي ماله على إحياء طريقتة ومقيمى شعائرها والمستحقين من مريديه وضيافة محبيه وترك الثلث الباقي لابنائيه وأسرته . أما عن طريقة الشيخ الدرمداش في الصوفية فقد جاء في (الفيوضات النورانية) انه سلك الطريق عن الشيخ الخضرى ثم الشيخ عمر الوشنى ، وتسير السلسلة حتى تنتهى إلى الشيخ أبى القاسم الجنيد ثم إلى الامام حسن البصرى امام التصوف ثم إلى الصحابى الجليل (حذيفة بن اليمان) رضى الله عنه ، ثم إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومن مؤلفات الشيخ الدرمداش كتاب القول الفريد في التوحيد وكتاب تحفة الطلاب في حضرة الوهاب ، وكتاب جمع الاسرار وكشف الاستار ، وهذا الكتاب الاخير موجود في المكتبة الاهلية بازمير بتركيا .

وقد توفى الشيخ الدرمداش سنة ٩٢٩هـ (١٥٢٤م) أى بعد زوال دولة المماليك ومجىء العثمانيين ودفن بزاويته (مسجده الحالى) .

وقد خلف الشيخ الدرمداش في مشيخة الطريقة الدرمداشية عدد من الخلفاء بطريق الانتخاب أو الاختيار حتى انتهت إلى الشيخ عبدالرحيم مصطفى صالح وهو المعروف بالدرمداش باشا والد السيدة قوت القلوب) وأصبحت وراثية في أسرته فتولاها أبناء ابنته قوت القلوب .

(١) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف - السيد محمود أبو الفيض المنونى ص ٢٦٣

وصف الجامع

يقع جامع الدمرداش بجوار مستشفى الدمرداش التابعة لكلية طب جامعة عين شمس بأول العباسية . يصفه على مبارك^(١) فيقول : هذا الجامع خارج الحسينية وهو مسجد عامر بريع أوقافه تحت نظر الشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، وتتكون مقصورة الدمرداش من قبة قائمة على سبع بوائك وبه منبر من الحجر ودكة من الخشب وصحنه كشف سماوى مفروش بالحجر وفي وسطه ميضأة وبجوانبه خمسون خلوة للصوفية سفلية وعلوية ، وله مذئنة . ويقع مقام الدمرداش عن شمال المنبر وعليه مقصورة من الخشب الخرط ويقصده الزوار كثيرا وله مولد في شهر شعبان « ويصف على مبارك سلوك الصوفية المقيمين في خلاوى الدمرداش فيقول : ويمكث مولد الدمرداش ثلاثة ايام وحينئذ يدخل الصوفية الخلاوى متلبسين بالصيام والقيام والأوراد والعزلة عن الناس متريضين تاركين الشبع والنوم ومخالطة الناس ، ولا يخرجون إلا للصلاة مع الجماعة ، فاذا كان آخر ليلة خرجوا لمجالس الذكر ومصافحة الناس وهذه عادة جارية إلى الآن » .

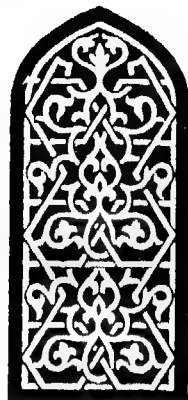
وفي الجهة الغربية للمسجد توجد قبور النساء كتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه مدافن الست المصونة والجوهرة المكنونة الست (كليوى) زوجة حسن أفندى رزنا مجى باشا بمصر ، والست المصونة والجوهرة المكنونة الست (هنا) والدة قدوة المحققين وعمدة السالكين أستاذنا الشيخ دمرداش الخلوتى المحمدى توفيت سنة ١١١٢هـ . وبالجهة الشرقية للمسجد يوجد قبر يقال إنه قبر المرحوم سنان باشا عليه كتابة مؤرخة سنة ٩٨٣هـ وهى توافق تاريخ وفاة سنان باشا . وقد جاء فى الجبرتى « أن الفرنسيس سنة ١٢١٤هـ وقت حربهم بمصر نهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغورى والمنيل وغيرهما » .

ويتكون المسجد الآن من حجرة مربعة تقريبا تبلغ مساحتها ١١ × ١٠ مترا تتوسط المسجد فى أركانها الأربعة ثلاثة مقرنصات كبيرة تقوم فوقها مباشرة قبة كبيرة بيضاوية مدببة بها ست عشرة حنية صغيرة ثمان منها مفتوحة كنوافذ ، والثمان الأخرى

(١) الخطط التوفيقية

مسدودة كحلية . وفي كل ضلع من أضلاع الحجرة الثلاثة عدا حائط القبلة توجد ثلاثة عقود . ويحتوى جدار القبلة على محراب كبير بجواره من الجهة اليسرى مقصورة من الخشب الخرط بها ضريح الشيخ الدمرداش . ويعلو المحراب نافذة قنديلية مملوءة بالخشب الخرط ، وفي كل ضلع من أضلاع القبة الأربعة توجد نافذة مربعة صغيرة مملوءة بالخشب الخرط . والوصف الحالى للقبة ينطبق تماما مع الوصف الذى ذكره على مبارك فى خططه مما يدل على أن القبة قديمة وترجع الى القرن الثانى عشر للهجرة على أقل تقدير وان كانت قد جدد طلاؤها . أما باقى المسجد فقد أعيد بناؤه لأنه يختلف اختلافا واضحا عن وصف على مبارك له ، إذ أنه يحيط بالقبة الآن من الجهتين الجنوبية والغربية وله سقف خشبى وليس مكشوفاً وبه محراب ومنبر فى الجدار الفاصل بينه وبين القبة . كما يوجد (٥٤) خلوّة فى دورين (سفلى وعلوى) فى الجهة الجنوبية منه ، ويحيط به من الخارج من جهاته الثلاث الشمالية والغربية والشرقية حديقة ومجموعة من المساكن التابعة لموظفى المسجد .

ويوجد المدخل الرئيسى للمسجد فى الجهة الجنوبية الغربية ويعلوه مثذنة مكونة من ثلاث دورات تنتهى بشكل مبخرة وهى مملوكة الطراز .



زاوية العمود أو ضريح حسن الرومي

بسكة الحجر مسجل برقم

(٢٥٨) (٥٩٢٩/١٥٢٢م)

أنشأ هذا الضريح الأمير خاير بك بن مالبى ، لأحد الأولياء الصالحين من الأتراك الذى وفد الى مصر فى عهد السلطان الغورى وهو الشيخ حسن الرومى (أى التركى) . ويقال ان ممالك وأمراء السلطان الغورى قد اساءوا اليه كثيرا وعاملوه معاملة مهينة غير كريمة . ويبدو ان مثل هذه المعاملة كان يلقاها جميع الرعايا الأتراك الذين وفدوا مصر فى آخر العصر المملوكى بقصد الدرس أو الاقامة أو الاتجار ، وذلك كرد فعل طبيعى نسبة الى الحروب البحرية التى كانت قائمة فى ذلك بين الدولة العثمانية ودولة الممالك الشراكسة ، والتى انتهت بسقوط دولة الممالك (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) .

وقد كان الشيخ حسن رجلا ورعا تقيا أخته المصريون والتفوا حوله وانزلوه منزله رفيعة فى قلوبهم ، مما أوغر صدر الممالك عليه ، فتقولوا عليه عند السلطان الغورى ، الذى أمر ان يضرب ويطرد من الجامع الأزهر ولا تصرف له الجراية التى تصرف للمجاورين . وفعلا ضرب بالسياط وديس بحوافر الخيل حتى أجزأ كثيرة من جسده . الا أن أهل الخير والبر من المصريين سرعان ما تولوه بالعناية والرعاية ، فاستعاد صحته وعافيته ، الا أنه امتنع عن محادثة الناس بعد ان دعا على السلطان الغورى قائلا : اللهم مزق جسده وملكه كما مزق جسدى ، ولا تحرمه من أن يداس بحوافر خيله .

ثم انقطع الشيخ حسن لقراءة القرآن والعبادة ملتزما بالجلوس بجانب عمود معين برواق الأتراك حيث كان يقيم . وقد ظل على جلسته هذه لا يغادر جلسته بجانب العمود قرابة أربع سنوات : سنة فى حياة الغورى ، وثلاث سنوات فى عهد الدولة العثمانية ، ومن ثم فقد أطلق عليه الناس اسم « شيخ العمود ، بل ان الكثيرين نسوا اسمه الحقيقى .

فلما تولى الأمير خاير بك ولاية مصر ، وهو مملوكى الأصل ، صرف مكافأة له نظير
 خيانتته للسلطان الغورى فى موقعة مرج دابق ، وعلم بقصة الشيخ حسن الرومى أو شيخ
 العمود ، ورأى أن الله قد استجاب لدعائه على السلطان الغورى حتى أن فرسه دابيه
 بحوافره فى موقعة مرج دابق فتمزق جسده بحيث لم يعثر له على جثة ، تأكد له أن الشيخ
 حسن هذا من أولياء الله الصالحين أمر أن تبنى له زاوية يدفن فيها بعد وفاته
 وقد بدأ العمل فى بناء الزاوية فى حياة الأمير خاير بك أى ٩٢٨هـ إلا أنها لم تتم
 إلا بعد وفاته ، فأكملها الأمير سليمان باشا الخادم الذى تولى باشوية مصر بعد خاير بك من
 قبل السلطان سليم الأول .

وقد سجل تاريخ الانتهاء من بناء الزاوية على لوحة وضعت على مدخلها الرئيسى
 وهو (٩٢٩ / ١٥٢٢م)

الوصف المعماري

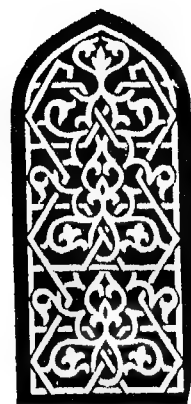
تتكون الزاوية من شكل مربع تقريبا إذ تبلغ مساحتها (١٠ متر) طولاً في (٩) متر عرضاً . ويقسم هذا المربع إلى ستة أقسام عمودان من الرخام تقوم فوقهما ثلاثة عقود مستديرة وممتدة ، أوسط العقود أوسعها فتحةً وأكبرها ارتفاعاً . وقد غطى سقف الزاوية بتغطيات متعددة لم يسبق إليها ، فقد غطى المربعان اللذان يقعان أمام وخلف العقد الأوسط الكبير واللذان يبلغ ضلع كل منهما ٤,٥ متراً ، قبتان كبيرتان ، بحيث تقع القبة الجنوبية أمام المحراب ، ثم القبة الثانية الى شمالها . وتتكون منطقة الانتقال التي تقوم عليها القبتان من مثلثات كروية .

أما القسمان الجانبيان فيبلغ سعة كل منهما (٢,٢٥) متراً وهما بذلك اضيق من المربعين الاوسطين اللذين أقيم فوقهما القبتان ، فيغطيها قبة نصف دائري أقل ارتفاعاً بطبيعة الحال عن القبتين . وهذه الأقبية في وضع عمود على حائط القبلة . ويتوسط جدار القبلة الجنوبي الذي تتقدمه إحدى القبتين محراب مجوف خالي من الزخارف ، اللهم إلا من الوزرة الخشبية ، التي تحيط بالجدار الجنوبي والتي يبدو انها كانت تحيط بجميع الجدران وإن كانت قد اندثرت من الضلعين الغربي والشرقي . أما الواجهة الرئيسية للزاوية فتقع في الضلع الشمالي الغربي لها ، ويتوسطها المدخل الرئيسي الذي يعلوه عقد مدبب ، بداخله باب صغير يعلوه عتب فوق لوحة كتب فيها تاريخ تأسيس الزاوية . ويعلو ذلك نافذة معقودة ملئت بالخشب الخرط . ومما يسترعى النظر حقيقة في هذا المدخل انه قد وضع جزء من عمود يعلوه تاج ارتفاعه بارتفاع نافذة المدخل .

ويحيط بالزاوية صفان من النوافذ من الجانب الشرقي والغربي والجنوبي . الصف السفلي يتكون من نوافذ مستطيلة يعلوها عتب فوقه عقد عائق ، وقد ملئت بمصبات حديدية . أما الصف العلوي ففتحاته أصغر ومعقودة . ومما يجدر ملاحظته أن كل صنف يحتوي على ثلاث نوافذ ، اثنتان منهما يقعان في مربع الدائرة الأولى ، أما النافذة الثالثة فتقع في الدائرة الثانية وقد احيطت نافذة القسم السفلي والفتحة العلوية داخل عقد ذي

ثلاثة فصوص . وقد خلق في زوايا اركان مربع الزاوية من الخارج أربعة أعمدة قواعدها ترتفع بارتفاع جلسة نافذة الصف السفلى ، بينما ينتهى تاج العمود بارتفاع فتحات الصف العلوى .

ونلاحظ أن ضريح الشيخ حسن الرومى ، الشهير (بالعمود) موجود تحت القبة الشمالية بالزاوية . وقد دفن في نفس هذا الضريح كذلك الشيخ أفغا الديلى أحد الذين تولوا أمور هذا الضريح عندما تولى إلى تكية فيما بعد ويحدثنا على مبارك عن أمور هذه التكية فيقول : وقد تحولت زاوية العمود إلى تكية يؤمها عدد كبير من الصوفية وال دراويش والمعتقدين فى الشيخ حسن الرومى . كذلك اهتمت الرزنامة اهتماما خاصا بهذه التكية ولمن يفد عليها من الدراويش فخصصت لها ايرادا سنويا يصرف عليها وعلى من يردها من الدراويش بمقداره (٤٠٠٠) قرش فى السنة .



مسجد العارف بالله أبو السعود الجارحي

أبو السعود له جاه ومنقبة

من زار ساحته يبلغ به أمله

(٩٣١ هـ / ١٥٢٥ م)

هو الشيخ العارف بالله أبو السعود الجارحي ، ذكره الشعراوي في طبقاته على أنه من شيوخ المتصوفين في القرن العاشر الهجري وذكرت معظم المراجع التاريخية^(١) وكتب الطبقات^(٢) تاريخ وفاته سنة ٩٣١ هـ ولكن لم يعن أحد منها بتحديد أو ترجيح تاريخ مولده إلا أننا نرجح اعتمادا على الاحداث التاريخية ، إنه من مواليد النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، إذ يذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩٢٢ هـ ، أنه لما بلغ أمراء الماليك قتل السلطان الغوري في موقعة مرج دابق ، وقع اختيارهم على الأمير طومان باي الذي كان يشغل وظيفة الدوادرية الكبرى والاستادارية العليا وكاشف الكشاف ونائب السلطان في غيبته . الا أن الأمير طومان باي اعتذر عن قبول السلطنة وامتنع غاية الامتناع ، لكنه اضطر تحت الحاح الأمراء وقولهم : « ما عندنا سلطان الا أنت » أن يذهب الى ولي الله الصالح ابي السعود الجارحي الذي له فيه اعتقاد كبير لكي يستخير له الله في أمر توليه كرسى السلطنة وهنا يقول ابن اياس : « ثم ركب طومان باي ومعه الأمير علاء وجماعة من الامراء المقدمين وتوجهوا الى كوم الجارح عند الشيخ أبي السعود ، فلما جلسوا بين يديه وذكروا له تعلل الأمير طومان باي على السلطنة بأنواع من العلل ، منها خزائن بيت مال المسلمين ليس فيها درهم ولا دينار للانفاق على العسكر . ومنها أن الامراء قد يغدرون به ويرسلونه الى السجن بشعر الاسكندرية . فأحضر الشيخ أبو السعود بين يدي الامراء مصحفاً شريفاً حلفوا عليه بأنهم اذا سلطنوه لا يغدرونه ولا يشيرون فتننا ، وانهم ينتهون عن ظلم المسلمين ، فلما انتهوا أمر الشيخ أبو السعود الأمير طومان باي بقبول السلطنة فقبلها .

(١) ابن اياس بدائع الزهور (حوادث سنة ٩٢٢ هـ) الخطط التوفيقية لعل مبارك ج٤ ص ٥١٠

(٢) طبقات الشعراوي ج٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠

يقول الشعراني إن الشيخ أبا السعود كان من أجل من أخذ عن الشيخ شهاب الدين المرحومى ، وكانت له في مصر الكرامات الخارقة ، وأنه كان كثير المريدين والتلاميذ . له القبول عند العام والخاص . ولكننا لا نعرف من أين أتى أبو السعود وهل هو مصرى الاصل أو النشأة ^{فقط} ، بل أننا لا نكاد نعرف شيئا عن طفولته أو شبابه المبكر ، ولكننا التقينا به عندما اكتملت شخصيته وكثرت مكاشفاته وأصبح له مريدون وأتباع وله زاوية في كوم الجارحى ويقول على مبارك وكان يساعده في بناء زاويته الملوك والوزراء وغيرهم فكانوا يحضرون بين يديه خاضعين يعملون بأيديهم في عمارتها في حمل الطوب والطين وعمل له سرب تحت الأرض كان يدخله من أول رمضان يعتكف فيه طول الشهر فلا يخرج منه الا بعد العيد بستة ايام . ويضيف الشعراني على هذه الرواية قوله : « وذلك بوضوء واحد من غير أكل وأما الماء فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية ، ورغم ذلك كان يقول إنى لم أبلغ إلى الآن مقام مريد ولكن الله يستر من يشاء » .

وكان الشيخ أبو السعود رضى الله عنه يقول ليس لى أصحاب ، وقد عزا السبب في ذلك في حديثه إلى الشعراني عندما قال : من حين عملت شيخا في مصر لى سبع وثلاثون سنة ما جاء لى قط أحد يطلب الطريق الى الله ولا يسأل عن حسرة ولا عن قرّة ولا عن شيء يقربه الى الله . وإنما يقول أستاذى ظلمنى وامرأتى تناكدنى وجارىتى هربت وجارى يؤذنى ، شريكى خاننى وكلت نفسى من ذلك وحننت إلى الوحدة وما كان لى خيرة إلا فيها فياليتنى لم أعرف أحدا ولم يعرفنى أحد .

وكان أبو السعود عفيف النفس لا يقبل منحة ولا هدية فقد حدث أن جاء أحد أمراء الممالك بقفص موز ورماني ، فردّه عليه فقال الأمير هذا لله تعالى ، فقال الشيخ إن كان لله فاطعمه للفقراء فأخذه الأمير وعاد به إلى بيته ، فأرسل أبو السعود فقيرين بصيرا وضريرا وقال لهما الحقاه وقولا له يا أمير اعطنا شيئا لله من هذا الموز والرماني فلحقاه وقالوا يا أمير اعطنا شيئا لله فنهرهما ولم يعطهما شيئا فرجعا وأخبرا الشيخ بما وقع لهما ، فأرسل الشيخ إلى الأمير يقول له تقول هذا لله وتكذب على الفقراء وتنهر من يقول لك اعطنا يا أمير شيئا فلا عدت تأتيننا بعد ذلك اليوم .

ويذكر ابن اياس إن الشيخ أبا السعود صار يتصرف في أمور المملكة في عهد السلطان طومانباى فاخذ يعزل ويولى ويعاقب ويثيب فمن ذلك ما حدث للزنى بركات ابن موسى محتسب القاهرة معه وذلك أن شخصا مدابغيا يبيع الجلود يقال له الدمراوى جار

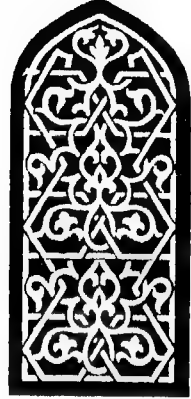
عليه ابن موسى وأراد أن يقبض عليه ، فتوجه الدمراوى الى أبى السعود واحتفى به فأرسل الشيخ رسالة لابن موسى يتشفع فيه فلم يلتفت ابن موسى الى رسالة الشيخ ، فأرسل الشيخ خلفه فلما حضر عنده في كوم الجارج وبخه الشيخ فحنق منه ابن موسى وقام من عنده على غير رضى ، فأرسل الشيخ الى الامير علان (الدوادار الكبير) فلما حضر قال له ضعه في الحديد وشاور السلطان عليه وأعلمه بأنه يؤذى المسلمين . فأرسل إليه السلطان يقول افعل فيه ما شئت فامر الشيخ باشهار ابن موسى في القاهرة ثم بشنقه على باب زويلة . ولكن الامير علان عاود الشيخ في أمره بأن عليه ديننا ومالا للسلطان يضيع بشنقه ، فعفا الشيخ عنه من القتل وأبقى في الحديد ولكن الناس انكروا على الشيخ هذه المعاملة القاسية التى اتبعها الشيخ مع ابن موسى حتى أفرج عنه وفكت قيوده الحديدية .

ويحدثنا الجبرتى عن بعض ذرية الشيخ أبى السعود الجارجى الامام العلامة شمس الدين ابى عبد الله ، كان اماما محققا له باع في علمى الفقه والحديث . وكان مسكنه في باب الحديد احد أبواب القاهرة على الضفة الشرقية لنهر النيل .

ولما حضرت الشيخ أبا السعود الوفاة أرسل الى شيخ الاسلام الحنفى وجماعة من الصوفية وقال لهم أشهدكم انى ما أذنت لأحد من أصحابى ليكون خليفتى ، فما منهم أحد شم رائحة الطريق ثم قال اللهم اشهد وكان يردد دائما لا تجعل لك قط مريدا ولا زاوية وفر من الناس فان هذا زمان الفرار . ويقول الشيخ الشعرانى « سمعته مرة يقول لفقيه من الجامع الأزهر متى تصوير (هاء) الفقيه (راء) ؟ وتوفى رحمة الله عليه سنة ٩٣١هـ ودفن بزاويته بالكوم الخارج بالقرب من جامع عمرو في السرداب الذى كان يعكتف فيه وقد حصل لى منه دعوات وجدت بركتها » .

الوصف المعماري

ويتكون مسجد أبي السعود من ضريح كبير ملحق به مسجد للصلاة ، والضريح عبارة عن حجرة مربعة بكل ركن من أركانها الأربعة مقرنص كبير تعلوه رقبة اسطوانية بها أربعة نوافذ مملوءة بالجص المخرم والزجاج المتعدد الالوان ، وان كان قد سقط معظمه . وتقوم فوق الرقبة قبة ممتدة وهى من الاصلاحات التى أجريت للضريح فى العصر العثمانى . أما المسجد فبسيط فهو عبارة عن مربع به صفان من الاعمدة يتكون كل صف من عمودين . وتقسم صفوف أعمدة المسجد إلى ثلاثة أروقة ، وفى جدار القبلة يوجد محراب كبير تحيط بعقده آيات قرآنية وملحق بالمسجد والضريح ساحة كبيرة تقام فيها الذكور كل أسبوع .



مسجد سليمان باشا الخادم

بالقلعة مسجل برقم

(١٤٢) (٩٣٥هـ / ١٥٢٨م)

سبق أن ذكرنا شيئا مجملا عن تاريخ هذا المسجد عند الحديث عن تجديد (جامع سارية^(١) الجبل) بالقلعة . فقد ذكر المقرئى^(٢) عن البقعة التى يشغلها الآن مسجد سليمان باشا ، انه كان يشغلها على قلعة الجبل ، قبل بناء قلعة صلاح الدين عدة مساجد منها مسجد قسطة ، الذى أنشأه أبو منصور قسطة ويضيف المقرئى فىقول : وكان أصل منصور قسطة غلاما أرمنيا من غلمان المظفر ابن أمير الحبوس .

ويذكر الحافظ أبو الطاهر السلفى عند حديثه عن جامع قسطة ، أنه كان يوجد بالقلعة مسجد الردينى .

ويكمل لنا أحمد^(٣) رمزى تاريخ المساجد التى حل محلها مسجد سليمان باشا فى القرن العاشر الهجرى فىقول : اعتمادا على ما جاء بالمقرئى ، وعلى اللوحة التأسيسية التى نقلت من مكانها ووضعت على قبر أبى المنصور قسطة تبين لنا ، أن هذا المسجد أنشأه أبو منصور قسطة الأرمنى الذى كان واليا على الاسكندرية فى العصر الفاطمى ٥٣٥هـ ، وان هذا المسجد قد انتقل إليه ابو الحسن الردينى واستمر فى التدريس به إلى أن مات ٥٤٠هـ . ثم اختتم على مبارك^(٤) تاريخ المسجد فقال ان سليمان باشا الخادم ، جدد هذا المسجد ٩٣٥هـ ، كما هو ثابت على اللوحة التأسيسية أعلى الباب الغربى .

وقد كان سليمان باشا من رجال الدولة العثمانية البارزين فى عهد السلطان سليمان فقد كان قائد الحملة التى ارسلت لمساعدة الأمراء المسلمين فى الهند . وقد تولى سليمان

(١) المؤلف : مساجد مصر ج ٢ ص ٣٨

(٢) المقرئى : الخطط والآثار

(٣) . ابو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ (حاشية)

(٤) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٤

باشا الخادم ولاية مصر في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٣١ / ١٥٢٥) واستمر بها حتى (٩٤١ هـ / ١٥٣٥ م). ثم عاد وتولى مصر مرة ثانية من (٩٤٣ هـ الى ٩٤٥ هـ) (١٥٣٦ - ١٥٣٨ م)، وقد قام سليمان باشا فترة ولايته لمصر ببعض الاعمال العمرانية التي ما تزال تذكر له حتى الآن، فقد قام بعمل أدق مساحة لأقاليم مصر التي سجلت في دفاتر عرفت بدفتر (ترابيع) وذلك (٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م) وقد عمل بدفتر الترابيع طوال العصر العثماني على اعتبار انه اساس مساحة الأراضي الزراعية بمصر ولعل السبب في كثرة إنشاء وتجديد المساجد والجامعة منها بصفة خاصة، بمصر عامة ومدينة القاهرة بصفة خاصة، ذلك التغيير المذهبي الذي حدث في عهد السلطان سليمان القانوني.

فقد حدث في جمادى الثانية (٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م) أن أرسل السلطان سليمان إلى مصر قاضيا عثمانيا على المذهب الحنفي عرف بقاضى عسكر افندى ليتصرف في الأحكام الشرعية على المذاهب السنية الأربعة. وكان القضاء قبل ذلك في يد القضاة المصريين على المذاهب الأربعة، وبتعيين القاضى العثماني ألغى نظام القضاء المملوكى بقضائه الأربعة^(١) واقتصر على المذهب الرسمى للدولة وهو المذهب الحنفي. ومن ثم فقد اقتصر التدريس في المساجد العثمانية على المذهب الحنفي وقد استتبع ذلك ضرورة إنشاء عدد كبير من المساجد لنشر المذهب الحنفي.

(١) ابن اياس: بدائع الزهور ج٥ ص ٤٥١ - ٤٦٠

الوصف المعماري

يقع جامع سليمان باشا الخادم داخل أسوار قلعة الجبل ، كما أسلفنا القول ، ولعله أول المساجد التي أنشئت في مصر على الطراز العثماني .

ويتكون الجامع من مستطيل كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب . وينقسم هذا المستطيل إلى مربعين متساويين تقريبا ، الشمالي منهما يتوسطه فناء مكشوف تحيط به الاروقة من جهاته الأربع . ويغطي كل رواق أربعة قباب ضحلة تقوم على أكتاف حجرية ويعرف هذا المربع باسم الحرم .

أما المربع الجنوبي وهو مكان الصلاة ، وهو يتصل بالحرم على طريق باب في الضلع الجنوبي لرواق الحرم تعلوه الكتابة التذكارية للجامع ويغطي مكان الصلاة قبة كبيرة مبنية من الحجر تقوم على مثلثات كروية ، ويحيط بها من جهاتها الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية أنصاف قباب ، أما الضلع الشمالي فيشغله حنية معقودة .

وهذا النوع من التغطية في محل الصلاة يعتبر من مميزات العمارة العثمانية ، لم ينتشر كثيرا في مصر اذ لا نجد له مثيلا بعد ذلك ، اللهم إلا في جامع محمد علي باشا بالقلعة .

ويحتوى الجامع على خمسة مداخل خارجية ، اثنان في مربع محل الصلاة ، أما المداخل الثلاثة الاخرى فتتوسط كل مدخل منها أحد أضلاع الحرم الخارجية . ويقول ايليا شلبى^(١) إنه كان يوجد للجامع حديقة تقع خلف المحراب ، كما كان يوجد للجامع شزروان خارج الجامع من الجهة الغربية كانت تستعمل للوضوء .

ولعل من الأشياء التي ينفرد بها جامع سليمان باشا احتواءه على ظلة تتقدم الضلع الشرقى منه ، وتشغل ما يقرب من ثلثيه . وهى تتكون من سقف مسطح مزخرف برسوم محفورة حفرا دقيقا . وترتكز الظلة على تسعة أعمدة خشبية مزخرفة كذلك .

ويتوسط الضلع الجنوبي من مكان الصلاة محراب القبلة وهو مكسى بالرخام ومزخرف برسوم هندسية . وفي الضلع المقابل للمحراب توجد حنية تضم دكة المبلغ التي

(١) عن جامع الملكة صفية لهدايت تيمور ص ٢٠٥

تقوم على كوابيل خشبية جميلة . وبجوار المحراب يوجد المنبر الرخامى الابيض الجميل ،
نقشت فيه رسوم وزخارف نباتية وكتابية جميلة .
وقد حظى جامع سليمان باشا بالعديد من أنواع الزخارف وبخاصة القبة الرئيسية
والقباب الضحلة وكذا انصاف القباب . فقد نقشت بعض أجزائه بالرسوم الزيتية الملونة ،
وكذا الزخارف الكتائية التى تكسو جدران مكان الصلاة إذ تحيط به وزرة تحتوى على
كتابة قرآنية بالخط الكوفى المزهر بالاسلوب العثمانى المربع والمضفور .
كما استخدمت فى زخرفة قبابه بلاطات خزفية صنعت وفقا للأساليب المملوكية من
حيث الطينة والألوان ، وهى ذات لون واحد هو اللون الأخضر^(١)
أما منذنة الجامع فتقع بين الحرم ومكان الصلاة ، وهى أسطوانية الشكل متعددة
القنوات مسحوبة إلى أعلى يتخللها شرفتان ترتكز كل منهما على ثلاثة صفوف من
المقرنصات والدلايات . وتنتهى المنذنة بالشكل المخروطى الذى أصبح شارة من شارات
العناصر الدينية العثمانية .

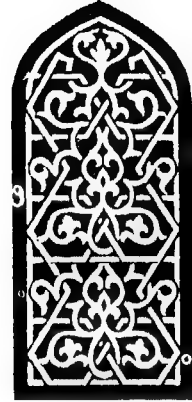
(١) ربيع حامد خليفة : البلاطات الخزفية فى عمار القاهرة العثمانية ص ١٦٣ (رساله ماجستير مخطوطة كلية الآثار جامعة
القاهرة ١٩٧٧م)

زاوية الشيخ سعود

بشارع سويقة العزى

بسوق السلاح بالقاهرة سجل

رقم (٥١٠) (١١٩٤١/٥٣٤م)



تقع زاوية الشيخ سعود بشارع سويقة العزى^(١) المتفرع من حى سوق السلاح بمدينة القاهرة . ويمتد هذا الشارع قرابة (٤٧٠) مترا ، وقد عرف بهذا الاسم ، ذلك انه لما اختطت هذه الجهة عرفت هذه السويقة باسم الأمير عز الدين أبيك العزى نقيب الجيش فى عهد السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

وقد كانت هذه السويقة من جملة المقابر التى تقع خارج سور القاهرة الجنوبي فيما بين الباب الجديد والحارات وبين بركة الفيل وبين جبل المقطم الذى اقيمت عليه قلعة الجبل ، كما يقول المقرئى .

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ١٠٥

الوصف المعماري

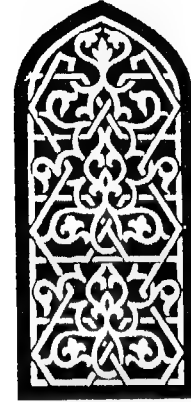
وتعتبر زاوية الشيخ سعود المجذوب التي تقع في شارع سويقه العزى من أهم الزوايا التي ترجع إلى العصر العثماني . وهي عبارة عن مبنى مربع صغير بداخله ضريح الشيخ سعود ، الذي أقامه له سليمان باشا الخادم (١٩٤١هـ / ١٥٣٤م) . وكانت شعائره مقامة وله مولد يعقد سنويا . ولما توفي الشيخ سعود ٩٤١هـ دفن داخل هذه الزاوية تحت قبتهما الخضراء .

وتتكون الزاوية من مربع صغير تغطيه قبة مرتفعة ترتكز على مثلثات كروية ، وهي بذلك تشبه جامع سليمان باشا بالقلعة . ويقابل هذه المثلثات الكروية في الداخل شكل هرمي كبير في الخارج يقوم على قاعدة تعلو المربع مباشرة . وتقوم القبة على رقبة مرتفعة فتحت بها ست عشرة نافذة معقودة كانت مملوءة من الداخل بزجاج معشق متعدد الألوان ، فقد معظمه الآن . أما القبة فهي مستديرة الشكل ولعل السبب في ذلك هو أنها تغطي مربع الزاوية كله . وقد عرفت الزاوية باسم القبة الخضراء نسبة إلى أنها كانت مكسوة كلها ببلاطات القاشاني الأخضر اللون .

ويحدثنا السيد ربيع حامد^(١) خليفة عن البلاطات الخزفية التي كانت تغطي القبة من الخارج فيقول تكسو البلاطات الخزفية الجزء السفلي للقبة من الخارج ، وهي بلاطات مربعة الشكل وذات لون واحد هو اللون الأخضر ، وذلك في ست صفوف متتالية . ومن المحتمل أن تكون القبة كلها كانت مكسوة بهذه البلاطات الخضراء ، ومن ثم فقد أطلق عليها اسم القبة الخضراء ، كما جاءت في الخطط التوفيقية ويفصل السيد ربيع طريقة تركيب هذه البلاطات الخزفية فيقول : وقد ثبتت هذه البلاطات بواسطة مسامير مدقوقة في منتصف كل بلاطة . وقد استعمل هذا الأسلوب في تثبيت البلاطات الخزفية منذ العهد المملوكي ، كما هو الحال في قبة الإمام الشافعي ، فقد ثبتت البلاطات بواسطة مسامير ذات رؤوس كبيرة مدقوقة في الفواصل بين البلاطات .

أما عن الطراز الفني الذي استخدم في كسوة قبة الشيخ سعود ، فقد صنعت وفقا للأساليب المملوكية كما يتضح ذلك من طينتها وألوانها وطريقة لصقها .

(١) البلاطات الخزفية في عمائر القاهرة في العصر العثماني ص ١٦٤



مسجد الشيخ سطيحة

بشبرا قبالة منوفية

(٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م)

هو عمدة المحققين الشيخ أحمد شهاب الدين أبو مسلم الملقب « بالسطيحة » وهو حفيد الشيخ سليم أبو مسلم بن يوسف أبي يعقوب الهمداني العراقي الذي ينتهي نسبه الى جعفر الصادق . وقد ولد الامام يوسف أبو يعقوب الهمداني بقصرية (بوزتجرد) من ضواحي همدان ، كما يقول السمعاني ، ويضيف ابن خلكان انه قدم في صباه سنة ٤٩٠ هـ بغداد ولازم الشيخ أبا اسحق الشيرازي وتفقه عليه حتى برع في اصول الفقه والمذهب ، وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين المهتدي بالله وقريبه أبي جعفر محمد بن احمد ابن أبي مسلم وكان رحمه الله يسجل ويدون كل ما يسمع ويرى في مخطوطات حرصا منه على استيعابها والانتفاع بها عند الحاجة ثم انقطع بعد ذلك للعبادة والتصوف والسياسة والرياضة الروحية حتى صار علما من علماء الصوفية في عهده . وفي سنة ٥٣٥ هـ عاد إلى بغداد واستقر به المقام في المدرسة النظامية حيث كان يجلس للوعظ والارشاد وصادف قبولا عظيما من الناس .

أما ولده الشيخ أبو مسلم الجد الرابع لشيخنا شهاب الدين سطيحة فقد ولد سنة ٥٣١ هـ بمدينة همدان بایران التي كانت وقتئذ مركزا هاما من مراكز الشيعة في العصر العباسي ولذلك فقد وفد إليها واقام بها عدد كبير من أحفاد الائمة من العلويين والمتشيعين لهم . وكان لأبي مسلم عم اسمه السيد منصور تفقه في الفقه على مذهب الامام الشافعي ، ولذلك تركه أقاربه وأهله في بغداد قبل رحلتهم الى همدان ، وحضر الى مصر وكان ذلك في أواخر القرن السادس الهجري . وعرف بين المصريين بعلمه وادبه وزهده وتقواه ، فقلده صلاح الدين الايوبي ، كما يقول ابن الأثير ، خطبة الجمعة بالمسجد الكبير بمصر (أي جامع عمرو بالفسطاط) . فلما توفي السيد منصور في زمن السلطان العادل أيوب ، حل

محلّه في الخطبة ولده ابراهيم . وكان ابراهيم مصري المولد والنشأة ولد سنة ٥٦٣ هـ ، وكان كما يقول ابن خلكان شاعرا رقيقا يكاد يتشابه بشعر الاندلسيين غير أن عليه مسحة من التصوف ومكارم الاخلاق ظاهرة واضحة . وقد جاء الى ابراهيم ابن عمه الشيخ سليم ابو مسلم سنة ٦١٠ هـ في عهد السلطان العادل ، ولكنه لم يبق في القاهرة غير أسبوع واحد ثم توجه مع فئة كبيرة من أهله الى الشرقية حيث استقر عدد كبير من القبائل العربية منذ الفتح الاسلامي ، واتخذ له خلوة في محلة (بحطيط) التي عرفت فيما بعد باسم كفر ابي مسلم .

وقد أدلى الشيخ سليم بدلوه في سبيل الجهاد لنصرة الاسلام والمسلمين بشتى الصور ، فتارة نراه واعظا مرشدا الى ضرورة الجهاد في سبيل الله بمحاربة أعداء الله وأعداء البلاد من الصليبيين وأخرى يخرج من قريته ومعه وفود كبيرة من أهله واتباعه الى ساحة الوغى يبشر المجاهدين بان لهم الجنة . وكان في بعض الاحيان يحمل على ظهره ابريقا كبيرا يسقى منه الجنود في ساحة الوغى . وظل على هذا الحال حتى فارق الدنيا في عهد الملك الصالح نجم الدين الايوبي ٦٤٥ ودفن حيث كانت خلوته بكفر (ابي مسلم) حاليا .

أما عن شيخنا احمد سطيحة حفيد سليم ابي مسلم ، فقد كان من الراسخين في العلم ، كما يقول الشعراني ، ولد في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، وعاصر في صباه السلطان الأشرف قايتباي وكان يقضى معظم أوقاته في زاوية الشيخ الشعراني . فقد جاء في طبقاته لقد صحبت الشيخ احمد سطيحة عشرين عاما وأقام عندي أياما وليالي وكان رضى الله عنه يقول : ما أحببت أحدا في عمري قدرك (يعنى الشعراني) وكان الشيخ سطيحة رحمه الله واسع العلم متفقهها في أمور دينه سميرا حلو الحديث ، خيرا كثير الكرامات . حتى ذاع أمره بين الناس الى ان أصبح السلطان الغورى من أكثر المترددين عليه ، وكذا الكثير من أمراء المماليك وكبار رجال الدولة . وهنا يقول الشعراني ، وكان رضى الله عنه يتكلم في الخواطر ، ويقضى حوائج الناس عند الأمراء وولاة الامور وطريقه مخلاه بلا معارض .

وكان الشيخ أحمد كسيحا ، ومن هنا عرف (بالسطيحة) ، وكان يحضنه خادمه على الفرس كالطفل ، وله طرطور جلد طويل وله زناق من تحت ذقنه (طاقيه ولها رباط تحت الرقبة) . ويلبس الجيب الحمر ، ويضيف الشعراني فيقول ، وكانت آثار الولاية لائحة

عليه ، اذا رآه انسان لا يكاد يفارقه « ويقص علينا الشعرانى قصة فى هذا المقام فيقول : حاكى شخص ملابس الشيخ سطيحة ، فعمل له طرطورا وركب على فرس وحضنه خادم فانكسرت رقبته فصاح اذهبوا الى الشيخ سطيحة ، فأتوه به فضحك الشيخ عليه ، وقال تزاحمنى على الكساح تب الى الله ورقبتك تطيب ، واستغفر ، فطابت رقبته وقلع الطرطور وصار يخدم الشيخ الى أن مات .

وكان للشيخ أحمد سطيحة بعض العادات التى انفرد بها هو والشيخ أحمد الفرغل فى لبسه ، كل جمعة مركوب جديد يقطعه مع أن سطيحة لا يتحرك . ويقول الشيخ الشعرانى ، وكان فى عصمته اربع سيدات ، وكانت كفه كالعجين وكان خفيض الصوت ، لا يتكلم الا همسا كثير المباشطة ، خفيف الذات ، سخيا كريما ، فقد حدث ان وردت عليه مرة من بلد سيدى احمد البدوى فقال كم نفر معك فقلت سبعة ، فاستضافنا تلك الليلة ، وكان الوارد على زاويته كثيرا فكان يعشى ويعلق للبهائم وله زرع كثير والناس تقصده بالهدايا من سائر البلاد .

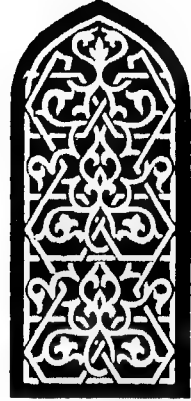
ويقص علينا الشيخ الشعرانى الكثير من كرامات الشيخ أحمد سطيحة التى تبدو الكثير منها أشبه ما تكون بالاساطير فمن ذلك قوله : وقعت له كرامات كثيرة ، منها أن ام زوجته تسلمت عليه ليلة فرأته قد انتصب قائما سليما من الكساح كأحسن الشباب فلما شعر بها زجرها فخرست وتكسحت وعميت الى أن ماتت . ومن كراماته انه شفع عند أمير من الامراء كان نازلا بمنف ، فقبل شفاعته فلما خرج من عنده رجع وحبس الرجل ثانيا ، فطلعت فى رقبته غدة فخنقته فمات ليومه ويضيف الشعرانى أن من كراماته انه وقف بباب زاوية مرة وهو فى شفاعه عند الباشا (أى الوالى التركى) فقال : يكون خاطركم معنا فى هذه الشفاعه ، فاخذتنى حالة ، فرأيت نفسى واقفا على باب الكعبة ، فقال : يا هو أبعدت عنا ، وكان رضى الله عنه يعرف سريان القلوب وكان رضى الله عنه صائم الدهر .

وقد توفى الشيخ أحمد سطيحة فى سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، ودفن بزاويته بشبرا قبالة بمحافظة المنوفية ، وقبره ظاهر يزار ، ويقول الشيخ الشعرانى انه كان دائم الدعاء على قريته بالخراب وعلى أهلها الذين كانوا ينكرون عليه ولايته ، فوقع بينهم القتل وخربوا فقلت له الفقير (أى الوالى المتصوف) يعمر بلده ولا يخربها ، فقال هؤلاء منافقون فى حصادهم مصلحة للدين ، فنسأل ان يحفظنا من وسوسة الشيطان والحمد لله وحده .

الوصف المعماري

دفن الشيخ أحمد سطيحة كما سبق القول في زاويته وخلوته التي كان يقيم ويتعبد فيها في شبرا قباله ، وهى عبارة عن حجرة مربعة تعلوها قبة تقوم فوق رقبة مثمثة الشكل . وقد الحق الآن بالضريح في ضلعه الشمالى مسجد كبير ، يتكون من مسطيل يقسمه صفان من الاعمدة الى ثلاثة أروقة ، الاوسط منها أوسعها حيث توجد به فتحات للإضاءة والتهوية . وتعلو الاعمدة عقود نصف دائرية ، والاروقة عمودية على حائط القبلة . وتوجد مئذنة المسجد بجوار مدخله الرئيسى فى الجهة الشمالية الشرقية . وتقوم المئذنة على قاعدة منفصلة عن المسجد وهى اسطوانية الشكل وتتكون من ثلاث دورات يفصل بينها شرفات . والدورة الثالثة تتكون من ثمانية أعمدة تعلوها الهلال ، ويزخرف بدن المئذنة رسوم هندسية متعرجة غاية فى الدقة والابداع ناتجة عن استخدام آجر مختلف الألوان وفى اوضاع هندسية متعددة .

وبجوار المسجد توجد مجموعة من الاضرحة تعلوها قباب وهى لابناء الشيخ سطيحة فقد تفرع من أبناء وأحفاد هذا الامام ذرية كثيرة منها من هو موجود بشبرا قباله منوفية ومنها من هو موجود بقطفة العزيزية شرقية ومنها من هو موجود بالحكيمة دقهلية ، ومنها من هو موجود بكفر ريما غربية ، كما يوجد فرع منها بالقاهرة ببولاق وباب الشعرية .



جامع الشيخ شاهين الخلوتي

بسفح جبل المقطم

(١٥٣٨/٥٩٤٥ م)

ولد الشيخ الصالح العابد شاهين المحمدي بمدينة تبريز بيران في القرن التاسع الهجري اذ لا يعرف تاريخ ميلاده على وجه التحديد . وأمضى في فارس طفولته ومعظم شبابه ثم رحل الى مصر في عهد السلطان الاشرف قايتباي^(١) ، وكان ذا همة وشجاعة جميل الخلقة مشوق القوام ، فاشتراه السلطان واصبح من مماليكه الجلبان ، وانتظم في جنده . ولكن حياة الممالك والجندي لم توافق مزاج شاهين ولا طبيعته التي فطر عليها ، فقد كان منطويا يحب العزلة ولا يطمئن الا الى صحبة الفقهاء ورجال الدين ، فحفظ القرآن والكثير من الاحاديث . فلما عرف السلطان عنه هذه الصفات قرب منه وصار لا يبرح مجلسه ولما طلب منه شاهين أن يتركه ويخليه^(٢) لعبادة ربه فعل وأعتقه فساح الى بلاد فارس وهناك تتلمذ على يدى الشيخ العارف بالله تعالى عمر روشنى الموجود بمدينة تبريز . حتى أصبح من أقرب تلاميذه ومريديه اليه . وأخذ عنه الطريق .

ثم رجع الى مصر وصاحب ولى الله محمد الدمرداش بالعباسية وأصبح من أعز رفقاته ومريديه ، ولذلك عرف باسم شاهين الدمرداشي المحمدي ، كذلك أخذ الشيخ شاهين عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمنى وحسين جلبي المدفون بزاوية الدمرداش . ولما توفى الشيخ الدمرداش ترك العباسية وسكن جبل المقطم وبنى له فيه معبدا وحفر له فيه قبرا . وكان طبيعيا أن يلجأ الزهاد والمتصوفون الى جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاما ومن أوديته مناما بعد أن عرفوا تقديس الديانات السماوية السابقة على الاسلام له وتكريم المسلمين ايضا ، فيقول ابن الزيات^(٣) : إن جبل المقطم كان اكثر الجبال انهارا واشجارا ونباتا ،

(١) المناوى : الكواكب الدرية ج٢

(٢) الشعرانى : الطبقات الكبرى

(٣) الكواكب السيارة في ترتيب الزيادة ص ١٢

فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام ، أوحى الى الجبال ، أنى مكلم نبيا من أنبيائي على جبل منكم ، فتناول كل جبل ، وتشامخ ، الا جبل طور سيناء ، فانه تواضع وتصاغر ، فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه ، لم فعلت ذلك وهو به أعلم ، قال : اجلالا لك يارب ، فأوحى الله تعالى الى الجبال أن وجود كل جبل بشيء مما عليه الا المقطم فانه جاد له بجميع ما كان عليه من الشجر والنبات والمياه فصار كما ترون أقرع . قال : فلما علم الله سبحانه وتعالى ذلك عنه ، أوحى اليه لأعوضنك عما كان على ظهرك لأجعلن في سفحك غراس أهل الجنة .

وحكى الامام الليث بن سعد ، أن المقوقس سأل عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح جبل المقطم بسبعين ألف دينار ، فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فرد عليه عمر قائلا : سله لماذا أعطاك ما أعطاك فيه وهو لا يزرع ولا يستنبط منه ماء . فسأل عمرو بن العاص المقوقس عن ذلك فقال : انا نجد في سفحه في الكتب القديمة انه يدفن فيه غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين فرد عليه قائلا : انا لا أعرف غراس الجنة الا للمؤمنين ، فاجعلها مقبرة لمن مات قبلك من المسلمين .

ولم يزل الشيخ شاهين مقيما في خلوته في جبل المقطم لا ينزل الى مصر نحو ثلاثين سنة ، واشتهر أمره فتردد عليه الامراء والوزراء لزيارته والتبرك به . وكان كثير المكاشفة قليل الكلام جدا ، وفي ذلك يقول الشعرانى : كنا نجلس عنده اليوم كاملا لا تكاد تسمع منه كلمة . وكان كثير السهر متقشفا في الملابس معتزلا عن الناس وظل كذلك حتى توفى سنة ١٩٠١ هـ .

الوصف المعماري

يقع مسجد شاهين الخلوتى بسفح جبل المقطم ، مرتفع الأرضية يصعد اليه بمزلقان وقد أنشأ هذا المسجد جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله شاهين الخلوتى مكان الخلوة التى كان يقيم بها والده . ونقش على بابه تاريخ الانشاء ، فقد جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله » الى آخر الآية ، أنشأ هذا الجامع ووقفه العبد الفقير الى الله تعالى جمال الدين عبد الله نجل العارف بالله تعالى الشيخ شاهين الخلوتى افتتح سنة خمس وأربعين وتسعمائة . ويصف على مبارك^(١) المسجد فيقول : وبه أربعة أعمدة من الحجر وقلبت مشغولة (مزخرفة) بقطع من الرخام الملون ومطعم بالصدف ويكتنفه عمودان من الرخام . كما يحتوى الجامع على منبر من الخشب ودكة المبلغ قائمة على عمود من الرخام . وهناك بداخله تربتان ، احدهما تربة من الرخام مكتوب بدائرها آية الكرسي . كما يوجد بأسفل المسجد جملة من الخلاوى الصوفية ، وله مiazza ومرافق وبه صهريج صغير .

وقد حرص كبار الرحالة الذين وفدوا على مصر على زيارة ضريح الشيخ شاهين الخلوتى رغم المشقة التى يتكبدها من يريد الوصول إليه ، فقد كان عليه الصعود الى سفح جبل المقطم فى مطلع غير معبد وكثير الانحدار ، ومن هؤلاء الرحالة النابلسي^(٢) الذى قال : وسرنا الى أن دخلنا جامع الشيخ شاهين الدمرداشى الذى اشتهر بالصلاح والتقوى ، فقد كان يفتسل لكل صلاة .»

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ٣١

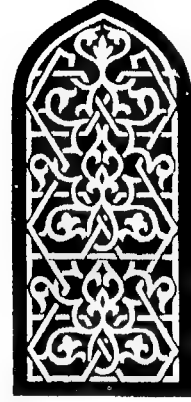
(٢) الحقيقة والمجاز

التكية السليمانية

بشارع السروجية بالقاهرة

مسجلة برقم (٢٢٥)

(٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)



من المعروف ان الباشا في مصر في العهد العثماني كان هو ممثل السلطان ونائبه في ادارتها وحكمها باسمه . ولما كانت مصر من أهم وأغنى الولايات في السلطنة العثمانية ، فقد كان السلطان شديد الحرص على ان يبعث اليها بولاة من ذوى الخبرة والحكمة السياسية . ومن الولاة الذين تولوا باشوية مصر ، وكانوا من قبل يشغلون مناصب رئيسية في البلاط العثماني ، داود باشا الخادم الذى نشأ في قصر السلطان سليمان القانوني وكان خازن داره .

وقد تولى داود باشا الخادم باشوية مصر (٩٤٥ هـ / ١٥٣٨) واستمر بها حتى (٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ م) ، وهو أطول ولاية مصر عهدا ، فقد حكمها احدى عشرة سنة متصلة وتوفى بمصر .

وفي عهد داود باشا الخادم عمل الأمير سليمان باشا صاحب التكية السليمانية والتي كانت تعرف كذلك باسم مدرسة سليمان . ويحدثنا عنها على مبارك^(١) فيقول تقع التكية السليمانية في شارع السروجية في القسم الخامس عشر من شوارع القاهرة ويمتد أول شارع السروجية من باب شارع الداودية وآخره أول شارع الحلمية عند تقاطعه مع شارع محمد على (شارع القلعة الآن) تجاه حمام الدود (ما يزال هذا الحمام موجودا ويعمل حتى الآن) .

وشارع السروجية هنا بمعنى الحى ، اذ يقول على مبارك في وصفه وبه عطف وحرارة ودروب كهذا بيانها . كما يضيف فيقول انه كان بها كثير من الحوانيت والمحال التي تقوم بصناعة الجلود . فقد ذكر عند كلامه عن حارة الدالى حسين بحى السروجية

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٣٨

وزاوية الأمير أبى عبد الله الحسنى ابن طاهر الوزان ، أنه يوجد في صفها من الجهة القبلىة وكالة تعرف بوكالة الجلود من انشاء الأمير أحمد كتنخدا مستحفظان ، وكانت الوكالة قبل ذلك جارية في وقف الملك الطاهر على جامع الفاكهاني .

كما يوجد بشارع السروجية (حى) عطفة الحناء على يمين المار بالشارع ويسلك منها الى شارع محمد وبهذه العطفة عدة دكاكين من الجانبين لبيع السروج ووكالة كبيرة من وقف السلطان قايتباى .

ويحدثنا على مبارك^(١) عن تكية السليمانية فيقول وبجوار حمام السروجية وبين عطفتي المحكمة والحناء توجد التكية السليمانية المعروفة أولا بمدرسة سليمان باشا عمرها الأمير سليمان باشا في سنة خمسين وتسعمائة وهى عامرة إلى الآن ومعروفة بتكية السليمانية .

وتعتبر التكية من المنشآت الدينية التى حلت محل الخانقوات والمدارس في العصر العثماني ، فقد اختفى لفظ خانقاه وكذا لفظ المدرسة من البلاد التى استولت عليها الدولة العثمانية ، وحلت محلها ألفاظ أخرى ، أهمها التكية كما حل الكتاب الذى يعلو السبيل .

والواقع أن التكية أخذت تؤدى نفس الوظيفة التى كانت تقوم بها الخانقوات ، أى أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة . ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين المهاجرين من الدولة الأم والنازحين إلى الولايات الغنية مثل مصر والشام ، ومن ثم فقد صدق المثل المأثور ، إن التكايا تأوى (تناهل السلطان) (والتنبل هو الكسلان الذى لا عمل له) .

أما من حيث التخطيط فهى خليط من طراز العمارة^(٢) الاسلامية فهى أساسا تشبه تخطيط المنزل الاسلامى ذو الصحن المتسع تحيط به مجموعة من القاعات الضيقة والمتسعة ، كما تحتوى على ايوان او اثنين وعلى مسجد كما ان التكية تشبه الخانقاه والرباط ، فى انها تحتوى الكبيرة منها على صحن مكشوف تحيط به غرف صغيرة يستعملها (التائبال) كما يستعمل المتصوف الخلاوى فى الخوانق والربط . كما يوجد فى جهة القبلة عادة ايوان يتصدره المحراب وبجانبه المنبر . كما تتعدد الطوابق التى تحوى العديد من الغرف للسكنى والمبيت . كما يلحق بالتكية عادة مطبخ ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية .

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٣٨

(٢) المؤلف : مساجد مصر ج ٢ ص ٢٨

الوصف المعماري

تتكون التكية السليمانية من مبنى مستطيل الشكل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الغرف من جميع الجهات عدا الجهة الجنوبية حيث يوجد إيوان عميق بعض الشيء يتصدره محراب مجوف .

وملحق بالضلع الغربى للتكية مiazza ودورة للمياه وكذا مطبخ لاعداد طعام المقيمين بالتكية كما تنص على ذلك وقفية سليمان باشا .

ويعلو الدور الأول من التكية طابق ثانٍ يحتوى على مجموعة من الغرف والخلوى تحيط بالصحن من جميع الجهات عدا جهة القبلة التى يرتفع عقد إيوانها بحيث يشمل ارتفاع الطابقين . ويتقدم الغرف العلوية جميعها ممر يفصل بينها وبين الشرفات التى تطل على صحن التكية فى الطابق الثانى

وقد غطيت غرف الطابق الثانى بقباب ضحلة ، ولعل هذه التكية هى أول عمارة عثمانية تغطى غرف الطابق العلوى بقباب ضحلة .

ويتقدم التكية مدخل كبير يبلغ ارتفاعه ارتفاع الطابقين ، وقد زخرف هذا المدخل المعقود بكثير من الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية ، ولكن أهمها بلاطات القاشانى التى تكسو طبله العقد العاتق التى يطلق عليها اسم (النفيس) ويؤدى المدخل الى دركاه تحتوى على فتحتين إحداهما توصل الى صحن التكية والثانية مقابلة لها وتؤدى الى منزل شيخ التكية .

ويحدثنا السيد ربيع^(١) حامد خليفة عن الخزف الذى يزخرف التكية فيقول : وقد كسيت القباب الضحلة التى تغطى غرف الطابق الثانى ببلاطات خزفية ذات لون أخضر

(١) البلاطات الخزفية ص ١٦٥

وفقا للطراز المملوكى . وقد اندثرت معظم هذه البلاطات ولم يتبق الا أجزاء قليلة جديدة في عدة مواضع بهذه القباب .

ثم يضيف فيقول عن ظاهرة تغطية القباب بالبلاطات الخزفية فيقول : من المعروف ان تغطية رقاب القباب بالبلاطات الخزفية قد ظهر بمصر منذ بداية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر للميلاد ثم تطورت التغطية حتى اصبحت تغطي القبة كلها في القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر للميلاد ، كما نرى ذلك في قبة السلطان الغورى ثم قباب مسجد سليمان باشا الخادم في القلعة وقبة الشيخ سعود بسوق العزى .

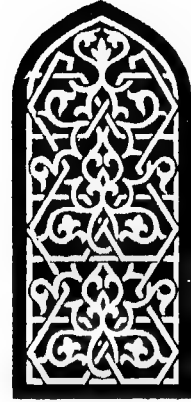
أما بالنسبة للتكية السليمانية فان ظاهرة تغطية القباب الضحلة في الطابق الثانى للتكية فتعتبر الأولى من نوعها في العصر العثمانى في مصر .

قبة الأمير سليمان باشا

بجبانة المماليك بالعباسية

مسجلة برقم (١٢٤)

(١٥٤٤م / ٩٥١هـ)



لقد انشأ هذه القبة كذلك الأمير سليمان باشا (١٥٤٤م / ٩٥١هـ) وتتكون القبة من مربع يعلو جدرانه من الخارج شرفات بديعه التكوين تشبه الى حد كبير شرفات عمائر الجراكسة.

ويغطي المربع قبة مرتفعة تقوم على أركان يشغلها مجموعة من المثلثات الكروية في الداخل، أما في الخارج فيرمز لهذه المثلثات شكل هرمي في اركان المربع الأربعة. وفي المناطق المحصورة بين المثلثات، فتحت نافذة قنديلية مكونة من فتحتين معقودتين تعلوهما دائرة. والقصد من هذه النوافذ هو اضاءة داخل القبة هذا الى جانب الشكل الجمالى. وتأتى بعد مرحلة الانتقال من المربع المثلث رتبة اسطوانية مرتفعة فتحت فيها ثمان نوافذ معقودة. وتعلو الرتبة قبة مديبة نقشست احجارها بزخارف نباتية غاية في الدقة والابداع

وتعتبر قبة الأمير سليمان من أجمل القباب التى انشئت في العصر العثماني بمصر على الطراز المملوكي، كما زخرفت بالعديد من البلاطات الخزفية التى ما تزال تحتفظ بالزخارف والرسوم المملوكية.

فقد كسيت رتبة القبة بصفين من البلاطات الخزفية المربعة الشكل المزخرفة بالرسوم النباتية والكتابية باللون الأزرق على أرضية بيضاء. وتتكون الكتابة من نصوص قرآنية من آية الكرسي بالخط النسخي المملوكي يتخلله اشكال الزهور والورود والكثير من الاوراق النباتية^(١)

(١) ربيع خليفة: البلاطات الخزفية ص ١٦٦

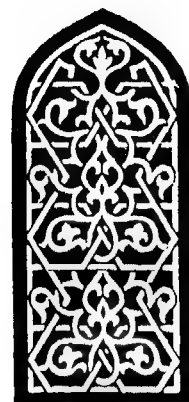
· كما تكسو البلاطات الخزفية (النفيس) الذى يعلو مدخل القبة، وتتوسط النفيس كتابة داخل دائرة بالخط النسخى المملوكى نصها :

الله ربى . الله ربى	فى الجهة اليمنى
الله ربى . فتح من الله	فى الجهة اليسرى
الله ربى	فى الناحية الشمالية ^(١)

(١) المرجع السابق ص ١٦٦

جامع الشيخ شهاب الدين الرملى الأنصارى

بميدان باب الشعرية
(١٥٥٩ / ٩٥٧ هـ)



ولد الشيخ شهاب الدين الرملى^(١) بمصر في عهد السلطان الملك الظاهر أبى سعيد ، وقد عرف شهاب الدين باسم الرملى نسبة إلى قرية (الرمال^(٢)) التابعة لمركز قويسنا بالمنوفية . ويقول على مبارك^(٣) أنها قرية صغيرة على فرع دمياط قريبة من منية العطار تجاه قرية مسجد الخضر .

ورحل شهاب الدين وهو في السادسة عشرة من عمره الى الحجاز وذلك في عهد السلطان الاشرف قايتباى ضمن البعثة التى ذهبت الى المدينة تنفيذاً لأمر السلطان لتجديد بناء المسجد النبوى ، فقد حدث سنة ٨٨٦هـ^(٤) أن سقطت صاعقة عظيمة على المسجد النبوى الشريف فاحترقت منها المنارة الموجودة تجاه الحجرة النبوية كما احترقت سقوف المسجد جميعها والمنبر والحيطان والاعمدة والابواب ، وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . فلما سمع السلطان قايتباى هذا الخبر بكى وبكى من كان حوله ، وأمر في الحال بارسال بعثة يرأسها شمس الدين محمد بن الزمن للتوجه الى المدينة الشريفة وأرسل معه عدة من البنائين والنجارين والمرحمين وغير ذلك . ولا ندرى ما اذا كان شهاب الدين الرملى قد كان من البنائين او النجارين ام من غير ذلك ، وان كنا نرجح أنه لم يكن من طبقة عمال البناء ، فقد جاء في ترجمته أنه تلقى علومه في الجامع الازهر ، فحفظ القرآن والحديث والفقہ على المذاهب الاربعة ، كما ذكر الشعرانى^(٥) في طبقاته « الامام الصالح خاتم المحققين بمصر والحجاز والشام » ولعل ذهابه

(١) جاء في خلاصة الاثر أن اسمه حمزة .

(٢) جاء في القاموس الجغرافى ص ٢٠٩ ج ٢ : اسمها الرمالى أصلها من توابع ناحية قويسنا ثم فصلت عنها في سنة ٩٣٣ هـ .

(٣) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١١٩ .

(٤) ابن اياس بدائع الزهور ص ٨٢٨ .

(٥) الطبقات الكبرى ص ١٨٨ .

مع بعثة التجديد والبناء كان من قبيل الحزن والهلع الذى أصابه عند سماعه بحريق المسجد النبوى فأراد أن يتحقق بنفسه من أن المقصورة النبوية ما تزال سليمة لم يصيبها سوء . وبقي شهاب الدين فترة في البلاد الحجازية-ولم يرجع مع البعثة التى قامت بعمارة المسجد النبوى -قضاها في الدرس والفقه على أيدى علمائها وفقهائها ، ثم رحل بعد ذلك الى بلاد الشام وبقي فترة التقى فيها برجال الدين والافتاء والعلماء مما أفاده كثيرا وأتم صقله وخبرته حتى أنه لما رجع الى القاهرة في عهد السلطان قنصوه الغورى كانت شهرته قد طبقت الافاق وخاصة بين فقهاء الشافعية مما جعل السلطان يسند اليه مهمة التدريس بالمدرسة الناصرية بالقرافة . وفي العصر العثماني قام بالتدريس في الازهر الشريف .

وكانت المدرسة الناصرية التى قام بالتدريس بها الشيخ الرملى بجوار قبة الامام الشافعى ، أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين الايوبى وخصصها لتدريس الفقه على مذهب الشافعى ، ورتب بها مدرسا جعل له في كل شهر راتبا معلوما أربعين دينارا ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصرى وراويتين من ماء النيل ، وجعل فيها معيدين وعدة من الطلبة . وقد وقف عليها صلاح الدين حماما بجوارها وفرنا تجاهها وحوانيت بظاهرها^(١) . ويقول المقرئى « وولى التدريس بها جماعة من الاكابر الاعيان ، فقد ولى التدريس بها قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين الحموى ، كما تولاه ابن دقيق العبد وكذا صاحب برهان الدين الخصر السنجارى » .

ويقول الشعرانى في ترجمته للشيخ شهاب الدين الرملى الانصارى الشافعى « كان رضى الله عنه ورعا زاهدا عالما صالحا حسن الاعتقاد لاسيما عند طائفة الصوفية فكان يجيب عن اقوالهم باحسن الاجوبة ويذكر عنهم المستظرفات من الحكايات وقد انتهت اليه الرياسة في العلوم الشرعية وكان الشعرانى من أحب التلاميذ الى قلب شيخه الرملى ، اذ يقول « وكان رضى الله عنه يحبني أشد المحبة ، محبة السيد لعبده » ؛ ويسترسل الشعرانى في ذكر فضل الشيخ الرملى وعلمه فيقول « وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلهم تلاميذه الا النادر فلا يوجد عالم شافعى الا وهو من طلبته أو طلبه طلبته ، كما كانت ترد اليه الاسئلة من سائر الاقطار ووقف الناس عند قوله اكثر مما أدركناهم من أشياخه » . وليس من شك في أن الشيخ الرملى كانت له مكانة علمية مرموقة بين معاصريه

(١) المقرئى جزء ٢ ص ٢٥١

(٢) طبقات الشعرانى ص ١٨٨

في القرن العاشر الهجرى ، حتى أن الشيخ زكريا شيخ الاسلام اذن له ان يصلح في مؤلفاته في حياته وبعد مماته ولم يأذن لأحد سواه في ذلك ، وقد قام الشيخ الرملى فعلا باصلاح عدة مواضع في كتاب شرح البهجة للشيخ زكريا وشرح الروض في حياته . كما قام الشيخ الرملى بتأليف عدة من الكتب القيمة مثل كتاب شرح الزيد في الفقه ، وهو شرح عظيم جدا جمع فيه غالب ترجيحاته ومناقشاته وتحريراته التي حققها له الشيخ نور الدين الطنوتائى ، كما جمع الشيخ شمس الدين الخطيب فتاويه فصارت مجلدا ضخما .

وبرغم ما وصل اليه من المركز العلمى والادبى والمادى ، فانه كان متواضعا عفيف النفس فقد جاء في الطبقات الكبرى « وكان يخدم نفسه ولا يمكن أحدا يشتري له حاجة من السوق الى أن كبر وعجز » . كما انه كان موضع الاجلال والتعظيم من كافة الطبقات وبخاصة طبقة الاولياء والمجاذيب والمتصوفين مثل الشيخ نور الدين المرصفى والشيخ على الخواص .

ولم يشغل الشيخ الرملى علمه وكثرة الفقهاء والعلماء والطلاب الذين كانوا لا يكادون يتركونه ليلا أو نهارا ، لم يشغله كل ذلك عن الاهتمام بأهل بيته وأولاده وتربيتهم تربية صالحة ، ويحدثنا في ذلك تلميذه الشيخ الشعرانى فيقول : كان الامام العالم العلامة المحقق صاحب العلوم المحررة والاخلاق الحسنة والاعمال المرضية سيدى محمد بن شيخنا شهاب الدين الرملى ، فقد عرفته منذ كنت أحمله على كتفى الى وقتنا هذا (أى نهاية القرن العاشر الهجرى) فما رأيت عليه شيئا يشينه في دينه ولا كان يلعب في صغره مع الاطفال بل نشأ على الدين والتقوى والصيانة وحفظ الجوارح ونقاء العرض ، رباه والده فأحسن تربيته مع زيادة التوفيق من الله سبحانه وتعالى » . ويضيف الشعرانى فيقول : وكنت وأنا أقرأ على والده العلم في المدرسة الناصرية أرى عليه لوائح الصلاح والتوفيق وقد أقر الله به أعين المحبين ، فانه مرجع أهل مصر في تحرير الفتاوى . وقد أجمع الفقهاء على دينه وورعه وحسن خلقه ، ولم يزل بحمد الله تعالى في زيادة من ذلك في أخذ العلم عن والده فاغناه عن كثرة التردد والتطفل على غيره وبث فيه ما كان عنده من الفقه والحديث والتفسير والاصول والنحو والمعانى والبيان وغير ذلك فكانت بدايته كما قيل نهاية والده . وقد تولى التدريس في الجامع الازهر بعد وفاة والده فاقبل عليه العلماء وما تخلف عن درسه الا من جهل مقداره أو عمه الحقد والحسد .

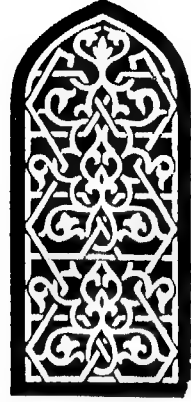
وقد توفي الشيخ الرمل سنة سبع وخمسين وتسعمائة وصلوا عليه يوم الجمعة في الجامع الازهر ويقول الشعراى : وما رأيت جنازة اجتمع فيها خلق كثير مثل جنازته فقد ضاق الجامع عن صلاة الناس الجمعة ذلك اليوم حتى أن بعضهم خرج يصلى في غيره ، ثم رجع للجنازة ، ودفن رضى الله عنه بترتبه قريبا من جامع الميدان خارج باب القنطرة

الوصف المعماري

يقع جامع الرمل الآن في ميدان باب الشعرية الذى كان يعرف قديما باسم باب القنطرة حيث كانت توجد قنطرة على الخليج المصرى وأمامها في سور القاهرة الغربى فتح باب يعرف باسم (باب القنطرة) . ويقول عنه على مبارك^(١) « هذا المسجد بميدان القطن ، بقى متخربا مدة وبداخله ضريح الشيخ الرمل وضريح ابنه ، وبسبب أن المعلم حسنين الرمالى الخباز ينتمى اليه ويدعى انه جده ، قام بتجديده ، فجده من ماله الخاص سنة ١٢٨٨هـ . وجدد الضريحين وقام بشعائره ورتب ميعادا وجراية للفقراء كل ليلة سبت ويعمل له مولد كل سنة » .

ويتكون المسجد الان من مساحة مربعة الشكل تقريبا اذ يبلغ طولها (١٢) مترا وعرضها (١١) مترا ويتوسطها عمود واحد يقوم عليه سقف خشبى . وبحائط القبلة يوجد محراب كبير مجدّد ومنبر قديم بجواره مقصورة خشبية بها قبر محمد السطوحى خادم المسجد فى عهد الشيخ الرمل . وفى الجهة الغربية للمسجد توجد حجرة مربعة تقريبا بها محراب ومكان للصلاة الى جانب ضريحى الشيخ شهاب الدين الرمل وابنه محمد .

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١١٩



أثر رقم (٤٧٢) جامع داود باشا

سنة (١٥٥٣/١١٩٦هـ)

أنشأ هذا المسجد داود باشا بن عبد الرحمن والى مصر من قبل الدولة العثمانية وذلك سنة (١٥٤٥ / ١٥٣٨م^(١)). ويعتبر داود باشا من الولاة العثمانيين الذين طالت اقامتهم في مصر فقد بقى فيها مدة احدى عشرة سنة وثمانية أشهر ، فقد كانت السياسة التى اتخذها سلاطين الدولة العثمانية أساسا فى ادارة ولاياتها ، هى تقسيم السلطة على ثلاث إدارات هى الباشا والحامية العسكرية والماليك ، كما راعت أن لا تطول مدة بقاء الباشا فى الولاية حتى لا تسول له نفسه محاولة الاستقلال بها والتفرد بالأمر فيها .

وقد جاء فى ترجمة حياة داود باشا اثناء اقامته بمصر ، انه كان رجلا مستقيما دمث الاخلاق كريما محبا للعلم والعلماء ، فعلا شأنهم فى أيامه فكانوا موضع الاحترام والتبجيل ، ولقد كان من أثر هذه المعاملة الحسنة للعلماء ان حببوا اليه اجادة اللغة العربية فصاروا يتعهدونه بقراءة الكتب العربية وشرحها وتفسيرها حتى اصبح كلفا بالمطالعة وخاصة كتب التفسير والتراجم ، واليهم يرجع الفضل فى جمعه مكتبة كبيرة حوت النادر والقيم من الكتب العربية^(٢) . وتعتبر فترة ولاية داود باشا من الفترات القليلة فى العصر العثمانى التى حظى فيها الشعب المصرى بالشئ الكثير من الامن والاطمئنان وبحبوبة العيش^(٣) .

وقد أمدتنا الجبوس التى حبسها على العماثر الدينية والاجتماعية والتى سجلتها حجج الاوقاف^(٤) بمعلومات كثيرة عن اعمال البر والخير التى قام بها داود باشا بمصر

(١) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ج ٢ ص ١٩

(٢) محمد عبد المعطى الاسحاقى : نفس المرجع ص ١٥٠

(٣) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ص ٧٢

(٤) حجة رقم (١١٧٦) وزارة الاوقاف

والحجاز والشام . فقد جاء في هذه الحجج انه اقام مدرسة وبجوارها رباطا للمتصوفين بمكة المشرفة موقعها بين العمرة الشريفة وباب ابراهيم من أبواب الحرم الشريف^(١) (بجوار فندق مكة الآن) وعين لهذه المدرسة شيخا حنفى المذهب وحدد عدد طلابها بثلاثين ، يحضرون كل يوم بعد صلاة العصر ليتلقوا دروس الشيخ . ولما كانت الحجاز في ذلك الوقت فقيرة ، فقد كان معظم ما يبنى او يقام من اعمال البر والخيرات يتفق عليه من مصر حتى تستمر الحسنة جارية ، لذلك فقد اوقف داود باشا على هذه المدرسة اوقافا كثيرة بمصر منها جميع المعصرة^(٢) لاعتصار قصب السكر ارضا وبناء ، وقد حددت الوقفية مكان المعصرة فقالت « وهى كانت كائنة براس جزيرة الفيل^(٣) على يمين السالك من بولاق وجامع الخضيرى وذلك سنة ٩٥٤هـ » . كما اوقف عليها وكالة في خط (اى حى) بولاق^(٤) وأخرى في مدينة رشيد^(٥) .

ومن منشآته في بلاد الشام الطاحونة التى اقامها على نهر شريعة بنى كنائنة بوادى الدوير التابع لمنطقة عجلون ، كما اشترى اراضى زراعية في تلك المنطقة وحبس ريع كل تلك الاراضى والمنشآت لشراء ماء عذب يصب لوجه الله تعالى في سبيل الخان الذى أقامه في مدينة الخليل وكذلك السبيل الموجود بقريه القنيطرة ، وكذا لترميمها اذا لزم الامر

(١) حجة رقم ١١٧٦ ص ٦ وزارة الاوقاف

(٢) حجة رقم ١١٧٦ ص ٤٠ وزارة الاوقاف

(٣) جزيرة الفيل : كان ثغر القاهرة في العصر الفاطمى في المكان الذى يعرف اليوم بميدان السكة الحديد ، وحدث في أواخر العصر الفاطمى ان غرق في النيل بالقرب من هذا الثغر مركب اسمه الفيل ، وترك في مكانه فتراكم فوقه الطمي والرمال وانحسر عنه النيل فصار جزيرة وارتفعت اراضيها بالتدريج واطلق عليها جزيرة الفيل ، وصارت هذه الجزيرة في النيل ، وما برحت تتسع حتى اخذت شكلها النهائى سنة ٥٧٠هـ في عهد صلاح الدين الايوبى ، وفي عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون انحسر النيل عند جانب ميدان السكة الحديد وصارت رمالا متصلة من الجهة البحرية بجزيرة الفيل ومكان جزيرة الفيل اليوم هى المنطقة التى يخترقها شارع شبرا الان من الجنوب الى الشمال ، ومن الجنوب شارع جزيرة بدران . وفي العصر التركى تغير اسم جزيرة الفيل واصبحت تعرف باسم جزيرة بدران نسبة الى الشيخ بدران صاحب الضريح الموجود بجامع الشيخ بدران ، ولما جاء محمد على انشأ بناحية شبرا الخيمة قصر خاصا به ومد اليه شارع شبرا الحال سنة ١٨٠٨م فعرفت المنطقة المحيطة بهذا الشارع باسم شبرا .

(٤) بولاق : عندما انحسر ماء النيل سنة ٥٧٠هـ عند منطقة المقس وظهرت جزيرة الفيل التى سبق الاشارة اليها تقلص النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى عند ميدان السكة الحديد ، فامتألت المنطقة بالرمال وظهرت الجزر التى اخذت تزداد سنة بعد اخرى حتى أصبح ماء النيل لا يمر بهذه المنطقة الا في ايام الفيضان . ومنذ عام ٨٠٦هـ انحسر ماء النيل عن ساحل بولاق ولم يزل يبعد حتى صار على ما هو عليه الان . واستمر بولاق ثغرا لمدينة القاهرة حتى عهد سعيد باشا حيث افتتح اول خط حديدى بين القاهرة والاسكندرية سنة ١٨٥٦م فاخذت اهمية الثغر تقل تدريجيا وقلت الحركة التجارية شيئا فشيئا حتى اصبحت مقصورة على بعض التجار .

(٥) حجة رقم ١١٧٦ ص ٤٠ ، ٢٧ ، ١٠٠ وزارة الاوقاف

وتضيف الوقفية فتقول : « وإذا تعذر الصرف على هذين السبيلين (أى سبيل الخانين بالخليل والقنيطرة) من ربع الحصص ، تصرف من ثمن ماء عذب لسبيل فى أى مكان آخر وللفقراء والمساكين .

وقد انشا داود باشا فى القاهرة الجامع المعروف باسمه ، والذى سجل تاريخ انشائه على لوح من الرخام على المدخل الرئيسى للجامع فى بيتين من الشعر :

أتم بناء على داود صديقى وفى سبيل الهدى قد جد سيرا
حمدناه فأرخنا بناء حوى حمدا جزاء الله خيرا

وبحساب الكلم يكون تاريخ الانشاء سنة ٩٦١هـ ، ولما كان داود باشا قد توفى سنة ٩٥٦هـ ، فقد جاء فى الخطط التوفيقية ان داود باشا مات سنة ٩٥٦هـ ودفن بالقرافة^(١) ومعنى ذلك ان داود باشا بدأ فى انشاء الجامع سنة ٩٥٥هـ ولكنه توفى قبل اتمامه ، فتم بناءه وصيه احمد بك بن عبد الله كتحذا سنة ٩٦١هـ ، ويؤيد هذا ما جاء فى نص حجة^(٢) الوقف من ان داود باشا جعل من بعده وصاية فوض بها كتحذا (اى نائب الباشا ووزير المالية) الحاجى المعتمى احمد بك بن عبد الله ويسنده فيها وجعله ايضا وصيا على كل احواله سنة ٩٥٦هـ وقد صدق على الوصية وأقرها شيخ الاسلام سنة ٩٥٧هـ وتم تنفيذها من الناظر من الاحكام الشرعية سنة ٩٦٠هـ ، كما جاء فى حجة الوقفية ، ان الوصى اشترى كل المؤجر من ارض الجامع وما حوله من اولاد الشيخ الحنفى ، خديجة بنت فيت والناصرى محمد بن فيت واتم البناء سنة ٩٦١هـ .

وتحدد حجة الوقف موقع الجامع فتقول : يقع الجامع على البر الغربى للخليج (شارع بور سعيد الآن) فى ظاهر القاهرة بخط سويقة صفية اللاله (اى مربة الملوك والأمراء) ويقول على مبارك : « ويبدأ هذا الخط من آخر شارع الحنفى الذى يبدأ من شارع سويقة السباعين وشارع الناصرية وينتهى بشارع الدرب الجديد الموازى لشارع الخليج (بور سعيد الحالى) .

وقد جاء فى حجة الوقف أن الارض التى أقيم عليها الجامع ، كانت فى بداية الامر مؤجرة من وقف قوصون وذلك بمستند مسطر بمحكمة الحنابلة بالصالحية النجومية^(٣) .

(١) على مبارك : الخطط الجديدة جزء ١ ص ١١١

(٢) حجة الوقف : ١١٧٦ ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٠ وزارة الاوقاف

(٣) الصالحية النجومية : هى مدرسة الصالح نجم الدين ايوب التى بناها سنة ٦٤٨هـ وكانت اول مدرسة فى العصر الايوبى خصصت لتدريس المذاهب الاربعة ، والتى استعملت بعد ذلك محكمة . ومحكمة الحنابلة الواردة فى الحجة هى التى حلت محل ايوان الحنابلة ، الذى بنى مكان باب الزهومة بالقصر الشرقى الفاطمى .

وهى التى قام بشرائها بعد ذلك الوصى سنة ٩٦٠هـ كما سبقت الاشارة .
 وقد اوقف داود باشا قبل وفاته على الجامع اوقافا كثيرة منها مصبغة فى الجهة
 الغربية ومجموعة من الحوانيت فى نفس الجهة وأخرى بالجهة الشرقية وعدة طباقات ،
 ودار حياكة بها اربعة انوال ، وفرن ومغسلة وطاحون ، وذلك للصرف على الجامع . وعندما
 تم بناء الجامع سنة ٩٦٦هـ قرر الوصى احمد بك بن عبد الله ، ان يصبح الجامع مسجدا
 جامعا تؤدى فيه الصلوات الخمس والجمعة والعيدىن كامثاله من المساجد الجامعة كما قرر
 له اماما حنفى المذهب وعين له ميقاتيا وعدد ستة مؤذنين وستة من جيدى التلاوة وبوابا
 ووقادا ومطهرا ومزملاتى ، وقد سجل كل ذلك فى حجة الوقف المعمارى



الوصف المعماري

يتكون الجامع من مستطيل يبلغ طوله (٢٣,٥) من المتر وعرضه (١٦) مترا ، وتخطيطه لا يشكل طرازا معماريا معينا ، بل هو مكان للصلاة يتقدمه صحن وملحق به مجموعة من الغرف والدهاليز والخلوى . وقد انتشر هذا النوع من العماثر الدينية في آخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني ، ولما كان المبنى لا يتبع طراز المساجد ذات البوائك والاروقة ولا نظام المدارس ذات الاواوين ، كما انه ليس مغطى بقبة كبيرة او قباب ضحلة على غرار المساجد العثمانية ، لذلك فانه يذكر تارة باسم مسجد وأخرى باسم مدرسة ، فمثلا يقول الاسحاقى ، ان الامير داود باشا بنى في ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسويقة اللاله ، ويقول على مبارك : ان جامع داود كان اول امره مدرسة ثم يعود فيذكره على انه مسجد . كذلك تذكره حجة الوقف باسم المسجد واخرى مدرسة ولكنى رأيت الاقتصار على تسميته بالجامع نسبة إلى ما جاء في الوقفية عندما قرر الوصى سنة ٩٦١هـ ان يكون مسجدا جامعا تؤدي فيه الصلوات الخمس والجمعة والعيدى .

الواجهة الرئيسية :

تقع الواجهة الرئيسية في الضلع الشمالى الغربى للجامع ، ويبلغ طولها (٢٣,٥) من المتر وتحتوى على ثلاث كتل بنائية ، الكتلة الاولى والتي تقع في الركن الجنوبي الغربى للجامع ، حيث يوجد المدخل الرئيسى الذى يمتد بطول (٤,٢٥) من المتر من الواجهة وعمقه (٤,٤٠) من المتر ويتقدمه كتفان بارتفاع (٩) امتار يسد بينهما باب من الخشب الخروط بعرض (٢) مترا يؤدي الى قبلة من خمس درجات يصعد منها الى ردهة تتقدم باب المسجد . ويعلو الفتحة الخارجية الى ما يقرب نهاية المسجد وتحت الشرافات كرديان ممتدان من الحجر نقشت في خواصرها زخارف نباتية محورة وتنتهى بأربعة صفوف من الدلايات .

وتبلغ سعة باب المسجد (١,٥٠) من المتر وارتفاع (٢,١) من المتر يكتنفه مكسلتان

من الحجر بطول (١,١٠) من المتر وعرض (٥٥) من المتر وترتفع عن ارض الردهة (٧٥) من المتر . ويعلو الباب عتب من الرخام الاسود فوقه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة من الرخام الابيض والاسود ، يعلوه لوح من الرخام نقش عليه بيتان من الشعر سجلت اسم المنشئ وتاريخ الانشاء السابق الاشارة اليه ، ويعلو اللوحة نافذة صغيرة مربعة ملئت بخشب الخرط ، ويتوج هذا الباب عقد ذو ثلاث فصوص زخرف بدلايات جميلة .

ويؤدى الباب الرئيسى الى ردهة تبدأ من فتحة الباب بجانبين مائلين وتبلغ مساحتها (٢,٧٥ × ٢,٢٥) من المتر غشيت جدرانها بالرخام الملون . وتؤدى هذه الردهة بدورها الى ردهة اخرى تبلغ مساحتها (٣ × ٢,٦) من المتر يتوسط سقفها فتحة مربعة (شخشيخة) طول ضلعها (١,٢٥) من المتر . وتوصل هذه الردهة بدورها الى خلو ملاءقة لمكان الصلاة فى الركن الجنوبى الشرقى للمسجد وتبلغ مساحتها (٢,٥ × ٢,٢٥) من المتر وبجدرانها الثلاث ثلاث حنيات لعلها (كتيبات) ، ويعلو بابها نافذة صغيرة ، كما تفتح الردهة على مكان للصلاة ، وفى الضلع الغربى لها يوجد فتحة تؤدى الى مقابلة لباب الخلو تؤدى الى ردهة صغيرة مساحتها (١,٧٥ × ١,٥٠) من المتر أطلق عليها مجازا (سدلة) كما جاءت فى الحجة وهى مفتوحة كلية على صحن الجامع ، وبجوارها دخلة عميقة مساحتها ٢,٢٥ × ١,٥٠ من المتر لها نافذة على الواجهة ، ويلى كتلة المدخل الرئيسى حنية مسطحة عرضها (١,٥٠) من المتر فتحت فيها نافذة مستطيلة طولها (٢,٢٥) مترا وعرضها (١,٣٠) من المتر ملئت بمصبغات حديدية ويعلوها عتب فوقه عقد عاتق ، وفى اعلى الحنية نافذة صغيرة مربعة .

وبعد الحنية وعلى بعد (٣,٥) من المتر من المدخل الرئيسى توجد الكتلة الثانية التى تشمل مدخل ثانوى فى حنية يبلغ سعتها (٢,٣٥) من المتر وارتفاع (٤) امتار يتوجها عقد ذو ثلاثة فصوص بسيط وعمقها (٦٠) من المتر . ويتوسط الحنية باب يكتنفه مكسلتان ويعلو الباب نافذة مربعة صغيرة . وقد خصص هذا المدخل الثانوى للصعود الى المثذنة والى سطح الجامع وكذا الوصول الى دكة المبلغ الموجود بالضلع الشمالى الغربى للصحن .

اما الكتلة الثالثة فتتكون من حنيتين يبلغ عرض الاولى (٤,٧٥) من المتر والثانية (٦) امتار وارتفاعهما ثمانية امتار وعمق كل منهما (٢٥) من المتر . وتحتوى كل منهما

على صفيين من النوافذ الصف الاسفل ويحتوى على نافذتين مستطيلتين يعملوهما عتب وعقد عاتق ثم شريط عريض من الكتابة . وقد ملئت هذه النوافذ من الخارج بمصبغات حديدية ومن الداخل بضلف من الخشب المطعم بالعاج والصدف والابنوس ، اما الصف العلوى فتحتوى كل حنية على نافذتين كذلك معقودتين وتنتهى واجهة الجامع كلها من اعلى بشرفات على شكل ورقة نباتية ذات خمسة فصوص .

داخل الجامع :

يتكون ايوان القبلة من مستطيل تبلغ مساحته ($١٤ \times ٥,٤٥$) من المتر وتبلغ سعة عقد الايوان الذى يفتح على صحن الجامع (٨) امتار ويتصدر الايوان محراب مجوف تبلغ سعته ($١,٢٠$) من المتر وعمقه ($١,١٠$) مترا وارتفاعه ($٣,٢٠$) من المتر كسى تجويفه وخواصره وجوانبه بالرخام الملون . ويعلو حائط القبلة اربعة نوافذ مربعة صغيرة يتوسطها ويقع فوق المحراب مباشرة نافذة مستديرة .

وتبلغ مساحة صحن الجامع ($١١,٧٥ \times ٦,١٠$) من المتر ، ويوجد فى ضلعه الشمالى الغربى دكة للمبلغ من الخشب يبلغ طولها ($٥,٨٥$) من المتر وعرضها ($١,٣٣$) من المتر وترتفع عن ارض الصحن بمقدار ($٣,٧٥$) من المتر . وتقوم الدكة على كوابيل حجرية ، ولها طريقة عرضها (٨٥) م تتصل بسلم المدخل الثانوى السابق الاشارة اليه .

المئذنة :

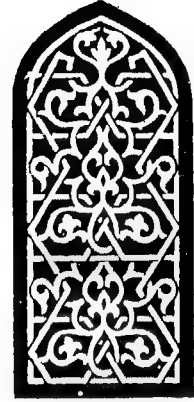
ظلت مئذنة الجامع قائمة حتى سنة ١٩٤١م ثم هدمت ولم يعد بناؤها حتى الان . وقد كانت المئذنة ، كما جاء وصفها فى الرسم التخطيطى التى اعدته هيئة الاثار ، تتكون من ثلاث طوابق فوق القاعدة التى تعلو كتلة بناء الباب الثانوى ، وكان ارتفاع المئذنة يبلغ ($١٧,١٠$) من المتر ويتكون الطابق الاول من مربع طول ضلعه ($٢,٣٥$) من المتر وارتفاعه ($٣,٧٥$) مترا . اما الطابق الثانى فيتكون من مثنى ارتفاعه ($٥,٣٥$) من المتر فتحت فى اربعة من اضلاعه نوافذ عرض كل منها ($٢,٥$) وارتفاعه ($١,٧٥$) من المتر ويفصل بين الطابق الاول والثانى شرفة تقوم على ثلاثة صفوف من الدلايات . والطابق الثالث مستدير الشكل ارتفاعه (٤) امتار وينتهى بشكل مخروطى بارتفاع (٤) امتار ثم يأتى الهلال النحاسى . ويفصل بين الطابقين الثانى والثالث شرفة تقوم على خمسة صفوف من الدلايات .

جامع الخضيرى

بقلعة الكباش بطولون

أمام مدرسة ضرغتمش

(٩٦٥هـ / ١٥٦٠م)



الشيخ الخضيرى ، كما جاء فى كتاب مناقب^(١) السادة الخضيرية ، هو سليمان أبو الربيعين الزبيرى الحسينى الذى ينتهى نسبه الى ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين . والمراد بكلمة الربيعين ، هو علم الظاهر والباطن . وكان رحمه الله كريما عفيف النفس لا يذكر أحدا بنقيصة ولا يسمع من أحد ذلك وكان يقول لا يذكر نقائص الناس الا ناقص وكان شأنه الصمت . تعلم القرآن وتفقه فى الدين عن جلال الدين السيوطى وأخذ الطريق عن الشيخ المرحومى المدفون بمصر القديمة . ومن زملائه فى الطريق الشيخ (أبو السعود الجارحى) وكان الخضيرى مهيبا مسموع الكلمة عند الخاص والعام وكان من العلماء العاملين ، لم يشغل وظيفة رسمية ومع ذلك كان الناس يحتشدون حوله لكى يرشدهم ويفتيهم فى أمور دينهم ودينهم على السواء . وقد كثر تلاميذه ومريدوه حتى بلغ عددهم ، كما يقول الشيخ عبد الرحمن جاويش نحو خمسمائة ، الامر الذى حتم عليه أن ينشئ له مكانا يختلئ فيه ويجتمع وتلاميذه به ، فأنشأ قبل وفاته زاوية بشارع درب الحناء بحى قلعة الكباش ، صارت فيما بعد جامعا عرف باسمه .

وكان الشيخ سليمان الخضيرى على جانب كبير من الثراء فقد وقف على زاويته هذه كثيرا من الاراضى الزراعية لاقامة شعائرها الدينية وشرط فى الوقف الشروط الآتية^(٢) : أن ما فضل من الربيع يكون لذريته طبقة بعد طبقة تحجب الطبقة العليا الطبقة السفلى الذكور والإناث فى ذلك سواء الا أن اولاد الظهور مقدمون على اولاد البطون بحيث لا يستحق اولاد البطون الا بعد انقراض اولاد الظهور الى آخر ما هو موضح بحجة الوقفية

(١) عبد الرحمن جاويش : مناقب السادة الخضيرية

(٢) الخطط التوفيقية : ج ٤ ص ١٠٨

« كذلك رتب في الزاوية مجلس ذكر وصلوات بعد صلاة الجمعة تستمر الى آخر الليل ورتب لذلك شموعا وجرايات مستمرة حتى الآن .

ولما توفي الشيخ سليمان سنة خمس وستين وتسعمائة ، خلفه ابنه الشيخ احمد ، وكان صالحا ورعا تقيا نشأ منذ نعومة أظفاره في طاعة الله وقد ترجم له على مبارك فقال : - وكان ابنه الشيخ أحمد عارفا بالله تعالى ولما صالحا مجذوبا مرييا للمريدين ومرشدا للسالكين حصلت له جذبة قوية وهو صغير في حياة والده .

ويقول على مبارك أن الشيخ أحمد كان يقيم معظم وقته وهو في حالة الغيبوبة الروحية التي يطلق عليها (الانجذاب) في قرية ساقية مكى بمحافظة الجيزة . وساقية مكى هذه كما وردت في القاموس الجغرافى ، أن اسمها الاصلى ساقية مكة ، وسميت بهذا الاسم لأن أرضها كانت وفقا على اشراف مكة المكرمة ، وكان في بدء تكوين هذه الناحية عليها ساقية فعرفت بساقية مكة وحرفت الى مكى في العهد العثمانى ، كما وردت باسمها الحالى في كتاب وصف مصر .

فلما رجع الشيخ أحمد الى حالته الطبيعية حضر الى زاوية والده بقلعة الكباش بطولون وتعلمذ عليه الامر الذى اتاح له فرصة القيام بطريقته من بعده وصار عالما وذاعت شهرته لاهمته البالغة في محاولته قضاء حاجات تلاميذه ومريديه يل كل من يطرق بابه في الأمور الدينية والدنيوية على حد سواء ، كما كان يطعم الفقراء ويقدم لهم الكساء في المناسبات والاعياد الدينية .

وكان يقضى الشيخ أحمد أربعة أشهر كل عام في ثغر الاسكندرية ، وبذلك أصبح له عدد غير قليل من التلاميذ هناك يكاد يعادل مريديه بالقاهرة .

وقد زاد الشيخ احمد في مساحة زاوية والده فاصبحت مسجدا تقام فيه الخطبة الى جانب ضريح والده ، فلما توفي دفن بجوار قبر والده . وفي سنة ١١٨٨ هـ جدد الجامع ناظر الوقف سليمان ابن الشيخ عبد الرحمن من نسل الخضيرى فزاد في مساحته من الجهة الشمالية وجعله جامعا وأحدث به المنبر ودكة المبلغ وكسا جدرانه ببلاطات القيشانى كما أحاط الجدران أعلى القيشانى بشريط عريض به كتابات من بردة البوصيرى وتاريخ

(١) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ١٠٩

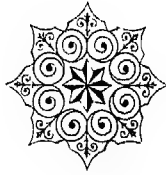
(٢) احمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ٣ ص ١٥

هذه العمارة مكتوب على واجهة باب المسجد في البيت التالى :

باب الخضيرى لما تبغى عليك به وأرخن فهو جاء حاضر المدد
 وقلعة الكبش التى يوجد بها جامع الخضيرى هى جزء من جبل يشكر ، الذى عرف
 بهذا الاسم نسبة الى يشكر بن جديلة من لخم . ويشكر قبيلة من قبائل العرب اختط عند
 الفتح بهذا الجبل ، فعرف بجبل يشكر . وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه
 وبين النيل شئ وكان يشرف على بركة الفيل (التى ردمت الآن) وبركة قارون التى
 ردمت وأصبحت تعرف اليوم بالبغالة . أما عن قلعة الكبش فيقال انه كان بجبل المقطم
 تنور يعرف بتنور فرعون وبجانبه قلعة عليها رسوم وتمائيل فرعونية قوامها الكبش الذى
 يرمز الى الاله آمون . وقد بقى التنور وكذا القلعة حتى هدمها احمد بن طولون وبنى
 مكانهما جامعهم وقصره وقطائع جنده .

ويصف على مبارك جامع الخضيرى كما كان فى القرن (١٩) م فيقول : فى سنة
 ١٢٧٩ هـ حصل خلل فى البوائك التى تحيط بصحن الجامع فهدمها حسن خالد الخضيرى
 وكذا الدهليز الذى يؤدى من المدخل الرئيسى الى داخل المسجد ، فجدد على ما هو عليه
 الآن . يقع مدخل المسجد الرئيسى فى الجهة الشرقية على امتداد حائط القبلة يصعد اليه
 بعدة درجات حجرية . وبداخل الباب يوجد دهليز باخره توجد خلوة صغيرة يقيم بها خادم
 المسجد . وفى الجانب الايمن لهذا الدهليز يوجد باب يوصل الى دورة مياه الجامع ، فاذا
 ما انتهى الشخص من أداء الوضوء يصعد الى المسجد من درج يسمى (سلم الطهارة) .
 وفى الجانب الايسر للدهليز يوجد باب يوصل الى المسجد يعرف باسم الباب الوسط .
 ويتوسط المسجد صحن صغير يحيط به من ثلاث جهات رواق واحد قائم على
 أعمدة بعضها من الرخام والاخر من الحجر ، أما ايوان القبلة فيوجد به صفان من
 الأروقة . وأرض الجامع مفروشة بالحجر وسقفه مغطى بالخشب المزخرف بالنقوش الزيتية
 ويحيط بأعلى الجدران وزرة خشبية مكتوب عليها « أنشأ هذا المسجد أبو العباس أحمد
 الخضيرى » ويوجد ضريح الشيخ سليمان تجاه باب الوسط عليه قبة ومقصورة من
 الخشب وبداخل المقصورة قبر ابنه الشيخ احمد وقبر السيد حمزة الخضيرى ومقصورة
 ثانية صغيرة بها قبر السيد تاج الدين . والضريح عبارة عن حجرة صغيرة مربعة الشكل فى
 اركانها الاربعة مقرنصات صغيرة حولت المربع الى شكل ثمانى وأقيمت فوقه رقبة مشنة
 كثيرة الارتفاع فتحت بها اربع نوافذ للإضاءة ثم أقيمت فوقها قبة صغيرة .

والمسجد ملء بالدواليب الحائطية يضع بها المجاورون حاجياتهم . وفي النهاية الغربية لايوان القبلة توجد دكة المبلغ وهى قائمة على عمودين وتحتها ازار خشبى كتبت عليه ابيات من الشعر فى مدح السادة الخضيرية ، وتحت الازار بلاطات من القيشانى التركى الجميل . وبجوار الضريح فى ايوان القبلة توجد خزانة للكتب بجوارها باب يسمى باب القبة نسبة الى قبة الضريح يوصل الى سطح المسجد . ويوجد بجدران المسجد الاربعة من أعلى نوافذ مملوءة بالجص والزجاج المتعدد الالوان ، أما النافذة التى تعلو المحراب فمملوءة بالخشب الخرط . وفى وسط جدار القبلة يوجد المحراب وقد كتب اعلاه قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » . وعلى يسار المحراب توجد خلوة صغيرة تسمى المعبد .

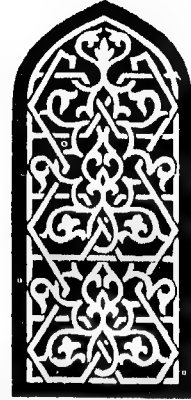


مسجد الأمير سليمان

بـالفيوم

الشهير بالمعلق

(٩٦٦ هـ / ١٥٦٠ م)



. الفيوم قاعدة محافظة الفيوم ، وهى من المدن المصرية القديمة ويقول جويتيه واميلينو وغيرهما من المؤرخين الذين كتبوا عن الفيوم ، ان اسم الفيوم فى العصر الفرعونى كان (Chdat) أو (Chdit) ، ومعناها الجزيرة . لأنها كانت وقت تكوينها واقعة فى بحيرة موريث ، ثم سماها القبط (Piom) ومعناه مركز اليم ، ومنها أخذ العرب كلمة فيوم وأضافوا اليها أداة التعريف فصارت الفيوم^(١) . ويزعم المسعودى^(٢) ان معنى الفيوم ألف يوم ، ويبدو أنه بنى هذا الزعم على القصة التى ذكرها المقرئى^(٣) ، وتتلخص فى أن فرعون مصر طلب من سيدنا يوسف الصديق أن يستصلح أرض الفيوم لابنته ، فحفر يوسف خليجا يصل الفيوم بالنيل كى تصرف فيه المياه الزائدة وقت الفيضان ، مما أصلح أرض الفيوم ، وقد استغرقت تلك العملية من يوسف سبعين يوما ، فلما رأى فرعون تلك الأعمال التى أتمها يوسف قال لوزرائه « هذا عمل ألف يوم » فسميت الفيوم ، وقد غاب عنهم ان فرعون مصر لم يكن يعرف العربية . ومدينة الفيوم ظلت منذ نشأتها فى العصر الفرعونى حتى الآن قاعدة لاقليمها ، وردت فى معاجم^(٤) البلدان أنها ضمن كور مصر ، وجاء فى أحسن^(٥) التقاسيم ، الفيوم بلد جليل به مزارع الأرز الفائق ، والكتان الدون^(٦) ولها قرية سرية تسمى الجوهريات . وقال الادريسي ، الفيوم مدينة كبيرة ذات بساتين وأشجار وفواكه وغللات ، وأكثر غلاتها الأرز وهو أكثر من سائر حبوبها ، ولها جانبان على وادى اللاهون (بحر يوسف) . ويقول القضاعى « الفيوم وهى مدينة

(١) القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٩٦ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ١١٥ .

(٣) المقرئى ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٢ .

(٤) المسالك لابن جرداذيه ص ٢٣٧ ، تقويم البلدان ج ١ ص ١١٤ .

(٥) المقدسى : ص ١٩٩ .

(٦) الدون : الجيد .

دبرها يوسف النبي عليه الصلاة والسلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تمد كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تمد مصر السنة . وكانت تروى من اثني عشر ذراعا (وهو أقل منسوب لمياه الفيضان) ولا يستبحر ما زاد عن ذلك لأن يوسف عليه السلام اتخذ لهم مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وبنى به اللاهون . ويضيف الكندى وليس في الدنيا ما بنى بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ، ولو قايستنا بأنهار الفيوم أنهار بصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل . ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فاذا هى لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لأحد من مسلم ولا معاهد ، فاذا هو فوق السبعين صنفا .

ولعل المراد بالوحى في عبارتى القضاعى والكندى الإلهام لأنه من معانى الكلمة لغة . وقال عبد الحكم^(١) ان الفيوم أقامت سنة بعد الفتح لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاها رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو بن العاص جيشا ، (وقد اختلفت الروايات في اسم قائد الجيش ف قيل ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدقى ، وقيل مالك بن ناعمة الصدقى ، وذكر قيس ابن الحارث الذى سار حتى أتى قرية قيس فنزل بها والتي تزعم المراجع العربية انها سميت باسمه كما تقدم) ، ويقول ابن عبد الحكم فلما هجموا عليها لم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم .

أما عن خراج مدينة الفيوم ، فتجمع المراجع العربية على أنها كانت أغنى كور مصر ، قال ابن زولاق ، حدثنى أحمد بن محمد بن طرخان الكاتب قال ، عملت على الفيوم لكافور الأخشيد في هذه السنة (يعنى سنة ٣٥٦هـ) فعقدت بها ستمائة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار ، ومنها المباح الذى يعيش الناس فيه من أهل مالا يضبط ولا يحاط بعلمه ، وذلك غير المرافق والخيرات التى تحت أيدي الملاك . وقال القاضى الفاضل في كتاب متجددات الحوادث ، ان متحصلات الفيوم بلغت في سنة ٥٨٥هـ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنائير . وقال البكرى ، والفيوم معروف هناك يغل في كل يوم ألفى مثقال ذهبا . وقد أطنب كل من تكلم عن تاريخ مصر عن خيرات مدينة الفيوم حتى أصبح اسمها يقرن باسم مصر ، فيقول اليعقوبى مثلا^(٢) كان يقال في متقدم الأيام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها ، وبها القمح الموصوف ، وبها يعمل الخيش ، ويقول على مبارك^(٣) ، ان صناعة الخيش

(١) فضائل مصر ص ٢٧ ، معجم البلدان ج ١ ص ٤١٤ .

(٢) البلدان ج ١ ص ١٤٥ .

(٣) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٨٤ .

ظلت قائمة بالفيوم حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وانها كانت تمون الميرى به . وورد في الخطط التوفيقية ، أن بالفيوم سمكا كثيرا ، فقد ذكر مؤرخ بطارقة الاسكندرية في تاريخ الشهداء أنه انكشف في الفيوم بركة متسعة بها كثير من البلطى ، ينقل منه الى الفسطاط في كل يوم مقدار عظيم ، فكان ما ينقل اليها يحمل على عشرين جملا ، وكانت تعطى لمن يلتزمها في السنة بستين دينارا ، وكان البلطى نوعين كبير وصغير ، فالذى تزن الواحدة منه أربعة أرطال تباع العشرة منه بتسعة دراهم ، وما فوق العشرة منه بعشرة دراهم ، والكبير تباع العشرة منه بخمسة عشر درهما ، وكانت الواحدة منه ربما تزن خمسة عشر رطلا أو أكثر . على أن شهرة الفيوم بالسماك ترجع الى ما قبل العصر الاسلامى . فقد تكلم هيردوت عن سمك الفيوم ، فقال ان السمك كان يملح ويبقى طوال السنة وأن الأهالى تستهلكه بكثرة فضلا عما يطعم به الحيوانات المقدسة . وقد بلغت مدينة الفيوم من الأهمية في القرنين السادس والسابع للهجرة أن عمل برج للحمام بالقاهرة خاص بها وسمى باسمها لتلقى البريد عن طريق الحمام الزاجل ، فقد ورد^(١) بالمقرئى أنه كان بالقاهرة في موضع يعرف بالبرقية ، برج حمام يسمى ببرج الفيوم ، وكان بناؤه بأمر الأمير فخر الدين عثمان الاستادار في سلطنته الملك الكامل بن صلاح الدين وكانت الفيوم من اقطاعاته ، فكان حمام البريد يأتى بأخبار المديرية الى هذا الأمير فينزل بهذا البرج .

وذكر أبو صالح الأرمنى^(٢) ، أنه يوجد بالفيوم كثير من الأديرة والكنائس ومن أهمها دير بالقرب من حجر اللاهون باسم دير اسحق وهو على جبل في جنوب الفيوم بموضع يعرف باسم بيرينوده يحيط به ثلاثة أسوار من الحجر واليه يذهب الناس . ومن الكنائس الهامة بها كنيسة ميكايل وتقع بالقرب من الباب المسمى بباب السور ، وهى عظمة الاتساع ، بوائكها محمولة على عمد غاية في الدقة والجمال ، وهى نادرة المثال بصعيد مصر . ويشق مدينة الفيوم بحر يوسف اذ يمر بوسطها وعليه قنطرتان قديمتان احدهما في أول المدينة توصل الى الأسواق والثانية عند نهايته وعلى هذه القنطرة جامع . ومباني المدينة من الأجر وحاراتها ضيقة وغير مستقيمة ، وكان بها كثير من الخانات والحوانيت العامرة بأصناف البضائع . وبمدينة الفيوم كثير من المساجد الجامعة ، أشهرها جامع الروبى سمي باسم الشيخ الروبى المدفون بجواره

(١) المقرئى ج ١ ص ٤٠١ .

(٢) أبو صالح ص ٧٨ .

وضريحه مزار مشهور ويزعم العامة أنه من نسل روبيل أخى يوسف عليه السلام ، وذكر المقرئى ، أن صلاح الدين الأيوبي ، أنعم على ابن أخيه المظفر تقى الدين ، بالفيوم وأعمالها ، وأن هذا الأخير أقام بها مدرستين أحدهما للشافعية والثانية للمالكية .

وقد كان بمدينة الفيوم كثير من العلماء والفقهاء من مختلف النحل والأديان فقد جاء فى كتاب الفهرست لأبى الفرج ، أن من علماء اليهود وأفاضلهم ابن سعيد الفيومى كان متمكنا فى اللغة العربية وله كثير من المصنفات ، ومن العلماء المسلمين الشيخ شعبان الفيومى^(١) الأزهرى الامام الفقيه والشيخ سليمان الفيومى ومن شعرائها المطبوعين ، عبد البر بن عبد القادر وهو من أدباء الفيوم المعدودين .

(١) الطالع السعيد ص ٧٦ .

الوصف المعماري

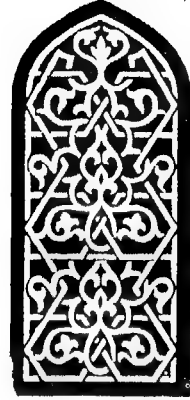
مسجد الأمير سليمان الشهير بالملق : (لوحة رقم ٣٧)
يرجع تاريخ انشاء هذا المسجد الى أوائل العصر العثماني ،
فقد بناه الأمير سليمان بن جانم بن قصروه ، كاشف (حاكم) البهنساوية
والفيوم (٩٦٦هـ / ١٥٦٠م) .

ويشبه هذا المسجد من حيث التخطيط والزخارف ، مساجد المماليك الجراكسة ، فقد
حفل سقف المسجد بزخارف ونقوش كتابية تشبه الى حد كبير نقوش وكتابات خانقاه
الأشرف برسباي بصحراء العباسية .

أما من حيث التخطيط الداخلي فقد روعى فيه تخطيط المدارس المتعامدة ذات
الايوانات الأربعة ، أكبرها واعمقها ايوان القبلة وهو ايوان الحنفية ، فقد كان مذهب
الدولة العثمانية الرسمي .

وقد عرف المسجد باسم الملحق وذلك لارتفاعه عن سطح الأرض فقد كان يصعد اليه
بمجموعة من الدرجات المستديرة التي تتقدم المدخل الرئيسى للمسجد وهى تشبه الى حد
كبير درجات مسجد الملكة صفية بالقاهرة .





مسجد الشعراوى

بشارع الشعراوى البرانى
(٩٧٣هـ / ١٥٦٥م)

يقع هذا المسجد فى شارع الخليج المصرى (بور سعيد حاليا) ، كما تطل واجهته الشرقية التى توجد بها القبة على شارع الشعراوى البرانى ، والمسجد كله يشرف على ميدان باب الشعرية . والواقع ان هذا الميدان كان يوجد منذ العصر الفاطمى أمام أحد ابواب سور القاهرة الغربى المحاذى لخليج أمير المؤمنين ، كما كان يسمى بذلك الاسم فى ذلك الوقت (نسبة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) . وكان اسم الباب الذى يفتح فى السور الغربى بالقرب من نهايته الشمالية ، يعرف باسم (باب القنطرة) وذلك لوجود قنطرة على خليج أمير المؤمنين فى تلك المنطقة توصل بين ضفتى الخليج . وظل اسم باب القنطرة وميدان باب القنطرة متداولين فى خطط القاهرة حتى بنى مسجد الشعراوى ودفن فيه العالم الزاهد الشيخ الشعراوى ، ترك الجمهور اسم باب القنطرة وميدان القنطرة وتسامعوا باسم ميدان باب الشعرية وشارع الشعراوى فغرفا به وذلك منذ القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد .

أما عن صاحب هذا المسجد فهو الامام العامل العابد الفقيه المحدث الصوفى عبد الوهاب بن أحمد بن على بن محمد الشعراوى . ولد الشعراوى (٨٩٨هـ / ١٤٩٣م) بناحية قلقشندة التى تقع الى الجنوب من مركز طوخ بمحافظة القليوبية وبينها وبين القاهرة ثلاثة فراسخ^(١) . كما تقع مدينة قلقشندة غربى بلدة أجهور الكبرى على ترعه الجاموس^(٢)

(١) ابن مآتى : قوانين الدواوين ص ١٦٨

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٨

وإذا جاز مدينة قلقشندة أن تباهى غيرها من المدن المصرية بنجابتها وبنائها وبعض عظمائها ، فإن لها أن تباهى المدن كلها بثلاثة رجال من رجالها^(١) ، وهم الليث بن سعد الذى قال عنه الشافعى ، ان الليث افقه من مالك الا أن تلاميذه لم يقوموا على نشر مذهبه . وأما الثانى فهو أبو العباس القلقشندى العربى الأصل ، فهو من بنى بدر من فزارة من قيس بن عيلان^(٢) . وصاحب المصنفات العديدة لعل أشهرها كتابه (صبح الاعشى) . أما الثالث فهو شيخنا عبد الوهاب الشعراوى العالم المحدث الذى سلك طريق التصوف الصحيح وقطع علاقته بالدنيا .

أما عن شهرته بالشعراوى ، فيرجع السبب فى ذلك إلى أن والدته قد انتقلت به بعد ولاته بأربعين يوما إلى قرية والده المعروفة بساقية أبى شعرة فنشأ بها ونسب إليها . وبهذه المناسبة نود أن ننبه إلى أن جمهور المؤرخين يكتبون اسمه الشعراوى بالنون ، على الرغم من أن كتبه بخطه بالواو على بعض مؤلفاته المخطوطة من (مختصر له لدونة الإمام مالك بما نصه « يقول مسطرها عبد الوهاب بن أحمد الشعراوى الشافعى . إنى بلغت فى الاختصار من أول المدونة إلى هنا امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لى بالاطلاع على أقوال الإمام رضى الله عنه بتاريخ رابع ذى الحجة الحرام^(٣) ٩٥٤ هـ » .

وقد ظل فى طفولته يدرس فى كتابات ساقية أبى شعرة ويحفظ القرآن حتى اذا بلغ الثالثة عشرة من عمره انتقل الى القاهرة^(٤) ٩١١ هـ حيث تلقى العلم على كبار علمائها وفضلاء محدثيها ، مما حبيب اليه علم الحديث فعكف على دراسته وكان رحمه الله متمسكا بأهداب السنة مغاليا فى الورع ، ثم سلك طريق التصوف وقطع علاقته بالدنيا ، فكان يطوى الأيام صائما ويفطر على قليل من الخبز . وكان يؤثر ذوى الحاجة على نفسه حتى بملبسه موزعا أوقاته بين العبادة والدرس .

(١) عبد اللطيف حمزه : القلقشندى فى كتابه صبح الاعشى ص ٤٩ (كتب الاعلام)

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ١٥٧

(٣) حسن عبد الوهاب ص ٢٩٩

(٤) شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٢

وبعد مضى تلك الفترة الطويلة في البحث والدرس ، عني بالتأليف فصنف عددا كبيرا من الكتب بلغت نحو السبعين نذكر منها على سبيل المثال ، مختصر الفتوحات وسنن البيهقي الكبرى ، ومختصر تذكرة القرطبي ، والميزان ، والبحر المورود في المواثيق والعهود . ثم كتاب كشف الغمة عن جميع الأمة ، والمنهج المبين في أدلة المجتهدين والبدر المنير في غريب احاديث البشير النذير . وكان يحسب الفلاسفة وينهى عن الحط من قدرهم وتنقيصهم وينفر ممن يذمهم ويقول « هؤلاء عقلاء »^(١)

ومن الكتب التي اختتم بها حياته هي مشارق الانوار القدسية في العهود المحمدية ، والجوهر المصون في علوم الكتاب المكنون ، وطبقات ثلاث ، ولوائح الخذلان على من لم يعلم القرآن^(٢) . وقد ظل شيخنا على هذا الحال من الورع والتقوى والتصوف حتى قويت روحانيته ، فكان يفتتح الذكر عقب صلاة العشاء فلا يختمه الا عند الفجر . وقد حج واعتمر مرارا .

(١) الكواكب السائرة قسم (٣) ص ٨٥٩

(٢) شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٣

الوصف المعماري

كان شيخنا عبد الوهاب الشعراوي يقيم في مسجد الغمري مدة طويلة ، ثم انتقل الى مسجد فاطمة أم خوند القريب من مسجده الحالى ، والذي أنشأته خوند فاطمة بنت قايتباى العمرى شرعت فى انشائه حوالى^(١) (١٨٥٠ / ١٤٤٦م) وفى مدة اقامته بمدرسة أم خوند أنشأ القاضى عبد القادر الأرزملى^(٢) مدرسته المعروفة بالقادرية وهى التى حل محلها المسجد الحالى . فانتقل اليها الشيخ الشعراوي فأوى إليه المريدون وطلاب العلم والفقراء من المتصوفة لسماع دروسه فى الفقه^(٣) .

على أن مريديه لم يكونوا قاصرين على طبقة الفقراء والمعوزين ، فقد قصده الأمراء والوزراء وعلية القوم من الحكام والمحكومين على السواء^(٤) . وظل هكذا مجلسه موئل ومورد الجميع الى ان توفى عصر يوم الاثنين ٢ من جمادى الاولى (١٩٧٣ / ١٥٦٥م) ودفن فى تربته التى أعدت له يوم وفاته بجوار المدرسة ، ثم أقيمت عليها هذه القبة^(٥) . وقد أقيم المسجد الحالى محل المدرسة القادرية السالف الاشارة اليها وقد تم تجديده فى عهد نظارة السيد محمد عبد الحليم الشعراوي^(٦) (١٩٣٥ / ١٩٠٧م)

ويتكون المسجد من مستطيل يقسمه صفان من الأعمدة الى ثلاثة أروقة . ويتكون كل صف من بائكة تحتوى على أربعة أعمدة يعلوها عقود مدببة ممتدة . وتحمل عقود البوائك سقف المسجد الخشبي المزخرف برسوم زيتية متعددة الألوان . ويوجد بالرواق الأوسط (منور) لاضاءة المسجد وتهويته .

(١) خلاصة الأثر ج ٢ ص ٣٦٤

(٢) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٩٩

(٣) الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ١١٠

(٤) شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٥

(٥) الكواكب السائرة قسم ٣ ص ٨٦٣

(٦) الخطط التوفيقية ج ١١٤ ص ١٠٩

ويتصدر جدار القبلة المحراب وهو بسيط وخال من الزخرف اللهم الا بعض نقوش زيتية تشبه تجزيعات الرخام . وبجواره محراب من الخشب مزخرف بأنواع من (الزرنيشان) ورسوم تقليد للتطعيم بالعاج وللمسجد ثلاث واجهات ، الرئيسية منها في الضلع الغربى وتطل على شارع الخليج (بورسعيد حاليا) والواجهة الجنوبية حيث توجد قبة الدفن وتطل على شارع الشعراوى البرانى .

وبجوار المسجد توجد القبة وهى الجزء الوحيد الباقى من المبنى القديم . وتتكون من مربع مبنى من الحجر ، تعلوها منطقة الانتقال التى يشغلها عدة صفوف من الدلايات ويقوم فوقها رقبة مرتفعة فتحت فيها ست عشرة نافذة معقودة . وتعلو الرقبة قبة مبنية من الطوب يعلوها هلال نحاسى . ويحتوى مربع القبة على صفين من النوافذ ، السفلى منهما يحتوى على نافذتين مستطيلتين يعلوهما عتب مكون من صفحات معشقه من الحجر الأبلق يعلوه عقد عاتق من الحجر الأبلق كذلك . ويحتوى الصف العلوى على نافذتين قنديليتين تتوسطهما فتحة مستديرة ، وفى منطقة انتقال القبة توجد نافذة قنديلية . وقد ملئت جميع النوافذ القنديلية بالزجاج المعشق المتعدد الألوان

وقد حليت جميع جدران القبة من الداخل بنقوش زيتية . ويتوسط القبة مقصورة خشبية مطعمة بالعاج والصدف عملت^(١) (١١٦٦ هـ / ١٧٤٨ م) . كما صنع باب القبة من الخشب وزخرفت بطريقة الحشوات المجمعمة وبطريقة الحفر البارز والغائر .

كما يوجد بالمسجد مجموعة من المقابر ، وهى قبر العلامة الشيخ على نور الدين الشونى الذى ترجم له الشعراوى^(٢) فى طبقاته فقال « شيخى ووالدى وقودتى الشيخ نور الدين الشونى ، خدمته خمسا وثلاثين سنة » . والشيخ نور الدين من أهالى بلدة شونى من نواحي (طنندا) طنطا ، بها أمضى طفولته وجزءا من شبابه ، ثم قدم الى مصر فاستقر به المقام خطيبا وشيخا فى تربة السلطان برقوق بالصحراء . وقد انشأ الشيخ نور الدين

(١) الخطط التوفيقية ج ١١٤ ص ١١٢

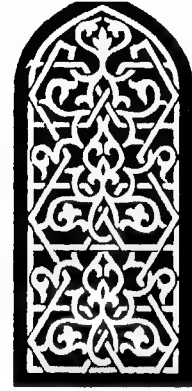
(٢) طبقات الشعراوى ج ٢ ص ١٩٩

بالجامع الأزهر مجلسا للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك^(١) (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) في عهد السلطان قايتباى .
ثم تنقل بعد ذلك الى عدة اماكن فقد نقله السلطان طومانباى^(٢) العادل الى تربته وعهد إليه بالسبيل الملحق بها . وأخيرا انتقل الى المدرسة السيوفيه فأقام بها حتى توفى (٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) ودفن بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية .
كما دفن عند الشعراوى ابنه العالم الصالح عبد الرحمن بن عبد الوهاب الشعراوى الذى تولى مشيخة المدرسة بعد وفاة والده ، وجاء وصفه فى شذرات^(٣) الذهب « انه كان حسن الخلال من بيت مبارك متصل المدد والخيرات » توفى فى اواخر (١٠١١هـ / ١٦٠٣م)

(١) خلاصة الأثر ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٢) الكواكب السائرة قسم ٣ ص ٨٦٥ .

(٣) شذرات الذهب ج ٨ ص ٣٧٤ .



مسجد المحمودية

بميدان صلاح الدين بالقلعة

(١٥٦٧هـ / ١٩٧٥م)

أنشأ هذا المسجد أحد وزراء الدولة العثمانية الذي أرسله السلطان سليمان القانوني ليتولى إمارة مصر، وهو محمود باشا وذلك في (١٩٧٣هـ / ١٥٦٦م). وقد جاء ذكره في النزهة^(١) الزهية، بأنه عندما وصل الى ميناء الاسكندرية استقبله كبار رجال الدولة بما يليق بمقامه من التحية والترحيب وقدموا له الهدايا من التحف الثمينة من الذهب والفضة والخيول المطهمة. ولما وصل مدينة القاهرة كان في مقدمة مستقبله حاكم الصعيد الأمير محمد بن عمر، الذي قدم اليه الكثير من الهدايا من تحف وخيول وكذا خمسين ألف دينار. ولكن محمود باشا جزي الأمير محمد بن عمر على هذه الهدايا القيمة جزاء سنمار، اذ لم يمض على وصوله القاهرة بضعة اسابيع حتى غدر به فقتله واستولى على ثروته.

وقد اشتهر محمود باشا بالظلم والجور والتعسف في معاملة الناس، فقد تشدد في جمع الضرائب فاستعمل جميع انواع القسوة والعنف في جمعها، بل وصل به الأمر في معظم الحالات الى مصادرة أموال من يتأخر عن السداد. وبرغم هذه الغلظة الا أنه اشتهر بالكرم الذي يصل الى حد السفه.

وكان طبيعيا ان تنتهي حياة مثل هذا الوالى بالقتل، فقد قيل ان محمود باشا خرج في يوم الاربعاء^(٢) آخر جمادى الاولى، وقيل في غرة^(٣) جمادى الثانية في موكب فخم وخدم وحشم من القلعة للنزهة في بساتين الناصرية، وبينما هو يمر على بركة الناصرية بين البساتين اذ اعتدى عليه شخص مجهول وأطلق عليه عيارا ناريا فأصابه إصابة بالغة ولم يجد فيه العلاج. ولما أحس بدنو أجله أوصى بعق جميع ممتلكاته، كما أوصى أن تأخذ زوجته جميع أملاكه، ثم توفى ودفن بمسجده الذي تم بناؤه (١٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).

(١) النزهة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية ورقة ٤٩ - ٥٢ (مخطوطة)

(٢) أخبار الاول ص ٨٩

(٣) التوفيقات الالهامية ص ٩٧

الوصف المعماري

يقع هذا المسجد في ميدان صلاح الدين بالقلعة (المنشية سابقا) وهو من المساجد المعلقة اذ يصعد اليه ببضع درجات من الواجهتين الجنوبية والشمالية ويمتاز مسجد المحمودية باحتوائه على أربع واجهات مبنية بالحجر ، الا ان الواجهة الرئيسية تقع في الضلع الجنوبي ويتوسطها المدخل الرئيسى . ويتكون المدخل من باب معقود يعلوه ثلاث مربعات بداخلها مزررات على هيئة شرافات ، يعلوها عتب آخر مزرر ، يأتى فوقه نافذة صغيرة يعلوها مقرنص كبير يعلوه ثلاث حطات من الدلايات . ويحيط بكل هذه الزخارف التى تعلو باب المدخل طاقية الباب وهى من الحجر الابلق ، أبيض وأحمر . ويكتنف عقد الباب توشيحتان ملبستان بالحجر الأبيض والأحمر كذلك ، وقد كتب في طيلة العقد (الله حسبى) .

وكان يوجد على يسار المدخل الرئيسى سبيل أدركت لجنة حفظ ^(١) الآثار العربية بقايا أرضيته الرخامية ، التى حفظت في متحف الفن الاسلامى بالقاهرة . أما الواجهة الشمالية فيتوسطها كذلك مدخل يقابل بابه باب المدخل الجنوبي على نفس محوره . ويعلو الباب عدة حطات من الدلايات البديعة التكوين . ويجاور الباب من جهته الغربية باب صغير يؤدى الى دهليز مقبى يشغل أسفل الايوان الغربى للمسجد . أما الواجهة الشرقية فتضم القبة التى تعلو مدفن محمود باشا . وهذه القبة بارزة عن سمت الواجهة وقائمة بمفردها . وقد بنى مربع القبة وكذا الرقبة بالحجر أما القبة فمبنية من الأجر .

ويتكون المسجد من مربع طول ضلعه ١٩,٧٥ مترا . ويعتبر تخطيط مسجد المحمودية فريدا في نوعه ، فهو ينقسم الى ايوانين فقط يفصل بينهما (درقاعة) تمتد من الشمال الى الجنوب بحيث تصل بين بابى المسجد . ويتوسط المسجد مربع أصغر من مربع المسجد يحدده أربعة أعمدة كبيرة من الجرانيت الأحمر ، يعلوها أربعة عقود كبيرة يتوسطها منور

(١) حسن عبد الوهاب ص ٢٩٦

يرتكز على كوابيل حجرية تقوم فوقها عوارض خشبية تحمل سقف المسجد من جهاته الأربع . ويتكون السقف من برطوم ومربوعات مزخرفة برسوم زيتية متعددة الألوان ومذهبة .

ويتوسط جدار القبلة الشرقي محراب حجرى خال من الزخرف الآن ، يعلو عقده نافذة مملوءة بالزجاج المعشق ويتوسطها كتابة (لا اله الا الله محمد رسول الله) . ويجاور المحراب منبر خشبي ، صنعت (ريشته) بطريقة الحشوات المجمعمة ويعملوها افريز من الخشب الخرط .

ويحيط بجدران المسجد من جهاته الأربعة صفان من النوافذ ، الاسفل منها كبيرة ومستطيلة الشكل يعلوها عتب فوقه عقد عاتق . وقد ملئت نوافذ الصف السفلى بمصبغات حديدية . أما نوافذ الصف العلوى فهي معقودة ومملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان . ويعلو جدران المسجد ايزار خشبي كبير ، يحتوى على كتابات قرآنية محصورة في بحور ويتخللها جامات ملئت بزخارف نباتية مذهبة ومن الايات القرآنية قوله تعالى « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فسمى أولئك ان يكونوا من المهتدين »

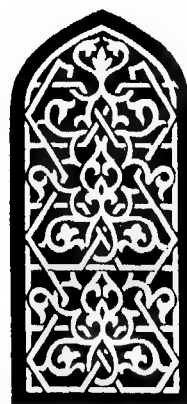
كما يحيط بفتحة المنور ايزار كتب عليه النص التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون » . قال صلى الله عليه وسلم من (بنى مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة أوسع منه) . أمر بانشاء هذا المسجد المعمور من فيض ماله المبرور المقام العالى واسطه عقد اللالى أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام فكان ابتداءه وتاريخه بحكم منشئه الأول المبدى ٩٧٥ وانتهاه به بمعاونه — له من الرتب على أنه ليضىء برا للرضا للقوة — لاغلبيه وأول — والاكرام المختص حضرة الأمير الباشا محمود راجيا من كرم الله القبول والرضا من فضله العفو مرتضى تقبل^(١) الله »

وفى جدار الايوان الغربى توجد دكة المبلغ التى تقوم على كوابيل حجرية . ويتوصل الى دكة المبلغ عن طريق سلم بابه فى الركن الشمالى الغربى من الايوان ، والسلم يوجد فى

(١) محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٠٦ ص ١١٨

سمك جدار الحائط يمتد حتى سطح المسجد . ويعلو دكة المبلغ صف من النوافذ المعقودة المملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .
 ويقع خلف المحراب مباشرة قبة الضريح ، يدخل إليها من باب الى يسار المحراب .
 وقد فرش داخل القبة برخام أبيض وأسود في تكوينات هندسية بديعة . وتقوم القبة على مربع ملئت اركانه بمقرنصات في منطقة الانتقال ، تعلوها رقبة مرتفعة تقوم فوقها القبة .
 ويحيط بجدران مربع القبة صفيان من النوافذ ، السفلى منها مستطيل ومملوءة بمصبغات حديدية . اما الصف العلوى فنوافذه معقودة ومملوءة بزجاج معشق متعدد الألوان . ويشغل مربع القبة ثلاثة قبور ، أحدها قبر منشاء المسجد . ويتصدر ضلعها الشرقى محراب وفي الركن الجنوبي الشرقى توجد قاعدة مستديرة حليت بزخارف تنتهى عند ارتفاع الواجهة الجنوبية بحطتين من الدلايات هي امتداد الدلايات التى تعلو نوافذ الصف العلوى من نوافذ الواجهة . ويعلو هذه القاعدة المستديرة مثذنة المسجد ذات دورتين يتوسطهما شرفة خشبية تقوم على حطة من الدلايات الحجرية . وتنتهى المثذنة بشكل المسلة العثمانية الطراز .





مسجد سنان باشا

بشارع جامع السنانية

بيولاقي (١٥٧١هـ / ١٩٧٩م)

أنشأ هذا الجامع سنان باشا التركي الذي عين واليا على مصر مرتين . وقد كان سنان باشا يجمع بين الحنكة السياسية والشجاعة والمقدرة الحربية الممتازة مما جعل سلاطين الدولة العثمانية الذين عاصروهم وهم سليمان القانوني وابنه السلطان سليم الثاني ثم مراد الثالث وأخيرا ابنه محمد خان ، يولكون اليه القيام بالكثير من المهام الصعبة في العالم العربي .

فقد تولى سنان باشا باشوية مصر (١٥٦٧هـ / ١٩٧٥م) وفي تلك الأثناء عهد اليه بالقضاء على الفتن والثورات القائمة في اليمن بين الباشاوات الأتراك وبين الائمة الزيدية حكام البلد الأصليين وذلك^(١) (١٥٦٩هـ / ١٥٦٩م) . ولما عاد منتصرا من هذه العملية الى مصر بقى بها الى (١٥٨٠هـ / ١٥٧٣م) ، كافأه السلطان بأن عينه صدرا أعظم في القسطنطينية . ثم عهد اليه بمهمة اكبر وأخطر ، الا وهى فتح تونس وأستخلاصها من أيد الأاسبان

وقد يكون من المفيد ونحن نتناول شخصية سنان باشا ، ان نذكر في شيء من التفصيل ، العمليات الحربية والسياسية التى قام بها ، فهى على جانب كبير من الأهمية ، اذ هى توضح لنا بطريق غير مباشر عن أحوال البلاد العربية في المشرق والمغرب في ظل الحكم العثماني .

من المعروف ان السلطان سليم الأول قضى على دولة المماليك في مصر ، ومن ثم فقد استولى على جميع الولايات التى كانت تابعة لدولة المماليك ، ومنها اليمن (١٥٢٣هـ / ١٥١٧م) ، فقد دان المماليك المقيمون في اليمن للدولة العثمانية وذلك منذ سقوط دولتهم في مصر وقتل آخر سلاطينهم قانصوه الغورى ١٥٢٣هـ .

(١) الخرجى : العقود اللؤلؤة ص ٢٦٣ ، الربيع : قرة العيون ص ١٧١

لكن خضوع الماليك في اليمن للدولة العثمانية ، لا يعنى زوال حكمهم في اليمن ، فقد ظلت السلطة والنفوذ الفعلى في أيديهم حتى (١٥٣٩م / ٩٤٥هـ) وذلك في عهد السلطان سليمان القانونى . ولعل السبب المباشر في ذلك كما يقول سيرهنك^(١) ، انه في عام (٩٤٤هـ / ١٥٣٨م) استغاث بهادر ، حاكم كجرات الهند بالسلطان سليمان القانونى ، لتعديت أساطيل على بلاده قائلا : انها مستمرة على العبث بالسواحل الهندية دائبة السطو على كل سفينة لمنع المواصلات التجارية التى كان بينها وبين الديار المصرية « فأصدر السلطان أوامره الى سليمان باشا الخادم والى مصر بتجهيز دونانمه^(٢) في البحر - الأحمر لتسير بصحبة الجنود العثمانية الى بحر الهند .

فجهز سليمان باشا أسطولا مصرية مكونا من ستين غرابا^(٣) وثلاثين سفينة وزودها بالمدافع والآلات الحربية ، ثم أقبل بها من ثغر السويس ومر في ذهابه بعدن وقتل أميرها اليمنى عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ، ونصب عليها أحد قواده المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقبل الى الهند

وبرغم انهزام سليمان باشا أمام البرتغال في موقعة قريبة من موقعة (ديو) ، الا ان اساطيلهم امتنعت لفترة الاعتداء أو الاحتكاك بالأمير بهادر حاكم كجرات بالهند . وفي عودة سليمان باشا الى عدن ومنها الى (فجا) خلع والى اليمن ونصب مكانه مصطفى بك نائب غزة سابقا ثم عاد الى مصر . وهكذا أصبحت لأول مرة تابعة للدولة العثمانية تبعية فعلية بعد ان ظلت قرابة ربع قرن من الزمان في أيدي الماليك بعد أن زالت دولتهم في مصر .

وقبل ان يترك سليمان باشا اليمن أناب عنه فيها مصطفى عزه^(٤) باشا الذى واصل زحفه داخل اليمن حتى وصل (زبيد) (٩٤٦هـ / ١٥٣٩م) حيث انضم اليه الماليك فيها ثم واصلوا زحفهم الى تعز التى استعصت عليهم ، والتى كان يدافع عنها ويتولى أمورها الإمام شرف الدين وأولاده .

(١) سيرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٣٨

(٢) دونانمه : أى أسطول (La gravière : Doria et Barbarous a. P. 252 عن)

(٣) الغراب جمعه أغربة وغربان وهو نوع من المراكب عرف بهذا لان مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر وهو يمثل في الماء الطير في الهواء . وهو من مراكب البحر المتوسط التى أخذها العرب عن القرطاجين وبقيت حتى الى عهد الدولة العثمانية

(سعاد ماهر ، البحرية في مصر الاسلامية ص ٣٥٩)

والأمام شرف الدين هو الذى حل محل الدولة الطاهرية ، التى ضعفت معنوياتها أثر الانتصارات المتكررة المتلاحقة للمماليك وخاصة بعد مقتل الأمير عبد الملك عبد الوهاب وذلك ٩٢٣هـ . وبذلك انتهى ملك آل طاهر الذى دام نحو خمسة وستين عاما .

ولما تم للإمام شرف الدين بسط نفوذه فى اليمن وذلك بمساعدة اليمنيين له ضد ما تبقى للمماليك من نفوذ بعد سقوط دولتهم ، فوض أمور دولته الى أولاده الأمراء المطهر وعز الدين وشمس الدين ، وذلك بعد مجيء مصطفى باشا ووصوله الى زبيد^(١) ، وبعد أن أوفدت تركيا الى اليمن وفدا برئاسة حسن بهلول التركى للاتفاق مع الإمام الأشرف . الا ان وفد حسن بهلول لم ينجح فى غير افساد العلاقة بين الأمير المطهر وأبيه الامام شرف الدين . وقد أدى هذا الخلاف الى نجاح الأتراك فى الاستيلاء على تعز بايعاز من المطهر . الا ان هذا الخلاف سرعان ما انتهى عندما عرض الإمام شرف الدين على ولده المطهر مدينة طاهر وإعطاء أخويه بعض الحصون فعاد الوثام مرة أخرى

وانتقل المطهر الى صنعاء ٩٥٣هـ ، ضرب السكة باسمه ، الا أن الأتراك استولوا عليها سنة ٩٥٤هـ . وقامت بعد ذلك عدة مفاوضات بين المطهر وبين الدولة العثمانية ، الا ان الأتراك استطاعوا بعد انضمام حسن باشا والى القسم الجنوبى الى عثمان باشا والى القسم الشمالى ، بقواته ، الاستيلاء على تعز وطرد عامل المطهر منها .

وفى تلك الاثناء ٩٧٦هـ أرسل حسن باشا الى حضرة السلطان العثمانى بعد عودته الى (زبيد) يطلب النجدة ويستعجل الجيوش الجرارة . فلم يجد السلطان من يستطيع القيام بهذه المهمة الصعبة ، غير سنان باشا ، الذى جعل له ولاية مصر واليمن .

وجاء سنان باشا الى تهامة بجيوش كالغمامة ، والتى وصفها يحيى بن الحسين بن القاسم^(٢) فقال : قدم الوزير سنان الى اليمن بجنود كأنهم الجان من كماء الفرسان وأعيان الشجعان ، وخزائن قارونية ، وأبهة سليمانى وزى لم يعهد بمثله فى الاسلام وزمن الملوك الاعلام كالاموية والعباسية وسائر الملوك الايوبية والرسولية » .

ولما وصل سنان باشا الى زبيد ، انتقل منها الى اليمن الجنوبية حيث قضى على أصحاب المطهر فيها ، وانتقل الى الشمال . . الى صنعاء سنة ٩٧٧هـ حيث دارت بينه وبين جند المطهر كثير من المعارك دامت عدة شهور أظهر كل منهما شجاعة وقوة وشكيمة نادرة المثال ، وانتهت بعقد الصلح بين المطهر وبين سنان باشا^(٣) .

(١) محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ص ٣١٥

(٢) غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى ج٢ ص ٧٣٣ (نشر الدكتور سعيد عاشور)

(٣) البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ص ١٢٢

وفي ١٩٧٨ عاد سنان باشا الى مصر بعد ان قرر أمور الجنود في صنعاء وزاد في نفقاتهم، وضاعف الخراج المحمول من اليمن الى السلطان الى مائتي دينار ذهباً كل عام بعد أن كان خمسين ألفاً^(١) من قبل.

وقد ظل سنان باشا والياً على مصر (١٩٨٠ / ١٩٧٣ م) حيث غادرها الى القسطنطينية فعين صدراً أعظم. ولكنه لم يبق طويلاً في تركيا فقد رأى السلطان سليم الثاني ان يعهد اليه بمهمة أخرى لا تقل خطورة وأهمية عن مهمة توطيد الأمن وتثبيت أركان الدولة العثمانية في اليمن، الا وهى فتح تونس واستخلاصها من أيدي الاسبان.

من المعروف أن الدول الأوروبية كانت تخشى بشدة توحيد المغرب تحت سلطة دولة اسلامية كبرى مثل الدولة العثمانية، ومن ثم فإن رد فعل استيلاء العثمانيين على تونس^(٢) (١٩٧٥ / ١٩٦٩ م) كان شديد العنف. فقد دعا البابا لتأليف حلف مسيحي^(٣) يقف أمام امتداد الدولة العثمانية في شمال افريقية وتقوية نفوذ الاسلام واعادته الى قوته في غرب البحر المتوسط التي كان عليها الى ما قبل سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس على يد فرديناند وازابلا (١٨٩٧ / ١٤٩٢ م).

وفي (١٩٧٧ / ١٥٧١ م)^(٤) التقت القوى العثمانية بأساطيل الحلف المسيحي ودارت بين الفريقين معركة غاية في القسوة والشراسة، فقد كانت الدوافع المؤدية الى القتال متعددة لعل أهمها بعد العامل السياسى الدافع الدينى، ومن ثم نستطيع القول بأنها كانت حرباً صليبية ثانية.

وقد دارت هذه الموقعة قرب سواحل مالطة، ولكن من أسف تغلبت فيها قوى الحلف المسيحي في معركة (ليبانتو)^(٥). وكان من نتائجها احتفاظ الاسبان ببعض الجيوب الساحلية في شمال افريقية وتوقف نفوذ الدولة العثمانية في شمال افريقيا وفي غرب البحر المتوسط.

ولكن الدولة العثمانية سرعان ما استعادت مكانتها، وذلك عندما حاولت أسبانيا

(١) غاية الاماني ج٢ ص ٧٤٣.

(٢) ابن أبى دينار: المؤنس في أخبار افريقيا وتونس ص ١٨٣

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس ص ٦٧

(٤) صلاح العقاد: المغرب العربى ص ٢٦

(٥) Safwat. M. M: Tunis and the great Powers. 28.

معاودة الهجوم على تونس وذلك في (١٩٧٩ / ١٥٧٣ م^(١)) وإعادة حكم الحفصيين إليها . ولكن ذلك لم يستمر غير عام واحد ، فقد استولى العثمانيون على تونس (١٩٨٠ / ١٥٧٤ م) واستقر حكمهم بها وتأسست النيابة الثالثة في شمال افريقيا ، فقد سبقتها نيابة الجزائر ثم نيابة طرابلس^(٢) (الغرب)

لكن الحفصيين لم يقنعوا بهذه الهزيمة وحاولوا استعادة حكمهم مرة أخرى بمساعدة الأسبان ، عند ذلك لم يجد السلطان العثماني سليم الثاني بدا من أن يرسل أشجع قواده واكثرهم حنكة ودراية سياسية ، سنان باشا ، الذي كان يشغل في تلك الاثناء وظيفة الصدر الأعظم في الاستانة . وقد استطاع سنان باشا القضاء على الحفصيين قضاء مبرما بحيث لم تعد لهم قائمة بعد ذلك ، كما استخلص تونس نهائيا من قبضة الاسبان .

ولم تقتصر أعمال سنان باشا العظيمة على الاعمال الخارجية والحربية فحسب بل شملت كذلك الكثير من الاعمال العمرانية والمدنية ، في كل البلاد التي أقام بها أو ارتحل إليها . ولعل من أهم أعماله العمرانية في مصر ، هو إعادة حفر خليج^(٣) الاسكندرية وإنشائه الكثير من الخانات والحمامات وغيرها من المنشآت الخيرية بها . كما اقام بها مسجدا ، هذا بخلاف المنشآت المماثلة في مدينة القاهرة وخاصة تلك التي اجتمعت في حي بولاق ، وهي خان وحمام ثم المسجد الجامع موضوع البحث

هذا وأود ان أنبه هنا الى ان سنان باشا ، والى مصر والصدر الأعظم في الاستانة ، هو غير الخواجه سنان المهندس الحربى العظيم الذى قام بتصميم الكثير من العمارات^(٤) في تركيا ، والذي كان معاصرا لسنان باشا . ولكن ليس من المستبعد ان يكون الخواجه سنان وأحد تلاميذه^(٥) ، هو الذى وضع تصميم جامع سنان باشا بالقاهرة بحى بولاق .

وقد امتد عمر سنان باشا مدة ثمانين عاما فقد توفى^(٦) (١٥٠٤ / ١٥٩٦ م) كانت كلها حافلة بجلائل الاعمال . كما عاش حياة مرفهة ثرية ، فقد ترك عند موته ثروة كبيرة ما بين نقود وسبائك ذهبية وتحف وجواهر وأمتعة ورياش^(٧) ، فقد كان دخله السنوى (٤٠) ألف جنيه .

(٥) J: lal Essad: Tstanbule. P. 291

خلاصة تاريخ تونس ص ٧٦

(٦) خلاصه الأثر ج ٢ ص ٢١٤

Achard Prul: L'Histoirc de la Medlitteranee. P193

(٧) البرق اليماني في الفتح العثماني ص ١٢٣

النزهة الزهية ص ٥٣

(٨) تاريخ الدولة الاسلامية ص ١٠٥

M. A. Patricolo, : Monument d'art arabe P. 178

الوصف المعماري

لقد أنشأ سنان باشا جامعته الذي يقع في حي بولاك (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) . وهو يعتبر ثاني جامع أنشئ في مصر على الطراز العثماني ، فقد كان المسجد الاول جامع سليمان باشا الخادم بالقلعة .

والمسجد مستطيل الشكل يبلغ طوله (٣٥) مترا وعرضه (٢٧) مترا ، وان كان أوليا جلبي^(١) الرحالة التركي الذي زار مصر قال في وصفه انه مربع الشكل اذ تبلغ مساحته (١٥٠) قدما في الطول والعرض . ولعل الرحالة أوليا جلبي قد أدخل في مقاس الجامع الحديقة التي تحيط به ، فقد كان للمسجد من خارجه من ناحية حائط القبلة حديقة وصفها أوليا جلبي فقال : وتوجد له حديقة ذات زهور وورد أمام محرابه . كما كان يحيط بالمسجد سور به أبواب هدم الشرقي منها^(٢) ١٩٠٢م

وقوام بناء المسجد قبه كبيرة يبلغ قطرها قرابة (١٥) مترا ويحيط بها من ثلاث جهات رواق واحد ، وهي الجهة الشمالية والجنوبية والغربية . وقد ناقشت السيدة هدايت^(٣) تخطيط جامع سنان باشا الذي اعتبرته قد شذ عن الطراز التركي الذي استخدم في بناء المساجد السابقة عليه سواء في تركيا أو مصر ، وقالت عنه انه ظاهرة فريدة غير مألوقة من قبل . والظاهرة الفريدة في رأى هدايت هو أن الجامع لا حرم له ، أى لافناء يتقدم مكان الصلاة مثل جامع أو شى شريفيلي في أدرنه (شكل (٣)) وجامع بايزيد الثاني في اسطنبول (شكل (٥)) وجامع سليمان باشا الخادم بالقاهرة .

ولكننا لا نرى سببا لهذا العجب ، فقد فسر لها الرحالة أوليا جلبي السبب الذي دعا المهندس في اتخاذ هذا التصميم الذي لا يختلف عن الطراز التركي وليس فيه أى تأثير محل اللهم الا في التفاصيل الفرعية وهي بعض الزخارف . ذلك ان قوام الطراز التركي هي القبة التي تغطي مكان الصلاة كله ، ثم الأروقة التي تحيط بالحرم أو الفناء ان وجد أو تحيط بالقبة (مكان الصلاة) اذا كانت المساحة صغيرة لا تسمح بذلك . وفي ذلك يقول

(١) Evliya Celelî : Seuah atname. vol. x. Misir P. 293 ترجمة الاستاذ على احسان اوقور نقلا عن رسالة

جامع الملكة صفية للاستاذ هدايت تيمور

(٢) حسن عبد الوهاب ص ٣٠٣

(٣) هدايت تيمور : جامع الملكة صفية ورقة رقم (٢٠٧)

اوليا جلى : ولكن ليس له حرم^(١) لوجوده على ثغر النيل « وهو يعنى بذلك ان وجود الجامع على ضفة نهر النيل الشرقية لم يسمح بوجود حرم أو فناء من جهة الغربية ويتكون مكان الصلاة من مربع يبلغ طول ضلعه (١٥) مترا تغطيه قبة مبنية بالحجر من الداخل أما خارجها فمن الأجر . ويشغل اركان المربع الذى تقوم فوقه دائرة القبة مثلثات رؤوسها الى ركن المربع بينما تبرز قواعدها عن سمت جدار المربع . بحيث تصنع مثنى متساوى الأضلاع ، أصبح من السهل معه اقامة قبة حجرية كبيرة واستطاعة جدران المربع احتمال ضغطها الطارد .

ومثلثات منطقة الانتقال تشبه الى حد كبير المثلثات الكروية المقعرة التى استعملت فى العمارة الاسلامية من قبل مع اختلاف فى أن رأس المثلث فى منطقة الانتقال الاسلامية فى اسفل بينما رأس المثلث فى العمارة التركية فى أعلى ولعل السبب فى ذلك ، ان فى العمارة الاسلامية ، ان منطقة الانتقال تقوم فوقها رقبة القبة التى تأتى بعدها دائرة القبة ، بينما نجد فى العمارة التركية أن القبة ترتكز مباشرة على مثنى مرحلة الانتقال دون رقبة ، ومن ثم فهى فى حاجة الى الارتكاز على الضلع الاكبر من مثلث منطقة الانتقال (انظر شكل)

ويشغل مثلث منطقة الانتقال نصف دائرة تخرج منها ثلاثة فصوص ، وقد وجد هذا النوع من زخرفة منطقة الانتقال فى العصر المملوكى فى القبة الفدوية التى أنشأها الأمير يشبك بن مهدي^(٢) (٨٨٤ / ١٤٧٩ م) أى قبل مسجد سنان باشا بما يقرب من قرن من الزمان . وقد زخرفت الدائرة التى تتوسط المثلثات بلفظ الجلالة منزلا بالحجر الأصفر فى الحجر الابيض

ويحيط بالقبة صفان من الفتحات ، يبلغ عدد كل منهما ستة عشرة فتحة الصف الأسفل فتحاته معقودة وكل اثنين منهما متجاوران فى ضلع من أضلاع المثنى . وقد فصل بين فتحات الصف الأسفل بثمان أعمدة مندمجة تنتهى بطاقيّة مضلعة . أما فتحات الصف العلوى فهى على شكل ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص يفصل بينها ستة عشر عمودا مندمجا وقد ملئت هذه الفتحات جميعها بزخارف جصية معشقة بالزجاج المتعدد الألوان . ويحيط بالقبة من الداخل ويفصل بين صفى الفتحات شرفة خشبية ، بها ممر ضيق لعل الغرض منه هو التفتيش على هذه الفتحات وصيانتها .

(١) اوليا جلى : سياحه نامه (المترجم - جامع الملكة صفيه

(٢) سامى عبد الحليم : المنشآت المعمارية للأمير يشبك بن مهدي (رسالة دكتوراه مخطوطة)

وقطاع القبة مدبب منبعج وكانت مغطاة بالرصاص كما جاء في (سياحة نامه) والتي وصفها أوليا جلبي^(١) بقوله « انها قبة جميلة كأنها صنعت في مصنع السماء » ويتوسط الضلع الشرقي للقبة محراب كثير العمق زخرف تجويفه وتواشيح عقده بالفسيفساء الرخامية البديعة التكوين . وبجوار المحراب يوجد منبر خشبي مصنوع بطريقة الخروط (المعلى) والحشوات المجمة . وفي الضلع الغربي المقابل لحائط القبلة توجد دكة المبلغ وهى من الخشب ومحمولة على الحوامل الخشبية كذلك (كوابيل) . وقد زخرفت دكة المبلغ وكذا سقفها الخشبي و(الكوابيل) بزخارف زيتية متعددة الألوان ومذهبة ، قوامها عناصر نباتية وهندسية . ويصعد الى دكة المبلغ وكذا الشرفة التى تعلو الفتحات السفلى للقبة السالف الاشارة اليها من سلم فتح في سمك الجدار ، له باب في النافذة الشمالية في الجدار الغربى للقبة .

أما الأروقة الثلاثة التى تحيط بالقبة وتفتح عليها بثلاثة أبواب والتى يبلغ عرض كل منها ثمانية أمتار ، فهى مقسمة الى مربعات يعلوها قباب ضحلة تقوم على مثلثات كروية . ويبلغ عدد المربعات فى الضلع الكبير خمسة وهو الرواق الغربى وأربعة فى الضلعين الشمالى والجنوبى .

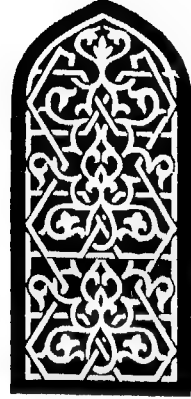
وتحمل قباب الأروقة بوائك معقودة مكونة من دعائم حجرية وأعمدة رخامية . ويعلو هذه البوائك دوائر جصية مفرغة بزخارف نباتية وهندسية بديعة التكوين ومكتوب بوسطها (الله ربى) ، وتنتهى من أعلى بشرفات مرتفعة جميلة

وتقع مئذنة المسجد فى الركن الجنوبى الشرقى ، وهى تقوم على قاعدة مربعة يعلوها الطابق الاول وهو اسطوانى زخرف بست عشرة قناة من الخارج . ويفصل بين الطابق الاول والثانى شرفة ذات ستة عشر ضلعا زخرف بنقوش مخرمة . وتقوم الشرفة على ثلاث حطات من المقرنصات والدلايات البديعة التكوين . والطابق الثانى دائرى كذلك ولكنه اصغر من الطابق الاول من حيث قطر الدائرة ومن حيث الارتفاع . ثم يعلو ذلك الشكل المخروطى ، الذى يميز المآذن التركية الطراز

وكان يوجد بالمسجد مزولة مصنوعة من القاشانى فى النهاية الغربية الجنوبية منه ، وهى من صناعة حسن الصواف^(٢) (١١٨٢هـ / ١٨٦٢م)

(١) سياحة نامه ص ٢٩٣ المترجم

(٢) حسن عبد الوهاب ص ٣٠٥



جامع كريم الدين الخلوتي

بشارع بورسعيد (الخليج سابقاً)

(٩٨٦هـ / ١٥٧٧م)

هو الشيخ محمد بن أحمد كريم الدين الخلوتي ولد في عهد السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٩٦هـ (سنة ١٤٩٠م) وعاصر السلطان الغوري آخر سلاطين دولة المماليك الجراكسة . جاء في الكواكب الدرية في مناقب الصوفية^(١) : نشأ في كنف الله حتى شب وترعرع فصار يميل الى الخير ويحضر مجالس الذكر وينشد فيها كلام القوم ، فقد رزقه الله صوتاً جميلاً ونبرات حسنة متزنة ونغماً رخيماً . وقد أخذ عن الشيخ دمرداش المحمدي الطريق وكان من أقرب تلاميذه ومريديه ، وكان هيناً ليناً فأحبه شيوخه وعطف عليه وقربه منه ولقنه علوم (الاوقاف والحرف والزايعة والرمل) فأتقنها وتألق نجمه ، حتى انتهت اليه الرياسة في طريق الخلوتية ، وكثر تلاميذه وحسن اعتقاد الناس فيه .

وكان كريم الدين متواضعاً للزائرين ومهيئاً على السالكين ، ومما يروى^(٢) أنه ، أخلى مرة رجلاً فقال له : يا سيدي أدركت كل ما يدرك بقوة الحواس بذاتي حتى كأني عين الاسم الذي اشتغل به من جميع جهاتي ، فزجره زجرة شديدة ارتعدت منها جميع جوارحه فزال منه ذلك الاحساس الجسماني .

وقد جاء في الضوء اللامع^(٣) « ولما دنت وفاة الشيخ الدمرداش أجاز جماعته واستخلف الشيخ حسنا ولم يوص الى الشيخ كريم الدين بشيء مع نجابته وتفوقه على غيره من أتباع الدمرداش فلزم الادب وسكت فلما احتضر الدمرداش قال لولده محمد قصرنا في شأن الشيخ كريم الدين مع استحقاقه واشهدكم أنني أجزته فاكتبوا له وأعطوه جبتي^(٤) .

(١) المناوي : الكواكب الدرية في مناقب الصوفية .

(٢) الخطط التوفيقية : ج ٤ ص ١١٠

(٣) الضوء اللامع للسخاوي ج ٦ ص ٢٢٧

(٤) المناوي : الكواكب الدرية في مناقب الصوفية .

ويكمل المناوى هذه القصة فيقول : فبدأ ولد الشيخ دمرداش فى كتابة الاجازة فمات الشيخ فاكملها بعده لكنه أعطى الجبة لغيره فاخذها ولبسها ، فقتل ، فأخذت الجبة ودفعت للموصى له بها (اى كريم الدين) . « . وهنا يضيف المناوى : فكان ذلك علامة تقدمه فى التصوف والوصول الى الطريق ، فاجتمع عليه خلق كثير وانتهت اليه الرياسة فى طريق الخلوتية وعلا قدره وظهر أمره . ولما كثرت جماعته تحول الى زاوية بالقرب من قنطرة سنقر على الخليج - (كان موضع القنطرة فى منتصف الطريق بين المدرسة الخديوية الآن وميدان باب الخلق) (أما الخليج فهو شارع بور سعيد الآن) - وكان هينا لينا متواضعا للزائرين .

ويقول على مبارك ان الشيخ كريم الدين كان معاصرا للعارف بالله الشيخ الشعرانى وكانا يقصدان للزيارة والتسليك (للتبريك) ، فلما مات الشعرانى انفرد الخلوتى بالوجهة وأقبل عليه الخاص والعام ، ولم يزل الشيخ مقيما على الارشاد وأمره دائما فى ازدياد بحيث انه اذا خرج من الشارع يكثر الزحام على تقبيل يديه ورجليه وما برح كذلك حتى وافاه الحمام فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وتسعمائة عن نحو تسعين سنة . « . ويصف على مبارك فى وصف جنازته فيقول : « واغلقت البلدة لمشهده وحمل نعشه على الاصابع من كثرة الخلق ، من زاويته الى الجامع الازهر وصلى عليه ثم رجعوا به ودفن بزاويته رحمه الله تعالى » .

ويصف الرحالة النابلسى^(١) الذى زار القاهرة سنة ١١٠٥هـ / (١٦٩٤م) جامع الخلوتية فيقول : مررنا على جامع الخلوتية ، فدخلنا اليه وزرنا هناك قبور الخلوتية الدمرداشية وهم الشيخ كريم الدين والملقب بكوز البغا ، والشيخ عبد الجواد وغيرهم ، فقرأنا لهم الفاتحة ودعونا الله تعالى . « . ويفهم من وصف النابلسى السابق لجامع الخلوتية ، ان الزاوية التى أنشأها كريم الدين الخلوتى فى حياته والتى دفن فيها بعد مماته أصبحت فيما بعد مقرا للخلوتية ومدفنا لمعظم شيوخها والمقربين من مريديهم .

اما عن المسجد الموجود بجوار الزاوية ، فيقول المرحوم حسن عبد الوهاب^(٢) ، اعتمادا على نص النابلسى الذى جاء فيه اسم (كوزالبغا) من بين المدفونين فى المسجد

(١) النابلسى : الحقيقة والمجاز ص ١٤٩

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ص ٣٤٢

وكذا اعتمادا على ما جاء في المقرريزي وفي الضوء اللامع ، أن منشئه هو (كوز البغا) في عهد السلطان الظاهر جقمق (سنة ٨٤٢هـ - ٨٥٧م) أى قبل مولد كريم الدين الخلوتى . فقد جاء فى ترجمة (كوز البغا) للسخاوى مايلى : وخدم كوز البغا عند فيروز الساقى ثم توجه للعبادة والتلاوة وبنى جامعا على الخليج الحاكمى بالقرب من شق الشعبان وقنطرة سنقر ، وانقطع به الى أن مات فى ايام الظاهر جقمق « ويضيف حسن عبد الوهاب على ترجمة السخاوى ما نصه : وهذا التحديد الذى أورده السخاوى ينطبق تماما على الموقع الموجود فيه المسجد الحالى .

نخرج من كل ما تقدم أن كوز البغا هو الذى أنشأ المسجد وذلك فى منتصف القرن التاسع الهجرى كما أنشأ قبة فى الجهة الغربية منه دفن فيها كوز البغا . وعندما ترك كريم الدين الخلوتى زاوية الدمرداش فى العباسية ، اتخذ له زاوية وخلوة بجوار مسجد كوز البغا ، فلما توفى دفن فى قبة المسجد وذلك سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) ، ومنذ ذلك التاريخ عرف المسجد باسم جامع كريم الدين الخلوتى وأصبحت القبة زاوية وخلوة لشيوخ وتلاميذ ومريدى الخلوتية .



الوصف المعماري

يقع مسجد كريم الدين الخلوتي عند نهاية شارع البرموني عند تقاطعه بشارع بور سعيد (الخليج المصري سابقا) عند قنطرة سنقر (محطة ترام سنقر الآن). ومن الثابت أن مساحة المسجد الحالية هي نفس المساحة التي أنشأ عليها كوز البغا مسجده، وأن يد التجديد والتعمير قد توالى عليه عبر العصور نظرا لأهمية الشيخ كريم الدين عند أولى الأمر من باشوات وأمراء وشيوخ الخلوتية. فقد ذكر النابلسي^(١) أنه زار جامع الخلوتية سنة ١١٠٥م، وجاء في كتاب الخطط التوفيقية^(٢) «أن جامع الخلوتي داخل قنطرة آق سنقر بالقرب من جامع حسين باشا (أبى أصبح) مكتوب على وجه بابه أبيات وتاريخ سنة ١١٢٣هـ، وهو مقام الشعائر تام المنافع وبداخله ضريح سيدى محمد الخلوتي المنسوب اليه هذا الجامع يعمل له مولد كل سنة».

كذلك أجدد المسجد الامير (ايواز) بك سنة ١١٧٣هـ (١٧٥٦م) كما هو ثابت على الباب الغربى الموصل الى القبة المدفون بها الشيخ كريم الدين وكوز البغا وغيرهما. فقد نقشت عليه الايات الآتية :-

بالحسين آل بيت طاهر لذ تعط ما ترجوه من مفاخر
فالخلوتي ذو التقى لما بهم لاذ ارتقى فى كل سر باهر
مسجده قد زاد فى اشراقه نورا بديعا حسن المآثر
جده من قدأثير قلبه فقلت منشدا بقول ظاهر
ياسعد (ايواز) فقد أرخته أبشر بعفو من معز قادر

ويقول حسن عبد الوهاب ان الجزء الوحيد الذى يرجع الى عهد كوز البغا هو الجزء الأسفل من المئذنة حتى الدورة الاولى وقد نقش عليها النص التالى : (بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) .

(١) الخطط التوفيقية ج ٩ ص ٣١

(٢) على مبارك : ج ٥ ص ١٠٩٠

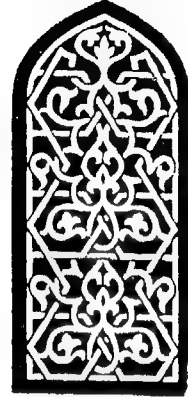
وكان المسجد يتكون من صحن مكشوف مربع الشكل تقريبا وتحيط به الأروقة من ثلاث جهات ، الجهة الشرقية وتحتوى على صفين من البوائك تقسمها الى ثلاثة أروقة . وتتكون كل بائكة من أربعة عقود مدببة ترتكز على ثلاثة عمد رخامية . ويوجد بحائط القبلة محرابان ، الرئيسى ويقع على يمين المنبر ، ويتكون من قطعة واحدة من حجر البازلت الاسود تعلوه مجموعة من بلاطات القاشانى التركى ، لعل أهمها بلاطة تحتوى على شكل ضريح تحيط به مجموعة من اشجار السرو ، ويسمى الاتراك مثل هذه المناظر باسم (مراذك) . ويحيط بالمسجد من الجانبين الشمالى والجنوبى رواق واحد ، أما الجهة الغربية فلا يوجد بها أروقة بل يوجد بها باب يوصل الى القبة وحجرة الى الغرب منها . وباب ثان يوصل الى المئذنة ، التى ترجع قاعدتها ودورها الاولى الى المنشئ الاول للجامع وهو (كوزالبغا) اما الجزء العلوى الذى يشبه (القلم الرصاص) أو المسلة فيرجع الى العصر العثمانى . وتتكون القبة من أربعة عقود تعلوها قبة بها مدفن كوز البغا ، أما الحجرة التى تقع الى الغرب منها فتحتوى على مقبرة الشيخ كريم الدين الخلوتى وغيره من شيوخ الخلوتية الذين أشار اليهم النابلسى سابقا .

ومما يؤسف له أن هذا المسجد بموقعه الفريد فى نهاية شارع البرمونى وتقاطع شارع بورسعيد (الخليج المصرى وقنطرة سنقر) والذى يرجع تاريخ انشائه الى القرن التاسع اى الخامس عشر الميلادى والذى يحتوى على جدث شيخ من أولياء الله الصالحين ، ترك دون صيانة حتى سقطت جميع أروقه وقبته سنة ١٩٦٩ . وأنى أهيب بالسيد الاستاذ وزير الاوقاف أن يتفضل مشكورا باعادة بناء هذا الجامع خاصة وأن مصلحة الآثار قد أخرجته الآن من حيازتها ، وفى ذلك احياء لذكر أوليائنا الصالحين وما أحوجنا اليوم الى مثل هذه السيرة العطرة .



مسجد الشيخ مرزوق ومسجد عز الرجال

بمدينة طنطا بمحافظة الغربية
(٩٨٦هـ / ١٥٧٨م)



تنقسم مصر من الوجهة الجغرافية منذ أقدم العصور الى قسمين أساسيين ، هما الوجه القبلى أو الصعيد أو أعلى الارض . والوجه البحرى أو أسفل الارض أو الريف . وقد عرف وسط الدلتا قبل أن يقسم الى كور في عصر الدولة الفاطمية باسم (بطن الريف) ، ولأهمية بطن الريف من حيث الموقع الجغرافى ولخصوبة أرضه واعتباره جزءا هاما من الاقاليم الخراجية من جهة اخرى ، حرصت الدولة الاسلامية منذ فتح العرب مصر أن يجعلوا في بطن الريف مقرا لنائب الوالى أو الامير . ولما كانت مدينة طنطا تقع في بطن الريف فقد كانت مقراً لنائب الامير ومن ثم فقد كان اقامة مسجد جامع بها ضرورة تقتضيها مقومات الدولة الاسلامية ، اذ كان ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة في الجامع الرسمى شارة من شارات الخلافة .

ويعتبر جامع البوصة الذى يسميه ابن عبد الحكم باسم الجامع العتيق أقدم مساجد مدينة طنطا بل مساجد بطن الريف على الاطلاق ، اذ يقال أن صحابيا أنشأ في عهد الخلفاء الراشدين ، ولهذه الصفة أصبح قبلة الوافدين على طنطا فنشأت به حلقات للدرس في وقت سابق على انشاء الجامع الازهر وحلقات دروسه ، وان كان قد اهتم بهدى جامع عمرو الذى يعتبر أول جامعة اسلامية في مصر . وكثر عدد طلابه وزاد عدد الفقهاء الذين كانوا يجلسون للتدريس والافتاء به وزاد تبعاً لذلك الممتلكات الموقوفة عليه . ولما دفن بجامع البوصة الشيخ محمد البهى ، عرف الجامع به . أما جامع الشيخ مرزوق الغازى فهو ثانى مسجد أقيم في مدينة طنطا اذ يرجع تاريخه الى آخر عهد الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ . وقد ظل جامع الشيخ مرزوق طوال العصر العباسى والعصر الفاطمى يعرف باسم الجامع الاموى نسبة الى أنه بنى في العهد الاموى حتى قدم الشريف مرزوق الغازى من مكة الى

القاهرة ، وأقام بها فترة قصيرة ثم ارتحل منها الى طنطا واستقر به المقام في الجامع الاموى ولم يبرحه حتى توفى ودفن فيه سنة ٥٦٨هـ ومنذ ذلك التاريخ أصبح المسجد الاموى يعرف باسم جامع الشيخ مرزوق

والشيخ مرزوق هو مرزوق بن عبد الله بن غازى ينتهى نسبه الى الحسن بن على ابن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين . وقد دفن مع الشيخ مرزوق في ضريحه الشيخ على بن عمر بن ناجى بن قيس العونى المعروف بالميهى نسبة الى بلدة (ميه) . وكان الشيخ على الميهى عالما من علماء الشريعة كان يحفظ القرآن ويبدع في تجويده . ولد الشيخ على سنة ١١٣٩هـ في قرية من قرى غرب البحيرة من قبيلة بنى العونة المنسوبة الى قيس العونى وتوفى سنة ١٢٠٤هـ .

وقد اشتهرت مدينة طنطا بكثرة مساجدها وأضرحة الاولياء الصالحين ، ولا غرو في ذلك فهي قاعدة محافظة الغربية ، اسمها القديم (تانت) ويقول محمد رمزى في قاموسه الجغرافى اذا قارنا اسمها القديم بالاسماء التى جاءت في المعاجم وكتب المؤرخين تبين لنا ان اسم طنطا هو الاسم المصرى القديم لهذه المدينة . وجاءت في كتاب المسالك باسم طندتا ويصفها فيقول : وهى صنعة حسنة عظيمة بها جوامع لطيفة وحمامات ولها أسواق كثيرة ووردت في نزهة المشتاق باسم طنطنة وهى مدينة متحضرة صغيرة ذات اسواق كثيرة ورزق واحوال صالحة وأهلها في رفاهة وخصب . وجاءت في قوانين ابن ممتى طندتا من أعمال الغربية ، وفي الضوء اللامع للسخاوى طندتاء والنسبة إليها طندتائى وفي تاريخ الجبرتى طندتا . وفي العصر العثمانى حذفت الدال من طندتا لتسهيل النطق فصارت طنتا ، ثم فحمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت طنطا وهو اسمها الحالى .

ومن المساجد المشهورة في طنطا كذلك جامع الشيخ عز الرجال . على أن اسم عز الرجال ليس هو اسم صاحب الجامع الحقيقى بل هو اسم شهرته فحقيقة اسمه هو محمد عز الدين كما جاء في مقدمة ابن خلدون . وانما لقب بعز الرجال لانه كان مشهورا في زمنه بنصرة الضعفاء واغاثة الملهوفين فلقب بعز الرجال وينتهى نسب الشيخ محمد عز الدين ، كما يقول ابن خلدون الى الامام الحسن سبط الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد أخذ الشيخ محمد عز الدين طريقته عن أبيه سيدى عبد السلام بن بشيش بن محمد ابن عبد الرحمن الحسن العطار الشهير بالزيات وقد أخذ الزيات بدوره طريقته عن القطب عبد الله الشائرى ، وهذا الأخير بدوره عن أبى بكر الشيلى .

يتكون جامع الشيخ مرزوق الذي يرجع الى سنة ٩٨٦هـ والذي رمت وزارة الاوقاف سنة ١٣٤٦هـ الكثير من أجزائه ، من مربع كبير احتل الجانب الشمالى منه المدخل الرئيسى فى الركن الشرقى وضريح الشيخ مرزوق فى الركن الغربى . اما مكان الصلاة فعبارة عن مستطيل يتوسطه اربع دعائم كبيرة يقوم عليها سقف يترفع كثيرا عن سقف المسجد مما يعطى فرصة لفتح نوافذ للاضاءة والتهوية فى الجزء الذى يعلو سقف الجامع . ويتكون الضريح من غرفة مربعة تقوم فى أركانها الاربعة ثلاثة صفوف من المقرنصات تعلوها رقبة اسطوانية بها أربع نوافذ مغطاة بالجص والزجاج الملون . وتأتى القبة فوق الرقبة . وقد زخرفت من الخارج بزخارف جصية غاية فى الدقة والابداع .

ويعلو المدخل الرئيسى المثلثة وتتكون من ثلاث طبقات . الاول مثنى الشكل فى نواصيه ثلاثة اعمدة مندمجة وبه اربع شرفات والطابق الثانى مسدس فى نواصيه عمود مندمج أما الطابق الثالث فمستدير يعلوه الهلال . ويفصل بين الطوابق وبعضها شرفات تستند على صفوف من الدلايات المحفورة فى الحجر فى غاية الدقة والابداع . ويحتوى المسجد على منبر من الخشب المصنوع بطريقة الحشوات المجمع وخشب الخرط وقد كتب على بابه : ما شاء الله لا قوة الا بالله انشئ هذا فى رمضان سنة ١٢٩٦هـ صنعه على وهبه . جده عبده البحرى .

اما مسجد الشيخ عز الرجال فقد صمم على شكل المدارس المتعامدة ، فهو يتكون من أربعة ايوانات ولكن لا صحن يتوسطها . الايوان الجنوبى به ثلاثة محاريب الاوسط اكبرها واعمقها وهو اكبر الايوانات اتساعا والايوان الشرقى والغربى عميقان . اما الايوان الشمالى فهو أصغر الايوانات وذلك لان الضريح يشغل الجانب الغربى منه والمثلثة تشغل الجانب الشرقى .

ويتكون الضريح من مربع باركانه الاربعة خمس محطات من المقرنصات الصغيرة تعلوها رقبة بها اربع فتحات تأتى فوقها القبة المزركشة من الخارج بأسلوب ينسب الى حد كبير قبة الشيخ مرزوق وتقع المثلثة على المدخل الرئيسى فى مواجهة القبلة وتتكون من ثلاث دورات الاولى مثمثة والثانية مسدسة والثالثة مستديرة فهى بذلك تكاد تكون نسخة مطابقة لمثلثة جامع مرزوق . وقد كتب على المدخل تاريخ التجديد وهو سنة ١٣١٢هـ على نفقة وزارة الأوقاف .



جامع الشيخ على الخواص

بحارة الخواص بالحسينية

القرن العاشر الهجرى

يعتبر الشيخ على الخواص من أشهر أولياء الله الصالحين الذين ينتسبون الى ثغر البرلس بمحافظة كفر الشيخ . ويوجد على شاطئ بحيرة البرلس جملة قباب لجماعة من الصالحين يقال لهم الشرفاء العامرية^(١) ، وحول تلك القباب كفور صغيرة تسمى عزب الشرفاء . وتمتاز تلك الكفور بمساجدها الكثيرة العامرة المبنية بالاجر (المكحول) . ويقول المقرئى^(٢) أن بعض أهالى البرلس عرب قرشيون من بنى عدى وكعب . وقد ولى بعضهم كتابة السر للملك مصر الترك بالقاهرة ودمشق نحو مائة سنة .

وفى كتاب المستطرف أن فى البرلس وقطية أقواما يعرفون قيافة الاثر (أى الاستدلال بالاقدام) ، قال : والقيافة على ضربين قيافة البشر وقيافة الأثر ، فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان . فاذا عرض على أحد منهم مولود فى عشرين نفرا ليلحقه بأحدهم ، فيلحقه بأحدهم وقد تخصص فى ذلك نفر من (بنى مدلج) وأما قيافة الأثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف ، ومن العجيب أنهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ ، والمرأة من الرجل والبكر من الثيب ، والغريب من المستوطن ، ويذكر المقرئى فى خطه ان محتسب القاهرة فى القرن الثامن الهجرى كان من البرلسى وهو صلاح الدين عبد الله بن عبيد الله البرلسى ، وهو الذى أحدث السلام على رسول الله ليلة الجمعة عقب الاذان سنة ٥٧٦٠ هـ .

ويقول على مبارك ، وقد ظهر فى البرلس أيضا صلحاء وعلماء كثيرون ، مثل الشيخ على الخواص ، شيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، ذكره فى طبقاته وأثنى عليه ونقل عنه من الاحاديث والتفسير وأسهب فى الترجمة له ، لقد نشأ على الخواص فى البرلس فى أسرة فقيرة مما حدا به الى الاشتغال ببعض الاعمال البسيطة لكى يكسب قوت يومه ، فعمل فى

(١) الخط التوفيقي ج ٩ ص ٣٩ .

(٢) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب .

أول الامر طوافا يبيع الصابون والجميز والعجوة وكل ما وجد في بيئته . فلما انتقل الى القاهرة فتح دكان زياطة سنين عديدة ثم صار يضفر الخوص ومن هنا عرف بالخواص . واستمر يمارس هذه الحرفة حتى مات . وكان لا يأكل شيئا من طعام الظلمة وأعوانهم ، ولا يتصرف في شيء من دراهمهم في مصالح نفسه أو عياله انما يضعه عنده للنساء الأرامل والشيوخ والعميان والعاجزين عن الكسب ، فيعطيه من ذلك ما قسم . ومما يحكى عن الشيخ الخواص في هذا الشأن ، أنه حدث أن ورمت عيناه مرة ورما شديدا وهو يضفر الخوص فأتاه شخص من الاغنياء بدارهم وقال يا سيدى أنفقهها واسترح حتى تطيب عينك ، فردها وقال : والله أنا في هذا الحال ولا تطيب نفسى بكسب نفسى ، فكيف بكسب غبرى .

وكان الشيخ الخواص كريما متواضعا وهب نفسه في أيام الجمع لخدمة بيوت الله ويعطى الفقراء والمحتاجين بغير حساب ، كما كان يفرض على نفسه القيام بكل واجبات مقياس الروضة من تنظيف وتطهير وذلك قبل مجيء مياه الفيضان ، وفي ذلك يقول تلميذه ومريده الشيخ الشعرانى : وكان رضى الله عنه يكس المساجد وينظف بيوت الاخلية (دورات المياه) ويحمل الكناسة تارة ويخرجها الى الكوم احتسابا لوجه الله تعالى كل يوم جمعة . وكان يكس المقياس (مقياس النيل بجزيرة الروضة) في كل سنة ثانى يوم نزول النقطة وينفق على أصحابه ذلك اليوم نفقة عظيمة ، اذ كان يقبض من (عبه) الدراهم ويعطيها كل من رآه من المستحقين ، ويدفع لهم كراء المعدي وهم نحو مائة نفس ثم يفرق السكر والحلوى على القائمين على خدمة المقياس وجيرانه ، ثم ينزل فيكشف رأسه ، ويتوضأ من المقياس ويصير يبكى ويتضرع ويرتعد كالقصب في الريح ثم يطلع يصلى ركعتين ويأمر كل واحد من أصحابه أن ينزل ثم يكس السلم بمشط من حديد ويخرج الطين الذى فيه بنفسه لا يمكن أحدا من مساعدته . ويضيف الشعرانى فيقول : « ويقال أن خدمة النيل كانت عليه وأمر طلوع النيل ونزوله ورى البلاد وختام الزرع كل ذلك كان يتوجه فيه الى الله تعالى ، وكان أولياء عصره تقرر له بذلك » .

ومما يدعو للعجب أنه برغم أنه كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، كان رضى الله عنه يتكلم عن معانى القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما يقول الشعرانى ، كلاما نفيسا تحير فيه العلماء ، وقد رقمنا غالبه في كتابنا المسمى (بالجواهر والدرر) كل جواب منه يعجز عنه

فحول العلماء حتى تعجب من كتب عليه من العلماء ، كالشيخ شهاب الدين الفتوحى الحنبلى ، والشيخ شهاب الدين بن الشلبى الحنفى والشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى ، والشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى ، وقال الشيخ الفتوحى ، لى سبعون سنة أخدم العلم فما أظن قط أنه خطر على بالى لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب يعنى (الجواهر والدرر) .

وكان للشيخ الخواص ، آراء خاصة فى العلم والمعلمين ، وفى النقل والاقتباس والتأليف سبق بها عصره بأربعة قرون يمكن اتخاذها مبادئ هامة وشعارات يحذو حذوها طبقة المثقفين الآن فى القرن العشرين ، فقد كان يقول لا يسمى عالما عندنا الا من كان علمه غير مستفاد من نقل او من مصدر آخر بل يكون أصيلا . وأما غير هذا فانما هو حاك لعلم غيره فقط ، فله أجر من حمل العلم حتى أداه ، لا أجر العالم والله لا يضيع أجر المحسنين . ويستطرد فى حديثه فيقول : من أراد أن يعرف مرتبته فى العلم يقينا لا شك فيه ، فليرد كل قول حفظه الى قائله وينظر بعد ذلك الى علمه فما وجده معه فهو علمه ، وأظن أنه لا يبقى معه الا شئ يسير لا يسمى به عالما .

ثم يتحدث عن التصوف والمتصوفين فيقول : لا يصير الرجل عندنا معدودا من أهل الطريق الا ان كان عالما بالشرعية المطهرة مجملها ومبينها ، ناسخها ومنسوخها ، خاصها وعامها ، ومن جهل حكما واحدا منها سقط عن درجة الرجال ، فسأله تلميذه الشعرانى قائلا : ان غالب مسلكى الطريق فى هذا الزمان على هذا القول ساقطون عن درجة الرجال ، فأجاب : نعم ان هؤلاء يرشدون الناس الى بعض أمور دينهم ، وأما المسلك (أى المتصوف) فهو من لو انفرد فى جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم فى سائر ما يطلبونه . وكان رضى الله عنه يقول فى معنى قول الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه حين رأى رب العزة جل جلاله فى منامه فقال : يارب بما يتقرب اليك المتقربون ؟ قال يا أحمد بتلاوة كلامى ، قال يارب بفهم أم بغير فهم ؟ قال : يا أحمد بفهم وبغير فهم . المراد بفهم ما يتعلق بعلم الشريعة وبغير فهم ما يتعلق بعلم الحقيقة ، فان العلماء ما لهم آلة لفهم كلام الله تعالى الا بالفكر والنظر ، وأما العارفون فطريقهم الى فهمه الكشف والتعريف الالهى . وذلك لا يحتاج الى تفهم . فقليل له فما تقول فيمن يقرؤه من العوام من غير فهم ، فقال قد صح ان له بكل حرف عشر حسنات .

ثم يتحدث عن خلوة المتصوف وحكمها فيقول : ان الخلوة بالله وحده لا تكون الا للقطب الغوث في كل زمان . فاذا فارق هيكله النور بالانتقال الى الدار الآخرة انفرد الحق تعالى بشخص آخر مكانه لا ينفرد بشخصين قط في زمان واحد ، ثم يضيف ، وهذه الخلوة وردت في الكتاب والسنة ولكن لا يشعر بها الا اهل الله تعالى خاصة لتلاميذه ومريديه .

وكان الشيخ الخواص يجلس مع تلاميذه ومريديه الساعات الطوال يحدثهم ويناقشهم ويبين لهم الطريق القويم والمنهج السليم الذي يجب أن ينتهجوه اذا أراد أن يسلك الطريق ، فيقول لهم مثلاً : يجب على الفقير أن يذكر لشيخه أمراضه الباطنة ، وان كانت قبيحة ليدله على طريق شفائه منها . وان لم يفعل وترك ذلك حياء طبع ، فربما مات بدائه ، لأن حياء الطبع مذموم لكون الافصاح عن المرض فيه زوال رياستها وذمها . ويضرب لذلك مثلاً ويقص عليهم حادثة معينة وقعت للشيخ زون بهار ، المدفون بالقرافة بالقرب من الشيخ يوسف العجمي فيقول :

ان الشيخ زون بهار كان يصعق في حب الله تعالى فتضع الحوامل ما في بطنها من صعقته فحول الله تعالى ذلك الى حب امرأة من البغايا فجاء الى الصوفية ورمى لهم الخرقة وقال لا أحب أن أكذب في الطريق ان واردي تحول الى حب فلانة ثم صار يحمل لها العود ويركبها ويمشي في خدمتها ، الى أن تحول الورد الى محبة الحق بعد عشر شهور ، فجاء الى الصوفية فقال ألبسوني الخرقة فان واردي رجع عن محبة فلانة ، فبلغها ذلك فتأبت ولزمت خدمته الى أن ماتت . وكان يقول لتلاميذه اذ سئل أحدكم عن شيخه فليقل كنت خادمه ، ولا يقل كنت صاحبه فان مقام الصحبة عزيز .

ولم تقف معرفة الشيخ الخواص على علوم الشريعة وسلوك الطريق فحسب ، بل كان له طب غريب يداوى به أهل الاستسقاء والجذام والفالج والامراض المزمنة فكل شيء أشار باستعماله يكون فيه الشفاء ، كما يقول تلميذه الشعراني .

ويحدثنا الشعراني عن شيخه واستاذة فيقول ، وكانت مدة صحبتي له عشر سنين فكأنها كانت ساعة ، وكان رحمه الله له جبة واحدة وشاش صغير على زنط ، يغسل العمامة والجبة في السنة مرة واحدة بالملح ويقول نوفر الصابون لغيرنا من الفقراء وكانت اذا اشتهدت نفسه الدسم أخذ عظم الاذنان ثم قطف الدهن وكب ماءها ثم طبخ به القمح والرز ، هذا كان لحمه ويقول الاذنان لا تصيبها العيون ولا أحد ينظر اليها .

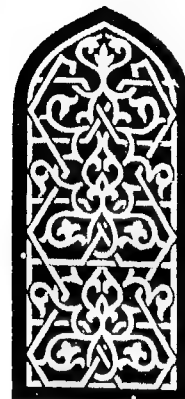
وكانت له أقوال فريدة لم يسبق إليها ، فقد جاء في تعريفه للإنسان : العلم والمعرفة والادراك والفهم والتمييز من أوصاف العقل والسمع والبصر ، والحاسة والذوق والشم والشهوة والغضب من أوصاف النفس والتذكر والمحبة والتسليم والانقياد والصبر من أوصاف الروح ، والفطرة والإيمان والسعادة والنور والهدى واليقين من أوصاف السر والعقل والنفس والروح والسر المجموع أوصاف للمعنى المسمى بالإنسان .

ولما توفى الخواص دفن في ضريحه بشارع الخواص بحى الحسينية قسم الظاهر ويصف على مبارك^(١) هذا الضريح فيقول : وجامع الخواص أصله زاوية الشيخ بركات الخياط التى أنشأها له تلميذه الشيخ رمضان خارج باب الفتوح تجاه حوض الصادر ولما مات الشيخ الخواص دفن معه فاشتهرت الزاوية به .

مسجد السادات

ببلبيس بمحافظة الشرقية

(١٠٠٢ هـ)



عرف اقليم الشرقية باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما الى عدة كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ، ثم ضم بعضها الى بعض وسميت الشرقية لوقوعها فى الجهة الشرقية من الوجه البحرى ، وفى سنة ١٨٢٦ قسمت الشرقية الى مأموريات وكانت كل مأمورية قائمة بذاتها ، وفى سنة ١٨٣٣ ضمت هذه المأموريات بعضها الى بعض فأصبحت اقليما واحدا باسم مديرية الشرقية وقاعدتها مدينة الزقازيق^(١) وفى سنة ١٩٦٠ تغير اسمها الى محافظة وظلت قاعدتها مدينة الزقازيق .

وعندما جاء عمرو بن العاص لفتح مصر سار على رأس جيش مكون من أربعة آلاف مقاتل حتى هبط رفعا فالعريش ، التى استولى عليها بسهولة على الرغم من أنها كانت مدينة ذات حصون . ويقول بتلر^(٢) ان الروم خسروا ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير فى معارك بلبس حين نشوب الحرب كما قتل من المسلمين عدد ليس بالقليل . وقيل ان ابنة المقوقس كانت فى بلبس حين اشتداد المعارك فأرسلها عمرو الى أبيها معززة مكرمة ، فكسب بذلك محبة المصريين . وبعد أن أمضى العرب فى بلبس قرابة شهر هبطوا منها الى أم دنين لاستكمال الفتح حتى تم لهم ما أرادوا وأصبحت مصر قطرا اسلاميا كان ولا يزال درة فى تاج الدول الاسلامية .

وقد سلك عمرو بجيشه بعد استيلائه على الفرما طريق بلدة القنطرة ملتزما بذلك جانب الصحراء ، وحدث فى أثناء الفتح العربى أن كانت مياه بحيرة المنزلة قد طغت على ما حولها فأصبح الطريق من هناك صعب المسالك ، وكان جيش عمرو كله من الفرسان ولم

(١) القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٢ .

(٢) فتح مصر ص ٩٧ .

تكن لديهم وسائل بناء القناطر على الترع والأنهار ، فسار من القصاصيين جنوبا واجتاز
 تلال وادى الطميلات فى موضع قريب من التل الكبير حتى بلغ بلدة بلبس .
 وجاء مصر فى العهد الأموى مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية بعد هزيمته أمام
 خصومه العباسيين فى واقعة الزاب الكبرى المشهورة ، وقد أقام فى طريقه فترة فى بعض
 قرى الشرقية ومنها أرسل قوات للاستيلاء على مصر الوسطى والاسكندرية ولكن دهمته
 جيوش العباسيين بقيادة صالح بن على فى بلدة بوصير باقليم الفيوم حيث لقي حتفه . وقد
 أرشد عنه أعراب الشرقية الذين كان قد انتشر فى ربوعهم المذهب الشيعى . ولم تقف
 ثورات أعراب الشرقية بزوال الدولة الأموية بل كانت أكثر التهاوبا فى عهد العباسيين ،
 فعلى أثر وفاة الرشيد ونشوب الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون عاد أعراب الشرقية الى
 ثورتهم القديمة ، لأن الأمين كان قد تحبب اليهم بأن عهد ببعض الوظائف الكبرى الى
 رؤسائهم فضمن بذلك ولاءهم حتى ثاروا فى وجه والى مصر من قبل المأمون وتغلبوا عليه
 وقتلوه . ولما استتب الأمر للمأمون عين عبد الله بن طاهر واليا على مصر فاستطاع بحزمه
 وسداد رأيه أن يوقف ثورات المصريين عامة ويعيد الهدوء الى ربوع القطر بأجمعه .
 وفى غضون القرن الثالث الهجرى انقطع ما بين مصر ودولة بنى العباس من أسباب
 وانفصم ما كان يربط مصر بمركز الخلافة ببغداد من عرى الروابط وترى على عرش
 مصر اذذاك أحمد بن طولون الذى أنشأ له فى مصر دولة دانت لها الشام وبعض أقطار
 أخرى وخشى بأسها الخليفة العباسى .

وفى نهاية الدولة الفاطمية ، عمت الفوضى والاضطراب ربوع البلاد اثر النزاع بين
 الوزيرين المصريين شاور وضرغام وامتد النزاع خارج حدود مصر اذ عول كل منهما -
 امعانا فى الكيد لخصمه - على أن يستعين بجيوش غير مصرية للانتقام والفتك من منافسه ،
 فطلب ضرغام من الصليبيين الحضور الى مصر ليضمنوا له الوزارة دون غريمه شاور
 الذى استعان بدوره بسلطان حلب (نور الدين) لنفس الأمر ، فما كان من نور الدين
 الا أن أرسل جيوشا بقيادة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي فالتقى بجيوش
 ضرغام من المصريين عند بلبس حيث انتصر شيركوه وهبط بعد ذلك الى الفسطاط ولم
 يلبث أن قتل ضرغام وفاز شاور غير أنه تنكر لحلفائه وناصره ، ومديده الى الصليبيين
 واتخذ منهم اعوانا له ضد شيركوه فتقدم ملك بيت المقدس الى بلبس وضيق الخناق على
 جيش نور الدين ولم يرفع الحصار عن المدينة الا بعد أن جاءته الأنباء بأن نور الدين

استولى على أملاك الصليبيين في الشام عند ذلك أسرع (أماريك) ملك الفرنجة في العودة .

العرب في الشرقية :

زعم كثير المستشرقين أن العروبة في وادى النيل بشطريه لا يتجاوز تاريخها عصر الفتوح الاسلامية الأولى ، ولو درس هؤلاء الهجرات الآتية من طريق سيناء الى مصر الفرعونية دراسة عابرة لكفاهم ذلك في دحض هذا الزعم على أنه من الثابت والمتفق عليه اليوم ، أن موجات الساميين قد انبعثت منذ فجر التاريخ من جزيرة العرب الى البلاد التي تدخل اليوم في نطاق الوطن العربى الأكبر ، بل الى بلاد أخرى غيرها ، وكل ما في الأمر أن الذى أطلق على هذه الشعوب كلمة (الساميين) هو عالم نمساوى في القرن الثامن عشر ، اقتداء بما ورد في بعض أسفار التوراة من أن هذه الشعوب تنتمى إلى سام بن نوح عليه السلام .

ومن بين هذه الشعوب ، العرب المقيمون في جزيرتهم ، وجزيرة العرب هى المهة الأول للساميين أنفسهم ، فلا معنى لأن نفرق في الاصطلاح بين العرب المقيمين في الجزيرة وبين العرب النازحين منها . وغاية ما نفهمه من هذا الاصطلاح ، أن الساميين عرب سموا كذلك نسبة الى جدهم الأول ، أما لفظ العرب ، فهو في الأصل نسبة الى (العربية) أى الصحراء ، أو مكان يقع في الشمال الغربى من جزيرة العرب كان يسمى بهذا الاسم^(١) . وفي مدة فتح عمرو بن العاص لمصر لم تكن قناة السويس موجودة وكان النيل يغمر البلاد مدة الفيضان ، فاذا انحسرت مياهه تركت مستنقعات وأراضى مغطاة بالكأ والحشائش صالحة لرعى الأغنام في معظم أراضى الشرقية وبخاصة الشمالية منها والمجاورة للصحراء ، مما شجع القبائل العربية بعد الفتح على الرحيل اليها لقربها منهم فأخذوا ينتقلون فيها ولم يجدوا فارقا بينها وبين صحارى بلادهم .

وقد استوطن كثير من العرب بعد الفتح في الجهات الشرقية من مصر ، واستمروا بها حتى أواخر الدولة العباسية حيث سادت الفوضى بالبلاد العربية وحل القحط بمصر ، فرحل بعض القبائل من الشرقية ومن مصر كلها متجهين ناحية الغرب وبخاصة الى طرابلس . ولما عاد الأمن والرخاء الى مصر في عهد الفاطميين عاد بعض هذه القبائل الى

(١) البيان والاعراب ص ٣٧ .

مصر ، ومن ذلك العهد سمي العرب الذين لم يرحلوا الى الغرب عرب الشرق بينما سمي من عاد منهم الى مصر عرب الغرب .

لبث حال العرب في مصر على الحال التي بينها حتى أحضر ابن الجحباب^(١) عامل الخراج في العصر الأموي مائة بيت من قيس ، وأقطعهم أرضا في بلييس وزودهم بالخيول والابل وجعل مهمتهم حراسة القوافل بين ساحل البحر الأحمر وداخل البلاد ، فأفادوا من ذلك فائدة كبيرة ، الأمر الذي جذب بيوتا أخرى من قيس لتلحق بهم .

وعند تولى الدولة العباسية زمام الخلافة كافأ عبد الله السفاح ، الخليفة العباسي عرب بنى هلال ، فمنحهم منطقة بلييس ، وذلك لناصرتهم له وإنضمامهم لصفوفه عند محاربتة بنى أمية في موقعة الزاب .

ولما ضعفت الدولة الفاطمية ثار عليها المعز بن باديس زعيم بربر صنهاجة ، فأرسل الخليفة المستنصر سنة ١٠٤٩م الى بنى هلال وسليم ليمنحهم أرض المغرب ، وكان غرضه من ذلك تخفيف وطأة القحط الذي حل بالبلاد ، كما كان يبغى من وراء ذلك تأديب الثوار المغاربة لخروجهم عن طاعته ، فهاجر كثير من عرب الشرقية الى شمال افريقيه تحت رئاسة بنى هلال فقاومهم ابن باديس ولكن مقاومته باءت بالفشل ، وتوغل العرب في طرابلس وتونس وتصاهروا مع القبائل البربرية .

ولما فتح صلاح الدين الشام انتقلت طائفة من قبيلة ثعلبة ونزلوا بالشرقية وكان فيهم من ذاع صيته وأمر بالبوق والقلم (أى أصبحت له الكلمة في الجيش والديوان) . وفي عهد المماليك قام عرب الشرقية بثورات كثيرة قتل فيها عدد كثير منهم سنة ١٢٥٤م ، أيام سلطنة عز الدين أيبك التركماني اذ أن العرب ثاروا بزعامة حصن الدولة العربي على المماليك وذلك لموالاتهم للأيوبيين ورغبتهم في الثأر لمقتل توران شاه الذي قتله المماليك بعد موقعة المنصورة ، غير أن العرب هزموا عند التحامهم بالمماليك ومنذ ذلك الوقت تفرق العربان وخمدت جذوتهم .

وفي عهد الحكم العثماني قام عرب الشرقية وغيرهم بثورات كثيرة بقيادة ابن بقر ، وفي عهد محمد علي ساهم عرب الشرقية في حملته على بلاد العرب ، اذ قدموا له الخيل ودربوا الجند على طريقة الكر والفر المعهودة عند الوهابيين . وكانوا في ذلك العهد أيضا

(١) الولاة والقضاء ص ١٧ ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٣ .

يقومون بخفارة الدروب وطرق القوافل ، ويحملون البريد والمعدات وكانوا خبراء في معرفة الطرق والمسالك والدروب . وعندما قامت ثورة عرابي اندفع العرب وانضموا الى جانب الثوار وذلك لميلهم بسليقتهم للحرب فقاتلوا في كفر الدوار وعند القتال في التل الكبير . ومن أشهر قبائل العرب في الشرقية الهنادى وقبيلة سمالوى والطمبلات والعبادة والسماعنة والصوالح والحرابي .

بلبيس :

قاعدة مركز بلبيس ، وهى من المدن القديمة تقع بين عين شمس وبين بسطة في حدود الصحراء الشرقية ووردت في المصادر العربية باسم بلبيس ، وجاءت في كتب معاجم البلدان^(١) بلبيس مدينة مليحة وهى قصبة الحوف (أى قاعدة اقليم الشرقية) وبها والى الحرب وبها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين ، وبها نخل كثير ويمر بها نهر من النيل أيام زيادته وهى مسورة . ويضيف المقرئى^(٢) في خطته « أن بلبيس سميت في التوراة أرض جاشان » وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى في أوائل العصر الاسلامى ، ثم قاعدة الأعمال الشرقية من العصر الفاطمى حتى نهاية العصر المملوكى ، ثم قاعدة ولاية الشرقية في سنة ١٨٣٢م حين نقل ديوان المديرية الى مدينة الزقازيق ، وبذلك أصبحت بلبيس قاعدة لقسم بلبيس وفي سنة ١٨٧١م سمي مركز بلبيس . وينسب الى محافظة الشرقية كثير من العلماء والفقهاء قديما وحديثا ، ومن أشهر المحدثين الشيخ عبد الله الشرقاوى . ورد في الجبرتى أنه ولد سنة ١١٥٠ (القرن الثامن عشر الميلادى) ، في قرية (الطويلة) من اقليم الشرقية (تتبع مركز فاقوس الآن) ولذا لقب بالشرقاوى ، وقد أظهر من الكفاية والنبوغ ما أهله لتولى منصب مشيخة الأزهر سنة ١١٠٨هـ وكانت له مواقف مذكورة مشكورة ضد الظلم في العصر العثمانى كما كانت له مواقف خالدة مع الحملة الفرنسية .

ومن أبناء محافظة الشرقية الذين تفخر بأثارهم العلمية مصر الحديثة ، محمود الفلكى الذى ولد ببلدة الشبانات بالشرقية سنة ١٨١٥م ومن أهم مصنفاته التقويم العربى الذى وضعه سنة ١٨٤٦ وطبع بمطبعة بولاق ، ووضع رسالة في المكايل والمقاييس المصرية . ومن آثاره العلمية الجليلة أن وضع مدفع الظهر في خط الزوال بالقلعة ، وتوفى سنة ١٨٨٥م

(١) معجم البلدان ج٦ ص ١٦٢ ، المقدسى ص ١٩٦ .

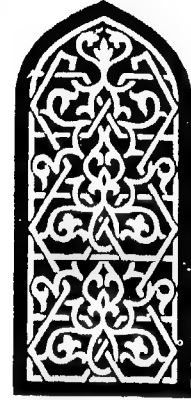
(٢) المقرئى ج١ ص ٢٩٦ .

بالقاهرة . ومن أبناء الشرقية الأبطال أحمد عرابي الذي ولد سنة ١٨٤١م بقرية (هرية رزنة) من أعمال مركز الزقازيق . تلقى علومه بالأزهر ، ثم انقطع عنه وبقي في قريته يرثل القرآن ، ثم التحق بالخدمة العسكرية ، وتزعم حركات الجيش ضد الخديوى توفيق ، ثم قاد الجيش ضد الغزو البريطانى سنة ١٨٨٢م ونفى عرابي ورفاقه الى جزيرة سيلان ، حيث قضى نحو ١٩ سنة حتى صدر العفو عنه سنة ١٩٠١ ، وتوفى سنة ١٩١١ . وقد وضع قبل وفاته مذكرات عن الثورة العرابية سماها (كشف الستار عن سر الأسرار) ضمنها وقائعه الحربية ومشكلات السياسة في أيامه . ومن أبناء الشرقية النابهيين الذين كان لهم قصب السبق في ميدان المال والاقتصاد طلعت حرب الذي ولد في (ميت أبو على) من قرى الزقازيق ، وتخرج في كلية الحقوق سنة ١٨٨٩م واشتغل في قلم قضايا الدائرة السننية مترجما ، وأخذ يترقى في قلم القضايا حتى ظهرت طلائع الأزمة الاقتصادية سنة ١٩٠٦ ، فأسس سنة ١٩٠٨ شركة مالية مصرية بحتة هي شركة التعاون المالى وفي ٧مايو سنة ١٩٢٠ افتتح بنك مصر ، وسار البنك منذ هذا التاريخ سريان الشريان في الجسد بفضل روح طلعت الوثابة وازره تشجيع المصريين .

وصف المسجد

مسجد السادات :

ومن الآثار الباقية بمدينة بليس مسجد السادات الذى أنشأه الأمير مصطفى الكاشف ١٠٠٢هـ ، وهو ثانى المساجد من حيث الأهمية . وقد تهدمت معظم أجزائه ولم يبق منه الا المئذنة ، التى ثبت على بابها لوح من الرخام طوله ٥٧ سم ٥٥ سم نصه « أنشأ هذا المنار المبارك الجنب العالى الأمير مصطفى الكاشف بالشرقية في شعبان المكرم من شهور سنة ١٠٠٢هـ » .



جامع الملكة صفية

بحى الحبانية بشارع محمد على

(القلعة حاليًا) (١١٠١هـ / ١٦٠٢م)

يعتبر حى الحبانية الذى يقع فيه الجامع من الاحياء التى تقع ظاهر القاهرة المعزية من الجهة الجنوبية ، وقد جاء ذكرها فى ظواهر^(١) القاهرة ، فقال المقرئى ، فمازالت الدولة الفاطمية ، هدم صلاح الدين الأيووبى حارة المنصورة التى كانت سكن العبيد خارج باب زويلة ، وعملها بستانا ، فصار ما خرج عن باب زويلة بساتين الى المشهد النفيس . وبجانب تلك البساتين طريق يسلك منها الى القلعة التى أنشأها السلطان صلاح الدين . ويضيف المقرئى فيقول ثم حدثت العمائر التى هى الآن خارج باب زويلة بعد سنة سبعمائة ، وصار خارج باب زويلة الآن (اى عهد المقرئى فى القرن (١٥ م) ثلاثة شوارع أحدها ذات اليمين والآخر ذات الشمال ، والشوارع الثالث تجاه باب زويلة وهذه الشوارع الثلاثة تشتمل على عدة أخطاط .

والذى يعنينا من هذه الشوارع هو الذى يقع الى اليمين من باب زويلة حيث يوجد شارع مسلوكة ينتهى الى خليج أمير المؤمنين حيث قنطرة الخرق ، وينتهى به فى الطول من باب زويلة الى خط الجامع الطولونى ، وجميع ما فى هذا الطول والعرض بساتين حلت محل حارة المنصورة ، كما سلف القول . ومن بين الأحياء والحارات التى تقع فى هذه الجهة اليمنى خط قنطرة الخرق وخط شق الثعبان وخط قنطرة آق سنقر وخط الحبانية وخط بركة الفيل وغيره .

ويبدو ان بساتين حارة الحبانية كانت تدر ربحا كبيرا حتى ان صلاح الدين الأيووبى ، عندما حول دار سعيد السعداء الى خانقاه ، عرفت بدويرة الصوفية ، وأوقف على

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١١٠ .

ساكنيها من ضمن ما أوقف بستان الحبانية بجوار بركة الفيل^(١) .
أما عن إطلاق اسم الحبانية على الحارة والبستان ، هم بطن من درما ابن عمرو
ابن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن عمرو بن الغوث بن طى . فدرما فخذ من طى
والحبانيون بطن من درما^(٢) .

أما عن الشوارع التى تحيط بجامع الملكة صفية الآن ، فمن جهته الشرقية يوجد
شارع مختار باشا ومن الغرب شارع عصفور ومن الشمال شارع الداودية ومن الجنوب
شارع محمد على (القلعة حاليا^(٣))

أما عن ترجمة الملكة صفية التى أطلق اسمها على الجامع ، فقد ناقشت السيدة
هدايت^(٤) جميع الآراء المتضاربة التى وردت فى المصادر التركية^(٥) والمراجع الأوروبية^(٦)
وانتهت فى ذلك الى رأى مقبول معقول .

فتقول بعض الروايات أنها سليلة عائلة بافو (Bafo) بالبندقية وان والدها كان حاكما
على جزيرة كورفو (Corfu) ، وانها اختطفت عند خروجها فى رحلة بحرية وهى فى الثالثة
عشرة من عمرها ، وأن القراصنة باعوها فى القسطنطينية ، حيث ألحقت بالقصور السلطانية .
وقد كانت صفية على قدر كبير من الجمال ، فكان طبيعيا ان تكون موضع اهتمام أمراء
القصور فقد عمل جمالها على قربها من الأمير مراد بن السلطان سليم الثانى تسراها قبل توليه
السلطنة وكان إذ ذاك فى السادسة عشرة من عمره ، وكان حاكما لمقاطعة صاروخان . وبمخيم
مدينة منسه (Manisa) انجبت صفية الأمير محمد الذى تولى السلطنة باسم محمد الثالث
(٩٧٤هـ / ١٥٦٧م)

وعندما اعتلى السلطان مراد الثالث العرش بعد وفاة والده السلطان سليم الثانى ،
أصبحت الملكة صفية تحتل الميكانة الثانية بين حريم قصر السلطان فقد كانت الملكة صفية
(خاصكى) للسلطان بعد والدته (نوربانو) التى كانت تحتل المركز الأول (كوالدة
السلطان) ، فلما توفيت حلت صفية محلها .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤١٥

(٢) الخطط ج ٢ ص ١٣٣

(٣) من يريد معرفة تفاصيل دقيقة عن موقع جامع الملكة صفية ، كما جاءت فى حجج الاوقاف والحبوس التى حبست عليه
فليرجع الى (هدايت تيمور : جامع الملكة صفية رسالة ماجستير مخطوطة كلية الآثار بجامعة القاهرة ١٩٧٧)

(٤) جامع الملكة صفية ص ١٢٠

(٥) . Ata, Taygar — Zade Ahmed : Taxi Data vol. (5).

(٦) .Hammer : Histoire de In. T. Vii P.P. 9 — 16

وقد امتازت الملكة صفية بذكاء مفرط وسرعة بديهة ، وقد تمتعت بنفوذ كبير خاصه بعد وفاة والده السلطان مراد الثالث . وقد انجبت العديد من الأبناء ، اكبرهم السلطان محمد الثالث ثم عائشة التى تزوجت من ابراهيم باشا وفاطمة التى تزوجت من خليل باشا . وفى عهد ابنها السلطان محمد الثالث ، رفعت الملكة صفية دعوى فى مصر ضد الناظر على أوقاف المرحوم عثمان أغا دار السعادة . ومضمون هذه الدعوى ، ان عثمان أغا هو عبد مملوك موكلته المشار اليها (الملكة صفية) وأنه ليس مأذونا ببناء الجامع ولا بحبس الحبوس عليه . وان القائم بالدعوى نيابة عن الملكة صفية يريد ضبط الجامع لموكلته كسائر أمواله حيث أنه مملوكها ، وأبرز فتوى من شيخ الاسلام بأن الأوقاف المذكورة غير شرعية . وبعد حلف الملكة اليمين الشرعى ، حكم القاضى بأن الجامع والقرية وجميع الأصقاع هى ملك لها ووقفها باطل ، وكان ذلك سنة ١٠١١هـ .



الوصف المعماري

يتكون جامع الملكة صفية ، الذى يوجد بحى الداودية والذى يصل اليه من سكة الملكة صفية المتفرعة من شارع القلعة ، من مستطيل يبلغ طوله (٥٠) مترا وعرضه (٣٠) مترا تقريبا . ممتد من الشرق الى الغرب .

وينقسم هذا المستطيل بدوره الى مربعين ، أحدهما فى الجهة الغربية والثانى فى الجهة الشرقية . ويتكون المربع الغربى من صحن مربع مكشوف تحيط به أروقة من جميع الجهات . وقد قسم كل رواق الى خمس مربعات غطى أربعة منها بقباب ضحلة ، أما المربع الخامس وهو الأوسط منها فيشغل ثلاثة منها مداخل الجامع الخارجية الثلاثة ، أما المربع الرابع فيؤدى الى مكان الصلاة . وقد غطيت تلك المربعات الأربعة بأقباء متقاطعة وجامع الملكة صفية من المساجد المعلقة ، اذ أنه يصعد اليه من مداخله الثلاثة بشمانى عشرة درجة مستديرة بديعة التشكيل

ويشغل المربع الشرقى الذى تبلغ مساحته (٢٠م × ١٨م) مكان الصلاة ، يصل بينه وبين حرم المسجد ثلاثة مداخل فى الضلع المشترك بينهما . وفى صدر الضلع الشرقى من مكان الصلاة يوجد محراب المسجد وهو مجوف يبلغ عرضه (٢,٣٠م) وعمقه (١,١٥م) وارتفاعه (٣,٧٥م) ، يحيط به مستطيل يعلوه عقد مدبب مكون من صنجات من الأبلق . ويكتنف المستطيل عمودان من الرخام .

أما تجويف المحراب فقد كسى بالفسيفساء الرخامية بينما زخرف كوشتى عقد المحراب ببلاطات من القاشانى العثمانى . ويوجد على جانبي المحراب فى الضلع الشرقى من بيت الصلاة نافذتان فى الطابق الأول يعلوهما نافذتان معقودتان ومغشاة بالزجاج المعشق . كما يشغل الضلعين الشمالى والجنوبى ، صفان من النوافذ كذلك ، فى كل صف نافذتان ، السفلى منها مملوءة بالمصبغات النحاسية والعلوية منها مملوءة بالزجاج المعشق وبجوار المحراب من جهته اليمنى يوجد المنبر الرخامى . الذى يقوم على قاعدة مستطيلة الشكل يحيط بها حجاب من زخرفة رخامية ويكتنف باب المنبر عمودان مندمجان . ويتوجه من أعلى صف من الدلايات تعلوه شرفات مزخرفة برسوم نباتية محفورة . اما

ريشتا المنبر فقد زخرفنا برسوم مفرغة في الرخام قوامها زخارف هندسية ، هذا فضلا عن زخارف الباروك والركوكو التي انتشرت في العصر العثماني .

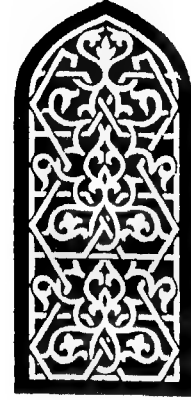
ويحيط بجلسة الخطيب من أعلى أربعة اعمدة رخامية يعلوها عقود مدببة وفوقها لوحة نحاسية كتب عليها بالخط النسخي الجميل : « بسم الله الرحمن الرحيم ، انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »

وتعتبر قبة جامع الملكة صفية التي تغطي مكان الصلاة ، من أندر القباب في مساجد العصر العثماني في مصر . وهي تتكون من قبة كبيرة كثيرة الارتفاع (١٧,٦٠ م) تقوم على قاعدة سداسية وترتكز على ستة أعمده جرائنيه تعلوها عقود مدببة . ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة (٥,١٥ م) وتنتهى بتيجان كورنيشيه .

وقد نجح المعمار الى درجة كبيرة في تغطية بقية مكان الصلاة ، فقد استطاع التغلب على تغطية الأجزاء المتبقية من القبة الكبرى ، وذلك بإحاطتها بقباب صغيرة في مساحات غير منتظمة الشكل

وتشغل مئذنة الجامع منتصف الضلع الجنوبي في الجزء الفاصل بين مكان الصلاة والحرم . وهي تتكون من طابقين يبلغ ارتفاعهما (٣٣ م) ، يتكون الطابق الأول منهما الذى يقوم على قاعدة مربعة من شكل اسطوانى تتخلله حنيات ذات حافات مشطوفة . ويفصل بين الطابقين شرفة تقوم على خمس حطات من الدلايات والمقرنصات .

أما الطابق الثانى فهو اسطوانى الشكل كذلك وتتخلله حنيات مشطوفة ، ويعلوه شكل مخروطى يشبه المسلة أو القلم الرصاص . ثم تنتهى المئذنة بحلية نحاسية



المسجد اليوسفي

بملوى (١٠٢٧هـ / ١٦١٨م)

ملوى هي قاعدة مركز ملوى بمحافظة أسيوط وهي من القرى القديمة ذكرها أُمَليْنو في جغرافيته باسم (Manlaou) ومعناها موضع الاشياء . وقد ضبطها ابن بطوطة في رحلته (مَتلَوِي) ، وجاء في قوانين الدواوين لابن مماتى (ملوى) . ويقول الزبيدي في تاج العروس ، ويسميتها العامة (مَلَوَه) . ويقول محمد^(١) رمزى انها جاءت في تاريخ ١٢٣٠هـ (ملوى العريش) وفي ١٢٦٠هـ ذكرت باسمها الحالى

ويصف على^(٢) مبارك موقعها الجغرافى فيقول ، ملوى مدينة قديمة بالصعيد الأوسط في غربى النيل بنحو ساعة ، وفي شمال منفلوط بنحو ست ساعات وجنوب منية ابن الخطيب كذلك . وان اسمها الاغريقى القديم (هرمبولينا فيلاس) .

وقد أدى تحول النيل عنها الى انتقال التجارة الى المنية ، ومع ذلك فهى ما تزال مدينة كبيرة معمورة ، يبلغ محيطها (زمن على مبارك) (٢٥٠٠) متر غير التلال القرية التى يبلغ ارتفاع بعضها الى (١٥) مترا .

ويحدثنا المقرئى^(٣) عن تاريخ ملوى فى العصور الوسطى فيقول ، مدينة ملوى بالجانب الغربى من النيل وأرضها معروفة بزراعة السكر ، وكان بها عدة أحجار لاعتصاره . وآخر من كان بها فى القرن الثامن الهجرى من البيوت الكبيرة أولاد فضيل الذين بلغت زراعتهم فى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ألفا وخمسمائة فدان من القصب فى كل سنة . فلما علم بذلك (النشو) ناظر الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، حقد عليهم

(١) القاموس الجغرافى ج٤ ص ٦٨

(٢) الخطط التوفيقية ج٥ ص ٧٠

(٣) الخطط والآثار ج١ ص ٢٠٤

فأوقع الحوطة على كل موجوداتهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، فوجد من جملة مالهم أربعة عشر ألف قنطار من القند حملها الى دار القند بمصر ، سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار . فلما أفرج عنهم وجدوا لهم حاصلا لم يهتد اليه النشو ، فيه عشرة آلاف قنطار قند سوى مالهم من عبيد وغلل وغير ذلك .

أما عن التقسيم الادارى (ملوى) في العصر العثماني ، فيقول محمد رمزي ، ان ملوى كانت إحدى قرى ولاية الأشمونين ، فلما عين محمد باشا النشائجي واليا على مصر (١١٣٢هـ / ١٧٢٠م) ، وكان واليا مفكرا نشطا ، لاحظ ان مدينة الأشمونين قاعدة الولاية ، بعيدة عن النيل ، وهو كما نعلم طريق المواصلات بين القاهرة وبلاد الصعيد ، لذلك اصدر أمرا بنقل ديوان الولاية من الأشمونين الى ملوى لوقوعها على النيل ، وبذلك أصبحت قاعدة لولاية الأشمونين ، مع بقاء الولاية باسم الأشمونين .

وبعد مضي قرن من الزمان أبطل الوالى اسم الأشمونين ١٢٤٧هـ وسماها مأمورية أسيوط ، وأصبحت ملوى قاعدة لقسم ملوى ، ثم أصبحت مركز ملوى من أول ١٨٩٠م وجاء في نزهة الناظرين عن تاريخ ملوى في العصر الحديث ، أن أمير اللواء محمد بك حاكم جرجا قتل خنقا في سجن هذه المدينة في عهد الوزير غازي محمد بك ابن شاسوار المتولى وزارة مصر ١٠٦٧هـ . وبعد قتله حزت رأسه ورجع بها الوزير الى مصر ، وقيل إن السبب في قتله هو عصيانه وقيامه بالفتن هو وعصابته واشياعه .

وكانت ملوى مدينة تجارية هامة في الصعيد ولها سوقان مكتظان بالحوانيت المشحونة بالبضائع اللازمة لها ولأهل البلاد المجاورة ، وذلك من ثياب القطن والحرير والجوخ وأنواع العطارة والعقاقير والنحاس وغير ذلك . كما يوجد بها كثير من الخانات والفنادق لإيواء الوافدين عليها للتجارة أو الزيارة أو كليهما

وصف المسجد

١ - المسجد اليوسفى :

مسجد مربع الشكل يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، ويتكون من أربعة صفوف من البوائك بكل منها ثمانية أعمدة تحمل عقوداً مدببة من نوع العقود التى ظهرت فى أواخر العصر الفاطمى والتى عرفت باسم العقود الفارسية . وبايوان القبلة يوجد المحراب والمنبر ودكة المبلغ . وتوجد أمام المحراب قبة تشبه القباب الفاطمية . ويمتاز المنبر بأن جوانبه من الخشب الخروط كما تعلوه خوذة جميلة وقد كتب على لوحة على باب المنبر بخط ردىء النص الآتى :

(١) تاريخ هذا المنبر المبارك .

(٢) يوم الأحد المبارك سادس .

(٣) عشر من شهر رمضان العظيم .

(٤) قدره الذى (هو) من شهور سنة .

(٥) سبع وعشرين والـف من

(٦) الهجرة .

ويوجد بالرواق القبلى صفان من البوائك بكل منها ثلاثة أعمدة تحمل أربعة عقود تشبه عقود رواق القبلة . أما الرواق الغربى فيحتوى على صفين من البوائك ، ويتكون الصف الأول المثل على صحن المسجد من ثمانية أعمدة والصف الثانى من ستة أعمدة . وبالجهة الشمالية من هذا الرواق توجد قاعدة المئذنة وبابها . اما الرواق الشمالى فيحتوى على صفين من البوائك بكل منهما ثلاثة أعمدة .

ومما هو جدير بالملاحظة ان الأعمدة الكثير التى يزخر بها المسجد والتى يبلغ عددها ٥٨ عموداً مختلفة التيجان فبعضها يونى والبعض كورنثى والبعض قبطى مما يدل على أنها جمعت من الآثار القديمة المتخربة المنتشرة بكثرة فى المنطقة .

ويوجد مدخل المسجد الرئيسى بالجهة الشمالية كما يوجد مدخل فى الجهة الجنوبية ،

يجاوره مدخل ثالث صغير ، يوصل الى الميضأة ودورة المياه المنشأة حديثا . كما فتح أحد نوافذ الواجهة الغربية وحول الى باب لدخول السيدات . وقد فتح في جدران المسجد نوافذ كبيرة تعلوها أخرى صغيرة ، وقد أقفل الكثير منها الآن بالآجر وحول جزء منها الى دواليب حائطية حديثة .

كما نلاحظ في العقود التي تحيط بصحن المسجد انه تتخللها فتحات متعددة الاشكال بعضها مستديرة والبعض على شكل نجمة ذات ستة رؤوس ، وقد كان هذا الأسلوب سائدا في العمارات الفاطمية ، كما سنراها في مسجد العسقلاني . أما مثذنة المسجد فتتكون من دورتين وهي تشبه طراز المآذن السائد في صعيد مصر .

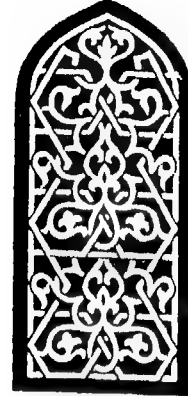
وقد جاء في الخطط التوفيقية ان هذا المسجد بنى مكان كنيسة بعد أن دخل بعض القسس في الديانة الاسلامية قبل دخول الحملة الفرنسية بأربع عشرة سنة .



مسجد الأمير حماد

بميت غمر بمحافظة الدقهلية

(١٠٢٤ هـ)

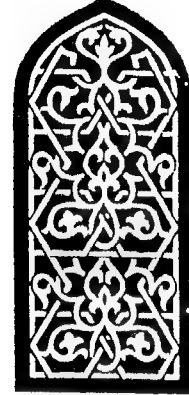


ميت غمر قرية قديمة اسمها الأصل منية غمر ، وردت في نزهة المشتاق منية غمر قرية لها سوق ومتاجر ودخل وخرج قائم . ووردت في السنية ، منيتا غمر وحماد من أعمال الشرقية ، ويقول محمد رمزي ، ان منية حماد التي ذكرت مع منية غمر فقد اشتركت معها بسبب اشتراكهما في السكن والزمام ، وفي الروك الناصري ألغيت منية حماد وأضيفت إلى زمام منية غمر ، وفي العصر العثماني حرفت منية الى ميت ، فأصبحت ميت غمر .

الوصف المعماري

مسجد الأمير حماد :

يشبه هذا المسجد في تخطيطه المدارس المتعامدة التي ترجع الى العصر المملوكي . ويتكون المسجد من صحن تحيط به أربعة إيوانات متعامدة ، مغطاة بسقوف خشبية مزخرف بنقوش مدهونة متعددة الألوان ومذهبة . وبالمسجد منبر خشبي دقيق الصنع وقد سجل عليه تاريخ انشاء المسجد وهو سنة ١٠٢٤ هـ . ومسجد الأمير حماد من المساجد المعلقة ، لأنه يرتفع عن سطح الأرض ، وهو لهذا يعد من المساجد النادرة في المنطقة التي يصعد إليها بعدة درجات . وللمسجد منئذنة مبنية من الطوب وتتكون من دورتين ، وقد كتب على واجهتها الشمالية ، اسم الصنائع الذين قاموا بعملها وهو شيء نادر في العصر الاسلامي - وكذا اسم المشيئة : عمل الحاج والمعلم - بإذن الأمير على . وقد انمحت اسماء الصنائع . وتحتوى المنارة كذلك على لوحة أخرى من الجص كتب عليها ما يأتي : بسم الله الرحمن الرحيم انشأ هذا المنار الأمير قنديل في شهر رجب سنة ١٠٩٨ هـ .



مسجد آلتى بارمق

بالداودية.

(١٠٣٣هـ / ١٦٢٧م)

كان آلتى بارمق يشغل وظيفة خطيب وامام جامع الملكة صفية كما جاء في وقفيات الجامع . ويحدثنا الرحالة أوليا^(١) جلبي عن تاريخ حياة آلتى بارمق فيقول : هو الشيخ محمد بن محمد الشهير بآلتى بارمق من أهالى مدينة (أسكوب) ، وهى جنة من جنات الله . وقد كان الشيخ محمد يلقب أيضا بلقب (جاقير قوجور زاده)

ويضيف أوليا جلبي فيحدثنا كيف التقى بالشيخ محمد فى تركيا فيقول : وعندما كنت (أى أوليا جلبي) قادما من البوسنة^(٢) بصحبة الوزير ملك أحمد باشا ، مررنا على مدينة (أسكوب) . وهناك دلى الوزير على منزل آلتى برمق افندى حيث نزلنا عليه ضيوفا وأقمنا عنده لمدة يومين . وخلال إقامتنا عنده التقينا بالكثير من أقاربه كما تحدثنا فى موضوعات كثيرة ومتنوعة . ويستطرد أوليا جلبي فى حديثه فيقول : وقد أسعدنى الحظ مرة أخرى فالتقيت به فى مصر التى انتقل إليها ليقوم بمهمته العلمية والدينية الجليلة فى جامع الملكة صفية .

وكان آلتى بارمق من أهل العلم والمعرفة فقد كان يجيد العربية كما يجيد التركية ، كما كان متفقهًا فى العلوم الدينية مما جعل رجال الدين فى تركيا يختارونه لتولى وظيفة الدرس والخطابة فى مسجد الملكة صفية . وقد ألف وصنف فى كثير من علوم الدين والفقه الاسلامى لعل أهمها كتابه عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والذى يعرف باسم (سيرنبى) . . وكان آلتى بارمق حنفى المذهب حتى ان معاصريه كانوا يشبهونه بالامام

(١) سياحة نامه ص ٥٧٢ (المترجم)

(٢) البوسنة تقع فى أعلى غرب شبه جزيرة البلقان

الاعظم أبى حنيفة النعمان ، فقد كان المذهب الحنفى ، هو مذهب الدولة العثمانية الرسمى فى تركيا وفى الولايات التابعة لها .

ويتكلم أوليا جلى عن علم وفضل آلتى بارمق فيقول : كان شخصا عزيزا فهو بحق النعمان الثانى (اى ابو حنيفة الثانى) ، وكان بحرا فى العلوم والمعارف يغوص فى بحارها ومحيطاتها . كما كان متمكنا من علوم شتى ، بل انه كان راعى روضة العلوم عذب البيان طليق اللسان .

وقد توفى آلتى بارمق سنه ١٠٣٣هـ ودفن أمام قبلة المسجد المعروف باسمه موضوع البحث

الوصف المعماري

والجامع مستطيل الشكل ، واجهته الرئيسية توجد فى الضلع الشمالى له ، حيث توجد فى نهايتها الغربية المدخل الرئيسى للجامع . وهو من المساجد المعلقة يصعد اليه بمجموعة من الدرجات يبلغ عددها ستة . وقد استفاد المعمار من تعليق المسجد بأن بنى فى الطابق الأرضى مجموعة من الحوانيت تبلغ ستة ، جعل ريعها يصرف منه على الجامع . ويشمل الواجهة الرئيسية صفان من النوافذ والفتحات يفصل بينهما اكتاف يبلغ عددها خمسة . ونوافذ الصف الأسفل منها مستطيلة تعلوها عتب فوقه عقد عاتق . وقد ملئت النوافذ بمصبغات حديدية . ونلاحظ ان كل نافذة تعلو حانوتا من حوانيت الجامع الستة .

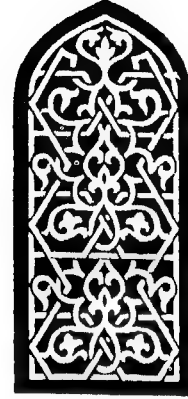
أما فتحات الصف العلوى فتتكون من فتحتين معقودتين تعلوهما دائرة وهى التى تعرف بالفتحات (القنديلية) . وقد ملئت هذه الفتحات بالزجاج المعشق المتعدد الألوان . وفى النهاية الغربية للواجهة الرئيسية يوجد المدخل الرئيسى للجامع ، وهو كثير العمق وكثير الارتفاع . وقد استغل المعمار عمق المدخل بمكسلتين على جانبيه لجلوس الحارس . ويعلو المدخل عقد ذو ثلاثة فصوص ، ثم تأتى بعده شرفة تعتمد على (كوابيل) حجرية كانت تخص مبانى أخرى تابعة للجامع زال معظمها الآن .

ويؤدى باب المدخل الرئيسى الى قالب من الدرجات عددها ستة تؤدى الى مربعة الشكل تغطيها أقباء متقاطعة. وبالضلع الشرقى لها باب يؤدى الى المسجد. ولا يوجد للمسجد صحن بل تشغل مساحته كلها خمس صفوف من البوائك تقسمه الى ست أروقة موازية لحائط القبلة. وتتكون البوائك من أعمدة رخامية تعلوها عقود مدببة. وفى ذلك يقول أوليا جلبي : وللجامع باب واحد، وليس له حرم (أى صحن) وهو قائم على أعمدة .

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يكتنفه عمودان من الرخام تيجانهما على شكل الرمانة. وقد غشى تجويف المحراب ودائرة عقدة وتواشيح العقد وكذلك الجدران التى على جانبيه بمجموعة رائعة من البلاطات الخزفية المتعددة الرسوم والاشكال التى روعى فيها ان تناسب المكان التى تغشاها ، مما يدعو الى الظن انها صنعت خصيصا لهذا المسجد ، حيث ان لكل مسجد مقاييس خاصة به . كما أن اسلوب البلاطات الخزفية وطرازها الزخرفى يدل على انها من صناعة مدينة (ازنيك) فى القرن السابع عشر .

ويعلو البلاطات الخزفية ويحيط بالجامع كله ازار خشبى قسم الى بحور كتب فيها آيات قرآنية كما احتوت على تاريخ انشاء المسجد . وغطى سقف الجامع بالخشب المزخرف بالرسوم النباتية من زهور وورود داخل وحدات هندسية بالتذهيب والزيت المتعدد الألوان . وتقوم أمام المحراب قبة كبيرة يشغل مربعها ثلاثة أروقة . ويشغل منطقة الانتقال مثلثات مفصصة على غرار القبة الفدوية ، ثم تأتى بعدها رقبة القبة . وقد فتح فى رقبة القبة ست عشرة فتحة معقودة ومملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان . وتقوم على الرقبة قبة مدببة منبعجة يعلوها هلال نحاسى .

وفى الركن الشمالى الشرقى من الجامع توجد المئذنة . وهى تتكون من طابقين يقومان على قاعدة مربعة تبدأ من سطح المسجد . ويتكون الطابق الاول من اسطوانة مشمعة الاضلاع اما الطابق الثانى فيتكون من شكل اسطوانى أصغر فى قطره وارتفاعه من الطابق الاول . ويفصل بين الطابقين شرفة خشبية تقوم على خمس حطات من المقرنصات والدلايات . ويعلو الطابق الثانى شكل مخروطى على طراز المآذن العثمانية :



مسجد يوسف الحين

بشارع الحين بميدان باب الخلق

(١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م)

يقع هذا المسجد بشارع الحين بميدان باب الخلق عن يمين الزاوية في شارع محمد علي الجديد إلى القلعة ، مشرف على الخليج من غربيه . أنشأه الأمير يوسف الشهير بالحين (في القرن التاسع^(١)) والحقيقة أنه في القرن الحادي عشر . ولما مات الأمير يوسف دفن به وهو مقام الشعائر من الجمعة والجماعة والأذان . وله أوقاف كثيرة منها ربع تحت يد ناظره مصطفى الحين . ويتبعه صهريج يملأ كل سنة وبأعلى الصهاريج مكتب .

وقد كان يوسف الحين عين أعيان أمراء الجراكسة بمصر المحروسة ، وكاشف البحيرة والبهنساوية وناظر السحابة (محفة يحمل عليها العجزة من الفقراء صحة الحاج المصري) الشريفة الكبرى سابقا . وقد أوقف وحبس وتصدق بجميع الجامع المسجد الإنشاء والعمارة المعروف بإنشائه وعمارته ، بالقرب من جامع بطيخة وهو مسجد تقام فيه الجمعة والجماعة ، ويلاصقه صهريج ومكتب للأيتام^(٢) .

(١) الخطط التوفيقية ج٢ ص ١٠٢

(٢) حجة الوقف عن مساجد مصر لحسن عبد الوهاب ص ٣١٣

الوصف المعماري

هو عبارة عن مجموعة من المنشآت أساسها المدرسة وملحق بها سبيل يعلوه كتاب ، ومن ثم فانه يوجد للمبنى ثلاث واجهات ، الغربية التي تطل على الخليج المصرى (شارع بورسعيد حاليا) والواجهة الشمالية حيث يوجد السبيل ثم الواجهة الشرقية . ولكل واجهة من هذه الواجهات الثلاث لها باب مدخل منه . أما المدخل الرئيسى للمدرسة فيوجد فى الواجهة الشرقية فى ركنها الشمالى .

وتعتبر مدرسة الحين من المباني المعلقة اذ يصعد اليها ببضع درجات ويوجد المدخل الرئيسى فى الركن الشمالى الشرقى يعلوه عقد ذو ثلاث فصوص ملئت بمقرنصات ودلايات فى شكل زخرفى جميل .

وقد زخرف جانبي المدخل بالرخام المتعدد الألوان . ويؤدى باب المدخل الى دركاة مربعة الشكل يتصدرها جلسة للمقرئ ولخدم المدرسة ، ويعلوها قبة ضحلة ملئت بمقرنصات مجمعة فى شكل مثلثات . وتؤدى الدركاة الى طرقة مستطيلة سقفها من الخشب المزخرف برسوم زيتية متعددة الألوان ، كما يحتوى على دوائر كتب فيها « قل كل يعمل على شاكلته »

وتنتهى الطرقة الى صحن المدرسة ، وهو مربع الشكل تحيط به الايوانات من جهاته الأربع . واكبر الايوانات هو ايوان القبلة الذى يقع فى الجهة الشرقية للمدرسة . ويليه من حيث المساحة الإيوان الغربى ، وقد تعمد المعمار الخروج بواجهته عن سمت الجدار الغربى حتى يضيف للمدرسة منظرا جميلا ببرز هذا الايوان الذى يطل على الخليج . ومن ثم ينتفع به كذلك للتهويه . وبهذا الايوان توجد دكة المبلغ

أما الإيوانات الشمالى والجنوبى فهما صغيران ومتساويان . ويتقدم الايوانات جميعها بعقود تطل على صحن المدرسة بعقود مدببة ممتدة ومزخرفة بطريقة الأبلق كما زخرف صحن المدرسة بالرخام الملون فى تكوينات هندسية بديعة .

وقد غطيت أسقف الايوانات بالخشب البرطوم والمربوعات المزخرفة بالنقوش الزيتية

الجميلة والمذهبة . وقد كتب على الإزار الذى يعلو جدار ايوان القبلة آيات من سورة الفتح كما يتصدر الايوان محراب مجوف زخرف برسوم زيتية تشبه الرخام والى جانب المحراب يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمعّة من نوع (المعقل) . ويحتوى الايوان الشرقى على صفين من النوافذ السفلى منها يعلوها عتب فوقه عقد عاتق وملئت بمصبغات حديدية . اما الصف العلوى من النوافذ فيتكون من نوافذ قنديلية ملئت من الداخل بزخارف جصية معشقة بزجاج متعدد الألوان .

اما مئذنة المدرسة فتقع بين المدخل الرئيسى وبين ايوان القبلة . ولها باب يؤدى الى سلمها الحلزونى يوصل الى حجرة فوق طرقة المدخل وتشرف على صحن المدرسة ثم الى دكة فوق الايوان الشمالى والى نافذة بالواجهة الغربية ، كما توصل الى سطح المدرسة .

وبرغم ان المدرسة مملوكية الطراز فى كل تفاصيلها رغم رجوعها الى القرن الحادى عشر للهجرة ، الا ان المئذنة عثمانية الاسلوب ، فهى تتكون من طابقين اسطوانيين مضلعين ، وتقوم المئذنة على قاعدة مربعة ويفصل بين الطابقين شرفة مبنية من حجر مجرم برسوم بديعة وتقوم على ثلاث حطات من المقرنصات البديعة وتنتهى بشكل مخروطى وفى الجزء الجنوبى من الواجهة الشرقية يوجد سبيل يعلوه كتاب ، اشتمل على ارضية رخامية دقيقة . وقد سجل على الازار الموجود بأعلى جدران السبيل تاريخ انشائه .

وقد انشأت ادارة حفظ الآثار العربيه بالواجهة الشمالية المطلّة على ميدان باب الخلق سبيلا يعلوه كتاب راعت فيه ان يكون عثمانى الطراز . وقد ثبتت على واجهته لوحة تذكارية تبين تاريخ التجديد هذا نصها : جددت لجنة حفظ الآثار العربية هذه الواجهة فى عهد الملك الصالح فاروق الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والى من الهجرة . »

مسجد البدرى

سنة (١١٠٦هـ/١٥٩٧م)

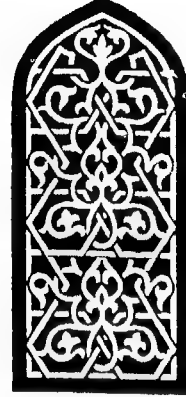
وزاوية الرضوانية

سنة ١٠٣٩هـ/١٦٢٩م

وضريح جمال الدين شيحة

سنة ١١٧٠هـ/١٦٥٩م

بدمياط بمحافظة دمياط



مدينة دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المعروف بفرع دمياط ، وبينها وبين مصب هذا الفرع في البحر الأبيض ١٥ كيلو مترا واسمها القبطى (Tamiat) ومنه اسمها العربى .

وكانت دمياط القديمة تقع الى الشمال من دمياط الحالية ونقلت الى مكانها الحالى منذ سنة ٦٣٣هـ . وهى من المحافظات القديمة التى تولى ادارتها محافظ باعتبار أنها من الثغور التى أنشئت سنة ١٨١٠م . وفى سنة ١٩٠٦ ألغيت محافظة دمياط وألغى مركز فارسكور وضمت بلاده الى دمياط وجعلت مركزا واحدا باسم مركز دمياط وقاعدته مدينة دمياط ، ولكن هذا التغيير لم يدم طويلا ففى سنة ١٩٠٩ أعيدت محافظة دمياط وجعلت فارسكور^(١) قاعدة له . وقد خضعت مدينة دمياط للحكم الاسلامى منذ فتح العرب مصر ، فقد ورد فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى : لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه عمير بن وهب الجمحى الى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلية وتبا وبوصير ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط .

ومنذ أن دخل العرب مصر ، أخذت بعض القبائل العربية تنزح إليها لاستيطانها وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص . وجاء البعض الآخر بعد ذلك وكانت لهم عدة اقطاعيات فى جميع الولايات والأعمال . فانتقلت بطون من قريش ، ومنهم قوم من نصر بن معاوية من هوزان ، وسكن حول دمياط وتنيس ، ونزل بنو نصر فى وسط الدلتا . ومنذ سنة ٦٤٢م بدأت دمياط تتعرف الى العرب المهاجرين إليها من شبه الجزيرة العربية ، والى المرابطين من رجال الجيش الفاتح ، كما بدأت بنائة المساجد بها (ولا يزال يوجد بدمياط اليوم مسجد قديم يسمى

(١) القاموس الجغرافى ج١ ص ٨ .

جامع فاتح ، يقال انه يرجع الى عهد عمرو بن العاص ، جدد عدة مرات فاندثرت معالمه الأثرية) . على أنه من الواضح ان العرب لم يجدوا في دمياط وتنيس وسائر جزر بحيرة المنزلة ما يرغبهم في الهجرة اليها في جموع كثيرة ، ولعل ذلك راجع الى اشتغال أهلها بالملاحة والصناعة وهى حرف تركها العرب لأربابها ، جريا على السياسة التى استنوها لانفسهم ، وهى ترك الحرف والصناعة والادارة في أيدي أهلها وأن يتولوا هم الاشراف والحرب ، ولذلك فقد ظلت أكثرية أهل دمياط حتى القرن العاشر الميلادى من القبط . وشملت كورة دمياط مثلثا شماليا يشطره فرع دمياط شطرين ويحده البحر الأبيض المتوسط من شماله وجانبه ، فكانت بذلك تشمل مساحة من محافظتى الدقهلية والغربية الحاليتين . وكان يدخل في زمامها من البلدان ، شطا وبورة البستان ، وفي شرقها كورة تنيس وحاضرتها مدينة تنيس ببيرة المنزلة والى غربها كورة البجوم وجنوبها كورة دقهلة ، وقد ظل هذا التقسيم الإدارى على حاله حتى أوائل العصر الفاطمى .

وقد لاقت مدينة دمياط الشيء الكثير من غارات الروم المدمرة المتوالية وكانت أولها سنة (٩٠ هـ) والثانية سنة ١٢١ هـ . ويصف المقرئى^(١) الغارة الأولى بقوله : وما زالت مدينة دمياط بين المسلمين الى أن نزل عليها الروم في سنة ٩٠ هـ فأسروا خالد بن كيسان (واليها من قبل الدولة الأموية) وكان على البحر هناك وسيره الى ملك الروم ، فانفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التى كانت بينه وبين الروم .

وعلى الرغم من فشل الدولة الرومانية في هذه الحملة ، الا ان أساطيلها عادت ثانية الى دمياط بعد نحو ثلاثين سنة في خلافة هشام بن عبد الملك وقد جاء في خطط المقرئى أن مراكب الروم كانت ثلاثمائة وستين مركبا وأنهم قتلوا وسبوا وذلك في سنة ١٢١ هـ . ويرجع السبب في هذه الغارات التى كانت تشنها الدولة الرومانية الشرقية بين الحين والحين الا أنها لم تنس منذ أن أخرجت من مصر ، أنها فقدت أكبر ولاياتها وأكثرها خيرا فظلت تتطلع الى استردادها ، فكانت محاولتها الأولى في القرن السابع الميلادى بعد الفتح ثم أغار أسطولهم مرتين على دمياط في القرن الثامن الميلادى . ثم عادوا فغاروا عليها ثلاث مرات في القرن التاسع ومرة أخرى في القرن العاشر ، وانتهت تلك الغارات كلها بالفشل . ولكنها أدت الى عناية الخلفاء وولاة مصر بتحسين الموانئ وتزويدها بالحاميات المراقبة .

وفي القرن التاسع الميلادى ، في عهد الدولة العباسية ، قسم الوجه البحرى الى ثلاثة أقاليم بدلا من الاقليمين الكبيرين (وهما الحوف والريف) ففصل من الحوف بعض الكور وأطلقوا

(١) المقرئى ج١ ص ٣٤٤ .

عليها اسم (الحوف الشرقى) وكذلك فصلت بعض الكور من شرق الريف وأطلقوا عليها اسم (الحوف الغربى) ثم ضم ما فصل من الحوف والريف وجعل منه اقليما ثالثا ، عرف باسم (بطن الريف) وكانت كورة دمياط جزءا من بطن الريف . ثم عادوا فقسما بطن الريف الى قسمين سمى الشرقى منهما باسم بطن الريف ، وأما الغربى فسمى (الجزيرة) وبقيت دمياط كما كانت جزءا من بطن الريف^(١) .

ولما تولت الدولة الفاطمية كان أول ما وجهت اليه عنايتها بعد استقرار الأمور ، هو وضع نظام جديد للضرائب ، وتحصيل ما تأخر منها . فقد جمع من دمياط وتينيس والاشمونين في يوم واحد من سنة ٩٧٣م أكثر من مائتين وعشرين ألف دينار ، وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل . وقد أدت حالة الهدوء والاستقرار التى نعت بها البلاد في العصر الفاطمى الى ازدهار الصناعة والتجارة ولا سيما في المدن العريقة كدمياط ومدن بحيرة المنزلة ، التى اشتهرت منذ أقدم العصور بصناعة المنسوجات الجميلة ، والتى أفرد لها كل من تكلم عن مصر من مؤرخى العصور الوسطى صفحات طوال يعدد فيها انواع منسوجات دمياط وخاماتها وطرزها . وأثمانها وما الى ذلك .

ذكر المقدسى^(٢) ، وأما الثياب الشطوية (شطا قرية بين دمياط وتينيس) فلا يمكن أن ينسج منها شيء الا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ، ولا تباع الا على يد سماسرة قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ، ثم تحمل الى من يطويها ، ثم الى من يشدها بالقشر ، ثم الى من يشدها بالسنت ، والى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ، وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند اقلاعها . ويتحدث ابن حوقل^(٣) عن دمياط وبحيرتها عام ٩٧٦م فيقول : ومن جليل مدن مصر تينيس ودمياط وهما مدينتان لا زرع فيهما ولا ضرع لأنهما جزيرتان في وجه النيل ، غربيهما وجنوبيهما وشرقيهما وشمالهما البحر ، وبهما يتخذ رفيع الديقى والشرب ، والمصبغات من الحلل السنينة التى ليس في جميع الأرض ما يدانيها في الحسن والقيمة ، وربما بلغ الثوب من ثيابهم مائتى دينار اذا كان فيه ذهب ومالا فيه يبلغ المائة دينار ، وأصلها من الكتان . كذلك وردت أسماء مدن وقرى كثيرة تابعة لناحية دمياط ، اشتهرت بصناعة المنسوجات ، مثل دبيق وتونة وميرة وغيرها من مدن جزائر بحيرة المنزلة . فيذكر الكندى^(٤) أنه كان يصنع هناك (بناحية دمياط) الكتان الديقى

(١) القاموس الجغرافى ج١ ص ٨ .

(٢) المقدسى ص ١٩٥ .

(٣) ابن حوقل ص ٢٣٧ .

(٤) الكندى ص ١٧ .

والمقصور والشفاف والأردية وأصناف المناديل الفاخرة للأبدان ، والأرجل والمخاد والفرش المقلم والطراز ويبلغ الثوب المقصور منها خمسمائة دينار وأقل وأكثر .
ولم تقتصر نهضة دمياط وكورها في العصر الفاطمي على الناحية الفنية والصناعية فحسب ، بل شملت كذلك الناحية الثقافية ، فقد كانت مساجد دمياط حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب ، الذين سجل بعضهم مشاهداته كما فعل شمس الدين المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) أو من القضاة مثل أحمد بن مطرف أبو الفتح العسقلاني الذي تولى القضاء في دمياط سنة ٤١٢ هـ . ومن أدباء دمياط في القرن الثاني عشر الميلادي ، أشهر شعراء الدولة الفاطمية : ابن قادوس الدمياطي ، والأنبا ميخائيل أسقف دمياط في سنة ١١٨٤ م وله عدة مؤلفات أخلاقية ودينية .

وقبيل نهاية الدولة الفاطمية ، بدأت دمياط فترة جديدة في تاريخها الاسلامي ، هي فترة الجهاد ضد الحروب الصليبية ، فقد تعرضت دمياط لغزو روجر ملك صقلية سنة ١١٥٥ م ، في عهد الخليفة الفاتر الفاطمي ووزيره ابن زريك ، ولم تمنع أسوار دمياط أو حصنها الذي بناه المتوكل من اقتحام روجر لها لضعف الحامية ، وعلى الرغم من ذلك فانه لم يستطع البقاء فيها طويلا وانسحب . وفي سنة ١١٧٠ م عاود الصليبيون الكرة مرة أخرى ، فقد أرسل امبراطور القسطنطينية أسطولاً لحصار دمياط تمهيدا لفتح مصر ، فاستنجد الخليفة العاضد ، (آخر خلفاء الفاطميين) بنور الدين زنكي ، فأرسل اليه جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه وابن اخيه صلاح الدين الأيوبي . ولما علم بذلك الفرنج وهم حول دمياط خشوا على أملاكهم التي استولى عليها على سواحل الشام ، من غزو نور الدين فاضطروا الى الرحيل عن دمياط بعد أن غرق لهم عدد من المراكب وتفشى بينهم المرض . ويروى المقرئ أن صلاح الدين انفق على صد هذه الحملة أكثر من نصف مليون دينار .

ولما استقل صلاح الدين بحكم مصر ، وكانت الأنباء قد وصلت باستعداد جديد للفرنجة لغزو دمياط ، أمر بتحصين قلعة تنيس وأسوارها ، وترميم سور دمياط وتزويد برجها بالمقاتلة . وفي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) سار صلاح الدين الى دمياط ليشرف بنفسه على اصلاح سورها وأبراجها وسلسلتها ، وقبل وفاته بعام واحد (٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م) أمر السلطان صلاح الدين باخلاء مدينة تنيس ونقل أهلها الى دمياط وقطع أشجار وبساتين دمياط وأخرج النساء منها ثم حفر خندقاً حول دمياط وأنشأ جسراً عند السلسلة لوصل البرج بها . وخلت تنيس الا من المقاتلة وانتقلت مناسجها وصناعها الى دمياط ورحل بعضهم الى المحلة الكبرى وكانت هذه الهجرة مقدمة للضربة القاصمة التي حلت بهذه المدينة عندما أمر الملك الكامل بن العادل سنة

١٢٢٨ م بهدمها فزالت من الوجود حتى لا تقع في أيدي الصليبيين الذين ظلوا يهدونها عدة قرون .

ولما اتضح للصليبيين من انتصارات صلاح الدين عليهم في الشام واستعادته لبيت المقدس وغيره من المدن ، أن مصر هي حصن الاسلام ومورد الرجال والسلاح ، قرروا في سنة ١٢١٨م الذهاب الى دمياط للاستيلاء عليها

إن اعتبار أنها مفتاح مصر وقلعتها الأممية ، فاستولوا عليها وظلوا بها ستة عشر شهرا ، ولكنهم اضطروا أخيرا للرحيل عنها سنة ١٢٢١م بعد أن عقدوا الصلح مع السلطان الكامل . وعاد الصليبيون بعد ثلاثين سنة يحاولون الاستيلاء على مصر تمهيدا للاستيلاء على بيت المقدس وبلاد الشام ، فجاءت حملة لويس التاسع سنة ١٢٤٩م الى دمياط ، وانتهت هذه الحملة بالفشل الذريع وأسر فيها لويس التاسع وأنزلوه دار ابن لقمان في المنصورة ولم يفك أسره الا بعد دفع فدية كبيرة ، وخرجت آخر فلول هذه الحملة من مصر في مايو سنة ١٢٥٠م . وكان من أثر هذه الحملات المستمرة على دمياط والتي انتهت بغزوة لويس التاسع أن تخربت المدينة ، مما دعا الى انشاء بلدية صغيرة بالقرب منها تسمى بالمنشية^(١) وكانت مدينة ذات أسواق وحمامات وما زال بدمياط حتى اليوم حى بهذا الاسم يعرف بالقرية القديمة .

ولما تولى بيبرس البنداقدارى أمر الدولة المملوكية ، رأى أن دمياط الجديدة لم تعد تحميها أسوار منيعة ، وإن السلاسل الحديدية التى تعترض النهر لا تقوى وحدها على المقاومة فأمر في سنة ١٢٦١م بسد مصب النيل بالأحجار حتى لا تستطيع سفن الأعداء أن تعبر الى داخل البلاد . وكان من أعمال بيبرس المدنية أن اهتم بالطريق الزراعى الذى يصل دمياط بالقاهرة وأنشأ به ست عشرة قنطرة ، كما نظم البريد على ظهور الابل والجياد . وكانت أهم الخطوط البريدية في عصره ، الخط بين القاهرة ودمياط وبين القاهرة وكل من أسوان والاسكندرية ، وكان يخرج البريد من دمياط الى غزة ومنها تتفرع سائر خطوط البريد في بلاد الشام وترسل المراسيم السلطانية الى أنحاء السلطنة . كما كانت هناك خطوط جوية بواسطة الحمام الزاجل . وكانت مدينة دمياط في القرن الخامس عشر

(١) معجم البلدان ج٤ ص ٨٥ .

ملجأ للمهاجرين من العراق بعد أن استولى عليها التتار . ويقول ابن آياس^(١) : وكانوا (أهل العراق) يجتمعون ويترافقون ويخرجون من دمشق الى مصر ، فكان أكثرهم ينزل الى البحر ويجيء من جهة دمياط ويدخلون مصر وهم في أتعس حال .

ويروى السيوطي^(٢) في حوادث سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥) في أوائل حكم برسبای : وقع بدمياط حريق عظيم حتى احترق قدر ثلثها وهلك بها من الناس والدواب شيء كثير . ومن سلاطين المماليك الذين أقاموا بمدينة دمياط الملك المنصور ، الذي خلعه السلطان اينال (١٤٥٣ م) ونفاه الى الاسكندرية ، ثم نقله السلطان قايتباي مكرما الى دمياط وبقى بها حتى توفي سنة ١٤٨٧ حيث نقلت جثته الى القاهرة . وقد زار المؤرخ المشهور تقى الدين المقریزی دمياط في القرن الخامس عشر ، ووصفها شعرا ونثرا في خططه حيث أفرد لها فصلا شائقا ، وقد جمع هذا الفصل مجمل ما وقع لها من أحداث في نحو عشرين صفحة وأشار الى المصادر التي نقل عنها ، ولكنه لم يفصل بين الحقيقة والخرافة .

ولما ضعفت دولة الشراكسة في القرن السادس عشر ، أضحت دمياط منفى للمتمردين من المماليك ، وأهمل أمرها كما أهمل غيرها من الموانئ ووقفت حركة التصدير والتوريد نتيجة لفرض الضرائب الباهظة ولانتشار الظلم وعبث القراصنة الأجانب بالشواطئ ، وظلت كذلك حتى دخل العثمانيون مصر واستولوا عليها سنة ١٥١٧ م .

وقد عانت دمياط في العصر العثماني ما عانته البلاد كافة ، ولكنها كانت نسبيا بمنأى عن الفتن وتقاتل المماليك وأحزابهم ، والصراع بين الهيئات الثلاث الحاكمة ، (وهى الوالى والديوان والمماليك) ، ولهذا انصرفت الى تجارتها وصناعاتها بالرغم من تدهور الأحوال الاقتصادية ، نسبيا نتيجة لاهمال أمر الميناء وانسداده بالرمال ، ومع كل هذا فان الحركة التجارية في الميناء لم تنقطع ، فقد كان يصدر منها الأرز والمنسوجات والقمح والبطارخ والملح ، كما كانت ترد اليها السفن محملة بالأخشاب والصابون والتبغ والفواكه والنقل .

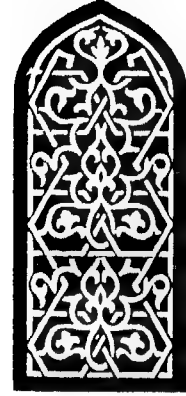
ولما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨ م ، أدلت دمياط بدلوها في الدفاع عن كيانها ، والدود عن استقلالها ، ولكنها اضطرت في النهاية الى التسليم سنة ١٨٠٠ .

(١) ابن آياس ج ٢ ص ٣٠ .

(٢) السيوطى ص ٩٦ .

وبدأ نابليون في تحصين منطقة دمياط وانشاء القلاع بها ، ويحدثنا على مبارك^(١) في خططه عن الحصون التي أنشأتها الحملة الفرنسية في دمياط وما تبقى منها في عصره فيقول : ان قلعة البوغاز الكبرى أنشئت زمن دخول فرنسا في القرى القديمة المسماة بعزبة البرج ، التي هدمها بونايرت لقيام أهلها ليلا على عساكره وذبخوا منهم جملة ، وبنى بأنقاضها تلك البقعة ، ولم يبق من آثارها الا الجامع الذي بوسطها ومنزل صغير . وفي جهتي البوغاز شرقا وغربا ، قلعتان أنشئت في زمن فرنساوية بصورة الاستحكامات الدائمة . وقد تولى الجنرال كليبر الاشراف على تحصين دمياط خشية استيلاء الانجليز أو العثمانيين عليها . وكانت دمياط يوم تولى محمد على الحكم سنة ١٨٠٥ أهم الثغور المصرية وأعظمها تجارة بل انها كانت أعظم من الاسكندرية شأنًا ، فلما أصلح ميناء الاسكندرية وحفرت ترعة المحمودية ، أخذت السفن التجارية الكبرى تفد اليها ، وكان من نتيجة هذه المشروعات عودة العمران والحركة التجارية الى الاسكندرية ، والقضاء على معظم تجارة دمياط ورشيد ، وأصبحت تجارة دمياط مقصورة على ما تحمله اليها المراكب الشراعية التي تقف خارج البوغاز المسدود بالرمال . وقد زاد في اهمال ثغر دمياط انشاء الخط الحديدي بين الاسكندرية والقاهرة ، فأصبحت الاسكندرية ميناء مصر الأول ، كما زاد في إضعاف شأن ميناء دمياط انشاء بور سعيد عند مدخل قناة السويس . كذلك كان لإنشاء الخط الحديدي الذي وصل بين مدن فلسطين وبين القنطرة عن طريق العريش ، أثر ملحوظ فيما أصاب ميناء دمياط من الاهمال واضعاف حركته التجارية والعمرانية .

(١) الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٧٧ .



وصف المساجد مسجد البدرى

أنشأه الخواجه محمد والخواجه ابراهيم أولاد المرحوم يوسف خفاجة ١١٠٦هـ الا أن المسجد القديم تهدم وجددته وزارة الأوقاف (١٩٣٦م) .
ويقع المسجد فى وسط المدينة وتعلوه منارة شاهقة الارتفاع مكونة من ثلاث دورات مناسبة الابعاد ، يراها القادم على المدينة سواء من النيل أو من البر وكأنها منارة تهديه سواء السبيل

زاوية الرضوانية :

يدل تصميم الزاوية على أنها كانت مدرسة لاحتوائها على ايوانات متقابلة ، وخلف الايوان الشرقى يوجد ضريح مقام عليه قبة ويكتنف القبة ايوانات . وقد زخرف القسم الشرقى بنقوش مذهب وكتابات من آى الذكر الحكيم ، وبالمحراب بقايا من الفسيفساء الرخامية . واعتقدان تهدم الجزء الشرقى ، وبقاء القسم الغربى فقط بحالة جيدة ، جعلهم يطلقون عليها اسم زاوية . ويعلو الباب لوح من الرخام عليه اسم المجدد ، الحاج رضوان سنة ١٠٣٩هـ .

ضريح جمال الدين شبيحه:

يقول على مبارك^(١) : « علمت ان مدينة دمياط من أعظم الثغور الاسلامية بديار مصر فلذا تتوطنها ويقيم بها الاكابر والأعيان والأشراف والعلماء والصلحاء ومشايخ الطرق

(١) الخطط التوفيقية ج ١١ ص ٥٢ .

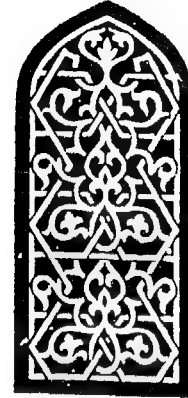
والسجادات ، وفيها مقامات كثيرة لأولياء الله تعالى المرابطين وغيرهم » ومن أهم هذه المقامات التي ما تزال باقية ضريح جمال الدين ، الذي يقع بالجبانة الى الغرب من جامع أبو المعاطي . والضريح عبارة عن مربع مكون من أربعة عقود سدت بحواجز من الخشب الخروط الجميل ، وتحمل العقود قبة صغيرة . ومما يسترعى النظر ان باب الضريح رصع بمجموعة من الأسلحة تبلغ العشر قطع ، ولعل معنى هذا انه كان مجاهدا اشترك في الحروب الصليبية التي غزت الساحل الشمالى لمصر وخاصة دمياط ، ولذا وضعت اسلحته على ضريحه ، أو لعلها اسلحة غيره من المجاهدين وضعت بعد وفاته وفاء لنذر .
وبجوار الضريح يوجد قبر باسم الأمير أحمد بك بن الأمير محمد أغا عزبان المتوفى سنة ١١٧٠هـ (١٧٥٦م) ، ولعله هو الذى اعاد بناء قبة ضريح الشيخ جمال الدين شيحة .



جامع الفتح

بشارع جامع عابدين

(١٠٤١هـ / ١٦٣١م)



يقع هذا الجامع بميدان عابدين وهو يشغل الجزء الشرقى من قصر عابدين . ونود قبل ان نتناول تاريخ جامع الفتح ، ان نذكر فى ايجاز تاريخ حى عابدين . من المعروف ان مدينة القاهرة التى أنشأها الفواطم منذ (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) ، كانت عاصمة الدولة الفاطمية طوال الفترة التى كانت مصر خاضعة لها . وبرغم وجود العواصم السابقة على القاهرة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع ، وكذلك امتداد القاهرة خارج اسوارها ، الا أن خلفاء الدولة الفاطمية لم يغادروا القاهرة ولم يخرجوا خارج أسوارها التى تمتد من الشرق بحذاء جبل المقطم حيث يوجد بابا البرقية والتوفيق ومن الغرب بحذاء الخليج حيث يوجد باب سعادة وباب القنطرة ، وفى الشمال حيث يوجد باب النصر وباب الفتوح وفى الجنوب بابا زويلة .

ظلت قاعدة مصر وحاضرتها القاهرة المحصورة داخل أسوارها قرابة قرنين من الزمن حتى سقطت الدولة الفاطمية ٥٦٧هـ / ١١٧١م وجاءت بعدها الدولة الأيوبية . ولكن صلاح الدين الايوبى لم يرغب فى سكنى قاهرة الفواطم ، التى كانت فى ذلك الوقت تزخر بقصورهم ومنشأتهم العظيمة وكذلك ببقايا أسرهم وأتباعهم وهم كما نعرف من الشيعة الاسماعيلية .

لذلك بدأ صلاح الدين فى اختيار منطقة جديدة فى منطقة المقطم ، فوق اختياره على ربوة منفصلة من الجبل وأمر ببناء قلعة له ، عرفت فى ذلك الوقت باسم قلعة الجبل ، اتخذها مقرا له ولحكومته وترك مدينة القاهرة .

وظلت القلعة التى بناها صلاح الدين مقرا للحكومة وسكنا للحاكم طوال العصر

الايوبى فالملوكى ثم العثمانى ثم محمد على حتى جاء الخديو اسماعيل ونقل مقر الحكم من القلعة الى قصره الذى بناه فى حى عابدين .

أما حى عابدين فقد عرف بهذا الاسم نسبة الى أول من سكن وبنى فيه أمير اللواء السلطانى عابدين بك ، فقد كان يسكن بجهة سوق صافية بالقرب من الزير المعلق . وكان يجاور قصره مسجد قديم يعرف باسم جامع الفتح ، فعمل عابدين بك على تجديده والعناية به ورصد عليه الاعيان وحبس عليه الحبوس وذلك (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) عرف الجامع باسمه (جامع عابدين) .

وكانت مساحة الجامع فى ذلك الوقت (٦٤٠) مترا ، فلما ترك الخديو اسماعيل القلعة واتخذ القصر الذى بناه فى عابدين ، ترك الجامع متداخلا فى حدود القصر .

ويضيف لنا حسن عبد الوهاب^(١) عن / جامع الفتح قبل تجديده وإعادة بنائه (١٣٣٨هـ / ١٩١٨م) فيقول : كان المسجد عبارة عن قاعة ذات أعمدة تحمل عقودا يرتكز عليها السقف الخشبي ، وكان يتوسط السقف منور كبير للاضاءة والتهوية . وكانت واجهة المسجد تقع فى ضلعه الشرقى وهى بسيطة بنى تحت قسم من الواجهة بعض الحوانيت يصرف ربعا على المسجد . وكان يعلو الحوانيت مناوور دائرية وكان باب المسجد الذى يقع فى شارع جامع عابدين ، يفتح الى الجهة الشمالية ، ويكون امتداده مع الواجهة الجنوبية زاوية قائمة حيث توجد المئذنة التى كانت تبرز قليلا فى الشارع . وكان يعلو هذا الباب عقد مداينى ملئت فصوصه الثلاثة بمجموعات من المقرنصات والدلايات .

أما الواجهة الشمالية للمسجد فكانت تشرف بمناورها على حارة سوق صافية التى صارت جزءا من مدخل قصر عابدين الشرقى .

ويضيف حسن عبد الوهاب فيقول : وفى اوائل (١٣٣٨هـ / ١٩١٨م) أمر السلطان فؤاد (أى بعد توليه سلطنة مصر بعام) بتجديد جامع الفتح ، فعهدت وزارة الأوقاف الى لجنة حفظ الآثار العربية بذلك . وبناء على رغبة السلطان احتفظ بالمدخل القديم وبالمناورة . وقد أعد له مشروع عظيم روعى فيه أن يكون على مثال المساجد العثمانية . وأضيف الى مساحته ضعفها من أرض السراى حتى بلغت (١٢٤٦) مترا

(١) المساجد الأثرية ص ٣٧٢

الوصف المعماري

يتكون الجامع من مربع اساسى تقوم عليه قبة وهو مكان الصلاة . وقد الحق بهذا المربع ثلاث مجموعات من المباني من جهته الغربية والجنوبية وكذا الشرقية . وكل هذه الملحقات بها أروقة ودهاليز وغرف تقوم بخدمة أغراض المسجد المتعددة وتوجد الواجهة الرئيسية للمسجد فى الجهة الغربية منه وهى تشرف على حديقة قصر عابدين ويبلغ ارتفاعها (١٥,٧٠) . ويتوسط الواجهة الغربية المدخل الملكى للمسجد . وترتفع هذه الواجهة عن مستوى الشارع بعدة درجات . ويحتوى المسجد على مدخلين آخرين ، أحدهما فى الطرف الجنوبى الشرقى للواجهة الشرقية ، وهو بارز عن المسجد ويصعد اليه بقلبتين من الدرجات . والمدخل مبنى بالحجر ويعلوه عقد مداينى ذو ثلاثة فصوص ملئت بتكوينات جميلة من المقرنصات والدلايات . وزخرف جانباه وأعتابه بأحجار مزرة ملونة .

ويؤدى باب هذا المدخل مربع تعلوه قبة ضحلة ، ويفتح المربع الذى يقع فى الضلع الشرقى للمسجد فى جهته الجنوبية على رواق مقسم الى مربعات عددها أربعة يعلوها أربعة قباب ضحلة . ويؤدى هذا الرواق الى ثلاث فتحات تتوسط الضلع الجنوبى للمسجد يدخل منها اليه . ثم ينثنى الرواق الى الجنوب حيث يتصل بمبنى ملحق بالمسجد تغطيه ستة قباب ضحلة . وقد زخرفت المثلثات الكروية التى تعتمد عليها القباب الضحلة جميعها برسوم زيتية متعددة الألوان ومذهبة .

ويؤدى هذا الباب إلى مئذنة الجامع التى تقع فى الركن الجنوبى الشرقى منه ، كما تؤدى إلى السطح وإلى دورة المياه . وقد كتب بصدر الايوان على لوحة رخامية بالخط الكوفى المرجع « الله محمد وأسماء العشرة المبشرين بالجنة » .

والمبنى الملحق بالمسجد من جهته الجنوبية الغربية الذى يؤدى اليه الرواق السالف الإشارة اليه ، إنما أعد لاستراحة الملك قبل دخوله المسجد ، وهو كما أسلفنا القول مغطى بقباب ضحلة تقوم على دعائم حجرية وأعمدة رخامية ، ولهذا المبنى باب كسى بالرخام وقد كتب عليه ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم بفضل الله تعالى وحسن توفيقه تم تجديد هذا الجامع المبارك وأذن بالصلاة فيه فى يوم الجمعة السادس من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين

وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية وهى السنة الثالثة من عهد مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم . وقد وافق ذلك مبدأ السنة الثالثة والخمسين من عمره السعيد بآرك الله فى عمره وأعزه بنصره »

أما الباب الثالث فىقع فى الضلع الشمالى للمسجد ، ويصعد اليه بمجموعة من الدرجات تؤدى الى فضاء بسيط يدخل منه الى مكان الصلاة عن طريق ثلاث فتحات يعلوها ثلاثة عقود مدببة وممتدة .

أما مكان الصلاة فيتكون من مربع متساوى الأضلاع ، يتوسطه أربعة أعمدة جبرائنية حمراء ضخمة موهت تيجانها بالرسوم والزخارف المذهبة . ويقوم فوق هذه الأعمدة عقود حجرية مبنية بطريقة الابلق ، وهى مدببة وممتدة . ويعلو هذه العقود قبة كبيرة يبلغ ارتفاعها (٢٢,٥) مترا ، ترتكز على رقبة ممتدة تقسم على مثلثات كروية . وقد فتح فى رقبة القبة ست عشرة نافذة بواقع نافذتين فى كل ضلع عن أضلاع الرقبة المثلثة الشكل . ويفصل بين هذه النوافذ من الخارج بست عشرة دعامة تنتهى بخوذة مدببة .

وقد كتب حول رقبة القبة النص التالى : - بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال الى قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب . صدق الله العظيم . أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر أدام الله أيامه . وكان الفراغ من بنائه فى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم تحية .

وقد زخرفت القبة بالنقوش المذهبة والمتعددة الألوان وكتب فى قطبها سورة الاخلاص .

ويحيط بالقبة أربعة أروقة معقودة حافلة بالنقوش الملونة والمذهبة . وتنتهى هذه الأروقة بأربع قباب صغيرة قطرها سعة الرواق تشغل اركان المسجد الأربعة . وقد كسيت جدران مكان الصلاة من الداخل الى ارتفاع (٢,٥) مترا بالرخام الذى ينتهى بأفريز دقيق تحيط بالأبواب كذلك وهو يشبه الى حد كبير أفريز وزرة مسجد البردينى . وقد غطيت القبة الكبيرة وكذا القباب الأربع الصغيرة من الخارج ببلاطات خزفية خضراء استبدلت الآن بكسوة نحاسية .

كما زخرفت الجدران بنجاريات مذهب مكتوب عليها (الله) (محمد) (ابو بكر) (عمر) (عثمان) و (على) . وجميع أرضيات المسجد مفروشة بالرخام الدقيق والمزخرف برسوم قوامها اشكال هندسية .

وفي صدر حائط القبلة يوجد المحراب زخرف تجويفه بأنواع لا مثيل لها من الرخام الملون على شكل أشرطة ومستطيلات وأخرى زخارف مورقة مذهبة ومقرنصات تعتمد على عمد من الخزف الترجوازي . أما طاقية المحراب فقد زخرفت على شكل دالات تنتهي بلفظ الجلالة ، كما احتوت تواشيح عقد بخامات رخامية متعددة الاشكال والألوان . وفي اعلى المحراب مستطيل كتب عليه بخط جميل قوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »

ويجاور المحراب منبر مصنوع من الرخام ، زخرفت ريشته بنقوش نباتية محفورة حفرًا بارزا وطليت بالذهب . وقد اقتبس شكل المنبر وزخارف من منبر مسجد سليمان باشا الخادم بالقلعة .

وقد فتح في داخل المسجد صفان من النوافذ ، السفلى منهما يتكون من أربع نوافذ معقودة ، يكتنف ابواب المسجد الداخلية الثلاثة والضلع الرابع تكتنف المحراب . أما الصف العلوى فيحتوى على أربع نوافذ اثنان منها في وسط الضلع قنديليه وعلى جانبها نافذتان معقودتان مماثلة لنوافذ الصف الأسفل . وقد ملئت جميع نوافذ المسجد السفلى والعليا بزجاج معشق كما نقشت أطرافها من الداخل برسوم وزخارف مذهبة

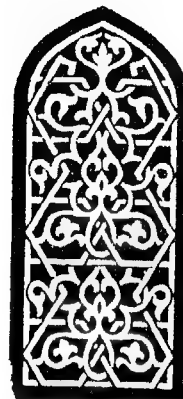
وفي الضلع الغربى المقابل لحائط القبلة توجد دكة المبلغ التى تقوم على ثمانية عمد رخامية . وهى عبارة عن شرفة من الخشب المصنوع بطريقة الخرط ، يعلوها مقصورة أعدت لصلاة السيدات ومن ثم فقد غطيت فتحاتها بضلف من الخرط البديع . وفي الجدار الجنوبي يوجد باب يوصل الى المدخل الملكى كتب على شريط يعلو عتبة قوله تعالى « وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » . ويضئ المسجد ليلا مجموعة من الثريات والتنانير علق اكبرها في قطب القبة الكبيرة التى ترتفع (٢٢,٥) مترا . ويتكون التنور الكبير من شكل دائرى قطره (٢,٤) مترا يحتوى على ثلاث طبقات يبلغ مجموع ما تحتويه من المصابيح (٩٦) مصباحا . أما الثريات والتنانير الصغيرة فمعلقة في القباب الصغرى وكذا الأروقة الأربعة . وبالركن الجنوبي الشرقى للمسجد توجد المثانة التى يبلغ ارتفاعها حتى الهلال (٤١) مترا ، وهى عثمانية الطراز ، تتكون من طابقين يفصل بينهما شرفة . ويعلو الطابق الثانى شكل المسلة . وقد بلغت نفقات انشاء هذا المسجد ١٩٩٨م (٢٥٠٠٠) جنيهها مصريا صرفت من ريع الأوقاف التى وقفها عليه اسماعيل باشا .

مسجد الحبشلى أو الفرقانى

بدرب سعادة بالقاهرة

مسجل برقم (١٩٣)

(١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م)



يقع مسجد آق سنقر الفرقانى بدرب سعادة ، وهو الشارع أو الحى الذى سماه المقريزى^(١) بحارة الوزيرية نسبة الى الوزير يعقوب بن كلس لان داره كانت بها . وهى أول دار كانت للوزارة بالقاهرة ، وقد سميت بعد انقطاع نسبتها الى الوزير بدار الديباج لأن الديباج الذى كان يعمل لقصور الخلفاء كان يصنع بها ، واستمرت كذلك مدة الخلفاء الفاطميين .

وكان يتوصل الى حى درب سعادة من خمسة أبواب ، أحدها كان بقرب قنطرة باب الخرق عند الضريح المعروف باسم الست سعادة بجوار سراى الأمير منصور باشا تجاه الخليج ، وهو محل أحد ابواب القاهرة التى فتحها جوهر فى الجهة الغربية من السور وسمى باب سعادة لدخول سعادة أحد غلمان المعز وحامل مظلته منه . والباب الثانى تجاه قنطرة الأمير حسين من محل الخوخة التى فتحها الأمير المذكور وثالثها بقرب قنطرة الموسيقى وهو باب الخوخة ومن القصص التى ترونها العامة ، هو ان الست سعادة علم على جارية زنجية من قهرمانات السلطان الناصر محمد بن قلاوون وينسبون ان الحارة منسوبة اليها وهذا غير صحيح . والباب الرابع بالقرب من باب حارة الجودرية وخامسها بجوار جامع الحبشلى .

والحقيقة ان مسجد الحبشلى له تاريخ طويل ، فقد ذكره المقريزى^(٢) وكذا ابو المحاسن^(٣) وسار على هديهما على مبارك^(٤) ، تحت اسم المدرسة الفارقانية نسبة الى الأمير

(١) الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٤٨

(٢) الخطط والآثار ج ٢ ص ١٤٥

(٣) الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٤٩

(٤) ابو المحاسن : المنهل الصافى ص ٣٢٤

شمس الدين آق سنقر الفارقاني السلحدار . لذلك فقد رأيت ان أتناول تاريخ البقعة التي اقيم عليها مسجد الحبشلى (١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م)

لقد كان يشغل مكان مسجد الحبشلى بشارع درب سعادة ، خلف محكمة الاستئناف الحالية ، مدرسة أنشأها الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني السلحدار (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) وجعلها مدرسة لتدريس المذهب الشافعى والحنفى .

أما عن تاريخ الأمير شمس الدين آق سنقر ، فقد كان فى الأصل مملوكا للأمير نجم الدين أمير حاجب ، ثم انتقل بعد ذلك الى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، وأخذ يترقى فى وظائف الدولة حتى وثق فيه السلطان وأنباه عنه فى ادارة شئون الدولة مدة غيبته عنها فى محاربة الصليبيين فى بلاد الشام ، وكان قد وصل فى ذلك الحين الى وظيفة الاستادار . كما تولى نيابة السلطنة فى عهد السلطان السعيد بركة بن الظاهر بيبرس ، وقد توفى (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) وقيل ان داره كانت بجوار مدرسته داخل باب سعادة

وقد استمرت المدرسة الفارقانية قائمة حتى القرن الحادى عشر للهجرة ، ولكنها كانت فى حالة سيئة بحيث لم تستطع القيام بوظيفتها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان تخطيطها المعمارى المكون من ايوانات لتدريس المذاهب السنية كان لا يتفق مع تخطيط المساجد العثمانية التى اختفت منها الايوانات حيث أصبح المذهب الحنفى هو المذهب الوحيد الذى يدرس كما أنه مذهب الدولة الرسمى .

وفى عام (١٠٨٠ / ١٦٦٩م) هدم الأمير محمد كتنخدا^(١) مستحفظان^(٢) المدرسة وأقام مكانها مسجدا ، عثمانى الطراز والتخطيط عرف بمسجد الحبشلى أما عن السبب فى تسمية

(١) كتنخدا ويقال له أحيانا باسم الكاخيا ، وهو الوكيل أو النائب ، وقد وجد فى مصر كتنخدا الباشا وكتنخدا اليك الملوكى وكتنخدا قاضى عسكر افندى وكتنخدا أوجاق .

(ليلى عبد اللطيف : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ص ٤٥٤)

(٢) مستحفظان : اصطلاح تركى يعنى انكشارية . والانكشارية تعنى الجند الجديد ، ويمثلون الجيش النظامى فى الدولة العثمانية الذى قام بأهم الفتوحات . وقد عرف أوجاق الانكشارية فى مصر بأوجاق السلطان ، وقد اشير اليهم باسم أهم أوجاق فى مصر

(ليلى عبد اللطيف ص ٤٤٠ ، ٤٥٥)

المسجد باسم الحبشلى فيبدو انها لازمته منذ تجديده ، ويذكر السبب فى ذلك الجبرتى^(١)
 فيقول ، عند ذكره ترجمة الشيخ على بن ابي الخير بن المرحوم المتوفى (١١٧٨هـ /
 ١٧٦٥م) انه يعمل خطيبا لجامع الحبشلى .
 ويحدثنا على مبارك^(٢) عن جامع الحبشلى فيقول : هذا الجامع بدرب سعادة على
 رأس عطفة النبوية تجاه سور سراى الأمير منصور باشا وهو مقام الشعائر وبه منبر
 وخطبه . كما يحتوى على ست أساطين من الرخام . وفى صحنه صهريج ومظهره ومنارته
 مرتفعة .

(١) المخطوط الجديدة ج ٤ ص ٨١

(٢) الجبرتى ج ١ ص ٢٦٣

الوصف المعماري

يتكون المسجد من شكل مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيطه الأروقة من جهاته الأربع . ويوجد بآيوان القبلة رواقان متوازيان لحائط القبلة ، يتكون كل منهما من ثلاثة عقود مدببة وتقوم كل منها على عمودين من الرخام . أما الأيوان الغربى المقابل لآيوان القبلة فيتكون من رواق واحد موازى كذلك لجدار القبلة . ويحتوى الرواق الغربى على ثلاثة عقود مدببة تقوم على عمودين من الرخام . أما الجهة الشمالية والجنوبية من المسجد فيحتوى رواق كل منهما على عقد واحد . وبذلك يكون عدد الأعمدة الرخامية بالمسجد ستة كما حددها على مبارك فى خططه .

ويتصدر رواق القبلة محراب مجوف يكتنفه عمودان حلزونيان ، ويعلوه زخارف هندسية منحوتة فى الحجر يتوسطها دائرة مشعة ، ملئت ببلاطة خزفية كبيرة مربعة قوام زخارفها زهرية تخرج منها أزهار القرنفل وذلك باللون الأزرق الفاتح والداكن على أرضية بيضاء .

وبجوار المحراب منبر خشبى استعمل فيه خشب الخرط وكذا الحشوات النجمية المجمعة . وبالرواق الغربى به دكة المبلغ ، كما يوجد به باب يوصل الى السبيل الملحق بالجامع . وقد فرشت أرضية السبيل بالرخام الملون بأشكال هندسية بديعة التكوين . وغطى سقف السبيل بالعروق (البرطوم والمربعات) المنقوشة بالرسوم والزخارف الزيتية المتعددة الألوان وأخرى مذهبة . ويحيط بالسقف أزار خشبى نقش على كتابات قرآنية ، نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس

كان مزاجها كافورا ، الى قوله تعالى ، وجزاهم بما

صبروا جنة وحريرا ، صدق الله العظيم .

وقد استخدمت البلاطات الخزفية فى زخرفة المسجد من الداخل والخارج ، نجد النفيس الذى يعلو عقد المدخل الجنوبى بزخرفة بلاطات خزفية مربعة قوام زخرفتها زهرة مركبة تتوسط البلاطة الخزفية وتحيط بها أوراق نباتية المعروفة باسم (Saz) . وهذا النوع من الزخارف الخزفية يدل على ان البلاطات الخزفية التى استعملت فى تكسية اجزاء كثيرة من

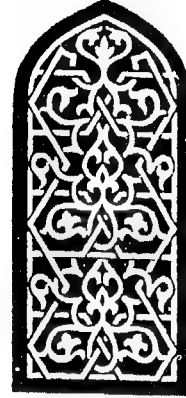
هذا المسجد مستوردة من مدينة (ازنك) التى اشتهرت بصناعة هذا النوع من الخزف فى القرن الحادى عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) وللمسجد مدخل رئيسى ثان يوجد فى الجهة الشمالية فى مواجهة المدخل الجنوبى ، تعلو نوافذه زخارف منحوتة فى الحجر ، ويملا نفيس عقد المدخل بلاطات من الخزف العثمانى صناعة (ازنك) ويغطى سقف الجامع عروق خشبية (برطوم ومربوعات) منقوشة برسوم ذهبية وزيتية متعددة الألوان قوامها زخارف نباتية قريبة من الطبيعة الى حد كبير . وتحيط بجدران المسجد الاربعة تحت السقف الخشبى مباشرة ازار خشبى عريض نقش عليه كتابات بالخط الثلث المحصور داخل بحور ، آيات من سورتى الفتح ويسن . كما نقش عليه تاريخ المسجد ونصه :-

« أنشا هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه وجزيل عطاء العميم الأميرى الكبيرى الأمير محمد كتحذا مستحفظان كان الله له بتاريخ سنة ثمانين وألف »

أما مثذنة المسجد فتقع فى الركن الجنوبى الشرقى منه ، وهى اسطوانية الشكل تقوم على قاعدة مربعة وتنتهى بشكل مخروطى على شكل المسلمة ، وهو طراز المآذن التركية الذى ساد العالم العربى كله فى العصر العثمانى .

مسجد ذوالفقار

بشارع الخليج المصرى (بورسعيد الآن)
مسجل برقم (٤١٥) (١٠٩١هـ/١٦٨٠م)



يقع جامع ذو الفقار بك الذى يعرف كذلك بجامع غطاس بحى اللبودية الذى يبدأ من نهاية شارع درب الجماميز تجاه حارة اسماعيل بك وآخره مسجد السيدة زينب رضى الله عنها . وقد يكون من المفيد قبل أن نتناول وصف حى اللبودية الذى يقع فيه مسجد ذو الفقار ، أن نستمع الى حديث على مبارك^(١) وهو يروى لنا ما كانت عليه أحياء القاهرة وأقسامها الادارية فى أيامه إذ يقول : ولسهولة الضبط والربط انقسمت القاهرة الى ثمانية أثمان وكل ثمن ينقسم الى شياخات تكثر وتقل بالنسبة لكبر الثمن وصغره . ولكل ثمن شيخ يعرف بشيخ الثمن مرتبه شهريا من المحافظة مائة قرش صاغ ولكل شياخة شيخ يعرف بشيخ الحارة ليس له مرتب من المحافظة وإنما تكسبه يكون من النقود التى يأخذها برسم الحلوان من سكان الاملاك التى فى شياخته ، ذلك أن العادة أن من أراد أن يؤجر بيتا فى حارة من الحارات يكون ذلك بمعرفه شيخ الحارة . وبعد تأجيره للبيت يدفع له اجره شهر برسم الحلوان وكانت الحكومة تستعين بهم فى توزيع الفردة والطلبات . ويبدو مما ذكره على مبارك من تقسيم القاهرة الى ثمانية أثمان انه لم يكن معروفا فى مصر قبل مجيء الحملة الفرنسية اليها ذلك اننا لم نجد له ذكرا فى أى مصدر من المصادر التى تناولت بالبحث والدراسة مدينة القاهرة وخططها اللهم الا فى الجبرتى الذى ذكر أن القاهرة قسمت الى ثمانية اثمان زمن الفرنساوية وأنهم هم الذين وضعوا هذا النظام والذى بقى مستعملا من بعدهم حتى منتصف القرن العشرين

ويبين لنا على مبارك أثمان مدينة القاهرة فيقول : ثمن الموسيقى وثمان الازبكية وثمان

(١) الخطط التوفيقية ج١ ص ٨٦

باب الشعرية وثن الجمالية وثن الدرب الاحمر وثن الخليفة وثن عابدين وثن السيدة زينب هذا فضلا عن ضاحيتى القاهرة بولاق ومصر العتيقة التى سبقت الاشارة اليهما فى التقسيم الادارى للقاهرة فى العصر العثمانى .

وكان يوجد فى الاثمان المذكورة ثمانية وأربعون قره قولا موزعة داخل البلد وخارجها لاقامة العسكر المحافظين بها وفى كل ثمن بيت للصحة به حكيم وحكيمة وكاتب وتمرغى ، للكشف على من يموت وتطعيم الجدرى ومعالجة بعض المرضى واعطائهم بعض الادوية وقيد من يُولد ومن يموت فى دفاتر مخصوصة ترسل لديوان الصحة . وفى كل ثمن كذلك معاون وكاتب وبعض عساكر وهم تابعون لديوان المحافظة ووظيفتهم النظر فى المنازعات والخصومات فيما يمكنهم صرفه والا أرسله الى جهة الاختصاص .

أما عن ترجمة (ذو الفقار) منشئ هذا المسجد فقد جاء ذكره فى كتاب قلائد العقيان^(١) ضمن ترجمة والى مصر الامير حمزة باشا الذى تولى باشوية مصر من سنة ١٠٩٤ الى ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٣ / ١٦٨٦ م اذ يقول : وفى يوم الاحد سادس عشر من شعبان سنة سبع وتسعين وألف مات عز الدولة العثمانية فى الديار المصرية أمير الحج الامير ذو الفقار بك رحمه الله تعالى .

وكان ذو الفقار بك آية وحجة على أهل الفساد من العرب وغيرهم فى سائر الاقاليم وقد اجتمع فى جنازته عدد كبير جدا من المشيعين وكان فى وقت مرضه قد وزع اموالا كثيرة . وكان ذو الفقار بك أميرا طاهرا محافظا على الصلوات الخمس فى أوقاتها معظما للعلماء شفوفا على الفقراء غليظا على المفسدين .

وتقديرا لخدمات الامير ذو الفقار بك فقد قام الوزير حمزة باشا قبل دفنه بالقرافة بالباس ولده الرشيد ابراهيم بك امير اللواء خلعة السنجقية وجاء فى الخطط التوفيقية^(٢)

(١) قلائد العقيان ص ١٤٧

(٢) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٨٦

ان الامير ذو الفقار كان تابعا للامير حسن بك الفقارى الذى تولى الصنجة وامارة الحج فى يوم واحد . وقد تولى امرة الحج احدى عشرة مرة وانه توفى (١١٠٢هـ / ١٦٩٠م) . وقد تولى الصنجة بعد أبيه ولده الامير ابراهيم بك الذى تولى كذلك امارة الحج بعد ابيه (١١٠٣هـ / ١٦٩٢م) . ولم يزل يتولى الأمير ابراهيم إمارة الحج حتى توفى (١١٠٧هـ / ١٦٩٥م) بعد ان تولاهما خمس مرات " .

والذى نود ان نؤده هنا ان كلا الترجمتين صحيح ، فقد حرص الأمير ذو الفقار على تسجيل كل هذه الاحداث على سقف الجامع الخشبي ، كما سجل تاريخ وفاته (١١٠٢هـ / ١٦٩٠م) ، وكذا ما نقش على اللوح الرخامى الموضوع على مدخل الجامع الرئيسى

الموصف المعماري

يصف على مبارك جامع (ذو الفقار) فيقول : يقع هذا المسجد بشارع اللبودية احد احياء ثمن درب الجمايز ، ويعرف الآن باسم جامع غطاس .
وهو من المساجد المعلقة ، اذ يصعد اليه بقالب من السلالم المصنوعة من الحجر ، وكذا واجهته الغربية . وعلى بابه لوحة من الرخام نقش عليها الشعر التالي : -
جامعا جاء لطيفا وبديع الانشا على السمك منبعا ووسيع الاحشا
في بيوت أذن الله لها ان ترفع والعبادات بها كل زمان تفتى
دام فيه صلوات وأجيبت دعوات بنهار متجل وبليل يغشى
ذو الفقار فازخير فعلا تاريخها عمر الجامع بالسعد بديع الانشا ١٠٩١هـ
ثم يفصل وصف المسجد فيقول : -

وبالمسجد أربعة أعمدة من الرخام ، وبمحرابه عمودان من الرخام ايضا وله منبر خشب . وبدائره ايزار خشب مكتوب فيه سورة يسن وسورة الفتح . وله منارة بديعة وميضاة على أربعة أعمدة من الرخام وحنفية وبجوارها أشجار صغيرة . ثم يحدثنا عن أوقاف المسجد فيقول : وله أوقاف منها سبعة حوانيت ومصبغة ومرتب بالروز نامجه^(١) ثلاثة قروش وثمانية وعشرون نصفاً فضة في كل شهر . وله من وقف الشيخ عبد الفتاح الحريري كل سنة لفرشه بالحصر مائتان وخمسون قرشا من وقف الحاج ابراهيم الشيباوى . وبهذا الجامع أيضا خلوتان من فوق بعضهما ، كان بعض الصالحين يتعبد فيهما ، والآن يسكنها ناظره الشيخ ابراهيم المذكور .

وله ساقية ركبت عليها طلمبة كما يتبعه سبيل وكتاب بجواره ويتكون المسجد من مستطيل مبنى من الحجر يمتد من الجنوب الى الشمال . يقع مدخله الرئيسى في واجهته الغربية ويشغل الركن الجنوبى الغربى منها . ويعلو المدخل عقد مرتفع جدا يبلغ أقصى ارتفاع للمسجد ، وهو مكون من ثلاث فصوص ملئت بالمقرنصات والدلايات في تكوين وتشكيل جميل بديع . وعقد المدخل عميق مما سمح بوجود مكسلتين على جانبيه .

(١) الروز نامجه : روز كلمة فارسية بمعنى اليوم واضافة نامجه الى روز تعنى دفتر الحوادث اليومية او الحساب اليومى . ثم اصبح معناها المكتب الذى يقوم بتحرير وضبط حسابات الولاية .

وفى وسط عقد المدخل يوجد باب المسجد الذى يعلوه عتب مزخرف بمجموعة من الصنجات المعشقة ، كما استخدمت البلاطات الخزفية (النفيس) المحصور بين عتب الباب وعقدة العاتق ، لزخرفته . وقوام زخرفة هذه البلاطات رسوم نباتية غير متوافقة مما يعنى بأن بعضها قد سقط ووضع بدل منها .

كذلك كسيت المنطقة التى تحيط باللوحة التذكارية المثبتة على مدخل المسجد بمجموعة من البلاطات الخزفية ، وقد امتازت تلك التى تشغل الجانب الأيسر من اللوحة بان قوام زهرية تخرج منها زهرة القرنفل وزهرة اللوتس (اللالة) تحيط بهما اشجار السرو وذلك باللون الازرق والاخضر على أرضية بيضاء .

ويؤدى باب المسجد الى سلم مكون من ست درجات ثم الى دركاه مربعة الشكل تعلوها قبة تقوم على أربعة مجموعات من المقرنصات فى أركان المربع فى وضع هندسى بديع . وعن يمين الدركاه يوجد باب يؤدى الى باب المئذنة والى المطهرة . اما من الجهة اليسرى فتوجد نافذة مملوءة بمصبغات حديدية ثم باب المسجد .

وتعتبر الواجهة الغربية للمسجد وهى المواجهة لحائط القبلة الواجهة الرئيسية ومن ثم فقد عنى المعمار بزخرفتها ، بالحجر الملون بطريقة الابلق ثم ظاهريا الى طابقين وفتح فى كل طابق خمس نوافذ السفلى منها يعلوها عتب فوقها عقود عاتقة . أما الصف العلوى من النوافذ فهى أصغر ومعقودة ومملوءة بزجاج معشق سقط معظمه واستبدل بالسلك بينما ملئت النوافذ السفلى بمصبغات حديدية .

ونلاحظ ان النافذة الوسطى فى الواجهة اكبر من النوافذ الجانبية التى فتحت داخل حنيات مسطحة . ويعلو الواجهة وكذا المدخل الرئيسى شرفات جميلة على شكل العرائس ، وهى من بقايا العصر المملوكى .

أما داخل المسجد فينقسم الى رواقين موازيين لحائط القبلة ، يفصل بينهما خمسة عقود مدببة تقوم على أربعة أعمدة رخامية .

ويتوسط جدار القبلة المحراب وهو من الحجر زخرف بنقوش ومقرنصات بديعة التكوين . ويعلو المحراب منطقة مربعة منحوتة فى الحجر تتوسطها منطقة مستديرة ، كسيت بالبلاطات الخزفية ، وقوام زخرفتها ازهار القرنفل وزهرة (اللالة) مرسومة باللون الأخضر والازرق على أرضية بيضاء ويجاور المحراب منبر خشبى مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمع . ويوجد فى الضلع المقابل للمحراب دكة المبلغ وهى محمولة على

كابولين من الخشب المزخرف بطريقة الحفر برسوم نباتية قريبة من الطبيعة تشبه الى حد كبير زخارف البلاطات الخزفية التي كست اجزاء كثيرة من المسجد . كما كانت ارضية المسجد مفروشة بالرخام الملون والمزخرف برسوم هندسية دقيقة ، ولكن للأسف تلف معظمها .

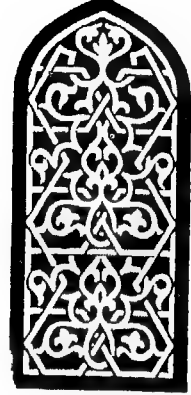
ويعلو المسجد سقف خشبي مكون من عروق (براطيم ومربوعات) نقشت بالذهب والرسوم الزيتية المتعددة الألوان . كما يحيط بأعلى جدران المسجد من جهاته الاربع بازار زخرف بكتابات بالخط الثلث الجميل ، المحصورة في بحور آيات من سورة الفتح ، كما سجل في الضلع الشرقي منه تاريخ انشائه وفيما يلي نصه :-

« انشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى ، وعونه وجزيل عطائه العميم الجنبان الكريم العالي والكوكب المنير المتلالي الأمير ذو الفقار بك أمير اللواء الشريف السلطاني وأمير الحاج . وكان الفراغ في شهر ذى الحجة ١٠٩٠ هـ »

وكتب في ازار الرواق الغربي آيات من سورة يسن الى قوله تعالى : « قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين » .

وتقع مئذنة الجامع بجوار المدخل الرئيسي في الركن الجنوبي الغربي منه . وهي تتكون من قاعدة مربعة تمتد حتى منتصف المدخل الرئيسي ثم تأتي منطقة الانتقال من المربع الى المثلث فتشغل معظم باقى ارتفاع المدخل الرئيسي .

وتتكون المئذنة من طابقين ، الاولى مئذنة الشكل بها أربعة نوافذ معقودة . أما الطابق الثانى فهو مئذنة الشكل كذلك الا ان قطره أصغر من الاول ، ويفصل بينهما شرفة تقوم على مجموعة من المقرنصات والدلايات البديعة التكوين . ويعلو الطابق الثانى الشكل المخروطى الذى تتميز به المآذن العثمانية .



مسجد زغلول

برشيد بمحافظة البحيرة

القرن (١١) هـ / (١٧) م

محافظة البحيرة من الاقسام الادارية التى استجدت فى العصر الاسلامى باسم كورة البحيرة . وفى عهد الدولة الفاطمية أضيف اليها كور أخرى مجاورة لها فصارت اقليما كبيرا باسم البحيرة . وفى العصر المملوكى أطلق عليها اسم أعمال البحيرة ثم تغير اسمها فى العصر العثمانى فسميت ولاية . وفى القرن التاسع عشر عرفت باسم مديرية ثم محافظة سنة ١٩٦٠ م .

ومن مدن البحيرة الهامة مدينة رشيد ، وهى من الثغور المصرية القديمة ، كان اسمها القديم (بلبتين) وتقع على مصب فرع بولبتين (أى فرع رشيد) . أما اسمها القبطى فهو رشيت ومنه اسمها العربى رشيد . ويقال إن رشيد كانت تقع الى الشمال من موقعها الحالى ، الذى نقلت اليه سنة ٢٦٥ هـ فى عهد أحمد بن طولون .

وجاء فى كتاب المسالك لابن حوقل أنها مدينة على النيل قريبة من مصبه فى البحر المالح من فوهة تعرف بالاشتوم ومعناها المدخل من البحر . وبها أسواق صالحة وحمامات ونخيل كثير وارتفاع (إيراد) واسع . ووردت فى نزهة المشتاق : رشيد مدينة متحضرة بها سوق وتجار وفعلة ، ولها مزارع وغللات وحنطة وشعير وبها بقول حسنة كثيرة وبها نخيل كثير ووردت فى معجم البلدان رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الاسكندرية بمصر . وفى الانتصار ثغر رشيد المحروس من الاعمال النستراوية عند مجمع البحرين (يعنى بذلك النيل والبحر الابيض) وبها جامع وحمام وأمير مركز ، وبها كوم الافراح وبأعلاه منار يرى منه مراكب الفرنج القادمة وهى على شاطئ النيل وأهلها كلهم مرابطون وعامتهم صيادون فى السمك والطير . ويقول على مبارك فى خططه : ولم تزل هذه المدينة آخذة فى الازدياد الى اليوم (القرن التاسع عشر) حتى صارت تشمل على نحو ألفين وثلاثمائة

مسكن وصارت ابنتها في غاية المتانة والاحكام مزينة الظاهر والباطن ، ذات دور فسيحة وقصور مشيدة ، بعضها مشرف على النيل والآخر على المزارع الا أن شوارعها وحاراتها ضيقة غير مستقيمة ولا ميادين بها « والواقع أن وصف على مبارك لمدينة رشيد في القرن التاسع عشر ، يكاد ينطبق عليها الآن ، فبرغم التقدم العمراني في القرن العشرين وما تبع ذلك من تقدم في فن العمارة وتخطيط المدن فإن مدينة رشيد ما تزال تحتفظ بطابعها القديم ، بل لا أكون مبالغاً إذا قلت ان عمائرنا التي انشئت حديثاً أقل قيمة من الناحية الفنية والجمالية عن تلك التي بنيت في العصور الوسطى . أما عن عمائر رشيد الدينية فيقول على مبارك : « ومساجدها جامعة معمورة بالصلاة تبلغ نحو خمسة وعشرين جامعاً وعشر زوايا وأكثرها بمنارات مرتفعة ارتفاعاً حسناً ، ومن أهمها جامع المحلاوى في غاية الرونق والانتظام تدرس فيه العلوم ، وضريحه به مشهور يزار . ثم يتكلم عن الاسواق فيقول : وبها أسواق ذات حوانيت حسنة الوضع نحو ستمائة حانوت مشحونة بالمتاجر وفيها فنادق تنيف على الثلاثين وقهاوى كثيرة وأنوال لنسج ثياب القطن الغليظ وفيها خمس حمامات وثلاث عشرة معصرة وثلثان وخمسون طاحونة تديرها الخيل وطاحونة بخارية . وبها شواذر للاخشاب ووابورات لضرب الارز وورشة لعمل الرخام وأخرى لعمل الورق وثالثة لعمل الآلات الموسيقية . وهناك مصانع لحلج القطن وفيها حرف كثيرة كالنجارة والحدادة والدباغة والخياطة ويوجد بها محصولات كيميائية ومحلات تركيب الادوية وغيرها كثير » .

ومما يذكر بالفخر لاهل هذا الثغر انتصارهم على الحملة الانجليزية التي جاءت الى مصر سنة ١٨٠٧م فيذكر الجبرتي : والتحم الحرب بينهم (اهل رشيد) وبين الانكليز فكانت الهزيمة على الانكليز وأسروا منهم طائفة وقتلوا منهم كثيراً وجلوهم عن متاريس رشيد ثم يضيف الجبرتي فيقول : وبعد وقعة رشيد الاولى تراجعت نفوس العساكر وطمعوا في الانجليز وتجاسروا عليهم وكذلك أهل البلاد وقويت همهم وتأهبوا للبروز والمحاربة والجهاد وكثر المتطوعون ونصبوا البيارق والاعلام وخرجوا في موكب عظيم فلما وصلوا الى متاريس الانكليز دهمهم من كل ناحية وصدقوا في الحملة عليهم وألقوا أنفسهم في النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم وادهشهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فآلقوا سلاحهم وطلبوا الأمان فلم يؤمنوا وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالاسرى والرؤوس الى القلعة بالقاهرة » .

وينسب الى رشيد على بن ابراهيم الخياط الرشيدى الشافعى الشيخ الامام الحجة
الولى المتفنن فى علوم الدين واللغة ، ولد برشيد وبها نشأ وحفظ القرآن وتصدر للتدريس
بها وتوفى سنة ١٠٩٤هـ ودفن بها .

وتعتبر رشيد من المدن الهامة فى جمهورية مصر العربية التى استطاعت ان تحتفظ
بالكثير من آثارها الدينية والمدنية والحربية . فمن أهم آثارها الحربية القلعة التى تقع على
الشاطئ الغربى للنيل على بعد ستة كيلو مترات جنوب رشيد التى أنشأها السلطان
قايتباى ، جاء عنها فى ابن اياس « لما انتهى السلطان قايتباى من افتتاح قلعته المعروفة
بالاسكندرية سنة ٨٨٤هـ ، قصد رشيد ليشرف على ما تم من بناء قلعتها التى كانت تشيد فى
ذلك الحين » . ثم يعود ويتكلم عنها فى عصر السلطان الغورى فيقول : انه (اى الغورى)
لما خشى غزو العثمانيين ذهب بنفسه للتفتيش على حصون الاسكندرية ورشيد وكان ذلك
سنة ٩٢٢هـ ، وشاع الخبر بان السلطان قد أمر ببناء سور رشيد على ساحل البحر الابيض
وأرسل لاجل ذلك البنائين والحجارين ، ولما عاد السلطان من رحلته ندب كبير معماريه
وعينه قائد الالفى للاشراف على بناء تلك الاسوار » . وقد وصف قلعة رشيد كثير من
الرحالة الذين وفدوا على مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ومجمل وصفهم أن
البناء الاصلى يشبه فى تصميمه الى درجة كبيرة الحصن الداخلى فى قلعة قايتباى فى
الاسكندرية ، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا ، باركانه الاربعة ابراج مستديرة ،
ويحيط بهذه الابراج خنادق . وقد اكتشف أحد ضباط الحملة الفرنسية فى قلعة رشيد
الحجر المشهور بحجر رشيد الذى ساعد على كشف رموز اللغة المصرية القديمة .

وتزخر مدينة رشيد ببيوتها الاثرية التى تبلغ العشرين ، وقد بنيت هذه المنازل على
طرز خاص ساد فى كثير من مدن وبلدان الوجه البحرى وخاصة دمياط والمحلة الكبرى
وفوة وبعض مدن الوجه القبلى وخاصة اسنا فى نهاية العصر المملوكى وفى العصر العثمانى .
وتمتاز عمائر رشيد بأن معظمها من العصر العثمانى وان واجهاتها مبنية بالطوب المبخور
المكحول ، كما أن نوافذها وكذا مشربياتها من الخشب الخرط الدقيق الصنع . أما من
الداخل فان تصميم المنازل هو نفس تصميم المنازل فى القاهرة فى العصور الوسطى فهو
يتكون من صحن أو فناء فى وسط الدار تحيط به أربعة ايوانات متعامدة فى المنازل ذات
المساحات الواسعة أو إيوانان فى المنازل الضيقة . وفى الدور الذى يعلو الدور الأرضى

يوجد ايوان مكشوف يطل على صحن الدار ويعرف باسم المقعد الرجالي يقابله ايوان آخر مغطى واجهته بخشب خرط يعرف بايوان الحريم . ويحيط بهذين الايوانين باقى غرف الدار الخاصة بالنوم والاكل وما شابه ذلك .

الوصف المعماري

أما مساجد رشيد الاثرية فتبلغ تسعة من أهمها جامع دمقسييس الذى أنشأه صالح دمقسييس سنة ١١٠٦هـ . وقد زخرفت واجهة الجامع البحرية باستعمال الطوب فى اوضاع هندسية جميلة ، كما هو الحال فى عمائر رشيد كلها التى ترجع الى العصر العثمانى ، وفى منتصف هذه الواجهة توجد المثذنة ويتكون المسجد من صحن مكشوف يحيط به صف من الاروقة ، أما ايوان القبلة فعباره عن مربع به صفان من الاعمدة يقسمانه الى ثلاثة أروقة . والاعمدة متساوية الاطوال ومنتظمة التيجان كما أنها فى وضع مواز لحائط القبلة . وجدران المسجد الداخلية وكذا القبلة مكسوة ببلاطات من القاشانى كما توجد بالمسجد كتابات أثرية تبين اسم المنشئ وتاريخ الانشاء . ويوجد بالمسجد منبر خشبى يعتبر من أجود المنابر الخشبية التى تحتوى على زخارف من الخشب .

ولعل أهم وأقدم مساجد رشيد هو مسجد زغلول ، وهو يتكون من جامعين ، احدهما قديم من المرجح أن يكون من العصر المملوكى ويعرف باسم الديوانى ، نسبة الى منشئه هو متولى الديوان فى المدينة فى ذلك الوقت ، ويقع فى الجهة الغربية الآن ، والجزء الثانى وهو الحديث يقع فى الجهة الغربية أسسه زغلول أحد ممالك السيد هارون أحد الامراء الذين عاشوا فى القرن السابع عشر . وبهذا الجزء يوجد ضريح زغلول ، ويصف على مبارك هذا المسجد فيقول : « ومنها الجامع الكبير (أى جامع زغلول) له شبه بالجامع الازهر فى الاتساع وكثرة العمدة وأرضيته مفروشة بألواح من الخشب » .

وقد نتج عن كثرة الاضافات والتجديدات التى حدثت فى هذا المسجد ، أن أصبح غير منتظم الوضع ، فهو يحتوى على أربع قبلات مجوفة ، كل منها تسجل عهدا من العهود التى مرت بالمسجد والمسجد كبير الحجم اذ تبلغ مساحته (٩٠) مترا طولا فى ٤٨مترا .

عرضا كما أنه يحتوى على حقل من الاعمدة يبلغ عددها (٢٤٤) عمودا . وتحمل هذه الاعمدة سقفا على شكل قباب صغيرة ضخمة كالتى نجدها فى جامع محمد على بالقلعة وهى عثمانية الطراز . والأعمدة متعددة الاشكال والمقاس بعضها من حجر الصوان والبعض من الرخام والبعض الآخر منحوت من الحجر الجيرى . وتوجد بالمسجد اكتاف ودعائم مبنية من الطوب . وقد استخدم صحن الجزء القديم (الديوانى) كحديقة بها كثير من النخيل . والمسجد مئذنتان الشمالية بحالة جيدة . اما الشرقية فقد زالت أدوارها العليا ولم يبق منها الا القاعدة والدور الاول . والمسجد مبنى من الطوب المبخور (المكحل) ، ومعظم المسجد غير مبلط الآن عدا أجزاء فى ايوان القبلة ، ويوجد بالمسجد بقايا دكة المبلغ وهى ذات سقف مذهب وعليها كتابات أثرية توضح تاريخ تأسيس الجزء الحديث من المسجد .





جامع دمقسيس

برشيد

(١١٠٦هـ / ١٦٩٤م)

رشيد من الثغور المصرية القديمة ، وردت في جغرافية استرابون باسم (Bolbitine) وأنها تقع على مصب بوليتين . وذكرها اميلينو في جغرافيته فقال إن اسمها القبطى (Raschit) ومنه اسمها العربى رشيد ، ويقال إن رشيد كانت تقع الى الشمال من موقعها الحالى ، الذى نقلت اليه في سنة ٢٥٦هـ في عهد أحمد بن طولون .

وجاء في كتاب المسالك لابن حوقل^(١) ، أنها مدينة على النيل قريبة من مصبه في البحر المالح من فوهة تعرف بالأشتوم ، وهى المدخل من البحر ، وبها أسواق صالحة وحمامات ونخيل كثير وارتفاع (ايراد) واسع . ووردت في نزهة المشتاق^(٢) : رشيد مدينة متحضرة بها سوق وتجار وفعلة ، ولها مزارع وغللات ، وحنطة وشعير وبها بقول حسنة كثيرة وبها نخيل كثير . ووردت في معجم البلدان^(٣) : رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الاسكندرية بمصر ، وفي الانتصار^(٤) ، ثغر رشيد المحروس من الأعمال النستراوية عند مجمع البحرين (يعنى بذلك النيل والبحر الأبيض) وبها جامع وحمام وأمير مركز ، وبها كوم الأفراح وبأعلاه منار يرى منه مراكب الفرنج القادمة ، وهى على شاطئ النيل ، وأهلها كلهم مرابطون وعامتهم صيادون في السمك والطير .

ومما يذكر بالفخر لأهل هذا الثغر انتصارهم على الحملة الانجليزية التى جاءت سنة ١٨٠٧م . وكانت مدينة رشيد محافظة من محافظات مصر القديمة وفى سنة ١٨٩٥ ألغيت

(١) ابن حوقل ص ٢٣٨ .

(٢) الأديسى ص ١٤٧ .

(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٥٢ .

(٤) ابن دقماق ص ٥٨ .

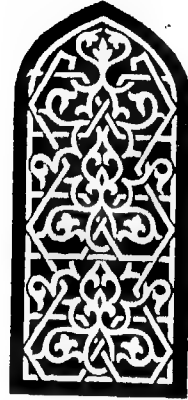
محافظة رشيد وجعلت مركزا ثانيا من مراكز مديرية البحيرة ، ومنذ سنة ١٨٩٦ أصبحت رشيد قاعدة مركز رشيد .

وينسب الى رشيد على بن ابراهيم الخياط الرشيدى الشافعى الشيخ الامام الحجة الولي المتفنن فى علوم الدين واللغة ، ولد برشيد وبها نشأ وحفظ القرآن وتصدر للتدريس بها وتوفى سنة ١٠٩٤ هـ ودفن بها .

الوصف المعماري

جامع دمقسيس :

أنشأ هذا المسجد صالح أغا دمقسيس فى سنة ١١٠٦ هـ . وقد زخرفت واجهته البحرية باستعمال الطوب فى أوضاع هندسية جميلة - كما هو الحال فى عمائر رشيد كلها التى ترجع الى العصر العثمانى - وفى منتصف هذه الواجهة توجد المثانة . ويتكون رواق القبلة من صفيين من الاعمدة يقسمان المسجد الى ثلاث بوائك . والاعمدة متساوية الأطوال ومنظمة وتتجه من الشرق الى الغرب . وجدران المسجد من الداخل مكسوة ببلاطات القاشانى ، وكذا القبلة ، وتوجد بعض الكتابات الأثرية التى ترجع الى تاريخ انشاء المسجد . كما يوجد بالمسجد منبر خشبى يعتبر من أجود المنابر الخشبية التى تحتوى على زخارف من الخشب الخرط التى تمثل العصر العثمانى أصدق تمثيل . والمثانة مبنية كذلك من الطوب المكسى بالبياض ولكن قوالب الطوب وضعت فى زوايا وأوضاع خاصة فجاءت زخارفها غاية فى الابداع، بل انى أرى انه ليس لها مثيل فى زخارف المآذن المشابهة .



مسجد مصطفى جوريجى ميرزا

بشارع سيدى الخطيرى ببولاقت

مسجل برقم (٣٤٣) (١١١٠هـ/١٦٩٨م)

يقع هذا المسجد فى شارع الخطيرى ببولاقت ، ويجدر بنا قبل ان نتناول تاريخ منشؤه المسجد ، ان نذكر شيئا عن تاريخ شارع الخطيرى الذى يقع فيه المسجد . يوجد هذا الشارع فى بولاقت ، وكان موضعه مغمورا بماء النيل ، ثم انحسر عنه الماء حتى سنة سبعمائة ، ثم اصبح بعد ذلك متنزها به زرع وفواكه وزهور ، بحيث أصبح الموقع جميلا . ويقول على مبارك^(١) ، ثم بنى فى ذلك الموقع دار تشرف على النيل ، عرفت باسم دار الفاسقين لكثرة أنواع المحرمات التى كانت ترتكب فيها . فلما كثر حديث الناس عنها ورغب أهل الحى فى ازالتها ، اشتراها الأمير عز الدين ايدمر الخطيرى ، وهدمها وأقام مكانها جامعا سماه جامع التوبة .

أما عن الأمير عز الدين الخطيرى^(٢) فقد كان مملوك شرف الدين أوحد بن الخطيرى . وكان الأمير مسعود بن خطير قد انتقل الى ممالك السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ، فرقاه حتى صار أحد أمراء الألوف . ويضيف ابن اياس فيقول : وكان منور الشيبة كريما يحب كثرة الزواج ويتفاخر به .

كما كان متقشفا رغم ثرائه فلا يلبس قباء مطرزة ولا مصقولة ، وكان يخرج الزكاة ، كريما يتصدق على الفقراء . توفى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

أما عن جامع الخطيرى الذى أعطى الشارع والحى اسمه ، فقد تأنق الأمير عز الدين الخطيرى فى عمارته ورخامه ، فجاء من أجل جوامع مصر . فقد كان به منبرا من رخام فى غاية الحسن والجمال^(٣) . كما كانت نوافذه التى تشرف على النيل مملوءة

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٠٩

(٢) ابن اياس ج ٢ ص ١٣٧

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٤٧

بالزجاج المعشق التى كانت تبدو وكأنها لوحات تصويرية مضيئة عندما تشرق عليها أشعة الشمس أو يتجه اليها ضوء القمر . كما كان بالمسجد مكتبة جليلة كذلك كان يعقد به دروسا للشافعية . ويقال ان جملة ما انفق فيه أربعمائة ألف درهم نقرة ، وكمل بناؤه سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

ويحدثنا المقرئى عن تاريخ المنطقة فيقول ، ثم قوى البحر على الجامع (أى النهر) وهدمه ، فاعيد بناؤه ورمى قدام زريته ألف مركب مملوءة بالحجارة . ثم انهدم مرة ثانية بعد موت الأمير ايدمر الخطيرى وأعيد زريته . ويضيف المقرئى فيقول ، ولم يزل هذا الجامع مجمعا يقصد للنزهة على النيل ويرغب السكنى بجواره . حتى اذا ما انحسر ماء النيل سنة ست وثمانمئة تكاثرت الرمال حوله حتى قربت من نوافذه من الأرض ، وهو الآن (أى القرن^(١٥)) عامر الا انه اتضح حال ما يجاوره من السوق .
ويكمل على مبارك^(١٦) قصته فى عهده فيقول ، وقد تخرب الجامع وبقي مدة ثم فى عصرنا هذا عمر السيد محمد المعروف بالشيخ رمضان البولاقى المجذوب جانبا كبيرا منه وأقام شعائره .

(١) الخطط الترفيقية ج ٥ ص ١٠٩

الوصف المعماري

يصف على مبارك جامع مصطفى جوريجى ميرزا فيقول : جامع مرزه هو في بولاق بشارع خط الحبو (الخطيرى الآن) أنشأه الامير مصطفى جوريجى^(١) مرزه سنة الف ومائة وعشرة .

وكلمة جوريجى التى تلى اسم مصطفى منشئ الجامع ليست اسم علم بل هى اسم وظيفة في العصر العثماني ، فهى مفرد وجمعها جوريجيه أى اعيان في الفرق العسكرية وكبار رجال الحفظ في الاقاليم ، وعلى مختارى القرى المتقدمين فيها . وهى رتبة عسكرية تعادل رتبة اليوزباشى^(٢) أو الرائد في العصر الحاضر .

ويتكون المسجد من شكل مستطيل يتوسطه صحن مربع تقريبا تحيط به الاروقة من جميع الجهات . ويتكون كل رواق من صف واحد من البوائك المحتوى على ثلاثة عقود مدببة تقوم على دعامتين من الحجر . أما رواق القبلة فهو اكبر الاروقة وأعمقها ، فهو يحتوى على بائكتين تحمل كل منهما ثلاثة عقود مدببة وتقوم على دعائم حجرية . أما صحن الجامع فقد كسى برخام متعدد الألوان مزخرف برسوم هندسية دقيقة بديعة التكوين .

وقد حظى جامع ميزره بمجموعة كبيرة من البلاطات الخزفية النادرة التى تفتى معظم جدرانها من الداخل والخارج ، حتى اعتبرها (ربيع خليفة^(٣)) أكبر مجموعة من البلاطات التى استخدمت في جدران العماثر العثمانية في القاهرة ، بعد مجموعة بلاطات مسجد آق سنقر (ابراهيم أغا مستحفظان) . كما يضيف : وأنه يتضح من انسجام زخارفها وتكامل إداراتها ، أنها عملت خصيصا في مصانع (ازنيك) لكسوة جدران إيوان قبلة المسجد إذا أنها تكتسى الجدران كلها حتى تصل إلى سقف المسجد .

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف زخرف بأنواع من الرخام (الخرقة) الفسيفسائية وكذا الصدف . وبجواره يوجد منبر خشبي مصنوع بطريقة الخرط والحشوات المجمع . ويعتبر

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١١٢

(٢) شفيق غربال . مجلة كلية الآداب - عدد مايو ١٩٣٦ .

(٣) ربيع حامد خليفة : البلاطات الخزفية ص ٢٠٨

منبر مسجد مرزه وثيقة تاريخية هامة فقد سجل على جانبيه (ريشتيه) آيات قرآنية كما سجل على باب اسم منشئه وفيما يلي نصه :

قد جاء في القرآن حقا إنما يا فوز من يسمونه برهانه
ولمن قام شعار إسلام غدا والهور تخدمه كذا ولدانه
وكفاك هذا يا سمي المصطفى عزا من البارى جزاه جنابه
أرخت مسجده الشريف بجامع يزهو يوم الوفا بنيانه
إنى لأحمده على إحسانه لأبدع إن نظرت له غزلانه
صل على العزيز المصطفى ما طاب ورد أوزعت أغصانه
والآل والأصحاب ما أقر الحيا أو لاح برق أوهمت سحباته
ما قال مبتكر المديح مؤرخا لاح الفلاح

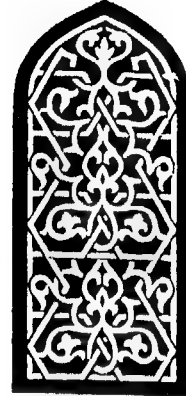
ويختتم على مبارك حديثه عن جامع ميزره فيقول : ومنافعه تامة وشعائره مقامة بالأذان والجمعة والجماعة على الدوام وله أوقاف دائرة .



مسجد المجاهدين

بمحافظة أسيوط

(١١٤٠هـ / ١٧٠٨م)



أسيوط بلدة مصرية قديمة على الشاطئ الغربى للنيل كانت طوال العصر الاسلامى حتى نهاية العصر المملوكى قاعدة لأعمال الأسيوطية ، وفى العهد العثمانى الغيت الأسيوطية وأضيفت الى ولايتى المنفلوطية وجرجا ، وفى سنة ١٨٢٦ أعيد انشاء مأمورية أسيوط ، وفى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت محافظة قاعدتها أسيوط .

عرفت أسيوط منذ أقدم العصور بخصوبة أرضها وكثرة خيراتها فقد ذكر الكندى^(١) ، أن أحد عمال الخليفة هارون الرشيد وصف له بلاد الدنيا فما استحسنت غير أسيوط ، وقال^(٢) ياقوت ان كورة أسيوط كانت احدى منتزهات أبى الجيوش خمارويه . ويقول المقرئى^(٣) ان أبا بكر الماردانى وزير هارون بن خمارويه حبس على الحرمين ضياعا تبلغ غلتها السنوية ما يقرب من مائة ألف دينار ، منها أسيوط وأعمالها . ويقول ياقوت ، ان خراج أسيوط ٣٦ ألف دينار أو زيادة ، ويضيف ؛ حدثنى بعض النصارى من أهلها ان فيها خمسا وسبعين كنيسة وهم بها كثير . وكانت أسيوط فى العصر المملوكى غاصة بالبضائع المحلية مثل الالباز (التوابل) وقصب السكر والكتان والنيلة والأفيون ، والحبوب والبقول ، وكذا البضائع المستوردة ، ولعل السبب فى ازدهام مدينة أسيوط بالتجارة هو وقوعها عند نهاية درب الأربعين الذى يمتد من دارفور جنوبا واليه شمالا .

ويقول المقرئى^(٤) ان فى أسيوط طائفة من أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق

(١) النجوم الزاهرة - ج ٥ ص ٣١٣ (العاشية) .

(٢) ياقوت ج ١ ص ٢٥١ .

(٣) المقرئى ج ٢ ص ١١٧ .

(٤) البيان والاعراب ص ٣٤ .

ابن محمد الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب يعرفون باسم الشريف قاسم . وكانت أسيوط منبع العلماء وذوى الفضل ، ومن أجل علمائها أبو بكر كمال الدين السيوطى تولى منصب القضاء بها وتوفى سنة ٨٥٥هـ ، وترك ابنه جلال الدين السيوطى وهو لم يولد بأسيوط ، وإنما تنسب اليه من جهة أبيه ، ويظن الكثيرون ان جلال الدين دفن بأسيوط ولكنه توفى بالقاهرة ودفن بحوش قوصون خارج باب القرافة سنة ٩١١هـ . ومن النصارى نبغ أسعد بن مذهب بن زكريا بن قدامة بن نينا شرف الدين مماتى ، اتصل جده بأمر الجيوش بدر الجمالى وتولى استيفاء الديوان ، ولما مات تولى ابنه زكريا ديوان الجيش فى آخر دولة الفاطميين ، ثم خلفه ابنه أسعد بن مذهب على ديوان الجيش فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وابنه الملك العزيز عثمان ثم ولى النظارة وتوفى سنة ٦٠٦هـ . ومن أبناء أسيوط البررة عمر مكرم ولد بها سنة ١٧٥٥م وتعلم بالأزهر وقضى حياته الأخيرة فى خدمة القضايا الوطنية واستمر يناضل حتى توفى سنة ١٨٢٢م . وكأنما كانت الأقدار تحفظ لأسيوط دائما . حظها من المجد والذكر الحسن ، فلم تكد الأحداث تتوالى على مصر نتيجة خيانة الحاكم واغتصاب المستعمر الدخيل لحقوق الشعب وأقواته حتى أشار التاريخ بأصبعه الى وليد من بنى مر احدى قرى اسيوط ، ألا وهو جمال عبد الناصر الذى ولد فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨م وتولى قيادة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ المباركة ، كما تولى رئاسة الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ .

واذا كان العالم العربى يفخر بالرئيس جمال عبد الناصر ويشيد بفضله الكثيرون من أقطاب السلام وأنصار التحرر فى العالم فان لأسيوط أن تتيه به تقديرا واكبارا . وبأسيوط كثير من الآثار التى ترجع الى العصر الاسلامى ، أهمها الجامع المعروف باسم سيد محمد البقل وهو مهجور اليوم ، ويتبين من الأجزاء الباقية من أعمدته الجرانيتية وأرضية الفسقية الرخامية أنه من الكنائس التى تحولت الى جوامع فى أوائل العصر الاسلامى ، على أنه من المؤكد أنه عمر فى العصر المملوكى ، اذ وجد بجواره أحواض المياه التى كانت تشرب منها معسكرات المماليك^(١) . ومن العماثر المدنية قنطرة تعرف باسم قنطرة المجذوب كانت توصل المياه الى بركة المجذوب ويرجع تاريخ هذه

(١) أبو صالح ص ٩١ .

القنطرة على أقل تقدير الى العصر العثماني ، اذ وجدت صورتها في خرائط الحملة الفرنسية . ومن المساجد التي ترجع الى القرن ١٩م مسجد سليم الكاشف الذي يقول عنه الجبرتي^(١) ، انه من المباني العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر ، ويمتاز مسجد السنجق الذي يقع في سوق الحمام ، بأنه مبني بالطوب الأسود اللون الذي لا شبيه له بأسوط ، أما من حيث التخطيط فهو يشبه مسجد محمد علي بالقاهرة .

الوصف المعماري

مسجد المجاهدين :

أسس هذا المسجد أمير اللواء السلطاني محمد سنة ١١٢٠هـ / ١٧٠٨م ، وقد تهدم معظم المسجد القديم ولم يبق منه غير مدخله المبني من الطوب (المنجور) . ومبني المثانة مكون من أربعة طوابق وهو خارج عن سمت المسجد . وتوجد بأعلى المدخل لوحة مقاسها ٨٠ × ٥٠ سم طليت باللون الأسود ونقش عليها النص الآتي :

- | | |
|--------------------------------|--|
| ١ - الله منّ على الصعيد وأهله | ٢ - بمحمد أمير اللواء السلطاني |
| ٣ - من جاز أوصاف الكمال بأمرها | ٤ - عين الأكابر عمد الأعيان |
| ٥ - حرم بأسوط بنا لربه | ٦ - يرجو ثواب الواحد المنان |
| ٧ - أكرم به من مسجد أرخته | ٨ - تم الفتح به وفاز الباني . سنة ١١٢٠هـ . |
- أما باقي المسجد فقد جدد حديثاً .

(١) الضوء اللامع ج ٩ ص ٧١ .

جامع الأمير حسن

بأخميم

(١١٢١ هـ)



أخميم بلدة مصرية قديمة من مدن الصعيد الأوسط على الشاطئ الشرقى للنيل ، وكانت في العصر الفاطمي قاعدة كورة الاخميمية ، واستمرت كذلك حتى نهاية العصر المملوكي ، وفي العصر العثماني ألغيت الاخميمية وأضيفت بلادها الى ولاية جرجا ، وأضحت أخميم إحدى المدن التابعة لمركز سوهاج وفي سنة ١٩٠٣ فصلت البلاد الواقعة شرقي النيل من مركز سوهاج وجعلت مركزا باسم أخميم وهي قاعدة المركز منذ ذلك التاريخ وتتبع الآن محافظة سوهاج^(١) . قال أبو الفداء ، مدينة أخميم من المدن الكبيرة بيوتها مبنية من الطوب اللبن ومساجدها وزواياها من الحجر وحاراتها متسعة ونظيفة (لوحة رقم ٢١) . كما كانت من أشهر مدن الصعيد في صناعة المنسوجات في العصر القبطي والاسلامي وكانت منتجاتها تصدر الى جميع أنحاء العالم الاسلامي ، وكانت بها مصانع حكومية لصناعة النسيج تعرف (بالطراز) وكان ثمن الثوب من الطرز الصوف الرقيق ، أو المعلم أو المطرف من الكتان يبلغ عشرين دينارا^(٢) . كذلك اشتهرت أخميم بالانطباع ، كما اشتهرت بتمرها وغلالها ، اذ كانت من اكبر المدن المنتجة للفلال في الصعيد وكانت بها معاصر لزيت السلجم^(٣) .

وكان بأخميم عدد غير قليل من الأقباط ولهم بها كنيسة عظيمة^(٤) احدهما تعرف باسم كنيسة سوتير (أى المخلص من العذاب) والثانية كنيسة القديس ميخائيل ، وكان من عاداتهم في الاحتفال بعيد الشعانين أن يخرجوا من الكنيستين مع القساوسة والقساوسة في هيئة محفل حاملين المباخر والعطر والصلبان والأنجيل والشموع ويقفون أمام بيت قاضي القضاة برهة من الزمن يتلون فيها بعض صفحات من الانجيل وينشدون بعض المقطوعات في مدحه ،

(١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٤٠ (حاشية) .

(٢) المقرئ ج ١ ص ٣٨٧ .

(٣) معجم البلدان ج ١ ص ١٥٣ .

(٤) أبو صالح الارمني ص ٩٢ ، المقرئ ج ٤ ص ٤١٧ .

ثم يتابعون بعد ذلك الوقوف أمام بيوت أعيان البلد ووجهائها من المسلمين . ويوجد باخميم كثير من الأديرة منها دير السبع جبال ، وكان خارج ذلك الدير عين ماء تظلمها شجرة الصفصاف وتعرف المنطقة باسم وادي الملوك ، وذلك لأنه ينمو بها نبات يشبه نبات السلجم ، له عصارة حمراء داكنة تستعمل في الصباغة وقد عرف النبات باسم (ملوك) لأن عصارتها كانت تستعمل في صباغة الحرير القرمزي الذي اقتصر لبسه على الملوك والأباطرة في العصر الروماني . وفي الجبال ، الى الشرق من اخميم مغارات كثيرة بعضها مقابر والبعض الآخر كان يسكنه الرهبان هربا من ظلم أباطرة الرومان ، ويقول المقریزی^(١) ان بطرك قسطنطين واسمه نسطورس نفى الى اخميم لخلاف في العقيدة بينه وبين بطرك الاسكندرية وروما ودمشق ، وأقام بها سبع سنوات ثم مات ودفن بها . وقد دان بمذهب نسطورس ، نصارى ايران والعراق والموصل والجزيرة والفرات ، وعرفوا بالنساطرة .

وجاء في كتاب البيان والاعراب^(٢) أنه كان باخميم جماعة من بنى قرة فصيلة من بنى هلال بن عامر بن صعصعة الذي ينتهى نسبه إلى معد بن نزار بن معد بن عدنان جد النبی عليه السلام ، كما كان بها نقيب أشراف يقال انه من ذرية الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر صاحب المقام الشهير بهذه البلدة . ومن أشهر أعلام مدينة اخميم أبو الفيض ذو النون بن ابراهيم المصرى ،

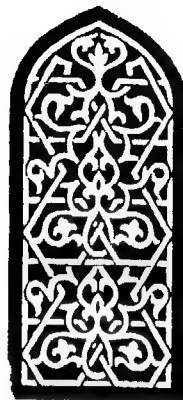
(١) المقریزی ج٤ ص ٤٠٧ .

(٢) المقریزی ص ٧٣ .

وصف الجامع

جامع الأمير حسن باخميم :

يمتاز هذا المسجد بمميزات خاصة غير مألوفة في مساجد الصعيد ، ذلك ان سقفه محمول على أعمدة وأعتاب من الخشب ، رغم فقر البيئة للخشب وهو يشبه إلى حد كبير مسجد سيدى جلال بمدينة جرجا . كما أن المحراب مبنى من الحجر الملون باللون الأخضر ، مما أكسبه منظرا جميلا . والسقف حافل بالزخارف الزيتية وتحيط به وزرات خشبية كتب عليها آيات قرآنية . وكتب على الباب القبلى النص التالى : (العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير المتوسل بسيد المرسلين الجنا ب العالى حاوى كملات المفخر والمعالى الأمير الكبير الواصل بالملك الأمجد الأمير حسن بن الأمير محمد كان الله له ، وكان الفراغ من هذا المسجد فى غاية شهر ربيع الأول سنة ١١١٦هـ) وقد كتب أعلى المحراب : (بسم الله الرحمن الرحيم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) عمل هذا المسجد المبارك الأمير حسن بن محمد سنة ١١٢١هـ . ونلاحظ هنا ان هذا التاريخ المكتوب على المحراب متأخر عن التاريخ المكتوب على الباب بنحو خمس سنوات ، وذلك يجعلنا نرجح أن بناء المسجد قد تم أولا سنة ١١١٦هـ ثم استمر العمل فى الأعمال التكميلية الأخرى كالطلاء وتركيب الرخام والاختشاب والمنبر وغيرها حتى سنة ١١٢١هـ . وفى الجهة البحرية الغربية من المسجد نجد ضريح منشئ المسجد وقد كتب عليه : (هذا قبر المتوفى الى رحمة الله تعالى الأمير حسن بن الأمير محمد توفى ليلة الجمعة الغراء ٢٧ شهر جمادى الأولى سنة ١١٣٢هـ) .



مسجد الحاج عبد الله عاصي

بالمحلة الكبرى بمحافظة الغربية

(١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م)

تكونت كورة الغربية في العصر الفاطمي ، وأطلق عليها اسم الغربية لوقوعها غربى فرع النيل ، وعرفت بأعمال الغربية في العصر المملوكى ثم ولاية الغربية في العصر العثماني . ثم في سنة ١٨٣٣ سميت مديرية الغربية ثم أصبحت محافظة الغربية سنة ١٩٦٠ . وكانت المحلة الكبرى قاعدة لاقليم الغربية من عهد الدولة الفاطمية حتى سنة ١٨٣٦ التى نقل فيها ديوان المديرية من المحلة الى طنطا ، وكان يشرف فى ذلك الوقت على مديرتى المنوفية والغربية مدير واحد باسم مدير روضة البحرين^(١) . وقد اضمحلت بعد ذلك شهرة المحلة واعتبرت قرية صغيرة من توابع قسم سمونود ، ثم عادت اليها شهرتها وزاد عدد سكانها بسبب المحالج والمصانع الكبيرة التى أنشأتها فيها شركة مصر سنة ١٩٢٠ ، فأصبحت المحلة الآن من أكبر المدن المصرية وأشهرها .

والمحلة الكبرى من المدن المصرية القديمة اسمها القبطى دقلا ، ولما فتحها العرب سموها محلة دقلا ، وعرفت بمحلة شرقيون ثم سميت المحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة^(٢) بمصر . وذكرها المقدسى^(٣) باسم المحلة الكبرى وقال انها مدينة على نهر الاسكندرية (أى فرع رشيد) بها جامع لطيف وليس بها أسواق كثيرة غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر يقابلها صندفا عامرة كذلك وبها جامع ، شبيها بمدينة واسط الا أنه ليس بينهما جسر بل يعبرون فى المراكب . ووصفها الادريسي^(٤) قال ، المحلة مدينة ذات أسواق عامرة وتجارات شاملة ، وذكرها ياقوت^(٥) المحلة عدة مواضع بمصر

(١) الخطط التوفيقية ج٤ ص ٥٨ .

(٢) القاموس الجغرافى ج٢ ص ٨

(٣) المقدسى ص ١٩٨ .

(٤) الادريسي ص ١٧٥ .

(٥) ياقوت ج٦ ص ١٦٩ .

منها محلة دقلا وهي أكبرها وأشهرها تقع بين القاهرة ودمياط ، ثم ذكر بعدها محلة أبى الهيثم ثم محلة شرقيون بمصر أيضا وهي المحلة الكبرى مدينة مشهورة بالديار المصرية وهي ذات جنبين أحدهما صندفا والآخر شرقيون . ويعلق محمد رمزي على ياقوت فيقول ، يفهم من عبارة ياقوت ان محلة دقلا هي بلدة أخرى غير المحلة الكبرى في حين أنهما بلدة واحدة . والظاهر ان ياقوت لم يتنبه لذلك وقت وضع معجمه . ووصفها ابن دقماق وصفا شاملا ، قال ، وتعرف بمدينة المحلة وهي قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية ، وللايتها قديما تعرف بالوزارة الصغيرة . ثم يضيف وفي بلاد مصر نحو المائة قرية تعرف كل منها بالمحلة تتميز بلقب تعرف به أو بنسبة تعرف بها . والمحلة هذه مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جامع ومدارس وقياسر وبزازين وفنادق ، ومنارة ويشقها نهر من النيل .

الوصف المعماري

مسجد الحاج عبد الله عاصي :

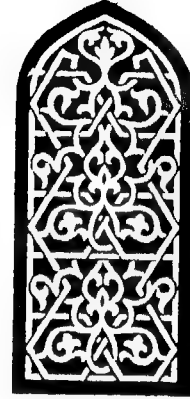
أنشأ هذا المسجد الحاج عبد الله عاصي سنة ١١٣٥هـ - سنة ١٧٢٢م وقد زالت الآن معظم معالم المسجد القديم ولم يبق منه غير مثذنته . وتعد هذه المثذنة من المآذن النادرة التي تعلو المدخل الرئيسي للمسجد وتتكون من قاعدة مثمنة تعلوها طبقة اسطوانية وتنتهي بخوذة مخروطية وهي تشبه الى حد كبير مثذنة خانقاه الجاشنكير . وقد ثبت على باب المنبر المجدد لوح قديم كتب عليه : أنشأ هذا المسجد بفضل الله تعالى الحاج عبد الله عاصي سنة ١١٣٥هـ .

جامع الخطباء

بمحلة أبوعلى

بمركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ

(١١٣٦هـ/١٧٢٣م)



كفر الشيخ من القرى القديمة اسمها الأصلي دمينقون ، وردت في قوانين ابن مماتى^(١) باسم دمينقون وورد في تاريخ ١٨١٣ م دميلاقون وهى كفر الشيخ طلحة نسبة إلى الشيخ طلحة الشاذلى صاحب المقام الموجود بها ويقول محمد رمزى إنه لاحظ أن الكثير من القرى المصرية القديمة قد تغيرت أسماؤها في العصر العثمانى وسميت بأسماء المشايخ أصحاب المقامات الموجودة بها ، مثال ذلك دمينقون هذه التى سميت كفر الشيخ ، والطا التى سميت أبو العز بمركز كفر الزيات نسبة إلى الشيخ أبو العز المدفون بها ، وديروط بلهاسة التى سميت الشيخ زياد بمركز مغاغة نسبة إلى الشيخ زياد بن مغيرة المدفون بها ، وأهرت التى سميت الشيخ فضل بمركز بنى مزار نسبة إلى الشيخ فضل المدفون بها . ويعلل محمد^(٢) رمزى السبب في هذا التغير هو رغبة أهالى هذه البلاد في احياء ذكرى أصحاب هذه المقامات ولقت نظر الناس اليهم لزيارتهم والتبرك بهم في الموالد التى تقام سنويا . ولا يخفى ما يعود على خدمة هذه المقامات من فائدة وما يكسبه أهل البلد من رواج لمحاصيلهم وتجارتهم . هذا بالاضافة إلى رغبة الأهالى في التخلص من الأسماء المستهجنة التى لا يعرفون لها معنى . وفى سنة ١٨٣٣م ضمت كفر الشيخ لمديرية الغربية وفى سنة ١٩٣١ انفصلت عن مديرية الغربية ثم أصبحت فيما بعد مديرية مستقلة تماما عن الغربية وفى سنة ١٩٦٠ تغير اسمها إلى محافظة .

(١) ابن مماتى ص ٢٨٣ .

(٢) القاموس الجغرافى ج ٢ ص ١٤٣ .

دسوق :

من القرى القديمة وردت في قوانين ابن مماتى أنها من أعمال الغربية وهى قرية كبيرة عامرة . من أعمال مصر . وإليها ينسب سيدى ابراهيم الدسوقى . صاحب المقام العظيم الكائن بها . وفى سنة ١٨٤١ أنشئ بمديرية الغربية قسم ادارى باسم قسم المندورة وجعل مقره بلدة دسوق لأنها أكبر بلاده . وفى سنة ١٨٩٦ سمي بمركز دسوق بدلا من المندورة .

محلة أبو على :

هى من قرى مركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ وتقع على الشاطئ الشرقى لفرع رشيد . وجاء في الخطط التوفيقية أنها كانت مدينة متسعة ومبانيها من الاجر وبها جامع بمنارتين وقيسارية على البحر . ومن أهم آثار محله أبو على الباقية جامع الخطباء

الوصف المعمارى

جامع الخطباء : أنشأ هذا المسجد الأمير خليل أغا سنة ١١٣٦ هـ ، ثم أعيد بناؤه عدة مرات أهمها العمارة التى قام بها ابراهيم بك الدفتردار . ولم يبق من المسجد الأصل غير المئذنة التى تشرف على النيل ، لقرب المسجد منه ، فتبدو ليلا وهى مضأة وكأنها منارة لهداية السفن المارة بالنهر . وقد كتب على المنارة مانصه : « جدد هذا المنار الشريف المصون مدوة الأكابر والأعيان لإمير خليل أغا . وكان المباشر بالنيابة الأمير سليمان غفر الله لهم وأسكنهم فسيح الجنان فى ربيع الأول سنة ١١٣٦ هـ - ١٧٢٣ م »

أما تاريخ تجديد المسجد فقد دون على لوحة رخامية مثبتة على الباب القبلى مانصه : « جدد هذا المسجد المبارك ابراهيم بك دفتر دار مصر حالا نجلى حضرة أفندينا محمد على والى مصر حالا غفر الله لهم آمين سنة ١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م » وقد ثبت على المدخل الرئيسى للمسجد لوحة رخامية كتب عليها مرسوم صدر فى عهد السلطان الناصر أبى السعادات فرج من ملوك دولة المماليك الجراكسة . وهذا المرسوم على جانب عظيم من الأهمية ، لأنه أولا يعطينا فكرة عن طريقة الاعلان عن المراسيم التى تصدرها الدولة واختيار المسجد

مكانا للاعلان على اعتبار انه مكان اجتماع الناس للصلاة ، ولأنه مكان له حرمة يجب معها تنفيذ الأوامر التي يكتبها ولى الأمر على بابه - وثانيا لما ورد فيه من أن السلطان أبطل ضمان الهلالى ، وبذلك أعطانا فكرة عن الضرائب التي كانت تجبها الدولة طوال العصر الاسلامى . ويقول المقريزى فى ذلك ، ان الدولة كانت تجبى نوعين من الضرائب أو الجزية أو الخراج ، الاول ويسمى بالمال الخراجى وهو ما يفرض على الأراضى الزراعية ، وكان يعرف فى زمن المقريزى (القرن التاسع الهجرى) كذلك باسم الجوالى ، وكان يؤخذ سلفا وتعجيلا فى غرة السنة .

والضريبة الثانية وتعرف بالمال الهلالى ويعرفها المقريزى بما يأتى : هى عبارة عما يستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة من الدور والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين ، وعداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة واحكار البيوت وريع البساتين التى تستخرج أرضها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر الزيت . ويضيف المقريزى ، وكان من أبواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهى الزكاة والمكوس .

أما المرسوم فيتكون من عشرة سطور وفيما يلى نصه :

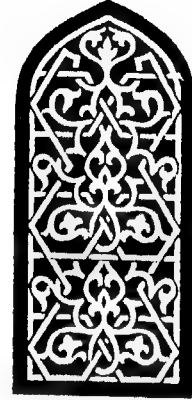
- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم .
- ٢ - برسم المقر العالى السيفى سودون النظامى .
- ٣ - نائب القلعة الشريفة أعزه الله تعالى أمين .
- ٤ - يبطل ضمان الهلالى والساحل بناحية محلة أبو على الغربية .
- ٥ - وناحية جملجون فى البلاد المجاورة اليها وذلك ابتغاء وجه .
- ٦ - الله تعالى وطلبنا لرضوانه وملعون ابن ملعون من يغيره أو يبدله .
- ٧ - أو يجدده أو يتعرض اليه أو يفشه وما تفعلوا من خير يعلمه الله تعالى .
- ٨ - ورسم أن يكتب بباب الجامع بناحية البلد حسب المرسوم العالى .
- ٩ - بتاريخ مستهل شهر جمادى الأولى .
- ١٠ - سنة اثنين وثمانمائة والحمد لله اللطيف بعباده .

زاوية عبد الرحمن كتخدا

بشارع المغربلين بالقاهرة

مسجلة برقم (٢١٤)

(١١٤٢هـ / ١٧٢٩م)



تقع هذه الزاوية في حي المغربلين الذي يكون جزءا من القسم الرابع عشر من أقسام القاهرة الذي يضم كذلك شارع قصبة رضوان والخيمة الى جانب المغربلين . ويمتد هذا القسم الذي يوجد خارج باب زويلة (بوابة المتولى) وينتهى عند شارع الداوودية . وقد عرف أول القسم من جهة باب زويلة باسم شارع قصبة رضوان بعد بناء الأمير رضوان بيك^(١) قصبته المعروفة به والتي اعدّها لبيع المراكيب وغيرها من المصنوعات الجلدية . ويحدثنا الجبرتي^(٢) عن ترجمة الأمير رضوان فيقول ، هو الأمير الكبير رضوان بيك الفقارى تولى إمارة الحج عدة سنين . وكان وافر الحرمة مسموع الكلمة ملازما للصوم والعبادة وهو الذي عمّر القسبة المعروفة به خارج باب زويلة عند بيته ، وتوفى في سنة خمس وستين والف .

ويذكر المقرئى^(٣) في خطه تاريخ الدار التي اصبحت ملكا للأمير رضوان في القرن الحادى عشر للهجرة فيقول : الدار القردمية هي خارج باب زويلة ، بناها الأمير الجائى الناصرى مملوك الناصر محمد بن قلاوون . وكان كما يقول المقرئى فقيها حنفيا يكتب الخط المليح ونسخ بخطه القرآن الكريم في ربعة وكان عفيفا عن الفواحش حليما لا يكاد يغضب .

أما عن داره التي آلت الى الأمير رضوان وعرف بها اسم الحى ، فيقول المقرئى وقد بالغ الأمير الجائى الناصرى في اتقان عمارة هذه الدار بحيث انه انفق على بوابتها

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٣٣

(٢) الجبرتي ج ٢ ص ١٥٣

(٣) الخطط والآثار ج ٢ ص ٢٤٩

خاصة مائة ألف درهم فضة، منها يومئذ نحو الخمسة آلاف مثقال من الذهب، ولكنه لم يتمتع بها غير قليل اذ مات ٥٧٣٢هـ. ويكمل المقریزی تاريخ الدار فيقول سكنها من بعده خوند عائشه خاتون المعروفة بالقردمية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون زمانا فعرفت بها. فلما ماتت الأميرة القردمية تولى الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستادار مدة، ويتم على مبارك^(١) قصة الدار فيقول: وبقيت هذه الدار تنتقل من يد مالك الى آخر حتى انتقلت الى ملك الأمير رضوان بيك الذي نسبت اليه قصبة رضوان.

أما بقية القسم الرابع عشر وهما الخيمية والمغربلين، حيث توجد زاوية عبد الرحمن كتخدا، فقد عرفا بذلك نسبة الى وكالة رضوان بك الكبيرة التي كانت تمتد الى الجنوب من قصبته وداره. فقد كانت الوكالة.. وما تزال، معدة لبيع جميع أصناف الجلود، كما كان يتبعها عدد كبير من الحوانيت يصنع الخيام ويبيعها ثم يلى الخيمية جنوبا عدد كبير من دكاكين العطارين فعرف بهم.

أما عن شارع المغربلين فقد بسط المقریزی^(٢) الكلام في وصفه عند ذكر (الخوج)، نوجز منه ما يلى، يقول: وهذا الوصف هو وصف شارع المناخلية والسكرية اليوم، وأما الازمان القديمة، فكانت هذه الخطة تعرف بسوق الغرابلين والمناخلين، ذلك انه لما انفل أمير الجيوش باب زويلة الى حيث هو الآن (اي الى الجنوب من الباب السابق) صار في المسافة التي حدثت بين الباب القديم والباب الجديد سوق الغرابلين والمناخلية. ثم قال وكان فيه حوانيت تعمل بها مناخل الدقيق والغرابيل.

ونضيف، فلما بنى السلطان الملك المؤيد شيخ جامعه مكان هذا السوق خرج السوق الى خارج باب زويلة، واصبح امتداد القصبة رضوان والخيمية وهو شارع او سوق المغربلين.

أما عن ترجمة منشئ الزاوية وهو عبد الرحمن كتخدا فيحدثنا الجبرتي^(٣) عنها

(١) الخطط التوفيقية ج٢ ص ٣٥

(٢) الخطط والآثار ج٢ ص ٢٥٩

(٣) الجبرتي ج٢ ص ١٧٣

فيقول : هو الأمير الكبير والمقدام الشهير ، عبد الرحمن كتحدا ابن حسن جاويش القازدغلى ، استاذ سليمان جاويش استاذ ابراهيم كتحدا مولى جميع الامراء المصرية . أما عن الوظائف التى تولها عبد الرحمن كتحدا فيقول الجبرتى ، ومبدأ اقبال الدنيا عليه انه لما مات عثمان كتحدا القازدغلى واستولى سليمان جاويش على موجوده لم يعط ابنه عبد الرحمن كتحدا شيئا ، حنق منه ولم يجد أحدا من طائفته وهى طائفة البنكجيه^(١) من يساعده على أخذ حقه فتركهم وانتقل الى وچاق العزب^(٢) .

فلما مات سليمان جاويش بادر سليمان كتحدا الجاويشيه ، زوج أم عبد الرحمن كتحدا ، بعد استئذان عثمان بيك فى تقليد عبد الرحمن جاويشا للسردار^(٣) عوضا^(٤) عن سليمان جاويش لانه وارثه ومولاه . وهكذا استلم عبد الرحمن المفاتيح الخاصة بالخشخانات والتركة باجمعها وكانت شيئا كثيرا .

وقد حج عبد الرحمن كتحدا مع عثمان بيك سنه خمس وخمسين واقام بمكة الى سنه احدى وستين ، ثم حضر مع الحجيج ، فتولى كتحدا^(٥) الوقف سنتين ، وشرع منذ ذلك الوقت فى بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال المنكرات وكان أولها إبطال حمامير حارة اليهود من الحجر . والمدخل يعلوه عقد مرتفع مكون من ثلاث فصوص ملئت بمقرنصات ودلايات على شكل مخروطى .

ويكتنف المدخل ثلاث حنيات مسطحة يشغل الجزء الأسفل من اثنتين منهما نوافذ يعلوها عتب مكون من صنجات معشقه يعلوه عقد عاتق ، وقد ملئت النوافذ بمصبغات حديدية . ويشغل الجزء العلوى من الحنيات بنوافذ قنديلية ، ويعلو جدار الواجهة الشمالية شرفات جميلة .

(١) البنكجى نسبة إلى بنكجى أى الانكشارية (أى الجند النظامى للدولة) .

(٢) وچاق غرب : أو غريان ، وهو فى الأصل من جند البحرية ، فقد كان فى مصر فى أوائل العهد العثمانى أو چاق غزبان ، وكان من الاوجاقات الهامة ، إذ هو يأتى بعد الانكشارية فى الأهمية ، وكان يعهد إليه بحراسة القلعة عند باب العزب الذى يطلق الآن على ميدان صلاح الدين . كما عهد إليه الاشراف على الجمارك فى البحرين المتوسط والأحمر وكذا ترسانة الاسكندرية .

(٣) الجاويش : أى رسول وعادة رسول السلطان أو كبار الشخصيات .

(٤) السردار : وجمعها سدارده وهم قادة الفرق العسكرية ، وسرحاويشان رئيسى الحواشيه .

(٥) كتحدا أو كاخيابك هو وكيل الصدر الأعظم (أى رئيس الوزراء) .

وقد زخرف المسجد بمجموعة من البلاطات الخزفية ، كما زخرف (النفيس) الذى يعلو عقد المدخل والمنطقتان المستطيلتان اللتان تقعان على جانبيهما ببلاطات خزفية مربعة قوام زخارفها نباتات محورة بأسلوب الأرابيسك الذى يعرف باسم الطراز الرومى فى العصر العثمانى . . وزخارف البلاطات باللون الأخضر والأزرق والاحمر الطماطمى (المعروف باسم ⁽¹⁾Crminian— bole) على أرضية زرقاء فاتحة .

ويتكون المسجد من مستطيل يتوسطه مربع مكشوف تحيط به الاروقة من جميع الجهات ويحتوى كل رواق على صف واحد من البوائك المكونة من عقود مدببة ممتدة عددها خمسة تقوم على أربعة أعمدة رخامية . أما رواق القبلة فيحتوى على ثلاث بوائك . ويغطى المسجد سقف خشبى مكون من (براطيم) ومربوعات مزخرفة برسوم زيتية وقد أنشأ وجدد ورقم عبد الرحمن كتحدا الكثير من العماثر الدينية وأقام الاسبله والكتاتيب مما لا يتسع المقام لذكره وسنكتفى بالحديث عن زاويته التى أقامها بشارع المغربلين ، موضوع البحث

(١) المؤلفة : الخزف التركى ص ٥٣

الوصف المعماري

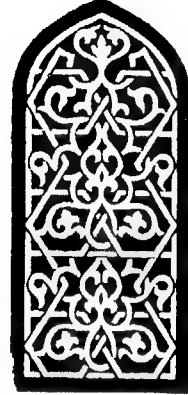
تقع هذه الزاوية بشارع المغربلين بجوار جامع حانك ، أنشأها عبد الرحمن كتحدا في سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف . ويقول على مبارك^(١) في وصفها : وهى علوية وتحتها حنفية وشعائرها مقامة ، ولها راتب من اوقافه الكثيرة الجمة ، المبينة في حجة وقفيته ضمن مرتبات جهاته الخيرية من عمائر الازهر وخلافه وهى في نظر ديوان الاوقاف .

وتتكون الزاوية من مبنى مستطيل معلق ، ذلك ان الطابق الاول يشغله سبيل حول بعد ذلك الى حنفية تملأ منه الروى . ومن ثم فانه يصعد الى الزاوية بمجموعة من السلالم في ثلاث قلبات ، تبدأ في الركن الجنوبي الغربى للزاوية وتسير بعرض الواجهة الغربية حتى تنتهى ببسطة تتقدم المدخل الرئيسى الذى يقع في الركن الشمالى الغربى للزاوية .

ويتكون المدخل من عقد كبير مرتفع يصل الى نهاية جدار الزاوية ، ويتكون من ثلاثة فصوص مملوءة بالمقرنصات والدلايات البديعة التكوين . ويتوسط عقد المدخل باب الزاوية الذى يعلو عتب مكون من صنجات معشقة أحيطت في مستطيل مزخرف برسوم هندسية محفورة حفرا بارزا . ويعلو العتب عقد عاتق زخرف كذلك برسوم هندسية محفورة حفرا بارزا على شكل معينات . وعند طرفى العقد توجد زخرفة بارزة كذلك تمثل شجرة السرو . وعند سمت العقد يوجد رسم مدلية مزخرفة على شكل الطبق النجمى وقد زخرف نفيس عقد الباب ببلاطات خزفية قوام زخرفتها الزهرة المركبة ، وهى باللون الأخضر والازرق على أرضية بيضاء ناصعة .

أما داخل الزاوية فيتكون من رواقين يفصل بينهما عمودان تقوم فوقهما ثلاثة عقود مدبية . وفي صدر الجدار الشرقى يوجد المحراب ، الذى كان مزخرفا بمجموعة من البلاطات الزخرفية سقطت معظمها .

(١) الخطط التوفيقية : ج ٦ ص ٣٥



مسجد عثمان كنخدا القازدغلى

بميدان الأزبكية بالقاهرة

(١١٤٧هـ / ١٧٣٤م)

يقع هذا المسجد فى حى الأزبكية عند تقاطع شارع ابراهيم بشارع قصر النيل . وقد عرف هذا الحى بالازبكية نسبة الى الأمير أزيك ، الذى كان من^(١) أجمل الأمراء قدرا وأعظمهم ذكرا وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة فى سعة من المال . وكان أزيك من معاتيق السلطان الظاهر جقمق وصاهره مرتين فى ابنتيه ، كما تولى عدة وظائف جليلة بمصر منها حجوبية الحجاب ورأس نوبة كبير ثم تولى نائب الشام فى دولة الظاهر بلياي ، ثم عاد الى مصر وتولى الاتابكية فى دولة الأشرف قايتباي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة .

أما عن أصل منطقة الأزبكية فيقول المقرئى^(٢) عنها اول ما عرف من خبر بركة الازبكية أنها كانت بستانا كبيرا غرب الخليج وكان يمتد فيما بين المقس وجنان الزهرى يعنى من أولاد عنان (ميدان المحطة) الى قنطرة باب الخرق . وكان البستان يعرف بالبستان المقس حيث كانت تجبى المكوس بعد الفتح الاسلامى ، وكانت من قبل قرية تعرف بأمر دينين .

وفى عهد الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله أمر بعد سنة ٤١٠ بإزالة البستان وان تعمل بركة أمام المنطرة التى تعرف باللؤلؤة ، ومحلها الآن عند^(٣) جامع الشعراوى فعملت بركة وبقيت كذلك حتى كانت الشدة العظمى فى أيام الخليفة المستنصر الفاطمى فهجرت البركة .

(١) ابن اياس ج ٣ صفحة ٢٣٥

(٢) المخطط والاثار ج ٢ صفحة ١٨٧

(٣) المخطط التوفيقية ج ٣ صفحة ٦٦

ويكمل ابن ابي السرور^(١) البكرى ، ان هذه البقعة كانت قبل بناء الأمير أزيك بها عمارته ، مساحة أرض خراب وكيمان في أرض سباخ ، وفي سنة ٧٢٤هـ جرت فيها المياه وزرعت برسيما وشعيرا واستمرت على ذلك سنة ٨٠٨هـ في دولة الأشرف قايتباى ، فرأى الاتابكي أزيك ان يعمر هناك فبنى القاعات الجليلة والدور والمقاعد صرف عليها نحو مائتى الف دينار ، ثم شرع الناس فى البناء .

ويضيف على مبارك فيقول : ولم تزل على هذه الحال الى زمن الخديو اسماعيل فجرى تنظيمها وأخذ جزءا منها عمل فى بعضه (التياترو) الاوبرا والباقي دخل فى الميادين وكان ذلك مدة نظارتى على ديوان الأشغال .

أما عن منشئ هذا المسجد فهو الأمير عثمان كتخدا القازدغلى والد الأمير عبد الرحمن كتخدا . وكان عثمان تابعا للأمير حسن جاويش القازدغلى ، أخذ يتنقل فى وظائف حتى عين كتخدا (أى وكيل) للأمير حسن جاويش ، وصار من كبار الموظفين وسطع نجمه ، كما جمع ثروة كبيرة ساعدته على القيام بالكثير من أعمال البر والخيرات^(٢) .

كما اقام الكثير من العماثر الدينية عدا هذا المسجد ، فهو الذى أقام زاوية العميان الملحقة بالجامع الأزهر (زالت الآن) ، ورصد لها الحبوس والاقواف . ويحدثنا عنها الجبرتى فيقول ، وأما زاوية العميان فهى بخارج المدرسة الجوهريّة فى الجانب الثانى من الحارة بينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضأتها . أنشأها المرحوم عثمان كتخدا القازدغلى تابع حسن جاويش القازدغلى .

أما عن السبب فى حصوله على تلك الثروة الكبيرة التى مكنته من اقامة تلك المنشآت فيقول الجبرتى ولما وقع الفصل فى سنة ١١٤٨هـ ومات كثير من أعيان مصر وأمرائها ، وذلك فى عهد والى مصر « أبو بكر باشا » الذى عاد الى حكم مصر ثانية . فغنم الأمير عثمان أموالا كثيرة من المصالحات والتركات ، فأقام المساجد والزوايا والأروقة فى الأزهر

(١) الجبرتى ج١ صفحة ١٦٨

(٢) الكواكب السائرة فى اخبار مصر القاهرة ورقة ١١٩ (مخطوطة بالجامعة العربية رقم ٤١٩)

الشريف ورتب لذلك المرتبات من وقفه وجعل مملوكه الجوخدار ناظرا عليها وأمر له ان يلبس الصنلمه^(١) (اى الألوان المتعددة) كناية عن حرته وعلو مركزه .
ويصف الجبرتي يوم افتتاح مسجد عثمان كتحدا للصلاة فيقول : وبعد افتتاح المسجد وزعت الصدقات ، وبعد ان استمع الى خطيب المسجد حسن أفندي ابن البواب ، وحضر درسا للشيخ على الطحلاوى المدرس أنعم عليهما^(٢) .

الوصف المعماري

قد يكون من المفيد قبل ان نتناول وصف المسجد من الناحية المعمارية ان نذكر في ايجاز ما رصد له من نفقات وكيفية صرف تلك الأموال المرصودة ، وفي ذلك يقول على مبارك^(٣) : ان يصرف للامام شهريا ستون نصفا بشرط أن يكون شافعيًا وللمدرس الحنفى مائه وخمسون نصفا شهريا ولسبعة من الطلبة يحضرون الدروس مائتان وعشرة أنصاف وللمدرس شافعى تسعون نصفا وثلاثة من الطلبة يحضرون عليه تسعون . وللمدرس الحديث مع ستة من الطلبة مائتان وعشرة أنصاف ولأربعة مؤذنين ثلثمائة وستون نصفا وللمرقى عشرون نصفا وللمبلغ عشرون نصفا .

هذا فضلا عن خمسة عشر يقرءون بالمسجد كل يوم ختمة لكل منهم مائة وخمسون نصفا ، ولشيخ القراء وهو الداعى ثلاثون نصفا ، وللمنادى في اوقات الصلاة بالسوق بقوله الصلاة يا مفلحون خمسة عشر نصفا ، ولفرق الربعة الشريفة خمسة عشر نصفا .
والمسجد معلق اذ يصعد الى مدخله الرئيسى فى الواجهة الشمالية بمجموعة من الدرجات . ويتوسط المدخل باب يصعد اليه بمجموعة من الدرجات الرخامية . والباب مبنى قوامه رسوم نباتية . ويحيط بجدار المسجد من أعلى ازار خشبى نقشته عليه كتابات قرآنية محصوره فى بحور . وقد كتب فى ازار الايوان الشرقى نصوص تاريخيه تثبت تاريخ المسجد مع ذكر اشارة بسيطة عن اسم منشئه ، وفيما يلى النص التاريخى .

(١) المخطط التوفيقية ج ٤ صفحة ٢٠

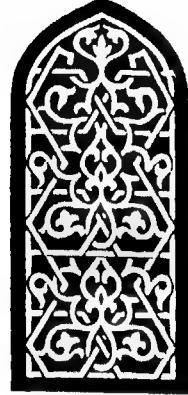
(٢) الجبرتي ج ١ صفحة ١٦٩

(٣) المخطط التوفيقية ج ٥ صفحة ٩٠

وقد وافق الفراغ من انشاء هذا المسجد المبارك غرة جمادى الأولى من شهور سنة ألف ومائة وسبعة وأربعين فنسأل الله الكريم من فضله العيم ان يتقبله من واقفه ويدخله الجنة دار النعيم .

ويتوسط جدار ايوان القبلة محراب مجوف من الرخام البديع التكوين يكتنفه عمودان أخضران بتيجانهما على شكل مقرنصات . ويعلو المحراب نافذة مستديرة مملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان مكتوب عليه الله محمد . ابو بكر عثمان . وبجوار المحراب منبر خشبي مصنوع من خشب الخرط والحشوات المجمع . ولاضاء المسجد من الداخل فقد فتحت في جدرانه الأربعة من أعلى نوافذ معقودة مملوءة بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

وفي الجدار الجنوبي للمسجد يوجد بابان ، أحدهما الكبير ، وقد حلى مصراعه بأشرطة نحاسية وكلا البابين يوصل الى المصلى والميضأة .



مسجد عبد الباقي چوريجى

بشارع الميدان بالإسكندرية

(١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م)

أنشأ هذا المسجد الحاج عبد الباقي بن على الذى يعمل چوريچيا^(١) فى قلعة الركن بشفرا الاسكندرية . وعلى جوريجى هو ابن الشيخ محمد الشربونى الشهير بنسبه بزقوقح^(٢) أما قلعة الركن بالاسكندرية فهى من القلاع التى أقيمت فى العصر المملوكى الى جانب قلعة (أو طاييه) قايتباى القديمة ، لحماية الساحل الغربى من ميناء الاسكندرية . فلما جاء العثمانيون الى مصر ، اهتموا اهتماما خاصا بسواحل مصر الشمالية المطلّة على البحر المتوسط والشرقية المطلّة على البحر الأحمر ، ومن ثم فقد خصصوا أوجاقا (حامية) خاصة لحراسة ومراقبة السواحل هى أوجاق عزيزان .

الوصف المعماري

يعتبر مسجد چوريجى من المساجد المعلقة اذ يصعد اليه بمجموعة من الدرجات . وقد استغل الطابق الأرضى من المسجد ببناء مجموعة من الحوانيت يستغل ريعها فى الصرف على المسجد . وتقع الواجهة الرئيسية للمسجد فى الضلع الجنوبى ، والتى تنتهى من جهتها الغربية بالمدخل الرئيسى للمسجد . ونلاحظ ان الواجهة الرئيسية تتكون من شرفة تعلو حوانيت

(١) وظيفة عسكرية فى الجيش العثمانى تعادل رتبة (مقدم) الان

(٢) مساجد مصر الأثرية صفحة ٣٢٧

الطابق الاسفل وتمتد بطول الضلع الجنوبي حيث تنتهى عند المدخل الرئيسى . وتتكون من يائكة من ثمانية أعمدة رخامية تقوم عليها تسعة عقود مدببة ممتدة يصل بينهما أعمدة ربط خشبية .

وقد زخرفت حواف العقود بالحجر الابلق ، وفتح في خواصرها نجمة سداسيه . ويتقدم الشرفة من اعلاها مظلة خشبية ينتهى طرفها الخارجى بشرفات خشبية صغيرة وزخرف سقفها بنقوش زيتية بديعة . ويعلو الشرفة بعد الظله نهاية جدار الواجهه وقد زخرف بشرفات مبنية متدرجة

أما المدخل الرئيسى للمسجد ، الذى يقع فى النهاية الغربية للضلع الجنوبى ، فيعتبر من حيث اسلوبه الزخرفى ، من مميزات المداخل الإقليمية فى مصر فى العصر العثمانى وخاصة فى الوجه البحرى ، الا وهو الاسلوب المعروف (الطوب المنجور أو المكحول) . وهو استعمال قوالب الاجر فى اوضاع هندسية مكونة اشكالا زخرفية بديعة . ولا يظهر هذه التكوينات الزخرفية استعمال فى الملاططات مواد ملونة لتوضيحها اما باللون الابيض أو الاسود .

ويتكون المدخل الرئيسى من كتفين بارزين يقوم فوقهما عقد (ميمونى) من ثلاث فصوص . وبداخل العقد يوجد عقدان صغيران ذو زاوية (Keel arch) ممتدان ويربط بينهما عمود ربط . وقد زخرف عقد المدخل بجميع اجزائه وتواشيحه بطريقة الطوب المنجور .

ويأتى بعد ذلك باب المدخل الذى يؤدى الى مجموعة من الدرجات توصل الى حرم المسجد فى جهته الغربية المقابلة لمكان الصلاة . وقد زخرف أعلى باب الدخول ببلاطات من الخزف على شكل ثلاثة أطباق نجمية . كما كسى أسفل الباب وأعلاه بالخزف المغربى يتوسطه اسم صانعه بما نصه : « عمل كاتبه الحاج مسعود السبع » كما يوجد على باب المدخل الرئيسى لوحه تذكارية من الرخام مكتوب عليها النص التالى :-

إن المساجد للإله الباقي فلمن لها أحياء ثوابا باقى
الله يبنى فى الجنان لمن بنى بيتا أتى نصا بغير شقاق
فابشر من الباقي فانك عبده بالفوز فى العقبى وقاك الواقى
واغنم ثناء دائما لا ينقضى فى سائر الأوقات والأفاق

إن رمت أن تحظى بكل مسرة وتفوز بالحسنى من الخلاق اسمع لامر بالرشاد مؤرخا جزاء الهدى والخير عبد الباقي في شهر ربيع آخر سنة ١١٧١هـ

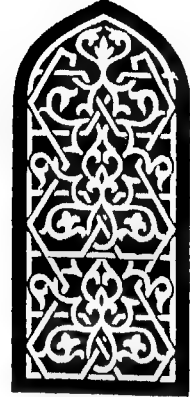
ويكتنف الباب من جانبه نافذة مملوءة بالخشب الخرط ومكتوب فيه بالخط الكوفي المربع « لا اله الا الله محمد رسول الله » كما حليت مصاريعها بأحزمة وبخاريات حديدية وللمسجد باب آخر يقع في الضلع الشمالى في نهاية الجهة الشرقية ، وهو يشبه في زخرفته باب المدخل الرئيسى وان كان أقل منه زخرفة .

ويتكون داخل المسجد من مستطيل جزؤه الغربى خال من الأروقة ويمثل في المساجد العثمانية الحرم أو الصحن الا انه مغطى . أما الجزء الشرقى فهو مكان الصلاة ويتكون من بائكتين تحتوى كل بائكة على أربعة أعمدة رخامية تقوم عليها عقود مدببة ممتدة ، فتقسم مكان الصلاة الى ثلاثة أروقة .

ويغطى سقف مكان الصلاة سقف خشبى مزخرف برسوم زيتية جميلة . ويتوسط سقف مكان الصلاة منور (شخشيخه) للاضاءه والتهوية .

وفى صدر حائط القبلة محراب مجوف يكتنفه عمودان رخاميان يتكون كل منهما من فرعين ملفوفان يخرجان من زهرية . وتاج العمود مكون من عقود من الزهور . أما تجويف المحراب وطاقيته وكذا تواشيحه ، وكذا الجدران أعلاه وعلى جانبيه ، فقد غشى ببلاطات من الخزف المغربى الجميل ، يحتوى بعضها على أسم صانعيها المغربى (محمد ابن عبد الكريم الفاسى) المعروف بالزريع ومؤرخه سنة ١١٧١هـ .

والى جانب المحراب يوجد منبر خشبى ، يعتبر تحفة فنية رائعة لصناعة الأخشاب فى العصر العثمانى . فقد صنعت جوانبه (ريشته) بطريقة التجميع على هيئة الأطباق المجمعّة والمزخرفة بالعاج والصدر . أما الايزار الذى يعلو الجوانب ، فمصنوع بطريقة الخرط بأساليب وزخارف متعددة غاية فى الدقة والابداع .



مسجد الهياتم

بدر الهياتم بالقاهرة

(سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م)

يقع هذا المسجد بدر الهياتم المتفرع من شارع الطينة أو شارع الحنفى^(١). وهو درب كبير بداخله الجامع المعروف بجامع الهياتم، أنشأه الأمير يوسف جوريجى فى سنة سبع وسبعين ومائة والى. وشعائره مقامة من ريع أوقافه. وبقرى الجامع دار ورثة محمد بيك الدغستلى بها حديقة. وملحق بالجامع سبيل يعلوه كتاب تابع له. وجامع الهياتم قريب من جامع البرمونى بحارة الميضاة.

ويضيف على مبارك فيقول: وبهذا الدرب أيضا من الدور الكبيرة دار الأمير سليم باشا أباطه ودار الامير ابراهيم باشا چركس، وهى دار الأمير يوسف جوريجى صاحب جامع الهياتم. وكذا توجد به دار احمد باشا الطوبجى ودار مراد بك ودار الأمير مصطفى ودار الأمير أمين باشا الازمرلى. ويعلق على مبارك على دور الهياتم فيقول: وجميع سراى الهياتم توجد بها حديقة.

الوصف المعمارى

يتكون المسجد من مستطيل يتوسط صحن مكشوف مربع الشكل تقريبا وتحيط به الأروقة من جميع الجهات. وتحتوى كل جهة على رواق واحد مكون من بائة من خمس عقود مدببة وممتدة وترتكز على أربعة أعمدة رخامية بتيجانها مكونة من ثلاث حطات من الدلايات.

(١) على مبارك ج ٤ صفحة ٩٢

أما إيوان القبلة فيحتوى على رواقين موازيين لحائط القبلة ويتكون كل واحد منهما من بائكة من خمسة عقود مدببة وممتدة وترتكز على أربعة أعمدة رخامية .

أما الواجهة الرئيسية للجامع فتقع في الضلع الغربى للمسجد حيث يتوسطه المدخل الرئيسى الذى يعتبر تحفة فنية رائعة بالنسبة لـزخارفه الهندسية والنباتية المنحوتة في الحجر في العتب وفى العقد العاتق وكذا حواجز العصر . وكذا بالنسبة للبلاطات الخزفية التى تزخرف واجهة المسجد وكذا (النفيس)

وقوام الزخارف الخزفية في هذا المسجد هندسية تحصر بينها رسم زهور وذلك باللون الأزرق على أرضية بيضاء . وهذا النوع من الزخارف كانت تنتجه مدينة دمياط في القرن الثامن عشر ، وفقا لطراز المدرسة المصرية^(١) المحلية المتأثرة بأسلوب شمال افريقيه والمغرب الأقصى

ويشغل واجهة المسجد صفان من النوافذ يتكون كل صف من خمس نوافذ زخرفت (النفيس) النوافذ العشرة ببلاطات خزفيه قوام زخارفها مكونة ايطار من رسوم ورقه نباتية مسننة تحصر بينها مجموعة من زهرة اللاليه ، تخرج من كأس .

ومما يجدر ملاحظته أنه بينما نجد البلاطات الأولى السالف الإشارة اليها متأثرة بالطراز المصرى المحلى ذى المسحة المغربية ، نجد هذه البلاطات الأخيرة تتبع الاسلوب العثمانى في القرن الثامن عشر .

أما عن بلاطات (النفيس) التى تعلو نافذة السبيل الملحق بالجامع ، فقد رسمت باللون الأزرق على أرضية بيضاء ، كما ان بعضها رسم على أرضية زرقاء وهى من صناعة مصر في القرن الثامن عشر

(١) ربيع خليفة : البلاطات الخزفية صفحة ٢٤٦

جامع همام

بفرشوط

(١١٨٣هـ)



فرشوط من القرى القديمة بمحافظة قنا مركز نجح حمادى ، ذكر اميلينو فى جغرافيته باسم Fargout . ووردت فى تاج العروس (قُرْجُوط) كعصفور ، قال وعلى ألسنة العامة ، فرشوط كِبَرْدُون . وذكر باقوت فرشوط فى معجمه فقال : قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل من صعيد مصر . ووردت فى قوانين الدواوين ، فرجوط من أعمال القوصيه . ويقول محمد رمزى^(١) ، وكانت فرشوط قاعدة لقسم فرشوط من تاريخ انشائه سنة ١٨٢٩م الى ان نقل منها ديوان القسم الى نجح حمادى ١٨٨٦م

ويتحدث على مبارك^(٢) عن فرشوط فيقول ، فرشوط قرية من مديرية قنا هى رأس مركز فى غربى النيل باكثر من ساعة وفى شمال قرية الكوم الأحمر على نحو ربع ساعة ، وفى جنوب قرية القمانه ، ويقابلها على الشاطئ الشرقى قرية نجع ابن سالم . وهى كثيره العماره المبنيه من الحجر وبعضها مكون من ثلاث طبقات . وبها مصنع للقمشه ، كما تحتوى على تيساريتان (سوق مركزى) بها مجموعة من الحوانيت والقهواى وأربع وكائل وجوامع عامرة . وفى جهتها الشرقية يوجد جامع شيخ العرب .

ويروى على مبارك تاريخ شيخ العرب همام ، فيقول كانت فرشوط فى العصور الماضية من أعظم بلاد الصعيد ، وخاصة فى عهد الشيخ همام ، الجناب الأجل والكهف الأظلم ملجأ الفقراء الامراء ومحط رجال الفضلاء والكبراء وهو الامير شرف الدولة شيخ العرب همام بن يوسف بن أحمد بن محمد بن همام بن صبيح بن سبيبة الهوارى عظيم بلاد الصعيد وأميره وحاكمه من ادناه الى اقصاه .

(١) القاموس الجغرافى ج ٤ .

(٢) المخطط التوفيقية ج ١٤ صفحه ٦٨

وقد كان الشيخ همام حاكم غير متوج ، فقد كان له جنود وعدد وذخائر ودانت له الرقاب وذلت له الصعاب . وكان خيره يعم القريب والبعيد ، وكان اذا نزل لساحته الوفود والضييفان تلقاهم الخدم وأنزلوهم في اماكن معدة لامثالهم وأحضروا لهم جميع ما يلزم من السكر وعسل الشمع وغير ذلك .

ثم ترتب لهم الأطعمة في الغداء والعشاء والصباح مدة اقامتهم ولو أقاموا شهورا . وكان الفراشون والخدم يهيئون أمر الفطور من طلوع الفجر فلا يفرغون منه الا ضحوة النهار ، ثم يشرعون في أمر الغداء من الضحوة الكبرى الى قرب العصر ، ثم يشرعون في العشاء فلا يفرغون منه الا بعد العشاء ، وهكذا .

وكانت الجوارى تنعم بالسكر والغلال والتمر وكذا العبيد . وكان للأرض المنزرعة قصب السكر اثني عشر ألف ثور ، خلاف المعد للحراث ودرس الغلال والسواقي والطواحين . كما كان يوجد الجواميس والابقار الحلابة وغير ذلك من الماشية . أما شئون الغلال وحواصل التمر بأنواعه والسكر فشئ لا يعد ولا يحد .

وكان للشيخ همام دواوين وعدة كتاب من الاقباط لا يبطل شغلهم أبدا . وكانت له صلات وإغداقات وغلال يرسلها للعلماء وأرباب المظاهر وغيرهم بمصر وغيرها كل سنة . الا ان الأمر لم يدم للشيخ همام ، اذ لم يكد يظهر أمر على بك الكبير واختلافه مع خراشييه ، محمد أبو الذهب ، فسافر على بك الى الصعيد وانضم الى صالح بك ، ثم بعد ذلك غدر على بك بصالح فقتله . فخرجت عشيرته الى الصعيد وأخبرت شيخ العرب همام بذلك ، فاغتم على فقد صالح بك غما شديدا ، لانه كان صديقه .

وقد دفعت الصداقة . . الشيخ همام الى ان يشير على عشيرة صالح بك ان يذهبوا الى اسيوط ويمتلكوها ، قائلا لهم انها باب الصعيد . فذهبوا اليها وملكوها ، وهرب من كان فيها ، فوصل الخبر الى على بك ، فأرسل تجريده بددت شمل العصاة ، وقتل منهم من قتل وفر من فر .

ثم توجه محمد بك أبو الذهب لقتال همام ، لما ثبت لديهم من خيائته ، وأرسل الى عبد الله بن عم همام يستميله ووعد ببلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام . فاطمأن اليه عبد الله وركن الى وعده وصدق تمويهاته . فتقاعس عن القتال مع ابن عمه وثبط طوائفه ، فعند ذلك تحقق عند الشيخ همام ، أنه مطلوب وأن لابد مغلوب خاصة مع ما وقع من فشل كبار الهوارة وأقاربه ونفاقهم عليه .

عند ذلك لم يسع الشيخ همام الا الارتحال من فرشوط وتركها بما فيها من الخيرات
 وذهب الى جهة اسنا فمات مكمودا مقهورا سنة ثلاث وثمانين ومائة والف
 وبعد موته دخل محمد أبو الذهب فرشوط فملكها ونهبها وأخذ جميع ما كان بدوائر
 همام وأقاربه وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد .

الوصف المعماري

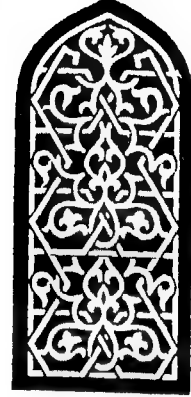
فرشوط قرية من محافظة قنا تقع على الضفة الغربية للنيل ، وكانت تعرف باسم
 برشوط ثم قلبت الباء فاء وأصبحت فرشوط . ومن عمائر فرشوط الهامة جامع همام
 الذي يرجع الى القرن الثامن عشر . ويتكون المسجد من صحن مكشوف تحيط به الأروقة
 من جوانبه الأربعة ، وهو مبنى بالأجر من الداخل والخارج على السواء . ويحيط بسقف
 المسجد وزره خشبية نقش عليها قصيدة البردة وانتهت بما نصه : (انشاء الشيخ بن الشيخ
 يوسف الله تعالى هذا المسجد المبارك وعمارته سنة ألف ومائة واثنين وسبعين . وقد تبرك
 بكتابه عبد الهادي بن اسماعيل » . وتقع مئذنة المسجد في الركن الشمالى الغربى وهى من
 الطوب كذلك ، وعلى الواجهة الرئيسية للمسجد في الجهة الغربية كتبت بعض أبيات من
 الشعر نصها :

لجامع همام بن يوسف رونق به لاذت العباد من كل وجهة
 عليه علامات القبول لوائح وقد طاب من ارجائه كل بقعة
 فيا داخلا ادع لمنشئ وأرخ بسدان شر المنية
 كتبه على تابع شيخ العرب همام سنة ١١٧٢هـ

وكان شيخ العرب الأمير همام قد غادر فرشوط الى اسنا على أثر الخلافات التى
 دبت بينه وبين على بك الكبير ، بعد أن تأكد من هزيمته اذا ما دارت بينهما الحرب . وقد
 مات كمدا فى اسنا ونقل الى فرشوط ودفن فى المسجد المعروف باسمه .
 ولعل من أهم مميزات جامع همام بفرشوط مئذنته المكونة من ثلاثة طوابق يفصل
 بينها شرافات خشبية ، ويتكون الطابق الثالث من شكل جوسق صغيرة به أربع فتحات
 مقبية . ويعلوا الطابق الثالث عمود قصير يحمل الهلال وهى تشبه الى حد كبير مئذنة
 مسجد الكاشف بسوهاج ومئذنة مسجد المتولى بجرجا . ومثل هذه المئذنة يوجد نادرا فى
 الصعيد ، ولكنها كثيرة الانتشار فى الوجه البحرى ، وهى من مميزات المآذن العثمانية
 بخلاف النوع المعروف بشكل المسلة أو القلم الرصاص .

مسجد محمد بك أبي الذهب

بميدان الأزهر
(١١٨٨هـ)



ترجم الجبرتي^(١) لمحمد بك أبي الذهب فقال :

هو الأمير محمد بيك ابو الذهب تابع على بيك الكبير اشترأه أستاذة في سنة خمس وسبعين فاقام مع أولاد الخزنة أياما قليلة وكان اذ ذاك اسماعيل بيك خازندرا فلما قلد اسماعيل بيك الامارة قلد الخازندارية مكانه وطلع مع مخدمه إلى الحج ورجع أوائل سنة ثمان وسبعين وتأمّر في تلك السنة وتقلد الصنجدية وعرف بأبي الذهب بسبب أنه لما تلبس بالخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهابا وفي حال ركوبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقراء الجعيدة حتى دخل منزله فعرف بذلك فانه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الامارة واشتهر عنه هذا اللقب وسمع شهرته بذلك فكان لا يوضع في جيبه الا الذهب ولا يعطى الا الذهب ويقول أنا أبو الذهب فلا أمسك إلا الذهب وعظم شأنه في زمن قليل ونوه مخدمه بذكره وعينه في المهمات الكبيرة وكان سعيد الحركات مؤيد العزمات لم يعهد عليه الخذلان قط واستكثر من شراء الممالك والعبيد حتى اجتمع عنده في الزمن القليل مالا يتفق لغيره في الزمن الكثير وتقلدوا المناصب والامريات فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون بياس أستاذة ثم خالفوا عليه ضم المتشردين وغمرهم بالاحسان واستمال بواقى أركان الدولة واستلنوا جانبه فجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه وتعصبوا له وقتلوا بين يديه حتى أزاجوا على بيك وخرج هاربا من مصر الى الشام واستقر محمد ابو الذهب بمصر وساس الامور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال وأرسلها الى الدولة وظهر الطاعة وقلد مملوكه ابراهيم بيك إمارة الحج وصرف العلائف وعوائد العربان وأرسل الغلال والصرر للحرمين وتحرك على بيك

(١) الجبرتي ج ١ صفحة ٤١٧

للرجوع إلى مصر وجيش الجيوش فلم يهتم محمد أبو الذهب لذلك وكاد له كيدا بأن جمع القرائصة والذي يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يرأسوا على بيك ويستعجلوه في الحضور وينمقوا مساوىء محمد أبي الذهب ويعدوه بنصرته متى حضر ففعلوا ذلك فراج واعتقد صحته وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا الرسالة لذلك باطلاع مخدمهم وإشارته فقوى عزم على بيك على الحضور وأقبل بجنوده إلى الديار المصرية فخرج إليه ولاقاه بالصلاحية وأحضره أسيرا حتى مات بعد أيام قليلة وانقضى أمره وارتاح أبو الذهب من قبله وجمع باقي الامراء المطرودين وأكرمهم واستوزرهم وقلدهم المناصب ورد إليهم بلادهم وعواندهم واستعبدهم بالاحسان والعطايا فثبتت دولته وارتاحت النواحي من الشرور والتجاريد وهابته العربان وأمنت السبيل وسلكت الطرق ووصلت المجلوبات من الجهات للتجارات ، ويكمل كتاب^(١) حقائق الاخبار قصة محمد أبي الذهب فيقول : وحضر إلى مصر خليل باشا وطلع إلى القلعة وحضرت للمترجم المرسومات والخطابات من الدولة وسيف وخلعة فلبس ذلك في الديوان ونزل في ابهة عظيمة وانفرد بامارة مصر وأهمل أمر أتباع أستاذه على بيك فأقام أكثرهم بمصر بطالا وحضر إلى مصر مصطفى باشا النابلسي من أولاد العظم والتجأ إليه فآكرم نزله ورتب له الرواتب وكاتب الدولة وطلب له ولاية مصر فأجيب إلى ذلك ووصلت إليه التقاليد والتقدم في ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين ووجه خليل باشا إلى ولاية جدة وسافر من القلزم وبالجملة فإن أبا الذهب كان آخر من أدركتنا من المصريين شهامة وصرامة وسعدا وحزما وحكما وسماحة وحلما وكان قريبا للخير يحب العلماء والصلحاء ويميل بطبعه إليهم ويعظمهم وينصت لكلامهم ويعطيهم العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدين ولم يشتهر عنه شيء من الموبقات والمحرمات ولا ما يشينه في دينه أو يخل بمروءته ، بهى الطلعة جميل الصورة أبيض اللون معتدل القامة والبدن مسترسل اللحية مهيب الشكل وقورا محتشبا قليل الكلام والالتفات ليس بمهزار ولا خوار ولا عجول مبجلا في ركوبه وجلوسه يباشر الاحكام بنفسه ولولا ما فعله آخر من قتل أهل يافا بأشارة وزرائه لكنت حسنته أكثر من سيئاته وذلك أنه توجه إلى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر واستخلاص ما بيده من البلاد فبرز خيامه إلى العدلية وفرق الاموال والتراخيل على الامراء والعساكر والمماليك واستعد لذلك استعدادا عظيما في البر والبحر وأنزل بالمرالكب الذخيرة والجبخانه والمدافع والقناير وسافر

(١) حقائق الاخبار ج ٢ صفحة ٢٠٦

بجموعه وجيوشه في أوائل المحرم من سنة تسع وثمانين وأخذ صحبته مراد بيك وإبراهيم بيك طنان وإسماعيل بيك تابع إسماعيل بيك الكبير وترك بمصر إبراهيم بيك وباقي الامراء والباشا الذى بالقلمة وهو مصطفى باشا النابلسى وارباب العكاكيز والخدم والوجاقية ولما وصل الى جهة غزة ارتجت البلاد ولم يقف أحد في وجهه وتحصن أهل يافا وكذلك الظاهر عمر بعكا فلما وصل إلى يافا حاصرها وضائق أهلها فامتنعوا عليه وحاربوه من داخل . وحاربهم من خارج ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال فكانوا يصعدون الى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا ولم يزالوا بالحرب عليهم حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل ناحية وملكوها عنوة ونهبوها وقبضوا على أهلها وربطوهم في الحبال وسبوا النساء والصبيان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ودوروا فيهم السيف فقتلوهم عن آخرهم ولم يميزوا بين الشريف والنصراني والعالم والجاهل ولا بين الظالم والمظلوم وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع وجعلوا وجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع ثم ارتحل عنها طالبا عكا فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا اشتد خوفه وخرج من عكا هاربا وتركها وحصونها فوصل إليها أبو الذهب ودخلها من غير مانع وأذعن له باقى البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته وداخله من السرور والفرح مالا مزيد عليه وأرسل البشائر إلى مصر وأمر بزيبتها ويحدثنا على مبارك^(١) عن مظاهر الفرح والزينات التى أقيمت فى القاهرة فيقول : فنودى بذلك وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة وعمل بها وقداث وشنكات وأفراح ثلاثة أيام بلياليها وذلك فى أوائل شهر ربيع الثانى وعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموته واستمر يفشو ويزيد حتى وردت الساعة بتصحيح ذلك وشاع بين الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » وذلك انه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية واذعن الجميع لطاعته أرسل إسماعيل أغا أخا على بيك الغزاوى الى اسلامبول بطلب أمر مصر والشام وأرسل صحبته أموالا وهدايا فأجيب الى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم فأرسل له يبشره بتمام الأمر فوافاه ذلك يوم دخول عكا فامتلاً فرحاً وحسم بدنه فى الحال فأقام محموماً ثلاثة أيام ومات ليلة الأربعاء ثامن ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائة وألف وأخفوا موته على بعضهم ثم ظهر ذلك وارتبك العرضى وجردوا على بعضهم السلاح بسبب الأموال فحضر مراد بك وكفهم عن بعضهم وجمع كبراءهم وتشاوروا

(١) المخطوط التوفيقية جده صفحة ١٠٦

في أمرهم فاتفق رأيهم على الرحيل وأخذ رمة سيدهم صحبتهم فعند ذلك غسلوه وكفنوه ولفوه في المشمعات ووضعوه في عربة وارتحلوا طالبين الديار المصرية فوصلوا في ستة عشر يوما ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني أواخر النهار .

وأرادوا دفنه بالقرافة فحضر الشيخ على الصعيدى وأشار بدفنه في مدرسته تجاه الجامع الأزهر فحفروا له قبرا في الليوان الصغير الشرقى وبنوه ليلا ولما أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنائزه من بيته الذى بقوصون ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والاوراد وأولاد المكاتب وأمام نعشه مجامر العنبر والعود حتى وصلوا به الى مدفنه وعملوا عنده عدة ختات وقراءات وصدقات نحو الأربعين يوما ، فسبحان مالك الممالك الحى الذى لا يموت .

أما عن تاريخ المسجد فقد أعطانا على مبارك تاريخا وافيا ومفصلا عنه راينا ان ننقله كاملا^(١) : يقع هذا الجامع بجوار الأزهر ليس بينهما فاصل الا الطريق وقليل من الحوائط وهو جامع معلق إذ يصعد اليه بمجموعة كبيرة من الدرجات ويحتوى الجامع على ثلاثة أبواب كتب على وجه الباب الذى فى حائط القبلة هذان البيتان :

أنشأت يامولى الاكابر مسجدا ولواء نصرك فى البرية يسعد
ولك العناية بالسعادة أرخت حاز الفضائل والكمال محمد
وعلى الباب الثانى وهو الذى تجاه الطريق الموصل الى المشهد الحسينى .

أميراللواء الاكرمين محمد بمسجده حاز الفضائل والذهب
عليه ضياء للقبول مؤرخ بسعد لقد دام العزيز أبو الذهب

والثالث عنده الميضأة فى طريق النافذ الى الكعكيين وفى داخل الباب الاول طرقة مستطيلة مفروشة بالحجر توصل الى مقصورة الجامع والى التكية والفيضأة ولمقصورة الجامع ثلاثة ابواب على احدها هذان البيتان :

أمير اللواء أنشأت لله مسجدا عليه بهاء العز جل الذى وهب
لك الفوز فيه بالثواب مؤرخ لقد حازالطاف القبول أبو الذهب

وعلى الثانى

فريد الآن مسجده تحلى بماسر النواظر والمسامع

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ صفحة ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥

لواء النصر شيدته فأرخ مكان محمد للخير جامع
وعلى الثالث كتابة لم يظهر منها الا بيت واحد

فيه لواء النصر لاح مؤرخا لمحمد خير المساجد يشمل
وبها ثمانية شبابيك من النحاس ومنبره مشغول بالصدف وخارج المقصورة من الجهة
اليسرى فى نهاية الرحبة مدفن الامير محمد بيك أبى الذهب عليه مقصورة من النحاس
الاصفر وعلى القبر تركيبة من الرخام عليها نقوش فيها آيات قرآنية وعلى أحد الشاهدين
هذه الابيات :

هذا مقام عزيز مصر أميرها عين الأكابر ذى العلا والسود
أعنى أبا الذهب الذى فى عصره كانت له الأقطار فى طوع اليد
تجربى على طول المدى صدقاته بدروس علم أو عمارة مسجد
فسحائب الرحمت يصحبها الرضا تهى عليه فى المساء وفى الغد
والحور فى المأوى قد أرخت دار الكرامة مسكن لمحمد
وعلى الشاهد الآخر :

ياواقفين بقرنا لاتعجبوا من أمرنا
بالامس كنا مثلكم وغدا تكونوا مثلنا

وبجواره قبر ابنته عديلة هانم زوجة ابراهيم الالفى بيك وبجوار ذلك خزانة الكتب ثم
ان هذا الجامع كان أصل انشائه برسم مدرسة وهو الى الان يدرس فيه كثيرا ، فى
تاريخ^(١) الجبرقى من حوادث سنة تسع وثمانين ومائة وألف ان الامير محمد بيك أبا الذهب
شرع فى آخر سنة سبع وثمانين ومائة وألف فى بناء مدرسته التى تجاه الجامع الازهر وكان
محلها رباعا متخربة فاشتراها من أربابها وهدمها وأمر ببنائها على هذه الصفة وهى على
مثال جامع^(٢) السنانية الكائن بشاطيء النيل ببولاق .

فرتب لنقل الاتربة وحمل الجير والرماد والطين عدة كبيرة من قطارات البغال وكذلك
الجمال لشليل الاحجار العظيمة كل حجر واحد على حمل وطحنواها الجبس الحلوانى المصيص
ورموا أساسها أوائل شهر الحجة ختام السنة المذكورة ولما تم عقد قبعتها العظيمة

(١) الجبرقى جـ ١ صفحة ٤١٩

(٢) المقصود بجامع السنانية هو جامع سنان باشا

وما حولها المعقودة على اللواوين وبيضوها نقشوا داخلها بالالوان والاصباغ وعملوا لها شبابيك عظيمة كلها من النحاس الاصفر المصنوع .

وعمل بظاهرها فسحة مفروشة من الرخام المرمر وبوسطها حنفيه وبدائرها مساكن للصوفية الاتراك وبداخلها عدة كراسى راحة وكذلك بدورها العلوى وبأسفل ذلك ميسأة عظيمة تمتلئ بالماء من نوفرة بوسطها تصب في صحن كبير من الرخام المصنوع نقلوه اليها من بعض الاماكن القديمة ويفيض منه فيملأ الميسأة وحول الميسأة عدة كراسى راحة .

وأنشأ لذلك ساقية فلما حفروها خرج ماؤها حلوا فعد ذلك أيضا من سعيه مع ان جميع الابار والسواقي التي بتلك الحطة ماؤها في غاية الملوحة وأنشأ أسفل ذلك صهريجاً عظيماً يملأ منه الماء ويمتلئ في كل سنة من ماء النيل وأنشأ حوضاً عظيماً لسقى الدواب وعمل بأعلى الميسأة ثلاثة أماكن برسم جلوس المشايخ الثلاثة المفتين يجلسون بها حصّة من النهار لافادة الناس بعد املاء الدروس .

وبين لنا على مبارك في شيء من التفصيل أنواع الوظائف التي يقوم أصحابها بالدرس والخطبة والإمامة وغيرها من الخدمات التي يحتاجها الجامع فيقول: ^(١) وقرر فيها الشيخ أحمد الدردير مفتى المالكية والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية والشيخ حسن الكفراوى مفتى الشافعية ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر ومن فوقها البسط الرومى من داخل وخارج حتى فرجات الشبائيك ومساكن الطباقي ولما أستقر جلوس المفتين المذكورين بالاماكن الثلاثة التي اعدت لهم أضرت بهم الرائحة الصاعدة اليهم من المراحيض التي من أسفل فأعلموا الأمير بذلك فأمر بإبطالها وبنوا خلافاً بعيداً عنها .

وتقرر في خطابتها الشيخ أحمد الراشدى وترتب بها غالب المدرسين بالازهر مثل الشيخ على الصعيدى والشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الامير والشيخ عبد الرحمن العريشى والشيخ حسن الكفراوى والشيخ أحمد يونس والشيخ أحمد السمنودى والشيخ على الشنويهى والشيخ عبد الله اللبان والشيخ محمد الحفناوى والشيخ محمد الطحلاوى والشيخ الجداوى والشيخ أبى الحسن القلعى والشيخ البيلى والشيخ محمد الحريرى والشيخ منصور المنصورى والشيخ أحمد جاد الله والشيخ محمد المصيلحى وقرر درسا ليحيى أفندى شيخ الأتراك .

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ صفحة ١٠٧

وتقرر السيد عباس إماماً راتباً وفي وظيفة الشيخ محمد الصبان وجعل بها خزانة كتب عظيمة وجعل خازن دارها محمد أفندي حافظ وينوب عنه الشيخ محمد الشافعي الجناجي . ورتب للمدرسين الكبار في كل يوم مائة وخمسين نصفاً فضة ورتب لمن دونهم خمسين نصفاً ومن الطلبة من رتب له عشرة أنصاف في كل يوم ومنهم من له أكثر أو أقل وبقدر عدد الدراهم أراد من البر في كل سنة ولما انتهى أمرها في شهر شعبان سنة ثمان وثمانين حضر الأمير المذكور واجتمع المشايخ والطلبة وأرباب الوظائف وصلوا بها الجمعة وبعد انقضاء الصلاة جلس الشيخ على الصعيدي على الكرسي وأملى حديث « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » فلما انقضى ذلك أحضرت الخلع والفراوى فألبس الشيخ علياً الصعيدي والشيخ الراشدي الخطيب والمفتين الثلاثة فراوى سمور وباقي المدرسين فراوى نافعاً بيضاً .

وأنعم على الخدمة والمؤذنين وفرق عليهم الذهب والبقاشيش وتنافس الفقهاء والأشياخ والطلبة وتحاسدوا وتقاتلوا ووقف على ذلك أمانة قويسنا وغيرها .

ولم يصرف ذلك إلا سنة واحدة فانه لما مات تأمر أتباعه وتقاسموا البلاد ومن جملتها أمانة قويسنا فبرد أمر المدرسة وعوضوا عن ذلك الوكالة التي أنشأها على بيك ببلاق لمصرف أجر الخدمة وعليق الاثوار بعد ما أضعفوا المعاليم ونقصوها ووزعوا عليهم ذلك الايراد القليل ولم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل التوقيت والاذان بل والصلاة في أكثر الاوقات وخلق فرشها وبسطها وعتقت وبلبت وسرق بعضها وأغلق أحد أبوابها المواجه للطريق الموصل للمشهد الحسيني بل أغلقت جميعها شهوراً مع كون الامراء أصحاب المال والعقد وأتباع الواقف ومماليكه .

أما عن الاوقاف والحبوس التي وقفها محمد ابو الذهب على الجامع والمباني الملحقة به فقد حفظها لنا كتاب^(١) وقفته المؤرخ سنة ثمان وثمانين ومائة والى من شهر شوال فقد أوقف المسجد والتكية والصهريج والحوض بخط الازهر ووقف في أسفل المسجد ثلاثة وثلاثين حانوتا وتسع خزائن فوقها تسعة مقاعد وفي خان الزركشية سبعة عشر حاصلاً وعشرة طباق وفي ربع ذلك الخان ثلاثة بيوت ويجوار باب الخان حانوتا وحانوتا بجوار وكالة

(١) حجة الوقفية

قايتباى كما أوقف عمارة ببولاق على شط البحر بظاهر وكالة الخرنوب تعرف بعمارة على بك
أمير اللواء تشتمل على قيسارية بداخلها من الصفيين حوانيت وخزائن وبخارجها حوانيت وقهاو
ووكالة فيها ثلاثة وعشرون حصلا وفوقها ثمانية وعشرون مسكنا .

ووقف كثيرة صالحة للزرع فى نواح متعددة منها بولاية الغربية ناحية قويسنا
وشرانيس وكفر الاقرع ودملو وكفر السعدين وعرب الرمل ومنية الحوفيين وجزيرة منية
الحوفيين وناحية بحيرم وناحية الرمال .

ومنها بولاية جرجا ناحية بلسفورة وبندار الكرمانية وجزيرة بندار وناحية الصلعا
وجزيرة جوبلى والبقلى والرمال بناحية بندار الكرمانية .

أما عن رواتب مدرسى الجامع وباقى الموظفين به فقد ذكرها الجبرقى فقال :^(١) ووظف
وظائف بمرتبات جسيمة فجعل بالمدرسة ستة عشر مدرسا منهم ثلاثة من شيوخ الحنفية
لأولهم فى اليوم مائة وخمسون نصفا وفى السنة مائة وخمسون اردبا ولمقرئه فى اليوم أربعة
عشر نصفا وفى السنة عشرة أرباب ولعشرة من الطلبة يحضرون درسه فى اليوم سبعون
نصفا وفى السنة مائة اردب .

ولثانى الشيوخ فى اليوم سبعون نصفا وفى السنة ثلاثون اردبا ولمقرئه فى اليوم عشرة
أنصاف وفى السنة عشرة ارباب ولعشرين طالبا يحضرون درسه فى اليوم مائة واربعون نصفا
وفى السنة مائتا اردب .

ولثالثهم فى اليوم خمسون نصفا وفى السنة ثلاثون اردبا ولمقرئه فى اليوم اربعة عشر
نصفا وفى السنة عشرة ارباب ولسبعة من الطلبة يحضرون درسه فى اليوم تسعة واربعون
نصفا ومنهم ستة من شيوخ المالكية لأولهم مقرنان واثنان وعشرون طالبا ومرتباتهم كمرتبات
أول الحنفية وطلبتة .

ولثانيهم مقرنان أيضا وثمانية وعشرون طالبا ومرتبه كالاول وطلبتة فى اليوم مائة
وستة وعشرون نصفا وفى السنة مائة وثمانون اردبا .

ولثالثهم خمسون نصفا وثلاثون اردبا وله مقرىء وسبعة من الطلبة مرتبهم بحسب
ما قبله وكذلك الرابع ولخامسهم عشرون نصفا وثلاثون اردبا ومقرئه كما قبله وله أربعة من
الطلبة مرتبهم كما سبق والسادس كالخامس الا ان طلبته خمسة ومنهم سبعة من شيوخ
الشافعية لأولهم مقرىء وعشرة من الطلبة مرتباتهم كمرتبات أول المالكية مع طلبته ولكل

(١) الجبرقى ج ١ صفحة ٤٢٩

من ثانيهم وثالثهم ورابعهم وخامسهم خمسون نصفاً يومياً وخمسون أردباً شهرياً ومقرىء كل وطلبتة كما قبله .

وللسادس في اليوم ثلاثون نصفاً وفي السنة ثلاثون أردباً وله مقرىء وسبعة من الطلبة مرتبهم كما سبق وللسابع عشرون نصفاً وثلاثون أردباً ولمقرئه وسبعة من طلبته مثل ما مر ويفتى ويدرس كل منهم في مذهبه وفيما يشاء من تفسير وحديث وغيره .

ولشيخ التكية في اليوم خمسون نصفاً وفي السنة خمسون أردباً ولكل واحد من ثلاثة وخمسين طالباً من الاتراك المقيمين بالتكية في اليوم عشرة أنصاف وفي السنة عشرة أرداب ولكل من قارىء فضائل رمضان فضائل ليلة نصف شعبان فضائل ليلة القدر فضائل المولد النبوي وقصة المعراج في اليوم ثلاثة أنصاف وفي السنة عشرة أرداب ولاتنين يقرآن بالقراءات السبع في اليوم عشرون نصفاً وفي السنة عشرون أردباً ولخمس عشرة يقرءون في المسجد خمسة عشر جزءاً في اليوم خمسة وسبعون نصفاً وفي السنة مثلها أرداب ومثلهم خمسة عشر يقرءون الربعة كل يوم .

ولعشرة من الصالحين يقرءون سورة الإخلاص في اليوم ألفى مرة لكل واحد خمسة عشر نصفاً في اليوم وخمسة أرداب في السنة وللإمام خمسون نصفاً وخمسون أردباً وللخطيب كذلك وللمرقى في اليوم نصف واحد وفي السنة خمسة أرداب ولقارىء سورة الكهف يوم الجمعة كل يوم خمسة أنصاف وفي السنة خمسة أرداب وللمبخر كل يوم ثمانية أنصاف وثلاث نصف ولخمس مؤذنين في اليوم خمسون نصفاً وفي السنة خمسون أردباً وللميقاتي خمسة عشر نصفاً وثلاثون أردباً ولخازن الكتب ستون نصفاً وستون أردباً ولثلاثة بوابين في اليوم أربعة وعشرون نصفاً ولثلاثة كناسين في اليوم ثلاثون نصفاً ولاتنين يخدمان المطهرة في اليوم أربعة عشر نصفاً وفي السنة عشرة أرداب .

ولأربعة وقادين في اليوم اربعون نصفاً وفي السنة أربعون أردباً وللبواب الميضاة في اليوم عشرة أنصاف ولثلاثة من ملائيه في اليوم خمسة عشر نصفاً ومثلها في السنة أردباً ولخادم المذبة بالتكية في اليوم عشرة أنصاف ولاتنين سقاءين في اليوم عشرون نصفاً ولخادم حوض الدواب في اليوم عشرة أنصاف ولثلاثة سواقين بالساقية في اليوم اثنا عشر نصفاً وفي السنة عشرة أرداب ولنجار الساقية في اليوم نصف نصف وفي السنة أربعة أرداب .
ويصرف في مهات المسجد والتكية والساقية والصهرج كل سنة مائة ألف وأربعة وستون ألفاً وخمسمائة نصف وبرسم عليق أثوار الساقية الاربعة في السنة ثلاثون أردباً من

القول ولشراء اثنين وأربعين قنطارا من الزيت الطيب للاستصباح في المسجد والتكية والمنارة والمطهرة في السنة اثنان وأربعون ألف نصف فضة وفي ثمن شمع سكندرائى لمحراب المسجد في رمضان أربعة آلاف نصف وفي ثمن حصر في السنة أحد عشر ألف نصف وفي ثمن زجاج وسلاسل وحبال وتوايت ستة آلاف نصف وفي ثمن مكاس وزحاحيف ومزاريق ألف وخمسمائة نصف وفي ثمن ماء عذب للصهريج في السنة ثلاثون ألف نصف .

وفي أجرة نزع الصهريج وبخوره وثمان سلاب ولأء وقلل في السنة ثمانمائة نصف وفي ثمن قرب شعارى ودلاء للرش ونحوه في السنة ألف وخمسمائة نصف وفي ثمن طوانس وقواديس وحلفاء وكلالات ودهن للساقية ألفان وثمانمائة نصف .

وفي أجرة جرش الفول عليق الأنوار ستمائة نصف وفي ثمن تبن تسعة آلاف وستمائة نصف ولربيع الأنوار سبعة آلاف ومائتا نصف وفي أجرة كسح المسجد خمسة آلاف نصف وفي أجرة مراكب لنقل غلال الوقف ومصاريفها ببولاى أربعة وثلاثون ألف نصف وفي ثمن عجول جاموس تذيب في عيد الأضحى وتفرق على الفقراء والمساكين سبعة آلاف وخمسمائة نصف .

ولناظر الوقف في السنة مائة وخمسة وعشرون ألف نصف فضة وخمسمائة أراذب قمحا وللمباشر سبعة آلاف ومائتا نصف في السنة وخمسون أردبا وللجانبى ثلاثة آلاف نصف وعشرة أراذب ولشاد الوقف كذلك وما فضل من الربيع بعد ذلك فهو للواقف وأولاده ومن بعده لعتقائه وأولادهم فإذا انقضوا كان الثلثان لعميان الأزهر والثلث لناظر الوقف فإن تعذر ذلك فللفقراء والمساكين .

وقد أذن للموظفين بسفر الحج إلى بيت الله الحرام وبغياى ثلاثين يوما لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وصلة الرحم وقد جعل في خزانة كتبه نحو ستائة وخمسين كتابا منها جملة وافرة من كتب التفسير ككتاب الفخر الرازى والكشاف والدر المنثور والبحر والبيضاوى والجلالين وحواشيه وأبى السعود وغير ذلك وجملة من كتب الحديث كالسنن الستة وشروحها والشفاء والجمع بين الصحيحين والمواهب اللدنية وغير ذلك وجملة من كتب القراءات وجملة من كتب التصوف وفقه المذاهب الأربعة وكتب النحو والمعانى والبيان والصرف واللغة والمنطق والتوحيد والفرائض والتواريخ وغير ذلك وشرط في وقفيته انه اذا ضاع شىء من كتب الوقف يلزم خازن الكتب تعويضه .

وأما اموال الديوان التى على الاطيان فتصرف من الفائض .

الموصف المعماري

لقد أنشئ هذا الجامع ليكون مدرسة تساعد الأزهر على استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب الوافدين عليه من جميع انحاء العالم الاسلامى ، خاصة بعد سقوط بغداد في يد المغول ٦٥٦هـ ثم سقوط الاندلس في ٨٩٧هـ ، وأقول نجم جامعة الزيتونة والقرويين في المغرب على يد المستعمرين من الاسبان والفرنسيين .

وكان الشروع في انشائه (١١٨٧هـ / ١٧٧٣م) والفراغ منه (١١٨٨هـ / ١٧٧٤م) ، وقد الحق به مكتبة ، وصفها الجبرتي^(١) فقال : وألحق بالجامع مكتبة تضم نحو (٦٥٠) كتابا في شتى العلوم والفنون . وقد بلغ من اهتمامه بها أن زودها بمؤلفات قيمة اشتراها من السيد مرتضى الزبيدي ، فقد حرص على شراء قاموسه بمبلغ مائة ألف درهم فضة . كما كانت تحوى المكتبة الكثير من كتب علم التاريخ وغيرها من الكتب النادرة بلغ عددها في القرن الثالث عشر (١٢٩٢) مجلدا .

كما الحق بالجامع تكية لمتصوفى الأتراك ، ، وسيلا وحوضا لشرب الدواب ، التى تقع في الجهة الجنوبية من المسجد

والمسجد معلق اذ يوجد أسفله من الجهة الشرقية والشمالية مجموعة من الحوانيت . وكان يصعد اليه من بابه الشمالى بسلم مزدوج من الرخام الملون ، وأمام بابه الشرقى سلم مستدير . وكلا البابين يؤديان الى دهليز مكشوف يحيط بالمسجد من جميع الجهات عدا جهة القبلة . وهذا الدهليز هو الجزء الوحيد الذى يحيط بمكان الصلاة ، اذ ليس له حرم (أى صحن) .

ويتكون المسجد من مستطيل يبلغ طوله من الشمال الى الجنوب (٣٣) مترا ، وعرضه من الشرق الى الغرب (٢٤) مترا ويبلغ عرض الدهليز الذى يحيط بالمسجد من جهاته (٣) أمتار ، ثم يتأتى بعد ذلك رواق يحيط بمكان الصلاة من جهاته الثلاث يبلغ عرضه (٦) أمتار .

وقد قسمت الأروقة التى تحيط بمكان الصلاة الى مربعات صغيرة يبلغ عددها في الضلع الصغير أربعة وخمسة في الضلع الطويل . وتقوم فوق هذه المربعات قباب ضحلة

(١) الجبرتي ج ٥ ص ١٩٩

تعتمد على مثلثات كروية في اركان المربع . وقد كانت القباب مزخرفة من الداخل برسوم زيتية قوامها رسوم نباتية زال معظمها للأسف الآن . ويوجد بكل رواق من هذه الأروقة مدخل اليها يوجد في القبة الثانية في الضلعين الشمالى والجنوبى ، وفي القبة الوسطى في الضلع الغربى . ومداخل هذه الأروقة يقابلها مداخل الى مكان الصلاة .

ويتوسط المسجد مكان الصلاة ، وهو عبارة عن مربع يبلغ طول ضلعه (١٥) مترا . وتقوم فوق المربع قبة كبيرة ترتكز على منطقة انتقال مكونة من انصاف قباب صغيرة محمولة على عقود ومقرنصات متكئة على اكتاف وأعمدة من الرخام . وقد حولت زوايا منطقة الانتقال المربع الى شكل ثمانى قامت عليه رقبة القبة الضخمة

وزخرفت زوايا المربع بالكثير من الزخارف فقد توسط عقد المقرنصات وانصاف القباب لفظ الجلالة بالحجر الأصفر بين حجر رمادى . ويعلو زوايا المربع افريز خشبى يحتوى كتابات قرآنية مذهب على أرضية زرقاء داكنة من سورة الفتح وكذا اسم المنشئ جاء فيها « حررت برسم أمير اللواء السلطانى محمد بك أبو الذهب » ويعلو الافريز دوائر مفرغة برسوم نباتية وهندسية جميله التكوين تتخلل نافذتين معقودتين يعلوها مقرنص كبير . ويأتى فوق ذلك نافذ قنديلية . وقد كانت القبة من الداخل حافلة بالنقوش الملونة والمذهبة وبكثير من الكتابات القرآنية .

ويتوسط أضلاع مربع القبة ابواب مقابلة لابواب الأروقة الثلاثة التى تحيط بمكان الصلاة . وقد كسى ما حول أبواب القبة بالرخام الأسود والابيض كما غطيت بمقرنصات مذهبة نقشت تواشيحها وطعمت بالعاج . وقد كتب على الباب الشمالى منها ما نصه :-
أمير اللوا أنشأت الله مسجدا عليه بهاء العز جل الذى وهب لك الفوز فيه بالثواب مؤرخ لقد حاز ألطاف القبول أبو الذهب
وكتب على الباب الغربى

فريد الآن مسجده تحلى بما سر النواظر والمسامع
لواء النصر شيدته فأرخ مكان محمد للخير جامع
ويزين رقبة القبة من الخارج صفان من الفتحات ، الصف الأسفل يتكون من فتحتين معقودتين في كل ضلع من أضلاع المثلثين يكتنفها دعائم تغطيها طاقية مدببة . أما الصف العلوى فيتكون من ست عشرة نافذه قنديلية يتخللها ست عشرة دعامة ، ثم تقوم بعد ذلك قبة مدببة .

أما داخل القبة فيتصدر جهة القبلة محراب مجوف زخرف تجويفه وكذا طاقته وتواشيعه بالفسيفساء الرخامية وكذا الصدف يشبه الى حد كبير محاريب العصر المملوكى وخاصة قبة قلاوون . وقد كتب على توشيحته النص التالى : - ما شاء الله لا قوة الا بالله العلى العظيم .

ويوجد بجوار المحراب منبر خشبى ، صنعت ريشته بطريقة الحشوات المجمععة على شكل الأطباق النجمية . وقد زخرفت الأطباق النجمية بالعاج والصدف (والزرنشان) . أما الافريز (الدريزين) الذى يعلو ريشتى المنبر ، فقد صنع بطريقة الخرط البديعة التكوين .

وقى الضلع الغربى لمكان الصلاة المقابل للقبلة ، وفوق باب القبة الذى يتوسط ذلك الضلع دكة المبلغ ، وهى من الخشب المصنوع بطريقة الخرط . ويتوصل الى دكة المبلغ من سلم مسحور فى الجدار الغربى بابه فى النافذة الشمالية من الضلع الغربى ، كما يوصل هذا السلم الى سطح القبة .

ويضىء مكان الصلاة نافذتان فى كل ضلع من أضلاع المربع ، اذ يكتنف كل باب من ابواب المربع الثلاثة وكذا المحراب اثنان منها . وهى مستطيلة الشكل ملئت بمصبغات حديدية . وكانت الأرضيات مفروشة بالرخام الملون فى تكوينات هندسية جميلة ، زال معظمها الآن ولم يبق منها الا اجزاء يسيره فى الطرقات أمام الابواب وكذا فى جلسة النوافذ وبهذا نرى ان مسجد (محمد ابو الذهب) يكاد يكون نسخة مطابقا لمسجد سنان باشا الذى سبقه بقرنين من الزمان تقريبا .

وكان يشغل الركن الشمالى الشرقى من المسجد ، وبالتحديد تحت القبة الأولى فى الضلع الشمالى منه مكتبة المسجد التى كانت تزخر بالكتب النادرة كما اسلفنا القول . وكانت وما تزال محاطة بسيج كبير من النحاس المفرغ بأشكال زخرفية بديعة التكوين . وهى تحتوى فى داخلها على أرفف خشبية لوضع الكتب ، المزخرفة بنقوش مذهبة ومتعددة الألوان .

فلما توفى محمد أبو الذهب ولم يكن له بالمسجد مقبرة فقد اقتطع من المكتبة جزء وأعد لدفنه . وقد أحيط الجزء المخصص للدفن بمقصورة يحيطها سياج من النحاس المخرم بأشكال جميلة تغاير سياج المكتبة كما كسيت جدران المقبرة ببلاطات من القاشانى المغربى وكذا التركى وهى مجموعة نادرة . وقد كتب على الافريز الخشبى الذى يعلو مكان

الدفن وكذا على العقد الذى يعلو، آية الكرسي . كما كتب على قبره ما يلى :

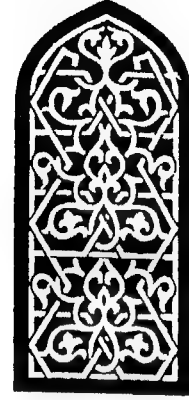
هذا مقام عزيز مصر أميرها عين الأكابر ذى العلا والسودد
أغنى أبا الذهب الذى فى عصره كانت له الاقطار فى طوع اليد
تجرى على طول المدى صدقاته بدروس علم أو عمارة مسجد
فسحائب الرحمت يصحبها الرضا تهى عليه فى المساء وفى الغد
والحور فى المأوى له قد أرخت - دار الكرامة مسكن لمحمد

وقد جوت المقبرة الى جانب محمد ابو الذهب اخته زليخة^(١) زوجة ابراهيم بك
الكبير وقد كتب على قبرها^(٢) ما يلى : « هذا قبر الست المصنونة ستنى زليخة زوجة أمير
اللواء ابراهيم بك شيخ البلد حالا توفيت الى رحمة الله يوم ٢٨ محرم ١٢١٦هـ »

ويؤدى الباب الشرقى للمسجد الى طرقة تمتد بطوله وتنتهى بالمئذنة التى تعتبر فريدة
فى نوعها بالنسبة للعمائر العثمانية ، وان كان قد سبقتها من حيث الطراز المعماري مئذنة
مدرسة الغورى . وهى تتكون من ثلاثة طوابق مربعة الشكل يفصل بينها شرفتان تقوم كل
منهما على ثلاث حطات من المقرنصات والدلايات فى تكوينات بديعة . ويعلو الطابق الثالث
خمس رؤوس على شكل (زلع) ، تعتقد العامة أنها مليئة بالذهب ويحرسها أفعى كبير .

(١) الجبترى ج ٥ ص ٢١٠ .

(٢) شاهد القبر محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة .



جامع السادات الوفائية

بسفح جبل المقطم

(١١٩١هـ/١٧٧٧م)

كان الشيخ محمد النجم جد الاسرة الوفائية مغربى الاصل ولد بمدينة صفاقص بلد بتونس تقع الى الشرق من المهديّة بها بساتين كثيرة وماؤها من الآبار ، ونزح الى ثغر الاسكندرية في شبابه وكان كما يقول عنه السخاوي^(١) من اصحاب الاحوال الباهرة والكرامات الظاهرة اجتمع بالقطب سيدى ابراهيم الدسوقي واخذ كل منهما عن صاحبه . وقد طابت للشيخ محمد نجم الاقامة بالاسكندرية ورزق فيها بابنه سيدى محمد الاوسط والد السيد محمد وفا وكان محمد الاوسط ، كما جاء في جمهرة الاولياء^(٢) ، مشهورا بالولاية عرف بعلمه ، وفضله ، توفي شابا عن ولده محمد وفا ودفن بزاويته المعروفة بالزاوية النجمية نسبة لولده المدفون بها أيضا بالاسكندرية .

ولد محمد وفا بمدينة الاسكندرية سنة سبعمائة واثنيتين هجرية ، ونشأ منذ نعومة اظفاره ورعا تقيا محبا للعلم ، سلك طريق الاستاذ ابي الحسن الشاذلى وذلك على يد الامام داود ابن ماخلأ . ويقول الشعراني، ان الشيخ محمد وفا كانت له مؤلفات كثيرة ألفها في صباه وهو ابن سبع سنين أو عشر ، فضلا عن كونه كهلا وله رموز في منظوماته ومنثوراته مطلسمه الى وقتنا هذا (اى وقت الشعراني في القرن العاشر الهجرى) لم يفك احد فيما نعلم معناها . ومن القصص التى يرويها الشعراني لآظهاره كرامات الشيخ محمد وفا « انه لما دنت وفاته خلع منطقته (شارة مشايخ اصحاب الطرق الصوفية) (على الازارى) صاحب الموشحات ، وقال له : هى وديعة عندك حتى تخلعها على ولدى (على) ويضيف^(٣)

(١) الضوء اللامع للسخاوي ج ٨ ص ١٢٥

(٢) جمهرة الاولياء واعلام اهل التصوف للسيد محمد ابو الفيض المتوفى ج ٢ ص ٢٥٥

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ج ٢ ص ٢١

الشعراني فيقول : وقد الف (الابراري) وقت ان كانت عنده منطقة الشيخ محمد وفا احسن الموشحات واظرفها ، الى ان كُتِبَ سيدي (على ولد محمد وفا ، فخلع عليه منطقة والده ، ولكن (الابراري) اصبح لا يعرف يعمل موشحا واحدا .

أما عن السبب الذي من أجله عرف باسم وفا ، فتجمع المراجع التاريخية وكتب التراجم على سرد القصة التالية : « انه سمي وفا لان بحر النيل توقف فلم يزد الى أوان الوفا فعزم اهل مصر على الرحيل (اى الرحيل من الاحتفال بوفاء النيل) ، فجاء سيدي محمد الى البحر (النيل) وقال : اطلع باذن الله تعالى فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعا وأوفى فسموه وفا . أما عن نعت اولاده واحفاده بالسادات ، فيقول على مبارك « ان لهؤلاء السادات فضلا تليدا وعزا قديما وجديدا فهم غنيون عن التعريف فائقون على كل شريف ، ينتهى نسبهم الى الادارسة الاشراف سكان المغرب الاقصى اولاد سيدنا الحسن بن الامام على رضى الله عنهم ، وان أكبرهم شهرة وجلالا واوفرهم حرمة واحوالا سيدي محمد وفا . ويقول الشعراني ، كان سيدنا محمد وفا من اكابر العارفين ، واخبر ولده سيدي على انه هو خاتم الاولياء وصاحب الرتبة العلية . ويضيف الشعراني « انه لما سئل ولده على أن يشرح تائيه والده لا أعرف مراده لانه لسان أعجمي . ومن كلام الشيخ محمد وفا كما جاء في كتابه (فصول الحقائق) : أعوذ بالله من شياطين الخلق والكون وأبالسة العلم والجهل ، وأغيار المعرفة والنكرة ، اللهم انى اعوذ بك وبسبق قومك من سر حدودك وبظلمة ذاتك من نور صفاتك وبقوة أسلوبك من ضعف إيجادك وبظلمة عدمك من نور تأثيراتك . ومن أهم مؤلفاته العديدة التى حصرها كتاب مناهل الصفا ، كتاب العروس وكتاب الشعائر ، وديوان شعر عظيم .

وقد توجه محمد وفا الى اخميم فتزوج بها ، وأنشأ زاوية كبيرة ووفدت عليه الناس افواجا . ثم سار الى مصر واقام بالروضة عاكفا على العبادة مشغلا بذكر الله تعالى وطار صيته فى الافاق ، وتوفى رضى الله عنه بالقاهرة سنة ٧٦٥هـ ودفن بالقرافة بين ضريح الشيخ أبى السعود بن ابى العشائر والشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري رضى الله عنهم بآشارة منه . اذ قال قبل وفاته : ادفنوني بين سعد وعطا . ولما توفى الشيخ محمد وفا رضى الله عنه ترك ولديه السادة على وفا وشهاب الدين احمد وفا وكان على اذ ذاك صغيرا فنشأ مع اخيه فى كفالة وصيهما الشيخ محمد الزيلعي ، ولما بلغ السيد على من العمر سبعة عشر عاما ، جلس مكان أبيه فى زاويته ولبس منطقته فشاع ذكره فى البلاد وكثر اتباعه ومريده .

ولد الشيخ على بن محمد وفا بالقاهرة سنة ٨٧٥٩ هـ ، كما جاء في جمهرة الأولياء أما الشعراني^(١) فيقول : « ان سيدى على كان يقول : مولدى سحر ليلة الاحد سنة احدى وستين وسبعمائة كما رأيته بخطه » ويضيف الشعراني ، انه كان في غاية الظرف والجمال لم ير في مصر اجمل منه وجها ولا ثيابا وله نظم شائع وموشحات رقيقة فيها أسرار أهل الطريق ، وأعطى لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجميع ، وقليل من الاولياء من أعطى ذلك . وكان الشيخ على كثير الاقامة بمنزله بالروضة ، وله أحزاب وأوراد وتوجيهات وتصانيف كثيرة وديوان شعر . وكان رضى الله عنه كثير التحجب هو واخوه شهاب الدين احمد لا يخرجان الا عند عمل الميعاد (أى الاجتماع بالمريدين) . وكان شهاب الدين احمد بن وفا عارفا جليلا وسيدا نبيلًا ، وكان الشيخ على وفا يقول عنه ، هذا خزانة العلم وانا انفق منها ، وتوفى سنة ٨٨١٤ هـ .

وتوفى الشيخ على وفا (سنة ٨٨٠٧ هـ او سنة ٨٨٠١ هـ) وله من الذكور أبو العباس احمد وابو الطيب وأبو الطاهر وأبو القاسم . وقد كانت جنازته تضم خلقا كثيرا لم تر القاهرة مثلها فقد كانت جماعته وأصحابه يمشون امامها ويذكرون الله بطريقة تهز المشاعر وتلين لها القلوب .

(١) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٢

الوصف المعماري

يوجد مسجد السادات الوفائية بسفح جبل المقطم بالقرب من ضريح ابن عطاء الله السكندري وضريح أبي السعود أبي العشائر . وقد أقيم المسجد مكان زاوية تعرف باسم زاوية السادات أهل الوفاء تنفيذا للفرمان الذي أصدره السلطان عبد الحميد سنة ١١٩١ هـ . فقد جاء في كتاب وقفية هذا الجامع الذي نشره على مبارك^(١) ، « انه لما ورد فرمان السلطان الى الوزير عزت محمد باشا محافظ مصر المحمية بأن يخرج المال اللازم من الخزينة العامة برسم عمارة الزاوية الشريفة كعبة الأسرار القدسية بسفح الجبل المقطم المعروف بغراس اهل الجنة المعروفة بزاوية السادات أهل الوفاء المشمولة بنظر سيد السادات الشيخ محمد أبي الأنوار بن وفا » . وقابل الوزير الامر بالسمع والطاعة وفوض أمر العمارة والصرف عليها للناظر ، الذي قام بإزالة الزاوية وما تبعها من الغرف والخلاوى والمساكن والمنافع وغير ذلك من المباني القديمة « ويضيف على مبارك في وصف المبنى الجديد فيقول : وانشأ محل الزاوية بناء جديدا يشتمل على واجهة بحرية مبنية بالحجر الفص النحيت الاحمر بها باب مقنطر (يعلوه عقد) على جانبيه جلستان ويعلوه لوح من الرخام الأبيض نقش عليه اربعة أبيات من الشعر . وتجاه هذا الباب من الخارج يوجد سلم ذو ثلاث درجات ومصطبة برسم الركوب .

ويدخل من الباب الخارجى الى فسحة كبيرة مستطيلة مفروشة بالحجر النحيت مبنى جهاتها الأربع بالحجر النحيت . وعلى محور الباب الخارجى يوجد مدخل المسجد في الجهة الغربية منه ، يعلوه عقد من الرخام الأبيض وفوقه لوحة من الرخام نقش فيه بالحفر البارز كتابة .. عربية مذهبة نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم » وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » وقد سجل تاريخ البناء بحروف الكلم في البيتين التاليين :

باب شريف قد رقى ببنى الوفا الحب فيه أفضل الأقطاب

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ١٣٨

سنة ١١٩١ سنة ١١٩١ سنة ١١٩١

قالت لنا انوار سر جنابه لاشك هذا أكمل الأبواب
وبجانبى الباب دائرتان من الرخام الأبيض يعنة ويسرة ، مكتوب على اليمنى بيتان
بحروف بارزة مذهبة هما :

لسلطاننا عبد الحميد مكارم أقام بها للدين ركنا مشيدا
له النصر من آل الوفاء مؤرخ تدوم وتبقى بالصلاح مؤيدا
وعلى الدائرة اليسرى كتب :

عبد الحميد تجاه النصر معتصم عن الملوك بأوصاف الثنا فاقا
حزت الفلاح أبا الأنوار دم فرحا أعطاك ربك أنورا وإشراقا
وبجوار باب المسجد توجد نافذة تطل على الإيوان البحرى للمسجد ، يعلو عقدها
دائرة من الرخام مكتوب عليها بالخط البارز المذهب :

حبا الله سلطان البرية نصره وأيده المولى الحميد بمجده
وجازاه عن آل الوفا أحسن الجزا وأولى أبا الانوار سائر قصده
وعلى امتداد الحائط الغربى للمسجد حيث يوجد المدخل الرئيسى وكذا النافذة يوجد
باب يؤدى الى طاحونة ومسكن فوقها ، يعلو عقده لوح من الرخام كتب عليه : قد كمل
بناء هذا الحرم الوفائى السعيد بعناية الله الملك الحميد فى غاية عام احدى وتسعين ومائة
الف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم .

ويتكون باب المسجد الرئيسى من مصراعين من الخشب الجوز مصفحين بصفائح من
النحاس الأصفر بكل منهما حلقة من النحاس ويعلو الباب من الداخل لوح مكتوب عليه
هذا البيت :

الأولياء وان جلّت - مراتبهم فى رتبة العبد والسادات سادات
وتبلغ مساحة المسجد من الداخل ٢٩ مترا طولا فى ٢٧ مترا عرضا ويتوسطه صحن
منخفض عن الأروقة الجانبية تبلغ مساحته ٩,٥ متر عرضا فى ١٤ مترا طولا . ويحيط
بالمسجد من جهاته الأربع الأروقة ، ويتكون ايوان القبلة من رواقين وصفين من البوائك
تحتوى كل بائكة على خمسة عقود مدببة ترتكز على عمد رخامية مختلفة التيجان . أما
الجهات الثلاث الأخرى فتحتوى على رواق واحد يحتوى على صف من الأعمدة يبلغ
عددها فى الجهتين الشمالية والجنوبية خمسة يعلوها أربعة عقود مدببة ، أما الإيوان الغربى

المقابل لإيوان القبلة فيحتوى على أربعة عمد يعلوها خمسة عقود ، كما يوجد بهذا الإيوان وأمام مدخل المسجد مباشرة فتحة مثمنة فى السقف (شخشيخة) وأخرى فى الرواق الذى يليه . وأمام باب المسجد توجد طرقة منخفضة يبلغ عرضها أربعة امتار وطولها عشرة امتار .

ويشتمل المسجد على محراب من الفسيفساء الرخامية الجميلة الصنع والزخرفة ويتقدمه عمودان صغيران من المرمز الأبيض يعلوهما تاجان من الخشب الجوز المنقوش بالذهب وبجوار المحراب منبر من خشب الجوز زخرف جانباه (ريشته) وكذا بابه بطريقة (الزرتشان) وعلوه قبة من الخشب عليها هلال من النحاس المذهب وأرضية المسجد مفروشة بالبلاط ، اما أرضية صحنه فمكسوة بالرخام الملون ، أما سقف المسجد فمن الخشب وبه إزار من الخشب المدهون باللون الترجوازى وعليه كتابة باللون الذهبى قصيدة فى مدح بنى الوفا .

ويحاط القبلة وزرات كبيرة من الرخام يفصل بينها ستة عشر عمودا من المرمز يعلوها عقود مدبية ويوجد بالحائط الغربى اثنا عشر شبكا مملوءة بالجص المخرم والزجاج الملون (قمریات) وبالسقف أربع فتحات (نمارق) وقبة من الخشب يعلوها هلال من النحاس المموه بالذهب .

وبالمسجد ثلاث خلوا ، احدهما خاصة بالخطيب وتوجد بجوار المنبر ، كتب على عتب بابها « افتح يا فتاح ، وهو تاريخ البناء بحروف الكلم » . والثانية لوقاد المصاييح بالمسجد وما يتعلق بالوقادة من الأحمال والقناديل وغير ذلك وقد كتب على عتبها بالحروف المذهبة « الله نور السموات والأرض » والثالثة لشيخ السجادة مكتوب على عتبها بالحروف المذهبة « اللهم هب لنا الخلوة معك والعزلة عما سواك » . ويجاور الخلوة باب يوصل للمساكن ، ودواليب من الخشب الجوز المدهون بنقوش زيتية بالأسلوب التركى الجميل .

وفى منتصف صحن المسجد تقريبا توجد مقصورة العارف بالله محمد وفا وولده القطب الغوث الشيخ أبى الحسن على وفا ، وهى مصنوعة من الخشب ويحيط بها من جهاتها الأربع من أعلى إزار بارز من الخشب المدهون والمموه بالذهب . وترتكز المقصورة على قاعدة مبنية من الرخام المرمز الأبيض . وتحتوى المقصورة على باب من خشب الجوز المصنح بالنحاس المذهب . وعلو المقصورة قبة مدهونة بنقوش زيتية وذهبية بالأسلوب

التركي الجميل ، وهى ترتكز على ستة أعمدة من الرخام وست أكتاف متصلة بسقف المسجد . وقد كتب على دائرة المقصورة أبيات من الشعر مدهون بالذهب أولها :
 هذه روضة وهذا مقام مزهر نوره قطب امام
 هذه جنة بروض رضاها خير آل نزيلهم لا يضام
 بالرضا فى ضريح جدك أرخ حى قطب الأقطاب هذا المقام سنة ١١٩١هـ
 وكتب على باب المقصورة بيتان هما :

ان باب الله طه جدكم ولكم قدر على عن على
 كل من يرجو الوفا من بابكم وانى من غيركم لم يرحل
 وكتب على (رفرف) القبة من جهاتها الاربع آيات من القرآن الكريم بالخط
 المذهب وبجوار المقصورة حوض كبير من الرخام المرمر موضوع به رمل احمر يفرش منه
 أرضية المقصورة على العادة المتبعة .

وبجوار باب المقصورة يوجد لوح من الرخام ذو أربعة وجوه مكتوب بالذهب على
 الوجه الأول النص التالى :

الاول : لا اله الا الله الواحد الحى الدائم العلى الحكيم

الثانى : محمد رسول الله الفاتح الخاتم اصل الوفا المشفع العظيم

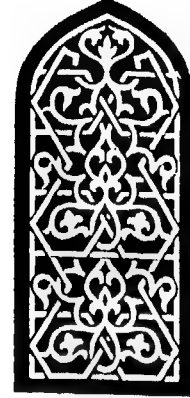
الثالث : نسب حضرة روح أرواح اللطائف المحمدية وسر من أسرار كنز المواهب
 الرحمانية الاستاذ أبى الحسن على وفا بن محمد بن محمد بن محمد النجم بن
 عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله
 ابن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن حسين بن أبى بكر بن على بن محمد
 ابن أحمد بن على بن أحمد بن ادريس التاج بن ادريس الاكبر بن الحسن المثنى
 ابن الحسن سبط على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

وبالمسجد مجموعة كبيرة من أضرحة عائلة السادة الوفائية من الأقطاب والعلماء
 والمتصوفين . وللمسجد مثذنة قصيرة لا تتناسب مع كبر مساحة المسجد ، وهى تتكون من
 دورتين . وبجوار المسجد وداخل السور الخارجى توجد مجموعة من المباني تحتوى على
 قصور ومساكن تحتوى على مشربيات من خشب الخرط (رواشن) ومخازن لأمتعة الوقف
 وقاعة تقام فيها أسمطة الموالد ومطابخ وبيت عجين وفرن وطاحونة ووكالة لإيواء الزوار ،
 وصهريج كبير للمياه .

مسجد العسقلانى

بملوى

(١١٩٣هـ/١٧٧٩م)



تقع ملوى على الجانب الغربى من النيل ويقول المقرئى : إن أرضها معروفة بزراعة
قصب السكر وخاصة فى عصر الناصر محمد بن قلاوون وقد سبق أن ذكرنا تاريخها كاملا

الوصف المعمارى

مسجد العسقلانى :

أنشأ هذا المسجد أمير اللواء ابراهيم قائمقام مصر فى محرم سنة ١١٩٣هـ ٢٤ من
يناير سنة ١٧٧٩م . وكان الساعى فى ذلك كما هو مدون على المدخل الشرقى للمسجد ، هو
الأمير سليمان كاشف بينادرملوى ، ودفن بقبته الشيخ العسقلانى . وللمسجد مداخل ثلاثة
يوصل الغربى منها الى المسجد مباشرة ، والشرقى يودى الى فضاء مسقوف يرتكز على
عمود واحد ، ومنه الى باب آخر يودى الى داخل المسجد . وعلى يمين هذا الفضاء نجد
القبة . أما المدخل البحرى ، فتقع شرقيه المثانة التى تعتبر نموذجا جميلا لماذن الصعيد . أما
داخل المسجد فيتكون من ثلاث بوائك ، البائكة الثانية والثالثة تتكون كل منهما من أربعة
أعمدة تحمل خمسة عقود مدببة تنتهى من أعلى بخط مستقيم . وبالواجهة الشرقية يوجد
شباك من خشب الخرط على جانبيه المدخل . والقبة تحتوى على ضريح الشيخ

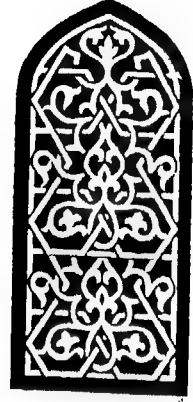
العسقلاني ، وقد استعويض عن المقرنصات التي تحمل القبة والتي تحول المريع الى دائرة أو شكل مثنى ، بأخشاب تحمل القبة ، وتحتوى القبة كذلك على مقصورة . وبالمسجد محراب حديث يعلوه زخارف جصية بديعة . وقد عثر في هذا المسجد على اسم المعمار منقوشا في لوحة أعلى مدخل القبة وهناك كتابات أخرى هي :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . علمت به ما دمت حيا أما ترى ولما له نور علينا له فضلا .

(٢) نباسما سمو السما قد علا محضره سلطان كراماته بنا . وفي خمسة مع واحد من محرم وضعنا اساسا والصور حلا به .

(٣) هو العسقلاني الغيث لمن أتى على باب يرجو النوال ملاذه . وهذا البنا قد ارضوه ولى علا مقاما له المكروب يأتي بلا مهلا ومن حساب العمل في « ولى علا مقاما له المكروب اتى بلا مهلا » يكون تاريخ التأسيس ١١٩٣ - ١٧٧٩م أما اللوحة التي بداخل القبة فنصها كما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم » ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

(٤) والمعمار في هذا البناء المبارك (ابوا) زيد السراج غفر له .
اما الكتابة التي على المدخل الشرقي للمسجد : « أنشأ هذا المكان امير اللواء ابراهيم قائمقام مصر حالا في سنة ١١٩٣هـ والساعى في ذلك الأمير سليمان كاشف بينادر ملوى حالا » .



مسجد مدينة قفط

(القرن ١٢)

يعتبر مسجد قفط من أهم مساجد محافظة قنا التي أعيد بناؤها في القرن التاسع عشر، ليس لقيمتها المعمارية فحسب، بل ولتاريخه الطويل الذي يرجع الى العصر الأيوبي. فقد انشئ من أجل جماعة من كبار العلماء والحكام الذين تولوا أمور الدولة الأيوبية في مصر والشام.

لذلك فقد وجدت لزاما على أن أذكر شيئا عن جغرافية وتاريخ مدينة قفط أولا ثم أخرج بعد ذلك على تراجم هؤلاء العلماء الذين أنشأت لهم الدولة الأيوبية مسجد قفط. يذكر جوتيه في قاموسه مدينة قفط فيقول: انها مدينة قديمة جدا، ويقول ان اسمها المصري القديم (Oelsti) واللاتيني (Coptos) والقبطي (Keptou). وذكر اسمها أميلينا في جغرافيته فقط (Keft)، ويضيف ماسيرو وثبيت في كتاب مدن مصر، على الأسماء المتقدمة، فيقول: ان قفط عرفت في أوائل القرن السابع الميلادي باسم جستنيانو بوليس (Justiniano Polis) نسبة الى الامبراطور جستنيان

وقد كانت قفط من أقدم المدن المصرية، وكانت مركزا تجاريا في الدرجة الأولى من الأهمية، ورأس طريق القوافل التي تخترق الصحراء العربية بين وادي النيل والبحر الأحمر^(١).

وكانت قفط من كور الصعيد الأعلى، ذكرها كثير من مؤلفي معاجم البلدان^(٢)، فقد ذكرها الادريسي فقال: إن مدينة قفط متباعدة عن ضفة النيل، من الجهة الشرقية، وان

(١) محمد رمزي: القاموس الجغرافي ج ٤ صفحة ١٧٧

(٢) ابن خردادبه: المسالك والممالك، اليعقوبي: كتاب البلدان، ياقوت: معجم البلدان، الادريسي: نزهة المشتاق وغيرهم كثير.

أهلها شيعة ، وهى مدينة جامعة متحضرة ، بها أخلاط من الناس بينهم بقايا من الروم (اى البرنطين) . ويضيف الادريسي فيتكلم عن ثروتها الزراعية فيقول : وبها مزارع كثيرة للبقول وكثير من الخضراوات كاللفت والخس ، التى يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون أدهانها ويصنعون منه أنواعا من الصابون ، يتصرفون به فى جميع أرض مصر ، ومنها يتجرون به فى كل انحاء البلاد ، وصابونها معروف بالنظافه .»

ويقول عنها ياقوت فى معجمه ، فقط مدينة شرق النيل بصعيد مصر الأعلى ، والغالب على معيشة أهلها التجارة ، والسفر الى الهند . ويضيف ياقوت فيقول : وقط ليست على ضفة النيل ، بل بينهما نحو الميل ، وساحلها يسمى بقطر وبينها وبين قوص نحو فرسخ^(١) ، وفيها اسواق ، وأهلها أصحاب ثروة . ويحيط بقط المزارع والبساتين الكثيرة^(٢) .

ولعل أطرف ما جاء عنها فى معاجم البلدان ما ذكره ابن دقماق فى الانتصار فقد قال : انها كانت قديما مدينة الاقليم ، وكان بها مسبك للسكر ، وست معاصر للقص ، وبها قباب بأعلى الدور ، ثم يضيف فيقول : قالوا : إن كل من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار ، يجعل له قبة فى داره .

ويقول المسعودى^(٣) ، ومعدن الزمرد فى عمل الصعيد الأعلى من مدينة فقط ، ومنها يستخرج من موضع يعرف (بالخربة) وهى مفازة وجبال ، تقوم البجة بحفره وحمايته . ويضيف المقرئى^(٤) فيقول ، وكان للزمرد بقط ديوان فيه شهود وكتاب ، وينفق على العمال به ، وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى الفسطاط ومنه يحمل الى البلاد . وان هذا المعدن يستخرج من الجبل الاخذ على شرقى النيل بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى (أقرشندة) وليس هناك من الجبال أعلى منها .

وفصل المقرئى أنواع الزمرد المستخرج من مدينة فقط فيقول : وهذا المعدن فى صدر مغارة طويلة فى حجر أبيض يستخرج منه الزمرد ، وهذا الحجر الأبيض ثلاثة أنواع ،

(١) الفرسخ ثلاثة أميال

(٢) ابن دقماق : قوانين الدواوين ، وتحفة الارشاد ، وجاءت فى التحفة السنية انها من اعمال القوصية

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ صفحة ١١٧

(٤) المقرئى ، الخطط والاثار ج ١ صفحة ٢٣٣

أحدها يقال له (طلق كافورى) ، والثانى يقال له (طلق فضى) والثالث يقال له (حجر حروى) . ويضرب فى هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد وهو كالغريق فيه ، وأنواعه (الريانى) وهو أقل من القليل لا يخرج الا فى النادرة واذا استخرج ألقى فى الزيت الحار ثم يحط فى قطن ويصر ذلك القطن فى خرق الخام أو نحوها . ويضيف المقريزى فيقول : ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد الى أن ابطل العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن بنور فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى سنة بضع وستين وسبعمائة .

ويروى لنا المقريزى بعض الأحداث التاريخية الهامة التى تعرضت لها مدينة قفط فيقول : وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، كانت فتنة كبيرة بمدينة قفط سببها ، أن داعيا من بنى عبد القوى ، ادعى أنه داود بن العاضد (آخر خليفة فاطمى) فاجتمع الناس عليه ، ومعظمهم شيعة فى ذلك الوقت ، فبعث السلطان صلاح الدين بن يوسف الأيوبى أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها بظاهر مدينه قفط بعمائمهم وطيا لستهم

ويحدثنا على مبارك^(١) عن تاريخ مدينة قفط فى عصر أسرة محمد على باشا ، أى فى القرن التاسع عشر فيقول : وهى الآن (أى فى عصر محمد على) فى نهاية تلوى البلد القديم من الجهة الغربية ، رأس قسم واقعه فى حوض ابنودبين الجبل والبحر (اى النيل) فى شرق ترعة سنهور . أكثر ابنيتها بالأجر وبها ثلاثة مساجد ، أحدها بمنارة وهو مسجد قديم (وهو موضع حديثنا) . وكان بها قشلاق (ثكنات) للعسكر ، وقنا فى بحريها على نحو ثلاث ساعات ونصف وفى شرقيها بالجبل بئر يقال لها بئر عنبر قد بنى عليها سر عسكر ابراهيم باشا ، والد الخديوى اسماعيل باشا ، سبيلا ومساكن للحجاج ، ويحيط به أشجار السنط .

ويضيف على مبارك فيقول : وإلى الآن ، (القرن ١٩) . يتولى خدمة السبيل موظف يأخذ راتبه من الدائرة السنوية الخديوية . وفى زمن الخديو عباس باشا عملت اشارات أبراج فى طريق الرصفة ، وهى محطات يجتمع عندها القوافل الصاعدة والهابطة (فى طريق الحج الى ميناء عيذاب) للسقى والاستراحة . وبناحية قفط بستان ليوسف أفندى مدير

(١) على مبارك : المخطط التوفيقية ج ١٤ صفحة ١٠٤

قنا، الذى كان يعمل قبل توليته للمديرية يعمل متعهدا لتلك الناحية، وللمدينة سوق كل يوم ثلاثاء.

مما ذكره على مبارك عن تاريخ مدينة قفط فى عهد أسرة محمد على واهتمامهم بها وذلك لوقوعها فى طريق القوافل الذهبية والأتية من الحج، تبين لنا السبب الذى من أجله أعيد بناء جامعها القديم. أما عن السبب فى اختيارهم لهذا المسجد بالذات دون غيره من المساجد، فيحدثنا عنه الاسنوى فى كتابه الطالع السعيد.

يقول الاسنوى، لقد نشأ فى مدينة قفط وجاء اليها جماعة من أفاضل العلماء منهم ابراهيم بن أبى الكرم، ذكره ابن خلف فى تاريخه فقال: كان عالما فاضلا أديبا شاعرا تولى القضاء ببوس، توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة. وممن وفد عليها وعمل بها الشيخ ابراهيم بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن اسحق ابن محمد الشيبانى المحتد المقدسى المولد الحلبى المنشأ والوفاة. والوزير المؤيد أخو الوزير الأكرم، سمع الحديث الشريف من هاشم عبد المطلب بن أبى الفضل الهاشمى، وحدث بدمشق وحلب ووزر بحلب بعد أخيه. ولد بالقدس ومات بحلب سنة ثمان وخمسين وستمائة.

ومن علمائها ورجالها المبرزين، الشيخ اسماعيل بن محمد بن أحمد بن أبى النصر على بن أبى النصر، كان مجازا بالفتوى وتولى الحكم ببلده وغيرها والخطابة بقفط، توفى بها سنة احدى وسبعين وستمائة.

ولعل أعظم علماء قفط قاطبة فى العصر الأيوبى هو الشيخ شمس عيب بن ابراهيم ابن محمد بن هدية بن الحاج الفقيه المالكى القفطى، كان قيما بالعربية وله فيها تصانيف. وكان ملوك مصر يجلبونه فى عهد الأيوبيين فكانوا يعظمون قدره، ويرفعون ذكره. فقد كان حسن العبادة لم يره أحد ضاحكا ولا هازلا، وكان يسير سيرة السلف الصالح فى أقواله وأفعاله. ولد بمدينة قفط ثم انتقل الى قنا، وكان من العلماء العاملين، كف بصره فى آخر عمره، وله بقفط حارة ما تزال باقية تعرف باسم حارة ابن الحاج، يوجد بها المسجد (موضوع الحديث)، توفى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

ومن رجال قفط فى العهد الأيوبى كذلك على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد ابن موسى بن محمد بن اسحق بن الشيبانى. كانت له دراية فى الهندسة وجميع العلوم العقلية والتواريخ. تولى الوزارة فى حلب، وله كثير من التصانيف منها كتاب أخبار

المصنفين وما صنفوه وكتاب أنباء الرواة في أنباء النحاة وكتاب تاريخ اليمن وكتاب تاريخ مصر في أيام الملك الناصر صلاح الدين وكتاب تاريخ بنى بويه وتاريخ الملوك السلجوقية ، وكتاب أشعار اليزيديين وغير ذلك . وقد ولد ابن الشيباني بقفط ومات بحلب سنة ست وأربعين وستمائة .

نكتفى بهذا القدر من تراجم علماء قفط وشيوخها في العهد الأيوبي ، والتي يتضح معها ، ان الدولة الأيوبية قد عنت عناية خاصة بمدينة قفط . فقد بعثت اليها بالوزراء والقضاة وكبار رجال الدين ، ممن كانوا يعملون في بلاد الشام وخاصة مدينة حلب . وتفسير ذلك سهل ميسور ، وذلك لأنها أرادت أن تغير مذهب أهلها من الشيعة الى السنة ، خاصة بعد فتنة ابن دواد المدعى أنه ابن الخليفة العاضد . كما عنت باقامة المساجد السنية التي لم يبق منها غير ثلاثة ، أعادت أسرة محمد على أقدمها والمسجد الذى ما يزال باقيه في حارة الحاج بها .

الوصف المعماري

يتكون المسجد من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف مربع الشكل تحيط به الأروقة من جميع جهاته . وتتكون الأروقة من بائكة واحدة من الأعمدة الرخامية يعلوها عقود مدببة يحيط بها إطار من الطوب المنحور ، على غرار ما اتبع في مساجد العصر العثماني وخاصة في دلتا مصر .

أما الضلع الشرقي للمسجد وهو إيوان القبلة فيحتوى على خمسة أروقة . ويتوسط الجدار الشرقي حنية المحراب وعلى يساره يوجد المنبر . وفي الرواق الثالث من إيوان القبلة توجد دكة المبلغ ، مما يدل على أنه مسجد جامع . وقد غطى سقف المسجد بالاختشاب ، وذلك لأن المنطقة غنية بأخشاب السنط ، التي كانت تصدر الى الفسطاط

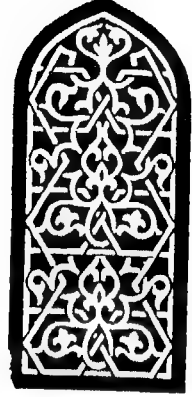
وتوجد مثذنة المسجد في الجهة الغربية منه ، وهي تشبه الى حد كبير مثذنة مسجد (هو) . وطراز المثذنة متأثر الى حد كبير بالمآذن الأيوبية مما يقطع بأن المسجد القديم يرجع الى ذلك العصر وأن أسرة محمد على عند إعادة بنائه حافظت على طراز مثذنته القديمة . وتتكون المثذنة من ثلاث دورات الأولى مثمثة الشكل والدورة الثانية مستديرة يفصل بينها وبين الدورة الأولى شرفة خشبية . أما الدورة الثالثة التي سقطت شرفتها فمثمثة الشكل فتح في كل ضلع منها فتحة معقودة ، ويعلو ذلك قبيبة صغيرة مخصصة .

مسجد الشيخ أحمد الدردير

بشارع الدردير (الكعكيين سابقاً)

بحى الأزهر

(١٢٠١هـ / ١٧٨٧م)



هو الامام أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى حامد العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى الشهير بالدردير ، ولد أحمد الدردير ببني عدى سنة ١١٢٧هـ . وبني عدى كما جاءت فى القاموس الجغرافى : بلدة كبيرة تابعة لمركز منفلوط بمحافظة أسيوط بحافة بساط الجبل غربى منفلوط . وهى ثلاث قرى القبلية والوسطى والبحرية . ويضيف على مبارك فيقول : « وأبنيتها بالأجر واللبن وبها جوامع كثيرة كلها عامرة وفى بعضها تقرأ دروس العلم . ومما يدل على شهرتها فى العصر العثمانى أن بنى (لاظ أو غلى) قصرا لإقامته هناك ما تزال آثاره باقية حتى الآن . ويتجر أهلها فى حاصلات الواحات مثل التمر والارز والنيلة وذلك لانها تقع على طريق الواحات ، كما يوجد بها كثير من مصانع النسيج وخاصة صناعة الأحزمة (الكليم) الصوف السوداء واكثر من يقوم بهذه الصناعة النساء ، أما الخياطة فكانت للرجال . ويقال إن أهل بنى عدى من قبيلة بنى عدى القرشية المشهورة ، وربما كان هذا سببا فى شهرة أهلها باجادة علوم اللغة والدين ونزوح الكثير منهم الى الأزهر ، فقد كان الأزهر منذ العصر الفاطمى لا يخلو منهم . ويضيف على مبارك فيقول : « ولا ينقص للمجاورين منهم به (بالأزهر) عن نحو الثلاثين . ومنهم شيخ رواق الصاعدة غالبا ، ومنهم المدرسون والمؤلفون قديما وحديثا » .

ويقول الجبرتى إن من علماء بنى عدى القطب الكبير والامام الشهير العالم العلامة شيخ الإسلام أحمد الدردير . وأن السبب فى تلقيبه بالدردير هو أن قبيلة من العرب نزلت ببلدهم كان كبيرهم يلقب بالدردير ، وكان مولد جده عند نزول هذه القبيلة فلقب بذلك ، فهو لقبه ولقب جده من قبله من بنى عدى .

وقد أمضى أحمد الدردير طفولته الأولى ببنى عدى فلما شب عن الطوق وحفظ القرآن وجوده وفد على الأزهر فأخذ عن كثير من شيوخه وخاصة عن الشيخين على الصعدي والحفنى، وتأثر بثانیهما روحيا فتصوف على يديه وتلقى منه الذكر وطريق الخلوتية حتى صار من أكبر خلفائه. ومما يدل على تفوقه على أقرانه ان أساتذته قد سمحوا له بالافتاء في حياتهم وفي حضرتهم. وكان يضرب به المثل في العفة والزهد والتقشف. كما كان مهذب النفس كريم الأخلاق، ومن طريف ما يرويه الجبرتي عنه في هذا المقام أن مولای محمد سلطان المغرب كان يرسل كل عام بعض الصلوات الى علماء الأزهر. وكان ابن هذا السلطان قد وفد على القاهرة في طريقه الى مكة لتأدية فريضة الحج، فتخلف بها فترة ونفذ ما معه من المال، وتصادف في ذلك الوقت أن حضر رسول والده السلطان يحمل معه ما تعود ارساله من الصلوات الى العلماء، فرفض الشيخ الدردير ان يتسلم نصيبه منها، وقال: والله هذا لا يجوز، وكيف اننا نتفكه في مال الرجل ونحن اجانب وولده يتلظى من العدم، هو أولى منى وأحق فأعطوه قسمي.

ولما توفي الشيخ على الصعدي عين تلميذه الدردير شيخا على المالكية ومفتشا وناظرا على وقف الصعايدة ورواق الصعايدة بل وشيخا على أهل مصر بأسرها. وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا شيئا عن أروقة الأزهر عامة ورواق شيخنا المعروف برواق الصعايدة خاصة. ان تاريخ أروقة الأزهر يكون جزءا هاما من تاريخه، وقد نشأت كلمة الأروقة بسبب شغل الطلبة لأروقة المسجد المحيطة بالصحن وتوطنهم بها. وعلى كثرة ما كتب عن الجامع الأزهر قديما وحديثا فان أحدا لم يعن بتجديد تاريخ نشأة ما يعرف بأروقة الأزهر، اى اقامة الطلبة فيه اقامة دائمة في مجموعات متجانسة بالنسبة للأقطار الخارجية كرواق الحيرت (بلد بالحشة) والمغاربة والشوام او بالنسبة للجنس كالأكراد والبرابرة. أو بالنسبة الى البلاد الداخلية كرواق الشراقة والفيومية والفشنية وما اليها. ولعل أقدم ما ذكر في هذا الموضوع يرجع الى عهد الجبرتي في القرن التاسع الهجري عندما تكلم عن فقراء الملازمين للجامع الأزهر الذين بلغوا في عهده (٧٥٠) رجلا، ما بين عجم وزباله، ومن اهل ريف مصر ولكل طائفة منهم رواق يعرف بهم. وصار أرباب الأموال واهل البر والصدقات يقصدون الجامع الأزهر بما يجودون به من الذهب والفضة إعانة للمجاورين على التفرغ لعبادة الله تعالى». ومما يقطع بان هؤلاء المجاورين كانوا يقيمون في الأروقة اقامة دائمة، النص الذي أورده المقریزی في سياق كلامه على نظارة الجامع الأزهر،

اذ يقول : عندما ولى نظر الجامع الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب سنة ٨١٨هـ ، أمر في هذه السنة باخراج المجاورين من الأزهر ومنعهم من الإقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسى المصاحف ، ويضيف المقرئى ، فعانى الفقراء من ذلك بلاء كبيرا « وهكذا نستطيع أن نؤكد أن نظام الأروقة قد نشأ في الأزهر على أقل تقدير في العصر المملوكى .

أما رواق الصاعدة فهو أحدث نسبيا فهو يرجع الى القرن الثانى عشر الهجرى فقد أنشأه عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧هـ عندما زاد في مساحة الجامع خلف حائط القبلة ، كما بنى له مدفنا في النهاية الجنوبية لايوان القبلة ، وأمام المدفن أنشأ رواقا خاصا بمجاورى اهل الصعيد المنقطعين للعلم بالأزهر وجعل بهذا الرواق مرافق ومنافع ومطبخا وخزائن للكتب ومخادع ، وبرغم حداثة هذا الرواق الا أنه كان من أشهر أروقة الأزهر ، فقد كان له شيخ خاص وقد استقرت مشيخته لعدة قرون في المشايخ العدوية (نسبة الى بنى عدى) كما أوقفت عليه كثير من الأوقاف .

وكان شيخنا رحمه الله شجاعا جريئا لا تأخذه في الله لومة لائم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومما يروى عن شجاعته تلك القصة التى أوردها الجبرتى والتى تدل على مبلغ ما وصلت اليه البلاد في العصر العثمانى من فوضى وانهلال ، فهو يقول : حدث سنة ١٢٠٠هـ أن اعتدى أحد صناعق مراد بك على منزل أحمد سالم الجزار بالحسينية ونهب هو ورجاله كل ما به من متاع وأخذ على النساء فثار أهل الحى وذهبوا الى الجامع الأزهر مسلحين بالنبايت وصعد منهم جماعة الى اعلى المسجد يدقون الطبول (كما كانت العادة في ذلك الوقت) واستجاروا بالشيخ الدردير فقال لهم : « في غد نجتمع جميع أهالى الحى والحارات المجاورة وحتى بولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » فلما كان بعد غد حضر سليم اغا ومحمد كتخدا الجلفى وغيرهم من أمراء المماليك وجلسوا في الغورية ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقالوا للشيخ : اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ، ونأتى بها من محل ما تكون ، واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة .

وقد بلغ من شهرة الشيخ الدردير وذيوخ صيته ، وما عرف عنه من الزهد والتقوى أن بنى له محرابا خاصا كان يصلى فيه بجوار المحراب الذى أنشأه عبد الرحمن كتخدا في الزيادة التى تقع خلف حائط القبلة القديم . وعرف المحراب باسم (محراب الدردير) .

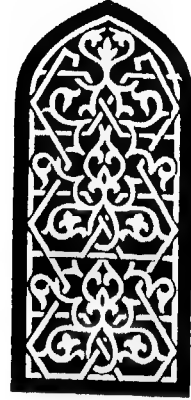
وقد ترك لنا الشيخ الدردير مؤلفات عدة أهمها (أقرب المسالك لمذهب مالك) ، رسالة في المعاني والبيان ورسالة في طريقة حفص في القراءات ورسالة في متشابهات القرآن .

وكان الشيخ الدردير يختل في زاوية له أنشأها في حى الكعكيين (بالقرب من الفورية) بعد عودته من تأدية فريضة الحج سنة ١١٩١هـ وظل مقيما بها حتى توفى في شهر ربيع الاول سنة ١٢٠١هـ فدفن بها . وقد زيد في مساحة هذه الزاوية بعد وفاته كما أعيد بناؤها وأصبحت مسجدا يؤدي فيه الجمعة والجماعة . ويتكون المسجد الآن من تخطيط مستطيل يشمل جزء منه على ايوان الصلاة ، وهو مربع الشكل به صفان من الأعمدة الرخامية تعلوها عقود مدبية . وتنقسم هذه الأعمدة الايوان الى ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة وفي وسط الايوان أقيمت فتحة مئمنة سقف المسجد مقامة على أربعة عقود ترتكز على اربعة من عمد الايوان ، والقصد من هذه الفتحة انارة وتهوية المسجد اذ توجد بها مجموعة من النوافذ وتعرف باسم (شخشيخة) والجزء الآخر من المسجد يشغل جزء منه ضريح الشيخ الدردير وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها قبة مقامة على مقرنصات في الأركان . أما مدخل المسجد فيوجد في الواجهة الشرقية له وهو يؤدي الى درقاعة توصل إلى إيوان القبلة كما توصل الى الضريح .

الجامع الصينى

بجرجا

(١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م)



جرجا مدينة مصرية قديمة على الضفة الغربية للنيل ، كانت تتبع كورة القوصية فى العصر الفاطمى ولما ألغيت أعمال القوصية فى العصر العثمانى أنشئ بدلهـا ولاية جديدة باسم جرجا ، وفى سنة ١٨٩٠ أصبح اسمها مديرية جرجا ، وقاعدتها جرجا وفى القرن العشرين أصبحت سوهاج قاعدة مديرية جرجا وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت جرجا مركزا فى محافظة سوهاج .

كانت مدينة جرجا فى العصرين الفاطمى والملوكى من أكبر مدن الصعيد الأوسط وأشهرها^(١) ، وكانت رقعتها متسعة وأسواقها غاصة بالبضائع المحلية وخاصة صناعة الجلود وصناعة الأثاث من الأخشاب ، وبالبضائع المستوردة من السودان . وكانت منازلها تتكون من طابقين وأحيانا من ثلاثة ، وهى مبنية من الحجر كما استعمل الزجاج للنوافذ والفتحات ، وبها عشرون مسجدا وقد عرف أحدها باسم الجامع الصينى وذلك لتغشية جدرانها الداخلية ببلاطات القاشانى الملون^(٢) كما كان يوجد بها مساجد معلقة (لوحة ١٨) كانت ولاية جرجا طوال العصور الوسطى مقرا لإقامة الولاة والحكام والصناعج كما أنها كانت ملجأ وملاذا للعاصين من الأمراء الخارجيين على سلطة الملك أو السلطان ، وكان حاكمها يقع تحت نفوذه هواره ، وكذا أهل الواحات الجنوبية والوادي الكبير الذى يؤدى الى طريق القوافل السودانية . ويقول المقرئى^(٣) ان الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٥هـ أنزل عرب هواره ببلاد الصعيد بعد أن نزحوا من طرابلس الغرب وأقطعهم ناحية جرجا فأقاموا بها وعمرها واستقروا بها . وجاء فى الجبرتى^(٤) أن عرب هواره كانت لهم مواقف مشرفة فى محاربة الحملة الفرنسية حين زحفت على الصعيد .

(٣) البيان والاعراب ص ٣٧ .

(٤) الجبرتى ج ١ ص ٥١ .

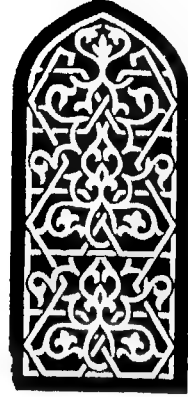
(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣١٣ .

(٢) المخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٥٣ .

الوصف المعماري

الجامع الصيني بجرجا:

أطلقت هذه التسمية على مسجد كان يقع على شاطئ النيل، أنشأه الأمير الكبير محمد بك الفقاري مملوك الأمير الفقاري ولما طغى النيل عليه كغيره من الأماكن المجاورة، أمكن الاحتفاظ ببعض أنقاضه، وقام ببنائه من جديد الشيخ عبد المتعم المعروف بأبى بكرى، وكان ذلك فى سنة ١٢٠٢هـ والفراغ من منارته وبياضه سنة ١٢١٩هـ. ويقول الشيخ عبد الرحمن المصرى فى كتابه (تعطير النواحي) وسمى المسجد باسم الصينى نسبة الى أن جدرانه الداخلية كانت ولا تزال مغطاة ببلاطات من القاشانى ومن هنا جاءت التسمية. وقد كانت عادة تغشية المساجد بالقاشانى موجودة منذ العصر المملوكى ولكنها انتشرت على نطاق واسع فى العصر العثمانى.



جامع الشيخ العروسي أو "العريان"

مسجل برقم (٦٠٠) بباب الشعرية

(١٧٩٣/هـ ١٢٠٨)

هو الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي الشافعي الأزهرى وقد عرف الشيخ أحمد بالعروسي نسبة الى بلدة منية عروس^(١) التى ولد بها سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف هجرية ، وظل بها حتى شب عن الطوق ، وتعلم القراءة والكتابة فى كتابيها المتعددة ، ثم رحل الى القاهرة ليلتحق بالجامع الأزهر .

وقد جاء فى القاموس الجغرافى^(٢) أن منية عروس ، اسمها الصحيح منيل عروس وهى من القرى القديمة التابعة لمركز أشمون جريس من أعمال المنوفية . وهى تقع على فرع رشيد فى مقابلة ناحية القطا الواقعة فى جنوب بنى سلامة ، على بعد ساعة من القناطر الخيرية . ويقول على مبارك : إن محمد على لما صمم على بناء القناطر الخيرية وعين لذلك لينان باشا ، أنشئت فى منية عروس مدرسة جمع فيها تلامذة الهندسة لياشروا العمل فى مدة التعليم تحت رئاسة لينان باشا . وبذلك تعتبر قرية منيل عروس الصغيرة ثانى مدينة فى مصر أنشئت بها مدرسة للهندسة بعد المدرسة التى أنشئت فى القاهرة .

ويصف على مبارك منية عروس فيقول : وبذلك القرية مساجد وأبنية جليلة وفى قبليها بستان ، وسوقها سوق أشمون ، وأكثر زرعها صنف القلقاس ، والقصب الحلو ، واللوبيا وأكثر أهلها مسلمون ، ومنها عائلة مشهورة من أهل الحل والعقد فى هذا القطر ، أجلهم العلامة الفاضل الشيخ أحمد العروسي شيخ الجامع الأزهر .

وقد ترجم الجبرتى للشيخ أحمد فقال : كان رقيق الطباع ، مليح الأوضاع ، لطيفا مهذباً فيه عفة وديانة ، ودقة وأمانة . ثم تناول بالتفصيل تاريخ حياته منذ حضوره الى

(١) المخطط التوفيقية ج ١٦ ص ٧٠

(٢) القاموس الجغرافى لأحمد رمزي ج ٢ ص ١٩٨

القاهرة ، فتكلم عن أساتذته من العلماء والفقهاء من المصريين والأتراك والمعاهد والمدارس التي تعلم بها والتي ولى التدريس فيها ، فهو يقول : وقدّم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوّى الصحيح (الحديث) بالمشهد الحسينى وعلى الشيخ الشبراوى الصحيح والبيضاوى والجلالين . كما تتلمذ فى المدرسة الأشرفية على يد الشيخ شمس الحنفى وقد أنشأ المدرسة الأشرفية السلطان الأشرف برسباى فيما بين السيوفية^(١) وقينسارية العنبر (تقع الآن بشارع المعز لدين الله وناصية السكة الجديدة) . وقد أقيمت بها الجمعة سنة ٨٢٧هـ .

كما تفقه على كل من الشيخ الشبراوى والعزيزى والحنفى والشيخ قايتباى الاطفيجى وغيرهم وتلقى جملة فنون عن الشيخ الصعيدى ولازمه السنين العديدة حتى أنه أصبح معيدا لدروسه فى جامع مرزة ببولاى . وقد أنشأ هذا الجامع الأمير مصطفى جوربجى ميرزة سنة ١١٢٠ ، ويتكون من صحن مفروش بالرخام تحيط به من جهاته الأربعة ، أربعة ايوانات لتدريس المذاهب السنية الأربعة ، وكان الشيخ الصعيدى يجلس لتدريس المذهب الشافعى فى ايوان الشافعية بهذا الجامع ، وهو ايوان القبلة فى نفس الوقت .

كما يذكر الجبرتى أنه لازم والده الشيخ حسن الجبرتى وأخذ عنه وقرأ عليه فى الرياضيات كتباً كثيرة فى الجبر والمقابلة ، فقد كان حسن الجبرتى من علماء الفلك المشهورين فى العصر العثمانى وقد صنع كثيراً من المزاويل والاسطرلابات .

والى جانب انقطاعه للدرس والتحصيل فى مختلف العلوم والفنون وملازمته لكبار العلماء والفقهاء فى عصره ، فقد دفعه ورعه وتقواه الى التردد على أولياء الله الصالحين من المتصوفين وملازمتهم فى أوقات فراغه ، فقد ذكر على مبارك^(٢) : واجتمع بعد ذلك على ولى عصره الشيخ أحمد العريان ، فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجّه احدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخاً على الجامع الأزهر ، فظهر ذلك بعد وفاة الشيخ العريان بمدة .

وكان لما وصل اليه الشيخ أحمد من علم وفضل وسماحة الخلق أثره فى اختيار رجال الدين والفقهاء له ليكون شيخاً للجامع الأزهر . ووظيفة (مشيخة) الأزهر ، نظام استحدث فى اوائل العصر العثمانى^(٣) ، وان كنا لم نوفق الى العثور على أسماء العلماء الذين تولوا مشيخة الأزهر قبل أواخر القرن الحادى عشر الهجرى لنقص الوقائع

(١) المقرئى جء ص ١٤٠

(٢) المخطط التوفيقية ج ١٦ ص ٧٠ ، ٧١

(٣) الأزهر أثر وثقافة للمؤلفة ص ٣٣ ، ٣٤

والمراجع . وقد تولى الشيخ أحمد العروسي مشيخة الأزهر سنة ١١٩٢هـ بعد وفاة شيخها السابق الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهوري . ويصف لنا الجبرتي كيفية اختيار الشيخ أحمد العروسي لمشيخة الأزهر فيقول : لما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري شيخ الجامع واختلفوا في تولية الشيخ ، ف وقعت الإشارة عليه (اى الشيخ أحمد العروسي) واجتمعوا بمقام الامام الشافعي رضى الله عنه ، واختاروا احمد العروسي للمشيخة ، فصار شيخ الأزهر على الاطلاق ، ورئيسه بالاتفاق يدرس ويعيد ويملى ويفيد . وقد قام وهو في مشيخة الأزهر بتأليف مجموعة من الكتب الدينية لعل أهمها (شرح على نظم التنوير في اسقاط التدبير) و(حاشية على الملوى على السمرقندية) .

وكان الشيخ أحمد جريئاً مقداماً ، شارك في كثير من أحداث البلاد التي عاصرتها بقصد تخفيف الوطأة على مواطنيه ، فقد كان له فضل لا ينسى في وضع حد للفتن والفوضى التي حدثت بين المماليك بزعامة ابراهيم بك ومراد بك في الصعيد ، وأمراء العثمانيين في وجه بحرى ، رشيد ، والبحيرة ، والقاهرة ، لاغتصاب السلطة ، حتى كادت الحياة أن تتعطل في مدينة القاهرة ، ويصف لنا الجبرتي هذه الحالة فيقول : « وأفسدوا في الارض فتعطل السير برا وبحرا ولو بالخفارة حتى أن الانسان أصبح يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو خارج باب النصر . ومن كل ذلك حصل وقف الحال وضيق المعاش سيما في مدينة مصر وانقطعت الطرق وامتنعت السبل ، وعدم الأمن ، وانقطعت الأرزاق المجلوبة الى المدينة ، فافتضى رأى الشيخ أحمد العروسي أن يجتمع مع المشايخ ويركبوا الى الباشا ويتكلموا معه في شأن هذا الحال » .

ويسترسل الجبرتي في سرد تفاصيل هذه الأحداث المؤسفة التي وقعت للبلاد حتى ينتهى الى رأى الشيخ أحمد العروسي الحاسم في كيفية معالجة هذه الفتن فيقول : وجاء فرمان من السلطان ومضمونه الحث والتشديد على محاربة الأمراء القبليّة (أى المماليك) وطردهم وأبعدهم ، فلما فرغوا من قراءته تكلم الشيخ أحمد وقال : « وما المانع لكم من الخروج . وقد ضاق الحال بالناس ولا يقدر أحد أن يصل الى بحر النيل ، وقربة الماء باثنى عشر نصف فضة ، وحضره اسماعيل بيك عبدى مشغل ببناء المتاريس ، وهذه ليست طريقة المصريين في الحروب بل طريقته المصادمة وانفصال الحرب في ساعة اما غالبيين أو مغلوبين وأما هذا الحال فانه يستدعى طولا وذلك يقتضى الخراب » .

وقد أخذ الباشا برأى الشيخ احمد وقضى على الفتن والاضطرابات ونجت القاهرة من كارثة محققة كادت تودى بأهلها لولا تدخل شيخ أزهرها الشيخ العروسي .

وكأنما كانت مشيخة الأزهر وراثية في أسرة العروسي ، فقد تولى اثنان من أولاده الأربعة المذكور الذين أنجبهم الشيخ أحمد مشيخة الأزهر بعده ، فقد ورد في الخطط^(١) التوفيقية « وقد خلف الشيخ أحمد العروسي أربعة أولاد ذكور ، كلهم فضلاء نجباء أحدهم الذي تعين للتدريس في محله في الأزهر ، وصار شيخا على الجامع بعد أبيه وهو العلامة اللوذعي والفهامة الألعى شمس الدين السيد محمد ، أما الثلاثة الآخر فهم السيد أحمد والسيد عبد الرحمن والسيد مصطفى الذي تولى شيخا على الجامع الأزهر سنة ١٢٨١هـ .

ويعتبر الشيخ مصطفى العروسي من الشخصيات اللامعة من بين شيوخ الأزهر ، فهو كما قال علي مبارك ، كان عالما فاضلا أخذ عن أكابر عصره حتى برع ودرس وأفاد وألف وأجاد . ثم يصف شكله وخلقه فيقول : كان نحيف الجسم أسمر اللون متوسط القامة فصيحاً متكلماً سامراً لا يهاب يجالس الأمراء وفيه عفة وقناعة » .

ومن الاعمال التي تذكر للشيخ مصطفى بالفضل بالنسبة للأزهر خاصة والدين عامة ابطاله كثيراً من البدع كالاستجداء بالقرآن ، كما أنه عزم على إدخال الامتحانات بالأزهر فكان هذا سبباً في عزله ، ولكن الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفى ، الذي تولى مشيخة الأزهر بعده نفذها .

وقد توفي الشيخ أحمد العروسي سنة ١٢٠٨هـ وصلى عليه بالأزهر ودفن بمدفن صهره الشيخ العريان ، كما دفن معه بقية أولاده من شيوخ الأزهر الكرام .

(١) على مبارك ج ١٦ ص ٧١

الوصف المعماري

كان جامع العروسي يعرف في أوائل القرن التاسع عشر باسم جامع العريان ، فقد جاء في الخطط التوفيقية : هذا الجامع بشارع سوق الزلط (شارع العروسي الآن) تجاه جامع الزاهد بالقرب من منزل الشيخ العروسي ، أنشأه الشيخ أحمد الشهير بالعريان المتوفى سنة ١١٨٤هـ . وجاء في الجبرتي أن الشيخ العريان هو الولي العارف بالله تعالى الاستاذ الشيخ أحمد بن حسن النشرتي الشهير بالعريان ، كان من أرباب الكرامات والأحوال ولد في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة ، يحج كل سنة ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولكن اذا قرأ قارىء بين يديه وأخطأ يقول له قف فإنك غلطت . ويصف الجبرتي ملبسه وأحواله فيقول : « وكان يلبس الملابس الخشنة وهى جبة صوف ، وعمامة صوف حمراء ، يتعمم بها على لبدة من صوف ويركب بغلة سريعة العدو ، وملبسه دائما على هذه الصفة . وكان شهيرا بالذكر يعتقدده الخاص والعام . ويأتى الأمراء والاعيان لزيارته والتبرك به فيأخذ منهم دراهم كثيرة ينفقها على الفقراء المجتمعين عليه » .

ويتحدث عن المسجد فيقول : « وأنشأ مسجده تجاه جامع الزاهد ، بجوار داره وبنى بجواره صهريجا ، وعمل لنفسه مذقنا وكذا لأهله وأقاربه وأتباعه واتحد به الشيخ أحمد العروسي واختص به اختصاصا زائدا فكان لا يفارقه سفرا ولا حضرا . وعلى كل من ضريح الشيخ العريان والشيخ أحمد العروسي مقصورة عملها ذرية الشيخ العروسي وله مولد يعمل كل سنة »

ويصف على مبارك المسجد فيقول : « يشتمل الجامع على ستة عشر عمودا من الرخام غير عمودى المحراب ، وكان قد حصل فيه خلل فعمره ناظره الشيخ مصطفى العروسي ، وقام بشعائره جميعها وبأعلاه مكتب وله أوقاف جارية عليه » .

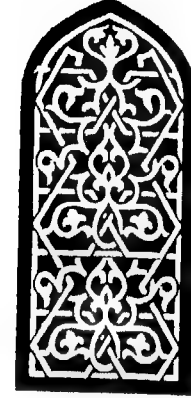
ويتكون المسجد الحالى من مستطيل يصعد اليه بقالبتين من الدرج من داخل مدخله الرئيسى الذى يقع فى الطرف الشمالى الغربى لواجهة الجامع ، وفى الطرف الشمالى الشرقى يوجد سبيل يعلوه كتاب . ويتكون مكان الصلاة من مستطيل يقسمه ثلاث بوائك الى أربعة

أروقة موازية لحائط القبلة . وتتكون كل بائكة من خمسة أعمدة رخامية تحمل ستة عقود مدببة ممتدة . ويتوسط حائط القبلة محراب كبير زخرفت خواصر عقده ببلاطات من القاشاني التركي ، كما يوجد مثل هذه البلاطات في واجهة المدخل الرئيسى للجامع ، وفي الجانب الشمالى وبجانب السبيل والكتاب يوجد ضريح الشيخ العريان وهو عبارة عن حجرة مربعة مرتفعه يبلغ ارتفاعها ارتفاع السبيل والكتاب معا . وبأركان الضريح الأربعة يوجد ثلاث مقرنصات تقوم فوقها القبة مباشرة وبين المقرنصات فى الجهات الأربع توجد نوافذ قنديلية ، المستطيل منها مملوء بالخشب الخرط والدائرة مملوءة بالجص المعشق بالزجاج الملون ، ومثل هذه النوافذ توجد فى أعلى جدار القبلة .

وفى الجانب الجنوبى للجامع يوجد ضريح آخر به الشيخ أحمد العروسى وأولاده الذكور الأربعة .

وتقع مئذنة الجامع أعلى الواجهة الشمالية وتتكون من دورتين وهى مملوكة الطراز .





مسجد حسن باشا طاهر

ببركة الفيل بالقاهرة
(١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م)

يجدر بنا قبل أن نتناول ترجمة حسن باشا طاهر منشئ هذا المسجد بالبحث والدراسة ، أن نبدأ بتاريخ مؤسس هذه الأسرة بمصر .
لقد تولى محمد باشا طاهر الأرثوذكى وظيفة محافظ^(١) على مصر من قبل الدولة العثمانية ، وكان قبل ذلك قائدا للجنود الألبانية أثناء ولاية خسرو باشا على مصر^(٢) . وقد استطاع محمد طاهر باشا بناء عن مشورة محمد على باشا ، أن يؤلب الجنود الألبانية على خسرو باشا ، ثم تولى ولاية مصر بعده ، واستمر مدة ستة وعشرين يوما ، حتى أوعز محمد على باشا الى جنده بمطالبة برواتبهم فلما عجز عن تلبية مطلبهم قتلوه^(٣) (١٢١٨ / ١٨٠٣) ودفنوه في قبة في بركة الفيل .

ويحدثنا الجبرتي عن محمد طاهر باشا أثناء ولايته على مصر ، دون ان تعترف الدولة العثمانية بذلك ، فيقول : كان محافظا على الديار المصرية من طرف الدولة ، ثم تغلب عليها وصار واليا ، وكان كثير المصادرات ويحب سفك الدماء . وكانت له دار بالحبانية وهى التى قتل فيها . ويبين لنا الجبرتي سبب قتله فيقول : وسبب قتله أن طائفة الانكشارية كانت كلما تطلب منه شيئا من جماكيهم (اى رواتبهم) يقول لهم ليس عندى شيء فاذهبوا وخذوه من محمد على باشا ، فضاق خناقهم وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والى المدينة . فلما كانت سنة ثمان عشرة ومائتين والى ركبوا من جامع الظاهر ، وهم نحو المائتين وخمسين نفرا بعددهم وأسلحتهم كما هى العادة وخلفهم كبراؤهم وذهبوا الى طاهر

(١) الجبرتي جـ ٣ صفحة ٢٤٧

(٢) اسماعيل سرهنتك : حقائق الاخبار فى دول البحار جـ ٢ صفحة ٢٢١

(٣) عبد الرحمن الرافعى بك : الحركة القومية جـ ٢ صفحة ٣٣٩

باشا وسألوه في جماكيهم فقال ليس لكم عندي الا من يوم ولايتي اي (١٦ يوما) وان كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد علي . وعندما الحوا عليه نتر فيهم فعالجوه بالحسام وضربه أحدهم فطير رأسه ورماه من الشباك الى الحوش .
أما عن أحمد باشا الذي اتفق مع العسكر على قتل طاهر باشا ، فهو الصدر المعظم والدستور المكرم الوزير أحمد طاهر باشا ويقال انه ابن^(١) أخت محمد علي باشا . وقد كان ناظرا على ديوان الجمارك ببولاق وعلى (الخمامير) ومصارفه من ذلك يتضح لنا ان محمد علي قد اوعز الى ابن أخته من التخلص من محمد طاهر باشا وذلك بقتله على يد جنوده .

وقد استطاعت فرقه الأرئودية من أخذ رأس محمد طاهر باشا ودفنها مع باقى الجثة

في قبة ببركة الفيل

(١) الجبرق جـ ٣ صفحة ٢٥١

الوصف المعماري

يروى على مبارك^(١) تاريخ جامع حسن باشا طاهر فيقول : هذا المسجد بشارع بركة الفيل على يمين الذهاب من الصليبية (حى طولون الآن) الى البركة . وقد كتب على بابه البرانى (الخارجى) النص التالى :-
أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله سبحانه وتعالى أفندينا حسن باشا طاهر والأمير عيدين بيك غفر الله لهما سنة أربع وعشرين ومائتين وألف من الهجرة الشريفة النبوية .

ويضيف فى وصف شكله فيقول : وهو مبنى من الحجر وأعمدته من الرخام وسقفه خشب بصنعة بلدية . وفيه منبر عظيم ودكة وله صحن مسقوف بعضه وعليه درابزين من خشب . وأرضه مفروشة بالحجر ، وفى وسطه حنفية عليها قبة .

ويحدثنا عن القبة المدفون بها محمد طاهر باشا فيقول ، وعن شمال الداخل من الباب البرانى توجد قبة بها ضريح مكتوب عليه فى لوح رخام ، هذا مقام الأربعين (لعل المقصود أن الضريح يحوى جثة اربعين وليا) والنازل بجوارهم أفندينا محمد طاهر باشا والامير يوسف بيك رحمة الله تعالى عليهم أجمعين .

وبجوار باب المسجد وفوق السلالم باب يوصل الى المنارة والمكتب والسبيل . وهناك حنية لطيفة تسقى من ساقية المطهرة . وللجامع عقارات بجواره موقوفة عليه . وشعائره مقامة من إيرادها بنظام تام . وبالجامع بسط مفروشة وهو تحت نظر سليم بيك فوزى ابن اسماعيل بيك فوزى

ويتكون الجامع من مبنى مستطيل بجوار القبة ، يتقدمه من الجهة الغربية المدخل الرئيسى يحيط به رواق يرتفع الى نهاية جدران المسجد ، ويتكون من ثلاثة فصوص (عقد مدائنى مخصص) ملئت بالمقرنصات والدلايات . ويصعد الى باب المسجد الذى يتوسط المدخل الرئيسى ببضع درجات ، على يمينه باب يؤدى الى السبيل الملحق به .

وقد فرشت أرضية المسجد بالرخام الملون البديع الزخارف ، ويتوسط المسجد نحوض رخامى مستدير من قطعة واحدة يستعمل مطهرة (للوضوء) . ويشتمل الجامع على ثلاثة

أروقة موازية لحائط القبلة يقسمها بانكتين تحتوى كل منهما على أربعة عقود مدببة ترتكز على ثلاثة أعمدة من الرخام . ويغطى المسجد سقف خشبى يتوسطه منور ، ويضئ المسجد مجموعة من النوافذ المعقودة توجد بأعلى جدرانه وقد ملئت بالزجاج المعشق المتعدد الألوان .

ويتوسط حائط القبلة محراب زين تجويفه وكذا طاقيته بالزخارف الزيتية المتعددة الألوان ، كما يعلو المحراب قبة صغيرة مزخرفة برسوم متعددة الألوان فتحت فيها نوافذ جصية صغيرة لاضاءة رواق المحراب . وبجوار المحراب يوجد منبر خشبى مصنوع بطريقة الخراط والحشوات المجمع وبابه مستدير . وفي الرواق الغربى توجد دكة المبلغ محمولة على الجدار وعلى عمود رخامى .

وبالجهة الشمالية للجامع توجد مصلى سقفها قائم على عمود رخامى لها محراب فى وضع منحرف . كما يوجد غربى المدفن حديقة صغيرة .

وفي الطرف الشرقى للجامع توجد المئذنة وهى من المآذن الرشيق ذات الطابع المملوكى ، فهى تتكون من ثلاث طوابق الأول والثانى على شكل مثنى أما الثالث فمستدير الشكل وتنتهى من أعلى بترس أسفل الخوذه . ويفصل بين الدورات الثلاث شرفتان من الحجر المخرم ذى الزخارف البديعة التكوين والمركز على ثلاث حطات من المقرنصات الصغيرة والدلايات .

والى يسار الجامع توجد القبة التى دفن فيها محمد طاهر باشا وغيره ، هى أيضا تخالف القباب العثمانية . فهى تتكون من مربع تغطيه قبة كبيرة ، شغل منطقة الانتقال فيها مجموعة من الحطات المقرنصة المجمع فى تشكيلات غاية فى الابداع . وقد بدت أركان منطقة الانتقال من الخارج على شكل مثلثات مدرجة يفصل بينها نوافذ قنديلية .

وتقوم فوق منطقة الانتقال رقبة مرتفعة فتح فيها ثمان نوافذ معقودة استعمل أربعة منها والباقى مسدود . وهذه النوافذ مملوءة من الداخل بالزجاج المعشق المتعدد الألوان . ويفصل بين الرقبة والقبة شريط نقش به كتابات قرآنية بالخط الثلث . أما القبة فهى مدببة حلى بدنها بـ (٩٦) قناة مشطوفة .

أما مربع القبة فقد زخرفت واجهاته بالنقوش المحفورة فى الحجر وكذا القاشانى وقد سجل على عتب بابها النص الآتى :-

هذا مقام الأربعين والنازل بجوارهم أفندينا محمد باشا طاهر والأمير يوسف بيك
رحمهم الله تعالى أجمعين (١٢٢٤هـ / ١٨٠٩ م)

ويوسف بك مدفون مع محمد طاهر في قبر واحد نقشت عليه الكتابة الآتية :-
وزير مصر للاله قد مضى لا اعتراض لحكم مولى قاهر
عليه رضا الرحمن قلت مؤرخا في حبه الفردوس محمد طاهر ١٢١٨هـ
كما توجد مقبرة ثانية مكتوب عليها :

هذا قبر المرحوم ابراهيم بك ابن أمير اللواء طالب بيك توفى الى رحمة الله تعالى يوم
الأحد شهر جماد آخر ١٢٢٩ كما كتب على قبر ثالث : هذا قبر المرحوم يوسف بيك طاهر
توفى الى رحمة الله تعالى يوم الخميس - شعبان ١٢٢٣هـ كما يوجد بالقبة تابوت خشبي
باسم الأربعين .

وحرصا من حسن باشا طاهر على أن تكون شعائر هذا المسجد مقامة ومستمرة فقد
أنشأ تجاهه عمارة وقفها للصرف على المسجد ، وقد سجل تاريخ العمارة على لوحة
ما تزال موجودة بالقبة وفيما يلي نصها :-

وكان الفراغ من العمارة الكائنة بخط بركة الفيل تجديد أفندينا المرحوم الحاج
حسن باشا طاهر حرر ذلك في يوم الجمعة المبارك ٢٩ حلت من شهر رجب الفرد ١٢٣٨هـ
كما توجد لوحة أخرى بمتحف الفن الاسلامي برقم (٥٣) فيما يلي نصها :-
وكان الفراغ من تجديد هذا المكان المبارك تجديد أفندينا المرحوم الحاج حسن باشا
طاهر يوم الجمعة المبارك في ٢٩ حلت من شهر رجب ١٢٣٨ من هجرة من له العز
والشرف^(١)

(١) حسن عبد الوهاب : المساجد الأثرية صفحة ٣٥٩



ضريح الشيخ حسن العطار

رائد البعث العلمى فى مصر الحديثه

(١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)

هو العلامة شيخ الاسلام الشيخ حسن بن محمد العطار المصرى المولد والنشأة المغربى الأصل . ولد بمدينة القاهرة^(١) سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) ونشأ فى رعاية والده الشيخ محمد كتن ، الذى كان يشتغل بمهنة العطارة . وكان الشيخ محمد يستصحب ولده حسن فى أول أمره الى دكان عطارته ويستخدمه فى بعض صفار الشئون ، ومن هنا جاء لقب العطار . ولشدة ذكائه وفطنته كان يعيل الى العلم وتأخذ الغيرة عند رؤية أتراه يترددون على المكاتب والمدارس . ولقرب حانوت والده من حى الأزهر ، كان يتردد خفية الى الجامع الأزهر حتى حفظ القرآن فى مدة يسيرة ، ولما علم أبوه بذلك بارك اتجاهه وشجعه فأقبل على طلب العلم وجد فى التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الأمير والشيخ الصبان وغيرهما حتى بلغ من العلم والمعرفة فى زمن قليل ما هياه للتدريس ، ولكنه مال الى استكمال ثقافته ومعارفه فعكف على دراسة الكثير من العلوم والفنون حتى أتقنها وانتفع بها . وقد أفاده فى سرعة التحصيل والاستفادة قوة حافظته وحده بصره ونهمه للقراءة وفى ذلك يقول معاصره الشيخ محمد شهاب الشاعر : « كان العطار آية فى حدة النظر وشدة الذكاء ، فكان يزورنا ليلا فى بعض الأحيان فيتناول الكتاب الدقيق الخط الذى تعسر قراءته فى وضوح النهار فيقرأ فيه على ضوء السراج . وربما استعار الكتاب فى مجلدين فلا يلبث عنده الا أسبوعا أو أسبوعين ويعيده الى وقد استوفى قراءته وكتب فى طرزه على كثير من مواضعه » .

ويقول أحمد تيمور نقلا عن الجبرتى ، ولما دخل الفرنسيون مصر غادر حسن العطار مع جماعة من العلماء القاهرة الى الصعيد ، فلما هدأت الأحوال قليلا عاد اليها ، فقرّبوه

(١) أحمد تيمور : اعلام الفكر الاسلامى ص ١٩

منهم واتصل بعلمائهم فأفادهم واستفاد منهم . لقد رحل الشيخ حسن الى أسبوط فرارا من وجه الفرنسيين ، وظل هناك حتى اطمأنت النفوس ، فعاد مع العائدين . وبدأت صلة العطار بالفرنسيين منذ ذلك التاريخ وتوثقت هذه الصلة حتى أصبح يفهم عنهم ويتحسس لحضارتهم وعلمهم ويبشر بضرورة الانتفاع بكل ذلك . ثم رحل العطار الى سوريا وتركيا ولم يعد الا في عهد محمد علي ، والراجح ، كما يقول ، سامي^(١) بدرأوى ، أنه خرج مكرها بسبب العسف الفرنسي ، أو احتجاجا على إساءة الفرنسيين معاملة المصريين ، وقد ذكر هذه الرحلات في بعض رسائله الخاصة . فبالنسبة الى رحلته الى الشام جاء في رسالة^(٢) له : اتفق لي انني بعد قضاء صحتي توجهت مع الركب الى الشام فوصلت الى (معان) ثم الى بلدة (الخليل) فأقمت بها نحو عشرة أيام ، ثم توجهت الى القدس الشريف ، فنزلت بدار نقيبها السيد عمر أفندي الذي كان من عادته الاحتفال بالموسم الموسمي وإطعام الفقراء ، ثم سافر الى دمشق وأقام بالمدرسة البدرية زمنا غير قصير وأعجب بها ويعلمائها ومدحها في بعض قصائده . ولما سافر الى استنبول أقام هناك مدة طويلة ، تأهل بها وأعقب ولم يبق عقبه ، ولم يزل مشغلا هناك بالافادة والاستفادة حتى عاد الى مصر بعلوم كثيرة ولما حضر الى القاهرة أقر له علماء عصره بالانفراد وعقد مجلسا لقراء تفسير البيضاوي ، وكانت قد مضت على هذا التفسير مدة طويلة لا يقرأه أحد ، فحضره كبار الشيوخ والفقهاء والتفوا حول دروسه .

وكان مؤرخ مصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي من معاصري الشيخ العطار ومن المعجبين بغزارة علمه وبأسلوبه المتميز الرائق وشعره الفائق ولا عجب فهو مصرى أولا وقاهرى تربى بالقاهرة فرق خياله ونعم بجمال طبيعتها ومنشأتها ومبانيها فتغنى بها . وفي ذلك يقول الجبرتي^(٣) عندما وصف النكبة التي حلت بالأزبكية ودورها المحروقة بالبركة عند احتلال الفرنسيين وقال : « وصارت كلها تلالا وخرائب كأنها لم تكن مغنى صبايات ، ولا موطن أنس ونزهات » . واستشهد بقول العطار في وصفها ابان ازدهارها فقال : « وفيها يقول صديقنا العلامة والنحرير الفهامة حسن العطار ، حفظه الله : « وأما

(١) سامي بدرأوى : في مجلة (المجلة)

(٢) المخطوط التوفيقية ج- ٤ ص ٣٩

(٣) تاريخ الجبرتي ج- ٣ ص ٣٧

بركة الازبكية فهي مسكن الأمراء وموطن الرؤساء وقد أهدت بها البساتين الوارفة الظلال ، العديمة المثال ، فترى الخضرة خلال تلك القصور المبيضة ، كثياب سندس خضر على أثواب من فضة ، يوقد بها كثير من السروج (أى المسارج) والشموع فالانس بها غير مقطوع ولا ممنوع ، وجمالها يدخل على القلوب السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور . ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليالى ، هن سمط الايام من يتم اللالى . وأنا أنظر الى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها والنسيم بأذياب ثوب مائها الفضى لعاب ، وقد سل على حافاتها من تلاعب الأمواج كل قرضاب ، وقام على منابر أدواحها فى ساحة أفراحها مفردات الطيور وجالبات السرور ، فلذيذ العيش بها موصول .

وظل الشيخ حسن مصدر اشعاع لمختلف العلوم ، كما يقول أحمد تيمور^(١) ، الى أن ولى المشيخة عقب وفاة الشيخ محمد الشنوائى سنة ١٢٤٦هـ فزانا وشرفها ، وظل شيخا للأزهر الى أن توفى سنة ١٢٥٠هـ وقد ترك العديد من المؤلفات دون معظمها يوسف سركيس فى معجم المطبوعات العربية نذكر منها ، انشاء العطار فى المراسلات والمخاطبات وكتابة الصكوك وكل ما يحتاج اليه الخاص والعام . وله حواش متعددة على أمهات كتب الشريعة والفقه الاسلامى مثل حاشية العطار على التذهيب للخبصى ، وعلى جامع الجوامع ، وعلى متن السمرقندية (بلاغة) وعلى شرح الأزهرية وفى الشعر له منظومة العطار فى علم النحو وكذا فيما يختص بمختلف العلوم والفنون .

وقد جاء فى الخطط التوفيقية أن للشيخ، حسن العطار رسالة فى كيفية العمل بالاسطرلاب والرربعين المقنطر والمجيب والبسائط ، ورسائل فى الرمل والزابرجة والطب والتشريح وغير ذلك ، ويضيف على مبارك على ما تقدم فيقول : « وكان يرسم بيده المزاويل النهارية والليلية » .

وليس من شك فى أن الشيخ حسن قد استفاد الكثير من أسفاره ورحلاته فاكتملت شخصيته فلما عاد الى مصر فى عصر محمد على ، عاد موسوعيا فى ثقافته وعلمه يطاول علماء الازهر الافذاذ ويمتلىء حماسة لتطوير البلاد واصلاح احوالها وقد فلسف الاستاذ سامى بدرأوى جهود العطار الاصلاحية وأجملها فى ميدانين هما التعليم والثقافة ، والثانى

(١) احمد تيمور ص ٢١

في النواحي السياسية . أما في مجال التعليم والثقافة فهو بحق رائد البحث العلمي في مصر الحديثة . فقد بدأ ينبه الأزهريين في عصره الى واقعهم القيادي في العالم الاسلامي ، ويبين لهم ضرورة ادخالهم المواد المتنوعة كالفلسفة والأدب والجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية كالطب والكيمياء والفلك وما إليها . كما حث على ضرورة الاقلاع عن أساليبهم في التدريس ووجوب الرجوع الى الكتب الأصول وبعث التراث العربي القديم . فقد جاء في بعض رسائله ضمن تأمل ما سطرناه وما ذكر من التصدي لتراجم الائمة الاعلام ، علم أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم ، واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع . ثم هم مع ذلك ما خلوا في تثقيف ألسنتهم وترقيق طباعهم من رقائيق الأشعار ولطائف المحاضرات .

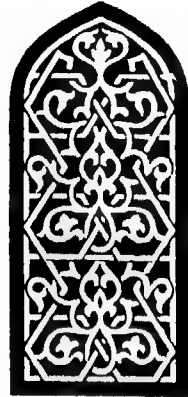
ولم يكتف العطار بالقول والموعظة بل أتبعه بالعمل والتنفيذ ، فقد خرج على الجمود العلمي الأزهرى بتدريسه للمواد المتنوعة ، فدرس الجغرافيا والتاريخ في الأزهر وخارج نطاق الأزهر . كما درس تلميذه محمد عياد الطنطاوى الادب في الأزهر بايحاء العطار وتحت اشرافه في (مقامات الحريري) . كما درس تلميذه رفاعة الطهطاوى الحديث والسنة بطريق المحاضرة وبلا نص مما كان مثار إعجاب العلماء . وإلى جانب العلوم الدينية والأدبية فقد كتب الشيخ العطار في العلوم والفنون الأخرى في المنطق والفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة كما يتضح من قائمة مطبوعاته ومن اشاراته الى اعجابه بالفرنسيين من تحويل علومهم الى عمل وكذا تردده على الموصل الذي أنشأه الفرنسيون ، ورسم بيده المزاويل النهارية والليلية .

أما عن الجانب السياسى من نشاطه ، فإن الفكرة الشائعة عنه أنه كان مسالما بطبعه يلتزم بأسلوب العلماء في الآراء التى يبشر بها ، أو كما يقول العقاد : انه كان حصيفا كيسا فلم يقحم نفسه في مجال السياسة . أما البدراوى فله رأى معارض ، اذ يقول : « ان تلك الفكرة الشائعة بينه من دروس الرجل وأعماله من أنه كان مسالما وحصيفا كيسا فهى نظرة من الخارج او هى نظرة على السطح » ويستشهد على صحة رأيه هذا برحيل العطار الى خارج مصر احتجاجا على اساءة الفرنسيين معاملة المصريين . كما يرد على من قال إن العطار كان رجل محمد على وصنيعته ، فيقول : « إن هناك اشارات متفرقة يمكن جمعها وتعميقها للاستدلال على موقف العطار السياسى ، وأولى هذه الاشارات ، أن الرجل كان

صديقا حميما للجبرتي المؤرخ ، وأنه أسهم معه في تأليف كتابه (مظهر التقديس) .
والمعروف عن الجبرتي انه كان ينتقم على محمد على على افتياته على الكيان المصرى
والشخصية المصرية ، وإن أعجب بنشاطه وحزمه . ثم يعثب البدراوى على رأى الجبرتي
فيقول ، وليس ببعيد أن يكون رأى العطار مماثلا لرأى الجبرتي في محمد على ، لاسيما أن
الرجل كان شديد الغيرة على المصلحة العامة ، شديد الحرص على تشخيص الواقع المحيط
به وتغييره .

نخلص من كل ما تقدم أن الشيخ حسن العطار لم يلجأ الى النقد المباشر أو المجابهة
العلنية ولكننا نؤكد في ثقة واطمئنان أنه قام بدور ايجابي فعال في مشكلات المجتمع المصرى
الثقافية والتعليمية والسياسية .

وقد رغب الشيخ حسن في أواخر أيامه أن يرحل الى البلاد الحجازية ، وفي ذلك
يحدثنا تلميذه السقا فيقول : إن بعض سكان مكة المكرمة المارين بمصر ، أعجبهم علم
الشيخ العطار فأحبوا أن يقيم بينهم ليخلف فيهم (ابن حجر الهيتمي) وينتفعوا به وبعلمه
فاجتمعوا به ، وما زالوا يحسنون له الرحلة حتى أجاب ، وأخذ في تجهيز نفسه ، وسمع
تلاميذه بذلك فاشتد أسفهم . ولم يكن فيهم من يجرؤ على منعه « وهنا يضيف الشيخ السقا
فيقول : « فاحتلت بأن أخرجته بعد الدرس من صحن الأزهر ، ونحن في حمأة الفيظ ،
وأخذت أسأله بعض المسائل وأخرج من واحدة لآخرى ، وهو يرفع رجله ويضعها من شدة
حر البلاط ، حتى تبين لى الضجر فى وجهه وانتهرنى ، فقلت : يا سيدى أنت لا تطيق حر
الشمس وانت بمصر ، فكيف لك بالحر فى مكة وهو هناك اضعاف ما هنا . ففكر ثم جزانى
خيرا ، وفترت همته عن السفر واستقر بالقاهرة شيخا للجامع الازهر حتى توفى سنة
١٢٥٠هـ ودفن بضريحه بقرافة المجاورين ويتكون ضريحه من حجرة مربعة تعلوها قبة
صغيرة تقوم على مقرنصات فى الأركان وفى الجدار الجنوبى الشرقى لها يوجد محراب
صغير كذلك



مسجد سليمان أغا السلحدار

بشارع أمير الجيوش المعز لدين الله حالياً
(١٨٣٩م / ١٢٥٥هـ)

يوجد هذا المسجد عند بدايه حارة برجوان بشارع أمير الجيوش (المعز لدين الله) حالياً . .

أما منشئ هذا المسجد فهو الأمير سليمان أغا السلحدار ، أحد أمراء محمد على باشا ، جاء الى مصر صغيراً وأخذ يترقى في الوظائف حتى أصبح أمير لواء السلاح في عهد محمد على .

وقد ترجم له الجبرتي^(١) ، فقال إنه كانت له سطوة كبيرة ، وكان متعسفا في معاملة موظفيه ، كما كان جشعا استولى على الكثير من انقاض المساجد المتهدمة والمتخربة في صحراء الممالك بالقاهرة ، واستعملها في عمائره ومنشأته الكثيرة المتعددة . ولم يكتف سليمان أغا بذلك فحسب بل تعسف كذلك أشد التعسف في نزع ملكيات المباني والعقارات التي يريد ان يقيم مكانها وكالاته ومساجده والعمائر والمنشآت العقارية المتعددة . وما يزال الكثير من منشأته وعمائره التي أقامها باقية حتى الآن ، وهي متمركزة في القاهرة القديمة . فهناك وكالة في خان الخليلي ، وثانية توجد بجوار خانقاه بيبرس جاشنكير الجمالية ، وغيرهما من الحمامات والأسبلة . كما انشأ مسجداً آخر غير المسجد موضوع البحث ، هو المسجد الأحمر الذي يقع بشارع الجامع الأحمر^(٢) .

(١) الجبرتي ج ٤ صفحة ٣١٤

(٢) على مبارك ج ٥ ص ١٥ .

الوصف المعماري

يجمع جامع السلحدار بين الطرازين المعماريين العثماني والمملوكي جنباً إلى جنب . فالمسجد يتكون من مستطيل ينقسم إلى مربعين ، المربع الغربي يشتمل على حرم المسجد ، أي صحنه . وهو عبارة عن صحن تحيط به الأروقة من جهاته الأربع تغطيها قباب صغيرة ضحلة تقوم على عمد رخامية . وقد زخرفت قطب كل قبة بتقوش زيتية متعددة الألوان قوامها رسوم نباتية وهندسية وكتابات قرآنية . ويغطي الصحن ، سقف خشبي فتح في وسطه فتحة (شخشيحة) للتهوية والاضاءة وحماية المسجد من الأمطار اذا سقطت . أما المربع الشرقي فيحتوي على مكان الصلاة ويتكون من بائكتين يشتمل كل منهما على عمودين من الرخام تقوم عليهما عقود مستديرة . ويقسم البائكتين مكان الصلاة إلى ثلاثة أروقة موازية لحائط القبلة . ويغطي مكان الصلاة سقف خشبي زخرف بتقوش زيتية متعددة الألوان .

ويتوسط جدار القبلة في مكان الصلاة محراب من الرخام ، وهو كما يقول حسن عبد الوهاب^(١) ، فريد في نوعه ، فقد اتخذ الجزء المجوف منه من قطعة واحدة ، وكذا طاقيته ، التي كتب عليها قوله تعالى « فلنولينك قبلة ترضاها » ويكتنف المحراب أفاريز رخامية زخرفت برسوم نباتية وهندسية حفرت حفراً بارزاً ثم ذهبت . كما يعلو عقد المحراب نصف دائرة رخامية قسمت إلى اشعاعات ، زخرفت برسوم ونقوش مفرغة ذهبت كذلك فبدت وكأنها مروحة .

ويوجد بجوار المحراب منبر خشبي تقوم على بابه قبة صغيرة لطيفة ، وإن كانت خالية من الزخرف . وفي مواجهة حائط القبلة توجد دكة المبلغ وهي من الخشب الخرط وهي عبارة عن شرفة تشغل الضلع الغربي كله لمكان الصلاة ، يصعد إليها من باب في الركن الشمالي الشرقي للصحن ، يوصل إلى درج بنى في سمك جدار المسجد . ويحيط بالمسجد صفان من النوافذ والفتحات ، السفلى منها مستطيلة يعلوها عتب ويقوم فوقها عقد عاتق وملئت بمصبغات حديدية . أما الفتحات العليا فهي صغيرة ومعقودة وقد ملئت . بزجاج معشق متعدد الألوان .

(١) المساجد الانثوية صفحة ٣٦١

ويعتبر مسجد السلحدار من المساجد المعلقة ، فقد جرت العادة في العصر العثماني ، ان يستغل الطابق السفلي للجامع اذا كان في حى تجارى ، فيبنى به حوانيت يصرف من ريعها على المسجد . ومن ثم انتهز المعمار وجود المسجد في حى تجارى هام وهو حى الجمالية وسوق الليمون وقربه من باب الفتوح ، فبنى في الطابق السفلي حوانيت ومدرسة وسبيل^(١) والميضاة .

وتقع واجهة المسجد في الجانب الغربى له ، حيث يوجد المدخل الرئيسى الذى يوصل الى حرمة (الصحن) الذى يصعد اليه بمجموعة من الدرجات . ويوجد في هذه الواجهة معظم مداخل المسجد والمباني الملحقة به .

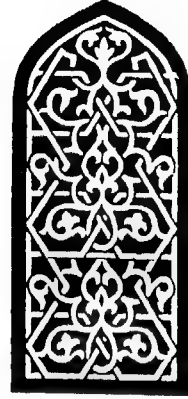
وقد كسى باب المسجد بالرخام وحليت تواشيع عقد المداين بزخارف نباتية وكتابتة مذهبة جاء فيها قوله تعالى « ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » ١٢٥٥ . ويعلو ذلك شرفة رخامية صغيرة .

وقد سجلت لنا الواجهة الغربية للمسجد وملحقاته تاريخا مفصلا للمسجد ، فقد نقشت واجهة السبيل بزخارف مذهبة ، وكتب عليها « إن هذا لهو الفوز العظيم » . وتعلو ذلك لوحات أخرى مكتوبة باللغة التركية بحروف مذهبة على أرضية زرقاء ، تضمنت مدح المنشئ ووظيفته وتاريخ البدء في بناء المسجد وهو ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م) وتاريخ الفراغ (١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م)

وفي الجدار الجنوبى يوجد باب بصدره منزل شيخ المسجد كما يوجد به سلم يؤدى الى دورة المياه

وتوجد مثذنة المسجد في الواجهة كذلك ، وهى اسطوانية الشكل تتكون من طابقين يفصل بينهما شرفة . ويعلو الطابق الثانى شكل مخروطى على غرار المآذن العثمانية .

(٢) على مبارك ج ٥ صفحة ١٥



جامع محمد علي باشا

بالقلعة

(١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م)

محمد علي باشا هو مؤسس الأسرة التي حكمت مصر قرابة قرن ونصف من الزمان فقد بدأت حكمها ١٨٠٥هـ وانتهت على يد آخر أبنائها فاروق الأول ١٩٥٢م. ولد محمد علي بمدينة قولة بمقدونيا (١١٨٢هـ / ١٧٦٨م) وكان والده ابراهيم أغا في ذلك الحين يعمل في وظيفة رئيس المدينة. ولكنه توفي وما يزال محمد علي في حداثة سنه فكفله عمه طوسون أغا. ولكن الحظ لم يترفق به، اذ سرعان ما توفي عمه كذلك فتولى أمره حاكم المدينة واسمه الشوربجي^(١)، الذي كان صديقا حميما لوالده.

والتحق محمد علي بمدارس المدينة حيث تلقى بعض العلوم الأولية باللغة التركية فلما شب عن الطوق التحق بالجهادية^(٢)، حيث ظهرت عليه مدارك الرجولة من شجاعة واقدام مما أهله للترقية الى رتبة بلوك باشي^(٣). ولما انتهت فترة الجهادية، اشتغل بالتجارة (١٢١٥هـ / ١٨٠١م)، بعد أن تزوج إحدى قريبات متصرف قولة.

الا أن الأقدار كانت تخبىء له عملا عظيما غير الذي اختاره لنفسه في التجارة، فقد وقع عليه الاختيار ضمن القوة البحرية التي أمر الباب العالي في ذلك الحين بارسالها الى مصر لاجراج الفرنسيين^(٤) منها. فقد اشترك محمد علي في موقعة أبي قير التي انتصر فيها العثمانيون بمساعدة الانجليز، كما اشترك في الهجوم الذي شنته القوات التركية في الرحمانية على الفرنسيين^(٥)

(١) تاريخ العصر الحديث ص ٣١، ٣٢

(٢) الحركة القومية ج ٣١١

(٣) بلوك باشي أى قومندان فرقة عن الهجة التوفيقية ص ٣، ٤

(٤) تاريخ العصر الحديث ص ٣٢

(٥) الحركة القومية ج ٢ ص ٣٥٩

ولما خرجت الحملة الفرنسية من مصر رقى محمد على الى رتبة لواء لما أظهره في
الموقعة السابقة من شجاعة وجسارة لفتت إليه إنتباه كبار القواد ، فرقوه إلى تلك الرتبة
وعينوه قائدا على أربعة آلاف جندي ألباني . ثم وقع اختيار الوالى العثمانى خسرو باشا
عليه للذهاب الى الصعيد لمحاربة المماليك . ولكنه سرعان ما أوجس منه خيفة لما تأخر
محمد على في الوصول الى الصعيد ، فقرر خسرو باشا الغدر بمحمد على . فلما علم الأخير
بذلك تحالف مع عثمان البرديسى زعيم المماليك ضد خسرو باشا وتمكن من عزله
١٨٠٣م .

وكما نجح محمد على في الايقاع بين المماليك وبين الوالى العثمانى ، كذلك وطد
العزم على الايقاع بين المماليك فقد انتهز فرصة ذهاب محمد الألفى الزعيم الثانى
للمماليك الى انجلترا للاتفاق مع الانجليز في تبادل الخدمات ، وذلك بأن تستولى انجلترا
على سواحل مصر الشمالية في مقابل ان تعضيد الانجليز للمماليك وتوطيد حكمهم في
مصر ، فأوعز محمد على الى البرديسى بأن محمد الألفى انما ذهب الى انجلترا لكي يجعلوه
الزعيم الأوحيد على المماليك . وقامت الفتنة بين المماليك وانتهت بقتل محمد الألفى ،
وفرار البرديسى عندما طالبت القوات الألبانية ، التى كان محمد على يعضدها سرا ، بمتأخر
روابتهما مما اضطره الى فرض ضرائب فادحة على سكان القاهرة فثاروا عليه واضطروه
الى الهرب .

وهكذا تخلص محمد على من خصم قوى عنيد ، ألا وهو المماليك ، ومن ثم بدأ يفكر
في انجاز بقية الخطة التى ستوصله الى مأربه الذى أضمره في نفسه ولم يبيع به لأحد
غيره . فقد أشار على العلماء ومشايخ البلد بتولية خورشيد باشا محافظ الاسكندرية واليا
على مصر ، وتعيين محمد على قائمقام .

ولكن الوالى الجديد خورشيد باشا خشى على نفسه من أطماع محمد على ومن جند
محمد على من الالبانيين ، ولذلك عمل على أن يحيط نفسه بجند استقدمهم من (الدلاة^(١))
الذين أساءوا معاملة الأهالى ، فقاموا بالكثير من أعمال السلب والنهب والقتل مما أثار
الأهالى ضد الوالى .

(١) البجة الوفقية ص ٨

على أن خورشيد باشا لم يكتف باحضار جند من (الدلاة) للوقوف أمام جنود محمد على من الألبانية فحسب ، بل سعى لدى الباب لتعيين محمد على واليا على جدة حتى يبعده عن مصر نهائيا . عند ذلك لم يجد محمد على بدا من أن يعلن الحرب على خورشيد باشا وذلك بتأليب الجند وتحريضهم على المطالبة بروابتهم ، كما تحالف مع نقباء الصناع ، فذهبوا جميعا الى القلعة حيث حاصروا خورشيد باشا ، ونادوا بمحمد على واليا على مصر ، كما ألح العلماء وكبار رجال الدولة من المصريين على الباب العالى بتوليته على مصر . وهكذا صدر فرمان بتوليته ١٨٠٥م .

أما عن تاريخ مسجد محمد على فيحدثنا عنه على مبارك^(١) فيقول : بعد أن أتم محمد اصلاح القلعة وفرغ من بناء قصوره ودواوين المالية والجهادية بجوار القلعة ، كما أقام عموم المدارس ودار الضرب بها ، رأى أن الحاجة ماسة الى انشاء مسجد لأداء الفرائض وليكون مدفنا له بعد وفاته .

عهد محمد على باشا الى أحد المهندسين الأتراك يدعى يوسف بشناق ليقوم بتصميم مخطط للمسجد المزمع انشاؤه ، فوقع اختياره على تصميم مسجد السلطان أحمد باشا بالقسطنطينية ، فوافقه محمد على باشا على هذا الاختيار ، وهكذا نستطيع القول بأن جامع محمد على يشبه جامع السلطان أحمد مع بعض التغيرات في التفاصيل .

وقد استطاع حسن عبد الوهاب^(٢) العثور على الهيئة الفنية التي قامت بتنفيذ بناء المسجد وذلك من الوثائق والسجلات الرسمية . وبرغم أنه لم يهتد الى اسم المهندس الأول ، الا انه عثر على اسم مساعد له اسمه على حسين (التلميذ المهندس) الذى التحق بعملية العمارة (١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م) بوظيفة منظم أحجار . أما رسامو المسجد فهم على أفندى موسى والسيد أفندى حمد والمعلم ابرام وحكاكيان أفندى ، وبعض المهندسين المصريين . أما رسم ما ملئت به النوافذ من نحاس مفرغ فقد قام برسمه أسطى (استاذ) رومى .

ويضيف حسن عبد الوهاب فيقول : اما النحاتون والحجارون فكانوا من المصريين

نذكر منهم :

(١) المخطط التوقفية ج ٥ ص ١١٠

(٢) المساجد الأثرية ص ٣٧٨

حسن محرم وإبراهيم حسن كما كان مقررا على شيوخ النحاتين المصريين أن يورد كل منهم ثمانية نحاتين من مهرة الصنّاع . ونذكر من النحاتين الأسطى حسين والحاج إبراهيم الأتباعوى .

وقام بأعمال الرخام كذلك عمال مصريون ، بمقاولة الخواجة سيمون وتحت مباشرة كل من يوسف ضيا افندى وشاكر افندى والقبطان هدايت والمعلم يوسف . أما الأهله النحاسية التى تعلو القباب الكبيرة وكذا القباب الضحلة ، والمطلية بالذهب فقد عهد بها الى الخواجة بيرون وكراييت النحاسيين بالموسكى . كذلك أحضر عمال من الأستانة لأعمال تكسية قباب المسجد وكذا مسلات مآذنه بالرصاص .

وقد كان الشروع فى بناء المسجد (١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م) واستمر العمل فيه حتى توفى محمد على (١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م) ودفن فى المقبرة التى بداخل المسجد . فلما تولى عباس الأول أمر باتمامه ، فعملت فى عهده أعمال النقش والتذهيب وبعض أعمال الرخام . كما أمر بعمل تركيبة للمقبرة من الرخام واحاطها بسياج من النحاس ووضع فى أركان المقصورة شمعدانات فضية ومصاحف مذهبة . ولما تولى سعيد باشا (١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م) أمر بطلاء المقصورة النحاسية وأحدث بعض التغيرات فى كتاباتها^(١) وفى عهد اسماعيل عمل للمسجد (١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م) أبواب جديدة ذات (سماعات) نحاسية ، كما أعد بجانب المنبر مقصورة كى يصلّى فيها السلطان عبد العزيز عندما حضر الى مصر وصلّى بالمسجد . كما انشئت دورة للمياه وأحيط المسجد بسور ضخمة^(٢) .

ويكمل حسن عبد الوهاب تاريخ جامع محمد على فى عهد أسرته ، فيقول : ومن أهم الأعمال التى أجريت للمسجد كانت فى عهد الملك فؤاد الاول ١٩٣٥ م ، عندما تقرر ضرورة إزالة القبة الكبيرة وما حولها من أنصاف القباب والقباب الصغيرة . وقد تكلفت أعمال الترميم وإعادة بناء القباب (٦٠,٠٠٠) جنيه ونفقات الزخرفة والتذهيب (٤٠,٠٠٠)^(٣) جنيه .

(١) على مبارك ج ٥ ص ٨٤

(٢) على مبارك : ج ٥ ص ٨٥

(٣) تاريخ المساجد الأثرية ص ٣٨١

الوصف المعماري

يتكون مسجد محمد على من مستطيل ينقسم الى مربعين متساويين تقريبا ، اذ يبلغ طول ضلع المربع من الداخل (٤١) مترا ، ويمتد المستطيل من الشرق الى الغرب . أما المربع الغربى فيكون حرم المسجد ، وهو عبارة عن صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات . ويتوسط الصحن نافورة الوضوء وهى مئذنة الشكل تعلوها مظلة ترتكز على ثمان أعمدة رخامية. ويعلو المظلة قبة خشبية مغطاة بالرصاص ويعلوها هلال مذهب وتحتوى هذه النافورة على ستة عشر صنوبر ماء بواقع صنوبرين فى كل ضلع من أضلاع المئذنة الداخلى .

ويتكون كل رواق من الأروقة الأربعة التى تحيط بالصحن الذى تبلغ مساحته ٥٣ × ٥٤ مترا من بائكة تحتوى على اثنى عشر عمودا من الرخام يحمل عقودا نصف دائرية . وقد قسم كل رواق الى اثنى عشر مربعا تقوم فوقها قباب ضحلة يغطيها الرصاص من الخارج ويعلوها أهلة مذهب . أما من الداخل فقد زخرفت برسوم من طراز الباروك والركوكو بألوان زيتية متعددة وكذا رسوم مذهب .

ولهذا الصحن ثلاثة مداخل أحدها فى الطرف الشمالى الشرقى للضلع الشمالى . والثانى فى مقابلته فى الطرف الجنوبى الشرقى للضلع الجنوبى . أما الباب الثالث فهو يقع فى منتصف الضلع الذى يصل الحرم بمكان الصلاة

ويعلو الرواق الغربى من الصحن وفى منتصفه مبنى مئذنة الشكل على شكل برج خصص لوضع الساعة التى أهداها لويس فليب ملك فرنسا لمحمد على ١٨٤٥م ويتكون مكان الصلاة من مربع تقريبا تحيط به من الجانبين الشمالى والجنوبى وخارج جدران مكان الصلاة ، رواقان يحتوى كل منهما على أحد عشر عمودا من الرخام تحمل أحد عشر عقدا نصف دائرى . كما قسم الرواق الى عشر مربعات يغطى كل منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية مكسية بالرصاص ويعلوها هلال مذهب . ويتوسط هذين الرواقين تقريبا مدخل يؤدي الى مكان الصلاة .

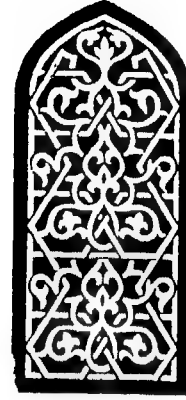
وصف الجامع

جامع الحلبي :

يرجع تاريخ هذا المسجد الى العصر العثماني ، الذي امتازت عمائره وخاصة الدينية منها ، ببناء سقوفها على شكل قباب صغيرة ضحلة وقد كان سقف مسجد الحلبي عبارة عن أنصاف قباب ثم استبدلت بالقباب عقود . وبجانب المسجد ضريح تعلوه قبة ، زخرف بابها بالطوب المنجور بالأسلوب الذي وجد بكثرة في مدينة رشيد ، وكتب عليه اسم صانعه : عمل المعلم عطية الرشيدى المعروف بابن يوسف البنا . كما زخرف محراب الضريح ببلاطات من القاشاني صناعة كوتاهية ، وكتب عليه : عمل المعلم سليمان البنه الأدينى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) .

وقد عثرت مصلحه الآثار في هذا المسجد على ربعة من القرآن الكريم موقوفة من الشيخ نور الدين الفرمانى على الجامع العتيق المعروف باسم أولاد شجاع بناحية ادفينه بالمزاحمتين ، مؤرخه سنة ٩٩١ هـ .

ويوجد بداخل المسجد مئذنة وضريح آخر تعلوه قبة صغيرة تعرف باسم قبة الأنصارى ، ومن هذه المجموعة تتكون الواجهة القبلىة للمسجد . ويلصق مسجد الحلبي من الجهة البحرية قبة تاج الدين وترجع الى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى . كما يوجد على شاطئ النيل مباشرة قبة سيدى محمد أبو العون .



جامع العدوى

بميدان سيدنا الحسين
(١٤٨٣هـ)

أنشأ هذا الجامع في أول الأمر الشيخ حسن العدوى الحمزاوى أحد علماء المالكية بالجامع الازهر . ولد الشيخ حسن بقرية عدوة من قرى مغاغة بمحافظة المنيا سنة ١٢٢١هـ فنسب إليها . وقريه عدوة هذه تقع في غربى بحر يوسف والى الجنوب الغربى من ناحية (سلقوس) . ويصف أحمد رمزى^(١) عدوة فيقول : يشتهر أهلها بزراعة الكتان الدون (أى الجيد) وتكثر بها قاعات الغزل والنسيج ولها سوق تغد اليه القرى المجاورة كل يوم أحد للحصول على الغزل والنسيج وعلى تفريخ معامل الدجاج . كما يوجد بعدوة جامع كبير وله مئذنة مرتفعة لعل منشئه هو الشيخ حسن كما جاء فى الخطط التوفيقية^(٢) . ويضيف على مبارك فى وصف قرية عدوة فيقول : وفيها عائلة مشهورة بالكرم والثروة ولهم أبنية مشيدة ومضاييف متسعة ، ومن هذه العائلة العالم الفاضل الشيخ حسن العدوى الحمزاوى المالكى .

أمضى شيخنا طفولته فى عدوة وبعد أن شب عن الطوق وحفظ القرآن رحل الى القاهرة للالتحاق بالأزهر الشريف على عادة النابهين والموسرين من أهل الريف . وفى الأزهر تلقى الفقه والتفسير والحديث عن العلامة الشيخ محمد الأمير الصغير وبعض الأدب والمنطق عن البرهان القويسنى شيخ الجامع الأزهر (والسعد والمطول وجمع الجوامع) عن الشيخ مصطفى البولاقى .

وقد جلس الشيخ حسن للتدريس بالأزهر فى سن مبكرة اذ لم يبلغ الحادية والعشرين من عمره حتى طلب منه أن يقوم بالتدريس للطلبة ، وفى ذلك يقول على مبارك^(٣) : وجلس

(١) القاموس الجغرافى ج ٣ ص ٨٦

(٢) الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٣٧

(٣) على مبارك ج ١٤ ص ٣٧

للتدريس في سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف ، فقرأ جميع الفنون المتداولة بالأزهر وانتفع به الطلبة واشتهر بحفظ السنة وسير الصالحين وأخذ عنه كثير من مدرسي الأزهر ، وقد عدد على مبارك الكثير من مؤلفاته نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : تقرير على صحيح البخارى سماه النور السارى ، وحاشية على شرح الزرقانى فى فقه الامام مالك ، وشرح ارشاد المريد فى علم التوحيد ، والنفحات النبوية ، ومشارك الأنوار وتبصرة القضاة فى المذاهب الأربعة وشرح البردة البوصيرية .

ويحدثنا على مبارك عن صفات الشيخ حسن العدوى فيقول : وله حب شديد للطلبة فتراه دائما يسعى فى مصالحهم والشفاعة لهم ، وتنفيس الكربات عنهم . كما أنه موضع اجلال وتقدير واكبار أمراء مصر ، ولذلك فان شفاعته كانت دائما مقبولة مجابة .

ولم تكن شهرة الشيخ حسن العدوى مقصورة على حياته العلمية والدينية فحسب ، بل ان تاريخ مصر الحديث ليفخر بالدور السياسى الذى قام به فى عهد الخديو اسماعيل وتوفيق ، فقد كانت له مواقف مع سلطان الدولة العثمانية وكذا مع الخديو يحجم ويهيب من الاقدام عليها أكثر الرجال شجاعة وجرأة ، حتى أن العقاد عدّ سيرته من أعجب القصص فى عالم الواقع بغير حاجة الى عالم الخيال .

أما عن قصته مع السلطان ، فقد حدث أن زار السلطان عبد العزيز مصر سنة ١٨٦٣م وبالغ الخديو اسماعيل فى الحفاوة به حتى خرجت عن حدود المعقول والمقبول ، فقد أخذ عنان الخيل التى تجر العربى السلطانية ولم يصعد اليها حين دعاه السلطان الى الركوب بجانبه وكان اسماعيل ينفى بطبيعة الحال من وراء هذه الحفاوة آمالا كبارا ، فقد كان يرجو تعديل نظام الوراثة وتعزيز السيادة بامتيازات جديدة . وسارت الأمور على أحسن ما كان يرجو ويأمل اسماعيل حتى جاء دور التشرية الكبرى بالقلعة ، والتى يجب أن يكون من بينها أئمة علماء الأزهر وكانوا فى ذلك الوقت الشيخ العروسى والشيخ السقا والشيخ عليش والشيخ حسن العدوى .

وحرصا على أن تؤدى التشرية الكبرى حسب التقاليد والعادات المرعية فقد كلف قاضى مصر العثمانى بمهمة تدريب هؤلاء العلماء على التقدم والتأخر والتمنى والانحناء ورفع اليد بين الجبهة والصدر مرات متواليات . وجاء يوم التشرية ودخل الشيخان الأولان ، وجاء دور الشيخ العدوى ودخل على السلطان معتدلا حتى دنا من كرسيه وصعد الدرج الذى كان السلطان واقفا فوقه وفاتحه بالتحية قائلا : « السلام عليكم يا أمير

المؤمنين ورحمة الله» الى هذا الحد وكاد يغمى على الخديو اسماعيل واستعاض الله خيرا في الآمال والأحلام التي كان يرجوها من وراء هذه الزيارة ، وأخذ يرقب وهو معلق الأنفاس ، رد فعل هذه التحية التي لم يتعودها السلطان من قبل ، ولكن لدهشة اسماعيل أجاب عليه السلطان : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

والى هذا الحد من القصة وتصرف الشيخ العدوى مقبول ، ولكنه زاد الطين بلة عندما مضى يبسط لأمر المؤمنين أمانته التي في عنقه لرعاياه ، ويحذره من هول هذه الأمانة حتى أيقن جميع الحاضرين بأن العاقبة ستكون وخيمة على اسماعيل ومصر . ولكن السلطان لم يفضب كما توقع الحاضرون ، بل أخذ يسأل عن الرجل ويستفسر ، فراح الخديو يعتذر للسلطان على تصرفاته الشاذة قائلا ، انه عالم فاضل ، لولا أنه مجذوب ، فاغفر له هذه الزلة يا مولاي « وكانت دهشة اسماعيل كبيرة عندما رد عليه عبد العزيز : ان الرجل لم يأت منكرا ، بل على العكس فما انشرح صدرى لمقابلة أحد كما انشرح لمقابلته » . وأمر له بخلعة ومبلغ من المال .

وكان الشيخ حسن رحمه الله لا يخشى في الله لومة لائم ، فقد كانت له مساجلات ومناظرات مع الأمراء والحكام بل ومع خديو مصر نفسه ينتقدهم فيها ويسفه رأيهم ويردهم الى طريق الصواب وذلك بالاستشهاد بقول الله عز وجل وبالموعظة الحسنة ، ولعل من أطرف المواقف التي تذكر في هذا المجال قصة وقوفه أمام الخديو اسماعيل في حرب الحبشة : من المعروف أن الخديو اسماعيل أرسل جيشا لمحاربة الحبشة التي شقت عصا الطاعة عليه ، واستمرت تلك الحرب مدة عشر سنين . لتوالى الهزائم نتيجة لخيانة قواده الذين باعوا الجيش والوطن . وكما يقول المثل المأثور : وبطلت الحيلة كما بطل الحول ، فأصغى الخديو الى كل نصيحة حتى أشاروا عليه بئدب العلماء لتلاوة البخارى ، للترغيب في الجهاد وسؤال الله النصر ببركته للمقاتلين . واستمرت التلاوة واستمرت معها الهزيمة ، ففضب اسماعيل من العلماء وقال لهم : اما انكم لا تقرأون البخارى ، واما انكم لستم بعلماء والا فما هذه الهزائم ، وقد قيل : إن تلاوة البخارى لا تخيب وأن الله سميع مجيب . . وهنا انبرى الشيخ العدوى ليواجه الخديو المطلق السلطان ، غير هيب أو متردد ، وأخذ يذكره بالحديث النبوى الشريف (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم) . ولكن الخديو تقبل منه هذه الجرأة ولم يفعل به شيئا .

وقد كان الشيخ حسن العدوى من أبطال الحركة العرابية ، فقد ناضل فيها نضال الأبطال فقد كانت مهمته حث المسلمين على الجهاد في سبيل الله لتخليص الوطن والحفاظ على العقيدة الاسلامية ضد أعداء الله والوطن في الداخل والخارج . ولذلك فقد اعتبر الشيخ العدوى بعد فشل ثورة عرابي ، مجرم حرب ، وسيق الى المحكمة العسكرية بتهمة أنه أفتى بخلع الخديو توفيق . ويحدثنا محامى العربيين (السيد برودلى) عما حدث بالنسبة لموكله الشيخ حسن العدوى فيقول : واجه اسماعيل أيوب الشيخ حسن بالتهمة التي اقترفها فقال : ألم تجترىء على توقيع منشور تعلن فيه أن الخديو توفيق مستحق للعزل ؟ فهب الشيخ الهرم الهزيل واقفا وأجاب بصوت كالرعد ، وكأنما عاد الى عنفوان الشباب ، عندما سمع هذا السؤال : اسمع يا باشا ، بغير حاجة الى مراجعة المنشور لأرى هل وقعته أو لم أوقعه أعلنك الساعة انك اذا جئتنى بمنشور في هذا المعنى ، وقعته الان بغير تردد ، وما في وسعكم ان كنتم مسلمين أن تنكروا أن الخديو الذي أسلم وطنه واستسلم لأعدائه مستحق للعزل بلا مراء .

واضطربت المحكمة ، ولكن الشيخ حسن العدوى وقف صامدا كالطود لم تتحرك فيه خلجة وهو المهدد بحكم الاعدام ، ولكن ازاء هذا الجبروت وهو الشيخ الهزيل الهرم وإزاء قوة العقيدة والايمان لم تجد المحكمة بدا من أن تتركه يمضى الى قريته عدوة موسى عليه ألا يفارقها مدى الحياة » .

ويكمل السيد برودلى قصة هذه القضية فيقول : ولم يستطع الشيخ حسن لفقره أن يدفع لى أجر دفاعى عنه نقدا ، ولكنه أرسل لى لوحتين كتب عليهما بالخط الجميل بعض آيات القرآن الكريم ، كانا أعز وأثمن هدية تلقيتها في حياتى » .

الموصف المعماري

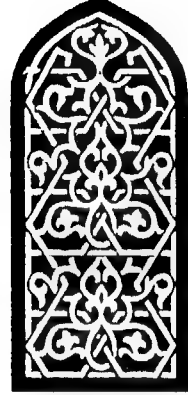
يقول على مبارك^(١) : « يقع جامع العدوى بعطفة الشنواني المتفرعة من شارع السكة الجديدة بجوار المشهد الحسيني . ويحدثنا عن تاريخ البقعة التي أنشأ عليها الشيخ حسن العدوى مسجده فيقول : وكان يشغل هذه البقعة دار الست زينب بنت السلطان قلاوون التي آلت بعد ذلك الى وقف سيدنا الحسين رضى الله عنه فلما تخربت اشتراها الشيخ حسن العدوى من ديوان الأوقاف وبنى هذا الجامع في جزء منها .

وكان يوجد بجوار هذه الدار ضريح للشيخ الشنواني وعدة أضرحة أخرى فأدخلها الشيخ حسن جميعها في حدود جامع بعد أن جردها وأقام عليها مقصورة من الخشب كما بنى لنفسه بجوارها مدفين بأذن الخديو اسماعيل لمنع الدفن داخل العماران حفظا للصحة الا بأذن من الحاكم» .

ويصف على مبارك بناء الجامع فيقول : ومكث الشيخ العدوى في بنائه أقل من سنة وصدر له الاذن باقامة الجمعة في سنة تسع وثمانين ومائتين وألف . أما الجزء الأخير من دار بنت السلطان قلاوون فقد أنشأ فيه حماما حسنه برسم الرجال والنساء ووقفه على الجامع وبنى ربعا على باب الميضاة ووقفه عليه أيضا . كما أقام بقرب الحمام دارا لسكنائه بقرب الباب الأخضر للمشهد الحسيني .

وكان الجامع يحتوى على مثذنة جميلة مرتفعة ، كما كانت تقام به الجمعة والجماعة ويدرس فيه العلم على الدوام لتوسطه بين الأزهر والمشهد الحسيني . ولما توفى الشيخ حسن العدوى في رمضان سنة ١٣٠٢ هـ دفن في الضريح الذى أعده لنفسه بجوار ضريح الشيخ الشنواني في مسجده هذا .

(١) المخطط التوفيقية ج ٣ ص ٨٣



ضريح الشيخ على الليثي

بجوار جامع الإمام الليثي
(١٣١٣هـ)

ولد الشيخ على بمدينة القاهرة سنة ١٢٣٦هـ، ولم يعرف له مكان إقامة غير مسجد الامام الليثي، ومن هنا عرف بالليثي. ولما شب عن الطوق وانتهى من الدراسة في الكتاتيب كان ينزل الى الأزهر لطلب العلم ويعود للمبيت بمسجد الليثي. وقد حدث أن وفد على مصر الشيخ السنوسي الكبير قاصدا الحج وأتيحت للشيخ على فرصة الالتقاء به والاتصال به حتى صار لا يفارقه وأصبح من أحب تلاميذه اليه وأخلص مريديه فأخذ عنه طريق السنوسية وحج معه. ولما عاد الى مصر لم يفارقه حتى سافر معه الى واحدة (جغبوب) وأقام هناك مدة غير قصيرة لم يفتأ فيها يطلب العلم.

ولما عاد الشيخ على الى مصر كان الحاكم عليها هو الخديو عباس الأول، وكانت والدته الخديو كثيرة التردد على مسجد الامام الليثي فكان يستقبلها بالبشر والترحاب والدعاء فكانت تتفاهل بلقائه فقريته منها وجعلته شيخا على مجلس «دلائل الخيرات» وبهذه الطريقة أصبح الشيخ على شخصية معروفة لدى أفراد الأسرة الحاكمة، فاتصل به الأمير أحمد بن ابراهيم باشا الكبير فاعتقد فيه وأطلعه على خزانة كتبه فأكب على قراءة معظم ما تحتويه واستفاد منها فائدة جليلة. ولعل السبب في اعتقاد أفراد هذه الأسرة وغيرهم فيه يرجع - كما يقول أحمد تيمور - الى اعتقادهم بأن سفره الى طائفة السنوسية وأخذه عنهم علم الزايرة والأوقاف عن علمائه المشهورين.

ولما تولى سعيد حكم مصر أمر عبده باشا محافظ القاهرة بجمع أولئك الدهماء الذين يبتزون أموال العامة والسذج بالباطل بادعاء معرفة الغيب وقراءة الكف والفتجان وغيرها من الخزعبلات ونفيهم الى السودان، فسيق معهم الشيخ على الليثي لما علق به من الاتهام بذلك لكثرة اعتقاد الأسرة الحاكمة فيه. وبقي الشيخ في السودان فترة وجيزة اذ تشفع له

عند سعيد معظم أفراد أسرته ، ففجأ عنه وعاد الى مصر . ولما تولى الخديو اسماعيل تلاماً نجم الشيخ على وبدأ سعه ، اذ اتصل به وقربه هو والشيخ (على أبو النصر) وجعلهما نديمين له وصار لا يفترق عنهما في مجالس أنسه ، فكانا اذا حضرا تلك المجالس رفعا الكلفة وتبسطا معه في القول والفكاهة ، فكانت لهما في ذلك من النوادر ما يملأ الاسفار . وقد بلغ من شغف الخديو بهما أن خصص لهما قاعة في ديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين . وبسبب تقرب الشيخ على من الخديو ، فقد قصده الناس في الشفاعات عند الامراء والكبراء ونفع الله به خلقا كثيرا . ولما عزل اسماعيل وجاء بعده ولده توفيق ، شغف به أيضا كوالده وقربه وأحله محل القبول .

وبرغم ما لقي الشيخ على من العائلة المالكة وملوكها من تكريم وتقريب ومحبة وشغف الا أن وطنيته كانت أقوى وأكبر من كل عواطفه وأحاسيسه ، اذ لم تكذ تقوم الثورة العربية ، وسافر الخديو توفيق الى الاسكندرية ، حتى انضم الشيخ على الليثي للعربيين وصار خطيب تلك الثورة ، فلما انتهت الثورة العربية وعاد الخديو للقاهرة ، لم يؤاخذه وصفح عنه ، على أن شيخنا لم ينكر وطنيته وانضمامه الى أبناء جلدته ، فقد أجاب الخديو عن سبب تركه له وانضمامه الى أعدائه بقصيدة مطلعها :

كل حال لظده يتحول فالزم الصبر اذ عليه المول
وقد وصف أحمد تيمور شخصية على الليثي ، هذه الشخصية التي شغف بها كل من التقى بها أو تعرف عليها حتى أصبحت في نظر كثير مما قرأ ترجمته كالأسطورة ، فيقول :
وكان رحمه الله آية في حسن المجالسة ، محببا الى القلوب ، أديبا شاعرا ، حاضر النكتة والجواب فكاهة الحديث ، اذا عرفه انسان تعلق به وكره مفارقتة مع أنه كان دميم الصورة ليس في وجهه إلا شارب خفيف وشعرات على ذقنه . . وقد وصفه بعض معاصريه من الأصدقاء والأعداء على السواء بأنه ساحر يسحر القلوب والعقول فلا تستطيع معه مجادلة او مقاومة ليس بالنسبة للمصريين فحسب بل لكل الشعوب والأجناس ، فقد تعلق به السنوسي الكبير كما شغف به سلطان زنجبار ، فقد حدث عندما جاء السلطان برغش سلطان زنجبار لزيارة مصر بدعوة من الخديو اسماعيل ، أن ندب الشيخ على الليثي لمرافقته ومجالسته ، فلأزمه مدة إقامته بالقاهرة فاعجب به السلطان إعجابا شديدا بل واصطفاه صديقا مخلصا حميما ، صار يتعهد بالرسائل وبالهدايا من العنبر والأبنوس وسن الفيل والتوابل والبخور ونحوه كل سنة فيهدى هو أخصاءه وأصحابه ، واستمرت

هذه العلاقة بين سلطان زنجبار والشيخ على قوية حتى توفى السلطان .
 وكان الشيخ على يملك دارا بجهة باب اللوق التى يسكنها الملوك والأمراء وكبار
 رجال الدولة . ومنطقة باب اللوق لها تاريخ حافل ، قد يكون من المفيد أن نذكر جانباً
 منها . يقول المقرئى^(١) : يقال لاق الشيء يلوقه ولوقه أى لينه . وقال ابن سيدة ، ان هذه
 الارض (باب اللوق) لما انحسر عنها ماء النيل كانت ارضا لينة فلا تحتاج الى الحرث
 للينها بل تلاق لوقا . وقد ظهرت ارض اللوق فى عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح
 بحر ثم اضيفت اليها طروحات اخرى فى اوائل عهد دولة المماليك البحرية . وكانت ارض
 اللوق تشمل المنطقة التى يحدها اليوم من الشمال شارع قنطرة الدكة ومن الغرب اول
 شارع رمسيس حتى مستشفى القصر العينى ومن الشرق شارع بورسعيد (الخليج سابقا)
 وشارع نوبار حتى شارع الشيخ ربحان .

ويصف المقرئى ارض اللوق فيقول : انه أنشئ بأرض اللوق كثير من البساتين
 والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل^(٢) وبستانه ومنشأة ابن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة ،
 (ويوجد شارع بهذا الاسم متفرع من شارع الشواربى وسليمان باشا) ، وما يزال شارع
 بستان الفاضل بحى باب اللوق يخلد ذكرى تلك المنشآت والبساتين . وفى سنة ١٦٦٠ هـ قدم
 الى مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم السلطان ببيرس البندقدارى فى دور كان قد
 أمر ببنائها لهم فى ارض اللوق ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت بأرض اللوق عدة احكار
 عامرة أهلة بالسكان ، ولكنها سرعان ما تخربت وتحولت الى ارض زراعية مرة ثانية
 وبقيت كذلك حتى سنة ١٨٥٨ م^(٣) وحين بدأت تعمر مرة أخرى وذلك فى عهد الخديو
 اسماعيل حتى اصبحت المنطقة كلها مشغولة بالدور والقصور ويتخللها الشوارع الواسعة
 والميادين التى غرست بها الزهور والرياحين ، حتى أصبح يطلق على الميدان الذى يتوسط
 منطقة باب اللوق ميدان الأزهار .

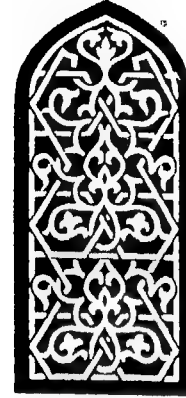
ولما تولى عباس لم يكن للشيخ على حظ معه كحظه مع والده وجده ، ولذلك جعل
 أكثر اقامته بضبعة كان يمتلكها بشرق أطفيح (الجيزة) ، التى كثيرا ما يتردد عليها الخديو
 توفيق بطريق النيل لزيارة الشيخ الليثى حيث يتناول الطعام عنده ويقيم يوما فى ضيافته ،

(١) المخطوط والاثار ج ٢ ص ١٩٢

(٢) على مبارك ج ٣ ص ٦١

(٣) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٥٩ (تعليق احمد رمزى)

وهو شيء لا يفعله مع غيره ، وكان الشيخ على يعمل أثناء اقامته بالضبعة على استغلالها بالنهار وينكب على مطالعة الكتب ليلا ، فقد كان يمتلك خزانة كتب نفيسة اجتمعت له بالاهداء والشراء والاستئناس ، وكان يبذل الأثمان العالية في الكتب النادرة . وكان كريما سمحا فكان الادباء والفضلاء يقصدونه في تلك الضبعة فينزلهم على الرحب والسعة ، ويطعمون عنده الأيام والأشهر ، وهو مقبل عليهم بكرم خلقه ولطيف محاضراته . وكان اذا حضر الى القاهرة نزل بداره بباب اللوق فيقيم بها أياما ثم يعود ، ولم يزل على ذلك حتى اعتلت صحته وطال مرضه شهرا وتوفي سنة ١٣١٣هـ ودفن بجوار مقره الاول جامع الامام الليثي .



مسجد الشيخ حسنين الحصافي

بدمنهـور
(١٣٢٩هـ)

يقول النجم الغيظي في معنى الولي : الولاية عامة وخاصة ، فالعامة ولاية الايمان فمن آمن بالله ورسوله وما جاء به فهو ولي ، من قوله تعالى « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » ثم ولاية القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات قال الله تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » . والولاية الخاصة محبة الله للعبد وحفظه له لقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل « ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وان سألني لأعطينه واذا استعاذ بي لأعيذنه » . وشيخنا السيد حسنين الحصافي نال الولايتين العامة والخاصة فحق له قوله تعالى « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

وفد السيد سنجر ، الجد الاكبر للشيخ حسنين الحصافي ، والذي ينتهي نسبه الى الامام زيد الابلق بن الامام الحسن بن الامام علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ، من الحجاز وحل بقرية منية كنانة وهي من نواحي مركز طوخ محافظة القليوبية القديمة وردت في كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي منية كنانة من أعمال الشرقية وتنسب الى قبيلة كنانة العربية التي نزلت بها وقد فضل السيد سنجر البقاء بها لانتسابه لتلك القبيلة واستقر به المقام هناك حتى توفي وله مقام يزار حتى اليوم . وظلت أسرة السيد سنجر في منية كنانة حتى القرن العاشر الهجري ثم ارتحل أحد أبنائه السيد أيوب الملقب بانيف وحل بكفر الحصافة ، وهي من النواحي التي تكونت سنة ٩٣٣هـ وذلك بعد فصلها من زمام (سنهرة) بولاية قليوب ، فلما أنشئ مركز نوى ، الذي يعرف الآن باسم (شبين القناطر) ألحقت الحصافة به لقربها منه .

وفي الحصافة مركز شبين القناطر ولد شيخنا السيد حسنين وكان ذلك سنة ١٢٦٥ وانتسب اليها كعادة اكثر العلماء ينسبون الى بلادهم . ونشأ الحصافي وتربى في كنف والده السيد حسين التهامي حتى كبر وترعرع فحفظ القرآن وجوده وأتقنه غاية الاتقان . ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ارتحل إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر الشريف ، فحصل كثيرا من العلوم والفنون وأخذ عن الشيخ حسن المرصفي ومن في طبقة من الأئمة الأعلام . ومع ما حصل عليه من العلوم الدينية والمدنية من دراسته في الأزهر ، كان يقرأ كل يوم ربع القرآن ويصلى الف مرة على سيد الخلق أجمعين وظل على ذلك مدة وبذل في العلم والعبادة جهده حتى فتح الله عليه بالعلم والعمل وظهرت عليه آيات النجابة وفاق أصحابه وأقرانه ولكنه مال الى طريق الصوفية وسلك فيها باجتهاد وحسن نية حتى تبحر في فهم علومها وأحاط بمنطوقها ومفهومها . فهاجر الأهل والأوطان في سبيل ارشاد الناس فساح في البلاد والقرى وكانت له طرق صوفية عديدة ولكنه اشتهر بالطريقة الشاذلية والطريقة المحمدية التيجانية فكان يلقيهما لمن يرغبهما . ووفد إليه جموع المسلمين من كل صوب وحذب من المغرب الأقصى ومن تونس وفاس ليأخذوا عنه طرق الصوفية الصحيحة النقية من كل ما يشوبها من دجل وخزعבלات مما يدسه فيها أهل الزيغ والبهتان ، فقد كان يقول رحمه الله بأن الذكر الملحون لا يجوز لمن قدر على النطق به صحيحا ، وأما من غلبه لسانه أو كان مغلوبا على عقله كان عذره صريحا . .

وقد أقام الشيخ حسنين الحصافي بالسلطان الحنفى (بالسيدة زينب) مدة يذكر مع مريد به بطريقته الشرعية فتعرض له بعض المعارضين لطريقة اذكاره وأرادوا منعه فرفع قضية عليهم لدى دولة ناظر الجهادية بمنع التعرض فنصره عليهم . وفي نظارة ثابت باشا تعرض له السيد البكرى فترك شيخنا السلطان الحنفى وأقام أذكاره في المسجد الحسينى باذن من رياض باشا واستمر بقاؤه بالمسجد الحسينى مدة نظارته ، الا أن الخصومة بينه وبين السيد البكرى وطوائفه استمرت بل أخذت في الازدياد بعد مناصرة رياض باشا لشيخنا ، الأمر الذى جعله يسعى لمقابلة السيد البكرى للتفاهم معه . ويقص علينا شيخنا ما دار بينه وبين السيد البكرى وأتباعه « فما أشعر الا وأحد خدم السيد البكرى أتانا بالأزهر وطلبنا للحضور عند سيده فحضرت عنده فقال : أتى كتاب من الزقازيق مذكور به إنك خالفت قانون الطريقة ، فأرثته كلام العلماء وقلت له : أنا أسير الشريعة فأحالنى على وكيله ، فقال الوكيل : اتبع ابن الشيخ وإلا نمنعك من الذكر فقلت له لا أتبع المبتدع ،

فرجعت الى السيد البكرى فوعدنى بتحقيق القضية وترددت اليه مرارا فمأطلنى « ولم تنته الخصومة عند هذا الحد ، بل أن السيد البكرى كتب الى وكلائه في الجهات ان يمنعوا أتباع الحصافى من الذكر الشرعى ، وأهانوا وآذوا من لم يمتنع ، بل ان الخصومة بلغت درجة شديدة بين أتباع الطرفين ويظهر ان أتباع الحصافى كانت لهم الغلبة الأمر الذى اضطر معه السيد البكرى ان يشكو الحصافى الى مديرى المديرىات لكى يأخذوا تعهدا من السيد الحصافى بعدم القيام بذكره في المساجد . وقد لعبت الخصومة بين السيد البكرى والسيد حسنين الحصافى دورا هاما في تاريخ الصوفية في نهاية القرن الثالث عشر الهجرى واولئل القرن الرابع عشر وقد جمع لنا كتاب (المنهل الصافى في مناقب الحصافى) عددا كبيرا من الرسائل والمساجلات المتبادلة بين الطرفين .

وقد حج السيد حسنين الحصافى خمس عشرة مرة الى بيت الله الحرام ، وتمتع بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل مرة يأتى بأكثر من أربعين عمرة . فكان يبايع الناس في الحرمين الشريفين فيأخذ عنه كل عام ما ينوف عن ألفين ، كما يقول اتباعه ومرافقوه .

وكان الشيخ الحصافى يكثر التردد على دمنهور لزيارة ضريح الشيخ عطية ابو الريش وضريح السائح تلميذ أبى الحسن الشاذلى ولكنه لم يكن يمكث بها أكثر من ثلاثة او أربعة أيام ثم يسافر منها الى الاسكندرية أو العطف أو كفر الزيات أو دسوق . وقبيل وفاته بعدة سنوات مرض الحصافى بالبواسير والبلغم . وظل المرض يعاوده صيفا وشتاء حتى توفى سنة ١٣٢٩ ، وكان عمره عند وفاته - كعمر الرسول صلى الله عليه وسلم - ثلاثة وستين عاما . وقد صلى عليه صلاة الجنازة في مسجد التوبة بدمنهور حيث توفى ، ويقال إن مسجد التوبة على سعته ضاق بالمصلين عليه . وكان رحمه الله قد أوصى قبل وفاته أن يدفن في لحد مبنى من اللبن وقد نفذت وصيته وبني له لحد من اللبن وأقيم فوقه قبة .

الوصف المعماري

يتكون ضريح الشيخ حسنين الحصافي من مربع بأركانه مقرنصات كبيرة تقوم فوقها رقية ممتدة جدا وتستند إلى أعلى . وقد فتحت في هذه الرقية الممتدة الفريدة في نوعها عدة فتحات على ثلاثة صفوف بعضها مستدير والبعض الآخر على شكل نجمي والقصد من هذه الفتحات المتعددة الأشكال إلى جانب الزخرفة الازياء . وتحت القبة مباشرة نرى من الخارج (٢٤) حنية نصفها معقود والنصف الآخر مفصص ، المعقود منها مفتوح كنافذة والمفصص مسدود والقصد منه الزخرفة ، ويعلو هذه الفتحات قبة مدببة .

وقد الحق بالضريح من جهته الجنوبية الشرقية مسجد مستطيل الشكل يتكون من ثلاثة صفوف من البوائك تحتوى كل بائكة على عقدين محمولين على أربعة من الأعمدة الصناعية ، والعقود دائرية الشكل . ويقسم البوائك المسجد الى أربعة أروقة موازية لحائط القبلة ، وفي وسط الرواق الثانى من جهة القبلة توجد (شخشيخة) ذات رقية ممتدة ويعلوها قبة مخروطية الشكل . ويوجد المدخل الرئيسى للمسجد بالجهة الشمالية الشرقية ويتكون من باب بارز قليلا عن سمت الجدران ويعلوه عقد مفصص زخرف بثلاثة صفوف من الدلايات الجميلة . وإلى جانب الضريح توجد أضرحة أخرى لباقي أفراد أسرة الشيخ حسنين الحصافي .

أما الضلع الغربى من مكان الصلاة فيحتوى على رواق من الداخل مكون من ثمان أعمدة رخامية تقوم عليها عقود نصف دائرية ويعلوها شرفة بطول الضلع كله خصصت لصلاة النساء ، كما يستعمل كدكة للمبلغ . ويتوصل إليها الى الممر العلوى المحيط بالمسجد من سلمى المنارتين

وفى الركن الجنوبى الغربى من مكان الصلاة توجد المقصورة النحاسية مذهبة التى تحوى مقبرة محمد على باشا .

وبصدر الضلع الشرقى لمكان الصلاة دخول كبير يبلغ عمقه (٢,٥٠) متر ويبلغ سعته (١,٧٥) متر وفى هذا الدخول يوجد محراب المسجد . وعلى جانب المحراب يوجد منبران أحدهما خشبى قديم من عهد محمد على باشا والثانى من عهد الملك فاروق الأول . ويتوسط مكان الصلاة أربع دعائم رخامية كبيرة وضخمة تحمل أربعة عقود نصف دائرية تقوم فوقها قبة كبيرة قطرها (٢١) مترا وارتفاعها (٥,٢) متر . أما الاجزاء المحصورة بين القبة الوسطى وبين جدران مكان الصلاة فتغطيها أربعة أنصاف قباب قطرها مساو لقطر القبة الوسطى . ويغضى اركان مكان الصلاة أربع قباب صغيرة

وقد كسيت جدران المسجد من الداخل والخارج بالرخام الألبستر المستورد من محاجر بنى سويف . ويعلو الكسوة الرخامية من الداخل طلاء زيتى زخرف بنقوش مذهبة وملونة . أما القبة الكبيرة وأنصاف القباب فقد حليت بزخارف الباروك والركوكو المذهبة والملونة ، وكتب فى أضلاع القبة بالتناوب ، بسم الله ما شاء الله . تبارك الله . ويحيط بالمسجد من الداخل شريط من الكتابة تعلو أعتاب النوافذ ، يحتوى على أبيات من بردة البوصيرى .

ويحيط بالمسجد وصحنه نوافذ نحاسية مفرغة بأشكال هندسية بديعة . وقد كتب على أعتاب النوافذ من الخارج فصيدة من نظم الشيخ شهاب الدين ، تبدأ من يسار الباب الشمالى للصحن وأولها :-

عروس كنوز قد تحلت بمسجد	مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة المبني على قصورها	بأبهج ياقوت وأبهى زمرد
وهل أثر صاح يعرب عن حلى	مؤثره دون البناء المشيد
فدع قصر غمدان وأهرام هرمس	وإيوان كسرى ان أردت لتتهدى

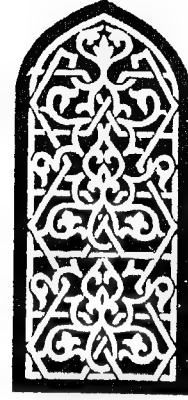
ودع ارما ذات العماد ونحوها وعرشا لبليقيس كصرح مرمد
ودع أموى الشام وانزل بمصرنا وبادر الى هذا بماء مرشد
فلو عددت فى الكون بدء بدائع لكان به ختم لذك التعدد
وكم منشآت كالرواسى تخالها حصونا جرت فى البحر ذات تشيد
وكم مسجد مبناه يشهد أنه على وفق معنى انما يعمر إبتدى
وزر حرما مهما تشاهد جماله نظرت بديع الصنع فى كل مشهد
وتنتهى القصيدة على النافذة اليمنى للباب بهذا البيت

مبان اذا أمعنت فيها مؤرخا تريك على قدر العزيز محمد ١٢٦١
وقد تمت الاصلاحات والترميمات التى بدأت فى عهد الملك فؤاد الاول فى عهد الملك
فاروق ١٩٣٩. كما أمر فاروق بعمل منبر رخامى جديد بجانب المنبر الخشبى القديم وذلك
لبعده عن المحراب. ويتكون المنبر الجديد من الألبستر المطعم بالرخام الأحمر، أما بابه
فمن النحاس المفرغ برسوم نباتية وهندسية بديعة وكتب أعلاه النص التالى :-

أمر بعمل هذا المنبر المبارك حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول فى سنة ثمان
 وخمسين وثلاثمائة والى من الهجرة. كما أمر بتجميل المحراب وما عليه من النقوش،
 كما كتب على التركيبة الرخامية التى على قبر محمد على الآيات القرآنية الآتية :-
 بسم الله الرحمن الرحيم « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات
 تجرى من تحتها الأنهار - إلى قوله تعالى « ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون »
 « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة »
 « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » وكتب على
 شاهد القبر :-

« بسم الله الرحمن الرحيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » هنا مثوى
 والى مصر ومنقذها ورأس أسرتها المالكة المغفور له محمد على باشا .
 ولد نصر الله وجهه بمدينة قولة ١١٨٢هـ للهجرة النبوية وولى مصر فى ١٧ من صفر
 ١٢٢٠هـ ، ولحق بربه فى ١٣ رمضان من ١٢٦٥هـ رحمه الله وطيب ثراه وبارك فى أسرته
 الزكية وسلالته العلوية .

كما كسيت باقى واجهات المسجد الجنوبية والبحرية برخام الالبستر



مسجد

على الكاشف جمال الدين

بمنفلوط

(١٨٦٢م / ١٢٦٦هـ)

منفلوط مدينة مصرية قديمة كانت تسمى منبالوط وهي كلمة قبطية معناها الحمر الوحشية ، وفي الروك الناصري سنة ١٣١٥م أنشئ إقليم جديد فصلت قراه من أعمال الأشمونين ومن السيوطية وعرف بالأعمال المنفلوطية . وفي سنة ١٨٣١م ضمت مأمورية منفلوط الى أسيوط وأصبحت من وقتها قسما من أسيوط . ويقول ابن جبير ان منفلوط ذات أسواق فيها سائر ما يحتاج اليه ، وفي نهاية من الطيب وليس في صعيد مصر مثلها ، ويقول المقرئزي ان عرب الجهات القبلية زاد تعديهم وافسادهم وفي سنة ٧٠١هـ فرضوا ضريبة على البياعين وأرباب الحرف والصنائع بمدينة منفلوط وأسيوط واحتقروا الحكام وعطلوهم عن جمع الأموال وجعلوا منهم رئيسين سمو أحدهما ببيرس والآخر سلار وجعلوا من تحت الرئيسين أمراء لبسوا السلاح على هيئة العساكر وأطلقوا المسجونين فاجتمع أولوا الأمر وسيروا اليهم عدة جيوش فقضت عليهم قضاء مبرما ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك التاريخ .

ومن علماء منفلوط المشهورين محمد بن أبي بكر حريز ولد بها سنة ٨٠٤هـ ثم انتقل الى القاهرة لطلب العلم ، ثم عاد الى منفلوط وولى القضاء بها ، ثم تولى القضاء بالديار المصرية .

وصف المسجد

من بين البيوتات العريقة بمنفلوط بيت جمال الدين الذى كان تاجرا مشهورا ،
اشتهر ابنه الأمير على كاشف جمال الدين وحسنت سيرته وكان خيرا بطبعه تقيا ورعا ،
فقام ببناء كثير من المساجد ، أشهرها مسجد على الكاشف . أنشأ سنة ١٢٦٦هـ (١٨٦٢م)
ويقع بشارع الكاشف . والمسجد مربع الشكل ، ومدخله الرئيسى مبنى بالطوب (المنجور)
أو (المكحل) ويقع فى الجهة الشمالية من المسجد وأمامه سلم دائرى من أربع درجات
ويلوه عتب من خشب مزخرف برسوم زيتية . وتعلو المدخل نافذة من الخشب الخرط
الدقيق ، كما يحتوى على زخارف كتابية بالخشب الخرط (بالله يا محمد) .

كذلك يوجد بواجهات المسجد الثلاثة الأخرى شبابيك متعددة من الخشب الخرط فى
أعلى الجدار ، وتوجد فتحات ونوافذ أخرى أسفلها .

ويتكون سقف المسجد من (عروق) خشبية محمولة على (كمرات) خشبية تنتهى
(بكرادى) ذات مقرنصات جميلة غاية فى الدقة والابداع . كما تتركز بعض (الكمرات)
الخشبية على أكتاف بنائية محمولة على أعمدة من الرخام .

وبالواجهة القبلية باب يوصل الى فناء فسيح به دورة مياه حديثة فضلا عن مظلة
محمولة على عمد رخامية وخشبية عليها زخارف زيتية بأسلوب الباروك والركوكو الذى
كان سائدا فى العصر العثمانى . وكانت هذه المظلة مستعملة كميضأة قديما .

وبالركن الجنوبى الغربى للمسجد يوجد باب يوصل الى حجرة خارجة عن سمت
الواجهة ، وبهذه الغرفة ثلاثة دواليب . كما يوجد باب آخر يوصل إلى دكة المبلغ ، وإلى حجرة
أعلى الغرفة السابقة وإلى مثذنة المسجد وسطحه .

والمثذنة خارجة عن سمت المسجد وتتكون من ثلاث دورات . وفى نهاية الواجهة
البحرية من جهة الشرق يوجد باب يوصل الى حوض لسقى الدواب . تصل إليه المياه عن
طريق الساقية التى ما تزال موجودة .

وبالمسجد منبر خشبى من الخشب الخرط يمتاز ببابه الدائرى ، وهذا النوع من

الأبواب الدائرية نادر في المناهر الأثرية حيث لا يوجد منها سوى باب منبر خانقاه شيخوخة ومنبر مسجد بالهياتم . وبالمسجد كرسى للمصحف من الخشب الخرج كذلك . ومحراب المسجد مزخرف بالطوب (المنجور أو المكحل) ويكتنفه عمودان من الرخام ، ويعلوه لوحة رخامية نقش عليها اسم المنشئ وتاريخ الانشاء ونصها كالآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم وبشر المؤمنين يا محمد لا اله الا الله محمد رسول الله .

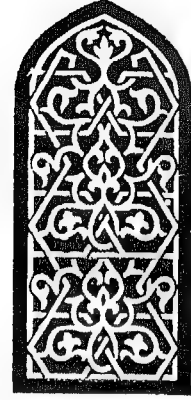
أسس	هذا	المسجد	المعمورا	عبد فقير	مرتجى	الأجورا
يسمى	على	كاشف	جمال	الدين	عرف	بلطف
وأعطى	المأمول	في	الدارين	وفي	الجنان	مسكن
في	ستة	وسبعين	من	مع	مائة	والألف
					جار	مشهورا

جامع الشيخ عامر
(١٠١٤هـ)

ومسجد علي نور الدين
(١١٧٦هـ)

ومسجد سيد علي الخورجي
(١١٢٩هـ)

بديبي مركز رشيد



ديبي : قرية قديمة اسمها Db أو Dbى ومنها اسمها الحالى ، ذكرها ابن ممتى باسم ديبة من أعمال فوة والمزاحمتين ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨هـ أصبحت تابعة لمركز رشيد بمحافظة البحيرة . وقد جاء ذكر ناحية ديبي بولاية البحيرة فى وقفية لعبد الرحمن كتخدا مؤرخة ثمانية عشر ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة وألف ، لانفاق ربيعها على المساجد وأعمال البر والاحسان . وبهذه القرية مجموعة لا بأس بها من المساجد الأثرية أهمها :

جامع الشيخ عامر

وصف المسجد

من المرجح أن يكون منشئ هذا الجامع هو السلطان الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون كما يدل على ذلك المرسوم المكتوب على اللوح الرخام المثبت على أحد عقدى باب الواجهة الغربية وهذا نصه : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد سيد السادات من أهل الأرض والسموات ورضى الله عن الصحابة أجمعين . بطل مكس ديبي بجملته ، فمن أحدثه بعد ذلك فعليه اللعنة الى يوم الدين ، بتاريخ شهر رجب سنة احدى وسبعين وسبعمائه الحمد لله . وكلمة المكس التى وردت فى النص هى نوع من الضرائب الهلالية^(١) . أما عمارة المسجد الحالية فتشبه فى أسلوبها الطراز المسمى (بطراز الدلتا) ذى الواجهات المزخرفة بالطوب المنجور الذى انتشر فى العصر العثمانى . وليس من المستبعد ان يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر

(١) المال الملالى (أنظر جامع الخطباء بمحلة أبو على مركز دسوق محافظة كفر الشيخ

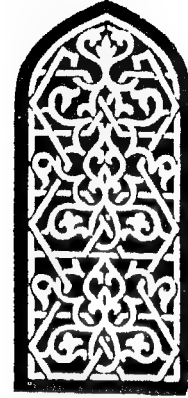
العثماني كما يدل على ذلك النص الكتابي المنقوش على المنبر الخشبي الموجود بالمقصورة الخشبية المجاورة للباب القبلي للمسجد، والتي بداخلها قبر الشيخ عامر الذي سمي المسجد المجدد باسمه ونص الكتابة كما يلي: انشأ هذا المنبر المبارك من فضل الله تعالى الحاج عامر نعمته سنة أربع عشر بعد الألف.

مسجد علي نور الدين:

من المرجح ان يكون هذا المسجد من عمائر القرن الثاني عشر الهجري كما يدل على ذلك النص المنقوش على المنبر الخشبي وهو: (لا اله الا الله محمد رسول الله عمل الحاج عبد الله النجار سنة ١١٧٦هـ). ومن الثابت ان المسجد جدد في القرن الثالث عشر الهجري كما هو مبين في الكتابة الموجودة على باب الضريح الموجود داخل المسجد ونصها: عمر هذا المسجد المعلم على بن المرحوم الحاج حسن الجاهل غايته سنة ١٢٣٤هـ.

مسجد سيدي علي الخورجي:

يمتاز هذا المسجد باحتوائه على قبة كبيرة مضلعة برقبته فتحات مملوءة بجص مفرغ بأسلوب زخرفي جميل. وبداخل المسجد مقصورة كتب عليها تاريخ انشاء المسجد سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦م).



المسجد الكبير

بديروط بمركز رشيد

(٩٦١ هـ)

ديروط :

قرية قديمة كانت تابعة لنواحي الاسكندرية لأن الثغر كان يمتد طوال العصور الوسطى الى تلك الجهة ، ثم جعلت تابعة لمركز رشيد في تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ . فلما انشئ مركز المحمودية سنة ١٩٢٨ ألحقت به لقربها منه .

وصف المسجد

أنشأ هذا المسجد عيسى العادلى سنة ٩٦١ هـ كما هو مدون على لوح من الرخام بخط حديث : أنشأ هذا المسجد المرحوم عيسى العادلى سنة ٩٦١ هـ ، وقام بصيانته وترميمه صاحب الحسنات المرحوم الحاج مصطفى محمد المنياوى واقتفى اثره في ذلك نجله سعادة محمد بك المنياوى غفر الله لهم ، كتب سنة ١٣٢٥ هـ . ثم جدد المسجد في القرن الثانى عشر الهجرى ، فقد كتب على مقصورة الشيخ عبد الرحمن ابوشوشه ما يأتى :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ الجناب العالى الأمير سليمان جوريجى عزبان جلفى .

٢ - هذه المقصورة المباركة لولى الله تعالى سيدى عبد الرحمن أبوشوشة .

٣ - عمل المعلم عبد الرحمن يوسف النجار الديروطى في غرة رمضان سنة ١١٤٦ هـ (١٧٣٤ م) .

وبالمسجد منبر خشبى مزخرف بطريقة الخرط وعلى بابه ما نصه :

- ١ - أنشأ هذا المنبر المبارك الأمير حسن العالى .
- ٢ - عمل الحاج على الديروطى سنة ألف وثمانية ومائة (١٦٩٦ م) .

قبة سيدى على عريان :

هى القبة الوحيدة الباقية في ديروط ، وهى من النوع المضلع ، ومن المرجح انها من

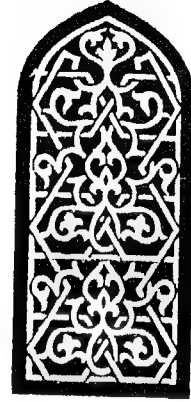
أبنية القرن الثانى عشر الهجرى .

مدرسة محمد بن بغداد
(٩٦٧هـ)

والجامع العمري
القرن (١١)هـ

ومسجد الشيخ علام
القرن (١٣)هـ

بمحلة مرحوم مركز طنطا



طنطا هي قاعدة محافظة الغربية اسمها القديم (Tantant) ويقول محمد رمزي^(١) اذا قارنا اسمها القديم بالأسماء التي جاءت في المعاجم وكتب المؤرخين تبين لنا ان اسم طنطا هو الاسم المصري القديم لهذه المدينة . وجاءت في كتاب^(٢) المسالك باسم طندنا بين فيشة بنى سليم وبين محلة المرحوم . وأضاف وهي ضيعة حسنة عظيمة بها جامع لطيف وحمام ولها ضياع وأسواق . ووردت في نزهة المشتاق^(٣) باسم طنطنه ، وهي مدينة متحضرة صغيرة ذات أسواق ورزق داره وأحوال صالحة وأهلها في رفاهة وخصب . وجاءت في قوانين^(٤) ابن مماتي طندنا من أعمال الغربية ، وفي الضوء اللامع^(٥) الجبرتي طنداء والنسبة إليها^(٦) طندنا ، وفي تاريخ طندنا . وفي العصر العثماني حذفت الدال من طندنا لتسهيل النطق فصارت طنتا ، ثم فحمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت طنطا وهو اسمها الحالي .

ومحلة مرحوم قرية قديمة من قرى الغربية مركز طنطا ، وجاءت في الخطط التوفيقية من مركز ابيار . وتنسب القرية الى ابن المرحوم ومن أحفاده أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن بن المرحوم ، وجاء في خلاصة الأثر أن منها الشيخ ابراهيم ابن عطاء على بن محمد الشافعي المرحوم امام الجامع الازهر وكان من العلماء الورعين

(١) القاموس الجغرافي ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) المسالك لابن حوقل ص ٢٢١ .

(٣) الإدريسي ص ١٩٧ .

(٤) ابن مماتي ص ١٢٧ .

(٥) السخاوي ج ٧ ص ١٧٣ .

(٦) الجبرتي ج ٢ ص ٧٧ .

أصحاب الكرامات وفي بعض الأحيان يقال لمحلة مرحوم الجوهري لمجاورتها لسكن قرية الجوهري التي نسبت الى ولي الله الجوهري المدفون في المسجد المعروف باسمه (لوحة رقم ٥٢) . ويحتوى المسجد على عمود من الرخام يقول على مبارك . ان العامة تعتقد أن المرضى اذا لحست هذا العمود يسيل من ألسنتهم دم فيجدون في ذلك راحة وشفاء . ويقول ابن حوقل ان محلة مرحوم مدينة بها حاكم وقاض وفيها شحنة من خيل راجل وبها جامع وأسواق . وما زالت هذه المدينة تحتفظ ببعض آثارها الاسلامية وهي :

الوصف المعماري

مدرسة محمد بن بغداد :

أنشأ هذه المدرسة الشيخ على عبد الفتاح البغدادي في القرن العاشر الهجري وأوقف عليها وعلى المسجد أوقافا كثيرة . وتتكون المدرسة ، كما هو الحال في مدارس القرن التاسع والعاشر الهجري من صحن مكشوف تحيط به أربعة ايوانات الشرقي والغربي منها كبيران والبحري والقبلي صغيران . وكانت المذاهب الأربعة تدرس في هذه الايوانات ، فيختص كل ايوان بمذهب منها . وقد احتفظ منبر المدرسة الجديد بتاريخ انشاء المدرسة والمسجد القديم ، فقد جاء فيه ما نصه : أمر بانشاء هذا المنبر المبارك الأمير عبد الله بن بغداد بتاريخ عام سبع وستين وتسعمائة .

الجامع العمري :

أنشئ هذا المسجد في القرن (١١) هـ السابع عشر (الميلادي) ، وكان مسجدا جامعاً ، له صحن مكشوف تحيط به الأوراقة من جهاته الأربع . وقد بنيت واجهة المسجد بالطوب المنجور . وملحق بالمسجد ثلاث قباب ، اثنتان منها ملتصقتان ببعضهما .

مسجد الشيخ علام :

يرجع تاريخ إنشاء هذا المسجد إلى القرن (١٣) هـ التاسع عشر (الميلادي) ، وهو مبنى بالطوب المنجور . وملحق بالمسجد ثلاث قباب ، اثنتان منها ملتصقتان ببعضهما عن طريق عقد يسمح للمرور بينهما . وقد أعيد بناء المسجد من الداخل فضاءت معالمه القديمة .

الجامع الكبير

بفارسكور القرن (١٢) هـ

وقبة الباز

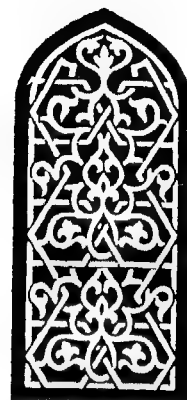
من القرن (١٣) هـ

والجامع الجديد

(١٢٠٠ هـ)

وزاوية الأنصارى ومسجد كفر المياسرة

(١٢٠١ هـ)



فارسكور من القرى القديمة ، وردت في معجم البلدان باسم الفارسكور ، وقال اليعقوبى ، انها من قرى مصر قرب دمياط من قرى الدقهلية . وقد انفصل مركز فارسكور في التقسيم الادارى الحديث عن محافظة الدقهلية ، وأصبحت تابعة لمحافظة دمياط . ومن أهم الآثار التى ما تزال باقية فيها ، المسجد الكبير الذى يطلق عليه أهلها اسم الكوندكى .

وصف الجامع الكبير بفارسكور

وهو من أكبر مساجدها ، ويتكون من صحن كبير تحيط به أربعة إيوانات وله بابان أحدهما شرقى والآخر شمالى . كما يمتاز المسجد بمنارته الرشيقية التى تمثل الطراز المملوكى . ويرجع تاريخ المسجد الى القرن الرابع عشر كما هو ثابت من اللوحة الرخامية المثبتة على المحراب ، فقد نقش عليها مرسوم سلطانى هذا نصه .

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) قال الله جل ذكره « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » رسم

(٣) المقر الأشرف العالى السيفى قطلوبغا البدرى أمير مجلس الملكى المنصورى

(٤) تقبل الله عمله ان يرفع ما على عرضه الغلال بناحية فارسكور الخارجية فى اقطاع

المشار اليه

(٥) من المكوس المأفوضة على سائر الحبوب الواصلة اليها

(٦) ويباع بها مما يزرع فيها ويكون ذلك مسطورا فى صحيفة المشار اليه بقوله

(٧) من استن سنة حسنه .. بتاريخ حادى عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمئة .
وقد جدد المسجد فيما بعد ، وكان ذلك فى العصر العثمانى فى القرن الثامن عشر
الميلادى .

قبة الباز :

توجد هذه القبة بكفر الباز من قرى فارسكور ، وهى قبة صغيرة مضلعة الشكل تشبه
قبة الجعفرى بالقاهرة . وتقع القبة على شاطئ النيل وترجع الى العصر العثمانى فى القرن
الثالث عشر الهجرى ، وهى محكمة البناء جميلة المنظر تدل على مهارة صانعها .
الجامع الحديدى :

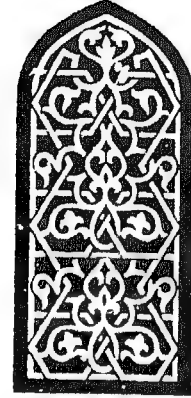
انشئ هذا الجامع سنة ١٢٠٠هـ ، وملحق به قبة ، وبهذه القبة ايوان فى الجهة القبلىة
منها . وقد أعيد ترميم اجزاء كثيرة من المسجد ما عدا القبة والمئذنة التى تعملو الباب
الغربى للمسجد

زاوية الأنصارى :

تمتاز هذه الزاوية باحتوائها على قبة كبيرة بها إيوانان كما تحتوى على مقصورة من
الخشب الخرط . وتشبه هذه القبة فى تصميمها مسجد الروبى بالفيوم . وتشبه قبة الانصار
من حيث كبر الحجم والتخطيط العام . وفى مدينة فارسكور قبتان ، إحداهما باسم حسن
الدياسطى ، والأخرى باسم قبة الحسينى .

مسجد كفر المياسرة :

قرية كانت تابعة لناحية السرو : ثم فصلت عنها فى تاريخ سنة ١٢٣٠هـ ، وقد سميت
بكفر المياسرة . نسبة الى بنى ميسر بطن من بطون العرب الذين نزلوا بين دمياط
وفارسكور حيث كفر المياسرة ويقع مسجدها على شاطئ النيل الا أنه جدد حديثا فتغيرت
معالمه القديمة . أما القبة الملحقة بالمسجد فترجع الى تاريخ سنة ١٢٠١هـ كما هو ثابت من
التاريخ المنقوش على مقصورتها . وتمتاز هذه القبة بأن المعمار استعمل أسلوبا خاصا فى
تحويل المربع الى دائرة لكى يقيم عليه القبة ، فقد عمل فى أركان المربع أربعة محاريب تبدأ
من أرضيته ، وأعلى هذه المحاريب عمل عقودا فاستحال المربع الى دائرة أقيمت فوقها
القبة .



قبة الشيخ عنبر

بالمنزلة بمحافظة الدقهلية

(١٢٩٧هـ)

تكون اقليم الدقهلية باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما الى كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ثم ضم بعضها الى بعض وسميت الدقهلية نسبة الى قاعدتها دقهلة . وكان يجاور اقليم الدقهلية من الجهة الشمالية كورة الابوانية ، وهى اقليم المنزلة الحالى وسميت بالايوانية نسبة الى قاعدتها إيوان التى خربت بسبب طغيان بحيرة المنزلة عليها ، وكانت منطقة صناعية أهلة بالسكان ، وقد اختفت هذه الكورة من الأقسام الادارية المصرية فى الروك الناصرى سنة ٧١٥هـ وضمت بلادها الى اقليم الدقهلية وكان يجاور اقليم الدقهلية من الجهة الجنوبية كورة المرتاحية وكانت فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى المنصورة وأجا وقاعدتها بلدة نوسا الغيط . وسميت المرتاحية نسبة الى طائفة من الجنود المغاربة الذين دخلوا مع جيش جوهر الصقلى ، قائد الدولة الفاطمية ، ورغبوا فى الاشتغال بالزراعة فأنزلهم ببلاد تلك الكورة فعرفت بهم منذ ذلك الوقت . وقد ضمت هذه الكورة الى اقليم الدقهلية الذى كان يشمل مراكز فارسكور ودكرنس والمنزلة فى الروك الناصرى ، وصار الجميع اقليما واحدا باسم كورة المرتاحية والدقهلية وكانت قاعدته أشمون الرمان الى آخر دولة المماليك . وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية الدقهلية ونقلت قاعدتها من أشمون الرمان الى المنصورة^(١) . وفى سنة ١٨٣٣ عرفت باسم مديرية الدقهلية وفى سنة ١٩٦٠ أصبح اسمها محافظة الدقهلية .

المنزلة :

قرية من القرى المصرية القديمة اسمها القبطى (Mendjuili) ومعناها دار الضيافة ، ويقول محمد رمزى^(٢) ، إن كلمة المنزلة العربية تؤدى إلى شىء من هذا المعنى ، وهى بذلك

(١) القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٦

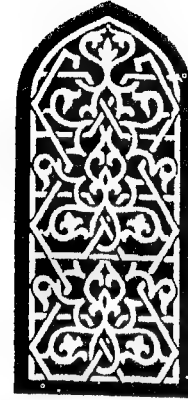
(٢) القاموس الجغرافى ج ١ ص ٢٠٣

قريبة الشبه لفظا ومعنى من الاسم القبلى وقد ذكرها المقرئى عند الكلام عن تطهير الملك الظاهر ببيرس لبحر أشموم الذى يعرف اليوم بالبحر الصغير ، باسم منزلة ابن حسون ، ووردت فى التحفة السنية باسم منيتى راضى وعصفور وهى المنزلة من أعمال الدقهلية . ولا تزال هذه البلدة الى اليوم تتكون من قرينتين متجاورتين واقعتين على الشاطئ الشرقى للبحر الصغير وبينهما فضاء وتقع المنزلة فى نهاية البحر الصغير من جهة بحيرة المنزلة ، وكانت تابعة لمركز دكرنس ، وفى سنة ١٩٢٩ أنشئ مركز سابع بمديرية الدقهلية سمي بمركز المنزلة .

مما يسترعى النظر فى مدينة المنزلة احتفاظها بكثير من منازلها القديمة فى حالة لا بأس بها ، وخاصة تلك التى تقع على البحر الصغير ، وبذلك استطعنا ان نعرف تخطيط المنازل فى العصر العثمانى فى تلك المنطقة . ومن أهم هذه المنازل منزل الشيخ عباس زين الدين والشيخ حسن زين الدين ومنزل الحاج شلبى طوبار (لوحة رقم ٦٨) . وتمتاز هذه المنازل بواجهاتها الجميلة المتناسقة الأجزاء والتى تنتهى بكرانيش مكونة من الخشب والأجر بأسلوب تنفرد به منطقة المنزلة وما حولها عن باقى منازل الوجه البحرى . كما تمتاز الواجهات باحتوائها على نوافذ ذات ضلف خشبية وليست مشربيات أو خشب خرط مما كان شائعا فى العصر المملوكى والعثمانى فى مصر ، والذى ما زالت منازل رشيد القديمة تحتفظ بالكثير منه .

وصف قبة الشيخ عنبر

ومن العماثر الدينية الهامة والجديرة بالذكر بمدينة المنزلة قبة الشيخ عنبر ، وتحتوى القبة على قاعدة مربعة الشكل تعلوه رقبة مثمنة ثم تأتى القبة فوق ذلك . والقبة مبنية من الأجر . وكسيت رقبتهما بالجص المزخرف على شكل أحجبة يعلوها غطاء القبة المنقوش بزخارف دالية تنتهى بقطع من القاشانى الأزرق . وهكذا نرى أن هذه القبة تمثل أسلوبا انفردت به مدينة المنزلة دون غيرها من مدن الوجه البحرى . وهناك قبة اخرى مماثلة لقبة الشيخ عنبر ، هى قبة « أبو النصر » بجوار منزل الشيخ شلبى طوبار يقال انه انشأها مع منزله سنة ١٢٢٧هـ .



جامع الحلبي

بأدفيينا مركز رشيد بمحافظة البحيرة

(١٨٥٨م/١٤٧٥هـ)

محافظة البحيرة من الأقسام الادارية التي استجدت في العصر الاسلامي باسم كورة البحيرة . وفي عهد الدولة الفاطمية أضيف إليها كور أخرى مجاورة لها ، فصارت اقليما كبيرا باسم البحيرة . وقاعدة البحيرة دمنهور وهي من المدن المصرية القديمة^(١) . ولعل من الأحداث الهامة التي تعرضت لها عاصمة البحيرة في العصر الإسلامي تلك الواقعة التي حدثت بين عبيد بن السرى بن الحكم ، والى مصر من قبل الخليفة العباسي المأمون ٢١١هـ ، وبين خالد بن يزيد بن مزيد وذلك لأن العرب بمصر كانوا قد انضموا الى الخليفة المأمون في الصراع الذي دار بينه وبين أخيه المأمون . فلما انتصر المأمون ، ولم تكن الفتنة قد خمدت في مصر ، اضطر المأمون الى الحضور الى مصر للقضاء على الثورات .

ومن أهم النتائج التي ترتبت على مجيء الخليفة المأمون الى مصر ، هو قطعه الأموال التي كانت تعطى للعرب من ديوان العطاء على اعتبار أنهم جنود الدولة الاسلامية المربطون للدفاع عنها . فلما خرجوا عن طاعة الخليفة قطع عنهم العطاء مما اضطرهم الى النزول الى ميادين العمل من زراعة وفلاحة وصناعة وتجارة ليكسبوا قوتهم ومعاش اولادهم . وقد ترتب على هذا آثار بعيدة المدى بالنسبة للمجتمع الاسلامي في مصر فقد أدى نزول العرب الى ميادين العمل ، وهم السادة ، الى اندماجهم مع المصريين وتزاوجهم منهم وتصاهرهم معهم ، ومن ثم فقد هضمت مصر العنصر الفاتح ولم يصبح فيها سيد ومسود ، وبالتالي تلاشت العنصرية القبلية وكذا الشعوبيات التي بقيت في كل البلاد العربية التي خضعت للدولة الاسلامية الأموية أولا والعباسية ثانيا .

(١) محمد رمزي القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٢٨٤

ويقول ابن دقماق^(١) ، ان أعمال البحيرة عامرة وبها جوامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وغير ذلك .

ويحدثنا على مبارك^(٢) عن شخصية الشيخ عبد الرحمن الحلبي ، فيقول انه من أجل العلماء تولى القضاء بقاعدة البحيرة زمنا طويلا ، ومن ثم فقد كان يقال له الدمنهوري . وجاء في ترجمة السخاوي^(٣) له ، انه ولد بحلب سنة تسعه وخمسين وسبعمائة ، فحفظ القرآن وتفقه بحلب ثم بالقاهرة ، ثم ولى القضاء بدمنهور الوحش زمنا ، وكان فاضلا كيسا . ولما توفى دفن بقرية ادفينا .

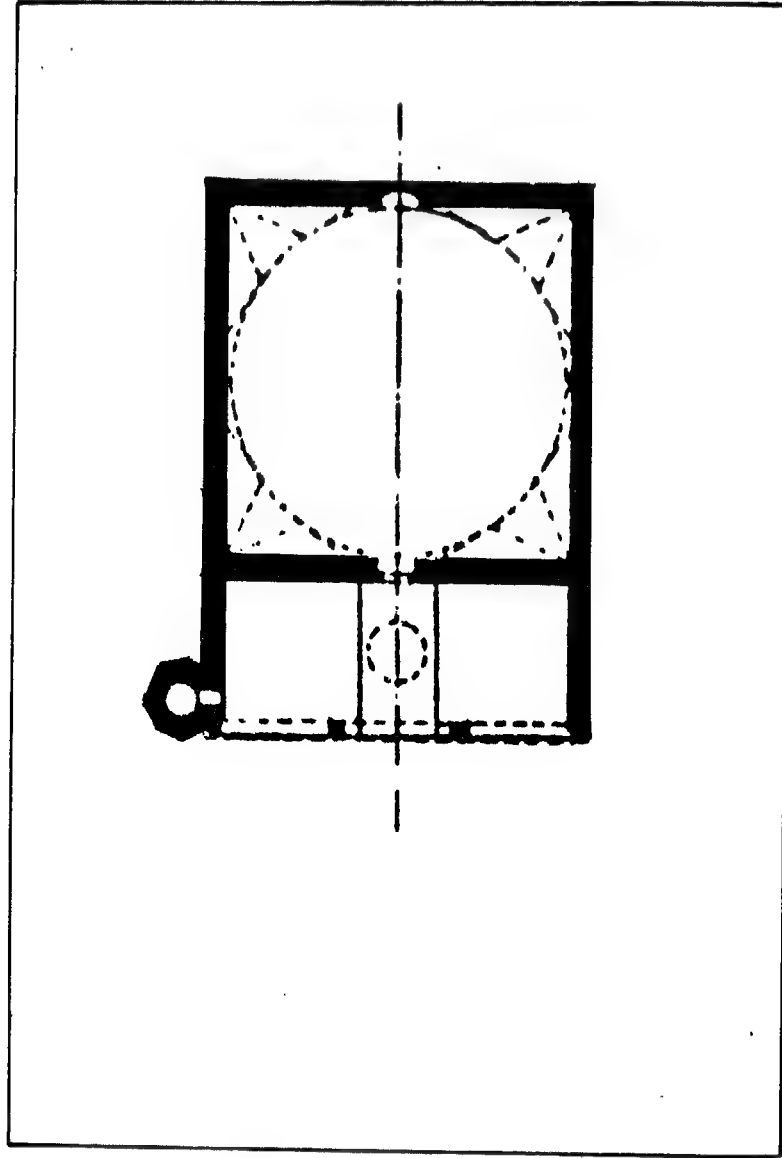
وادفينا قرية قديمة اسمها الأصلي اتفينه ، وينطقها العامة دفينه . كانت تابعة لمركز العطف ، لما انشئ مركز رشيد سنة ١٨٩٦م فصلت ادفينا من مركز العطف وألحقت بمركز رشيد لقربها منه . وقد تخلف بهذه الناحية بعض العماثر الإسلامية ، أهمها :

(١) الانتصار لواسطة عقد الامصار ص ٨٥

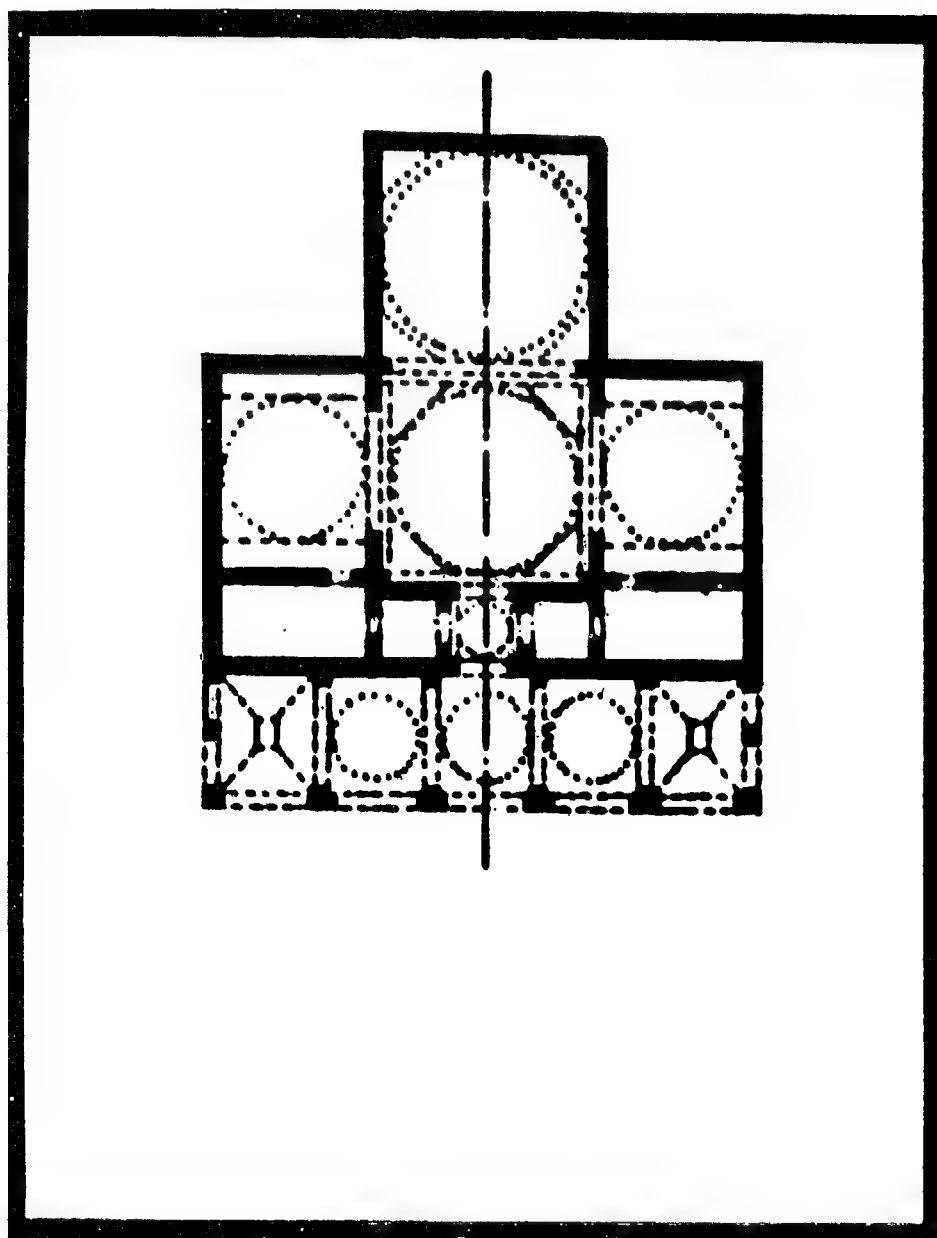
(٢) المخطط التوفيقية ج ١١ ص ١٩

(٣) الضو' اللامع ص ٤٩

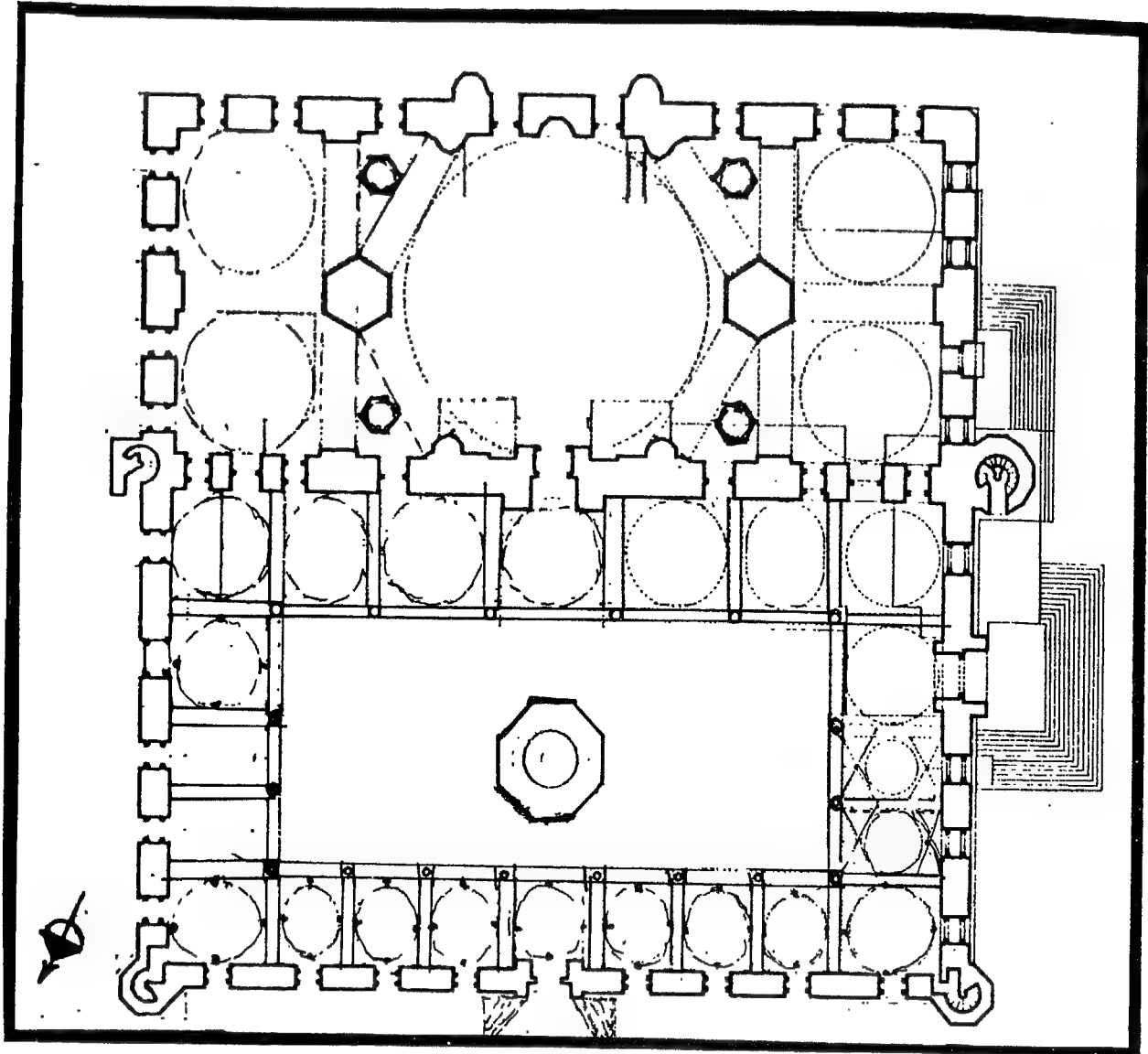
الشك



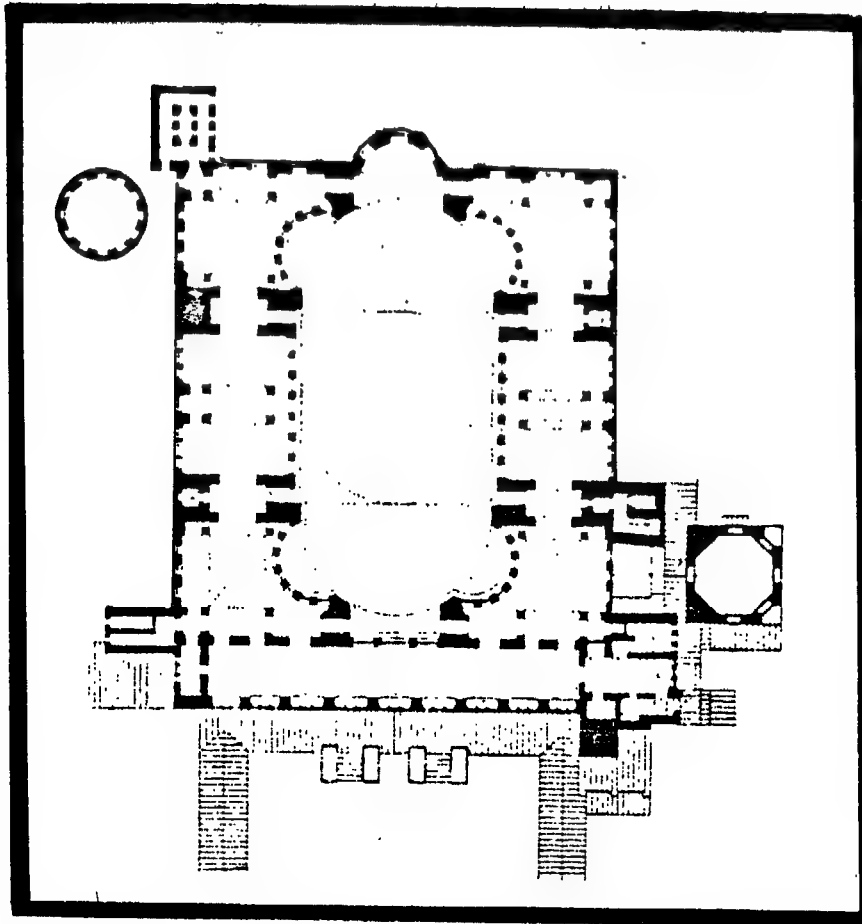
شكل (١) رسم تخطيطي لجامع علاء الدين في بروسة



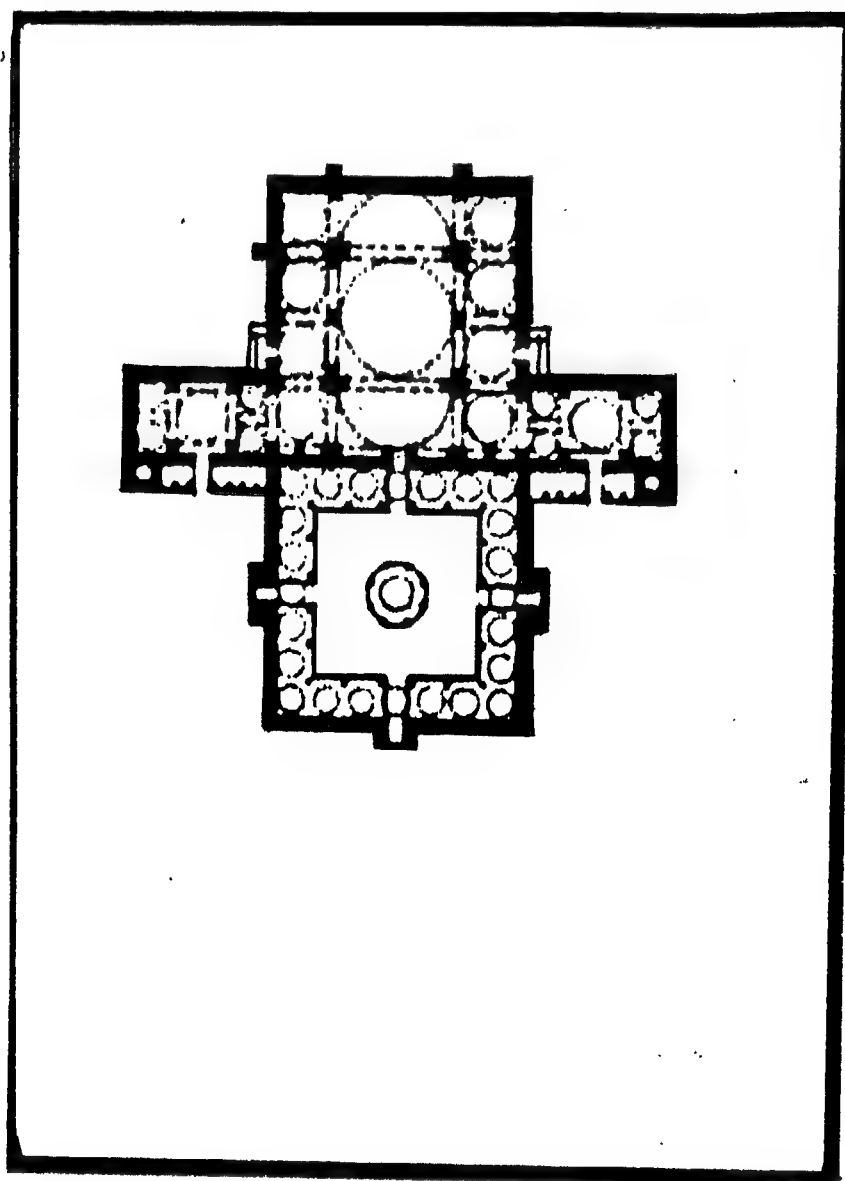
شكل (٢) رسم تخطيطي لجامع أورهان بك في بروسة



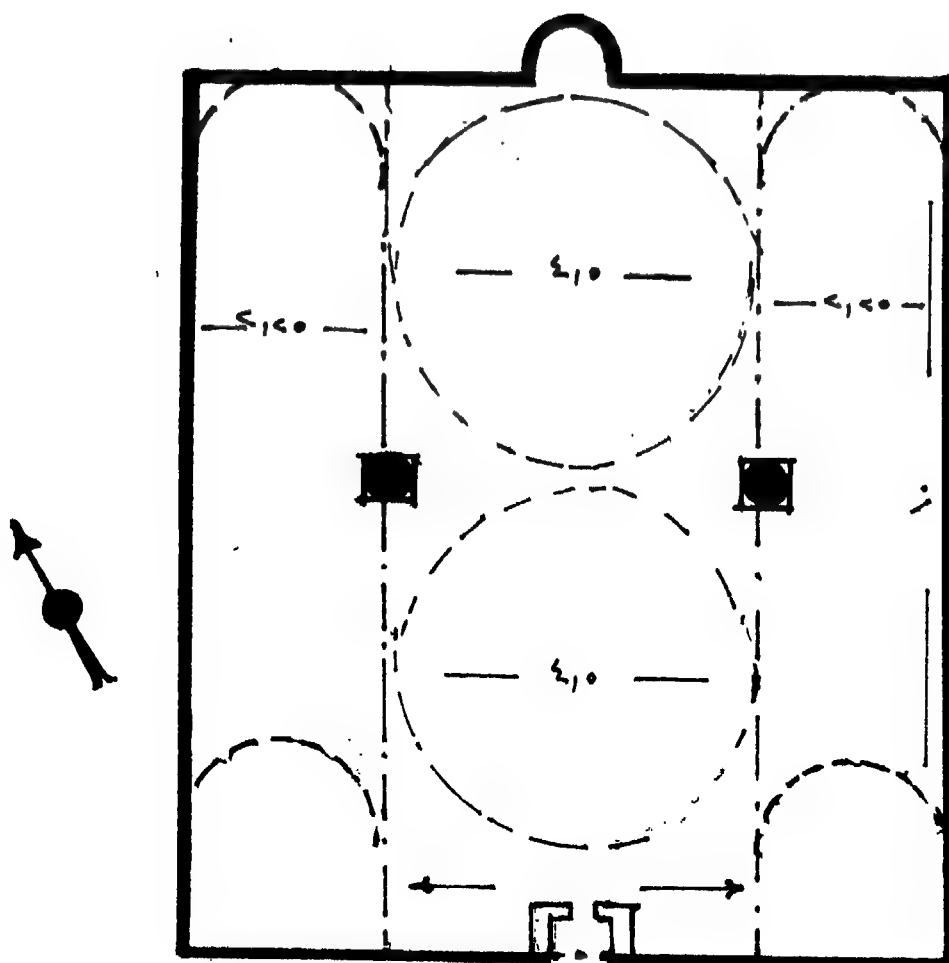
شكل (٣) رسم تخطيطي لجامع أوشى شريفيلي في أدرنة



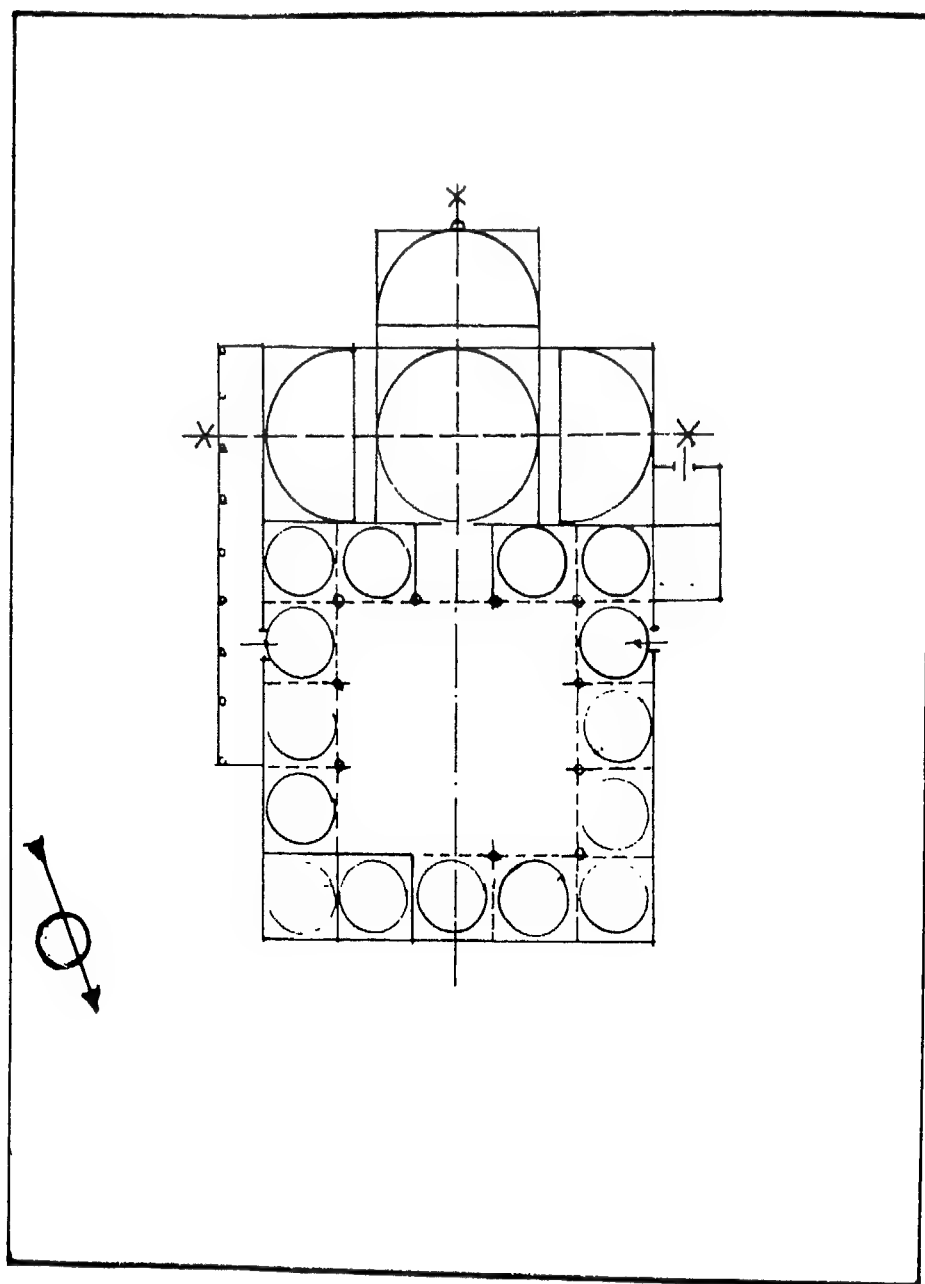
شكل (٤) رسم تخطيطي لآيا صوفيا



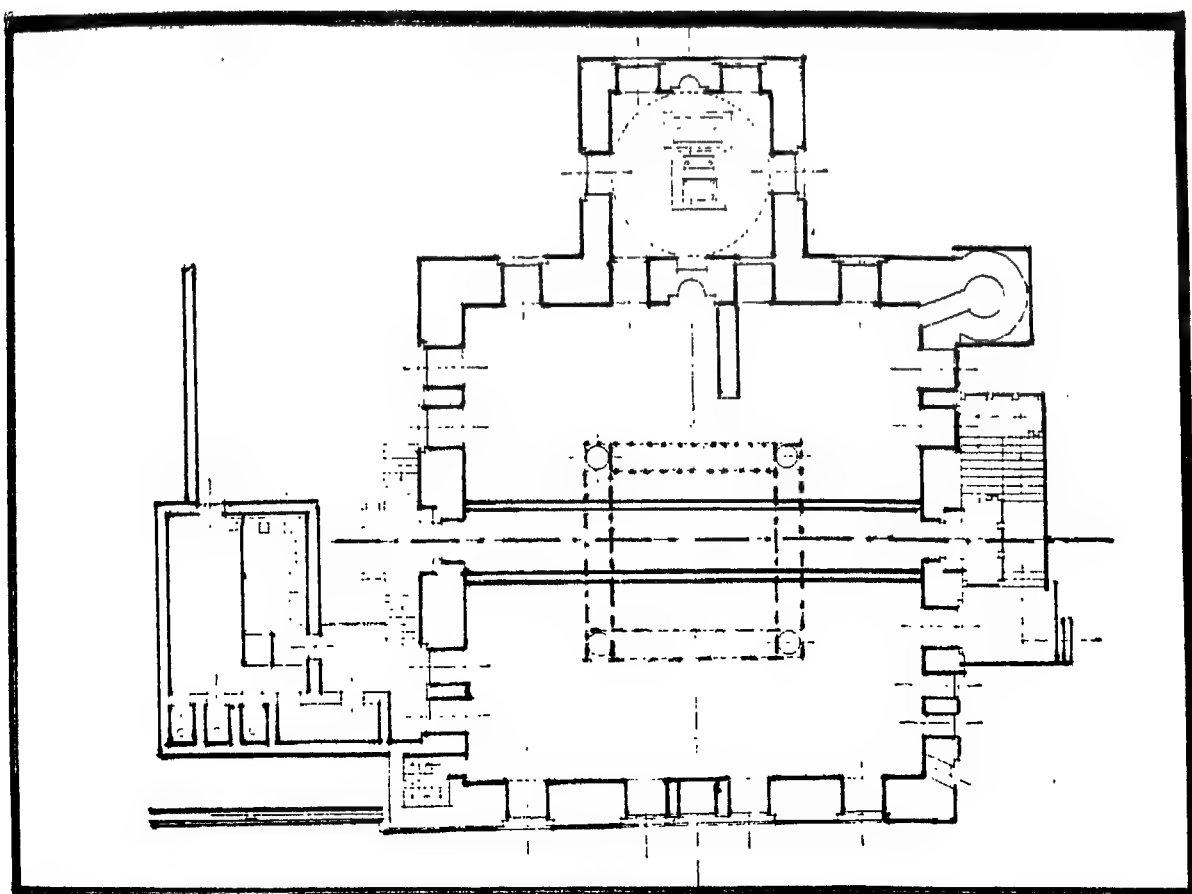
شكل (٥) رسم تخطيطى لجامع بايزيد الثانى فى اسطنبول



شكل (٦) رسم تخطيطي لزاوية الشيخ حسن الرومي

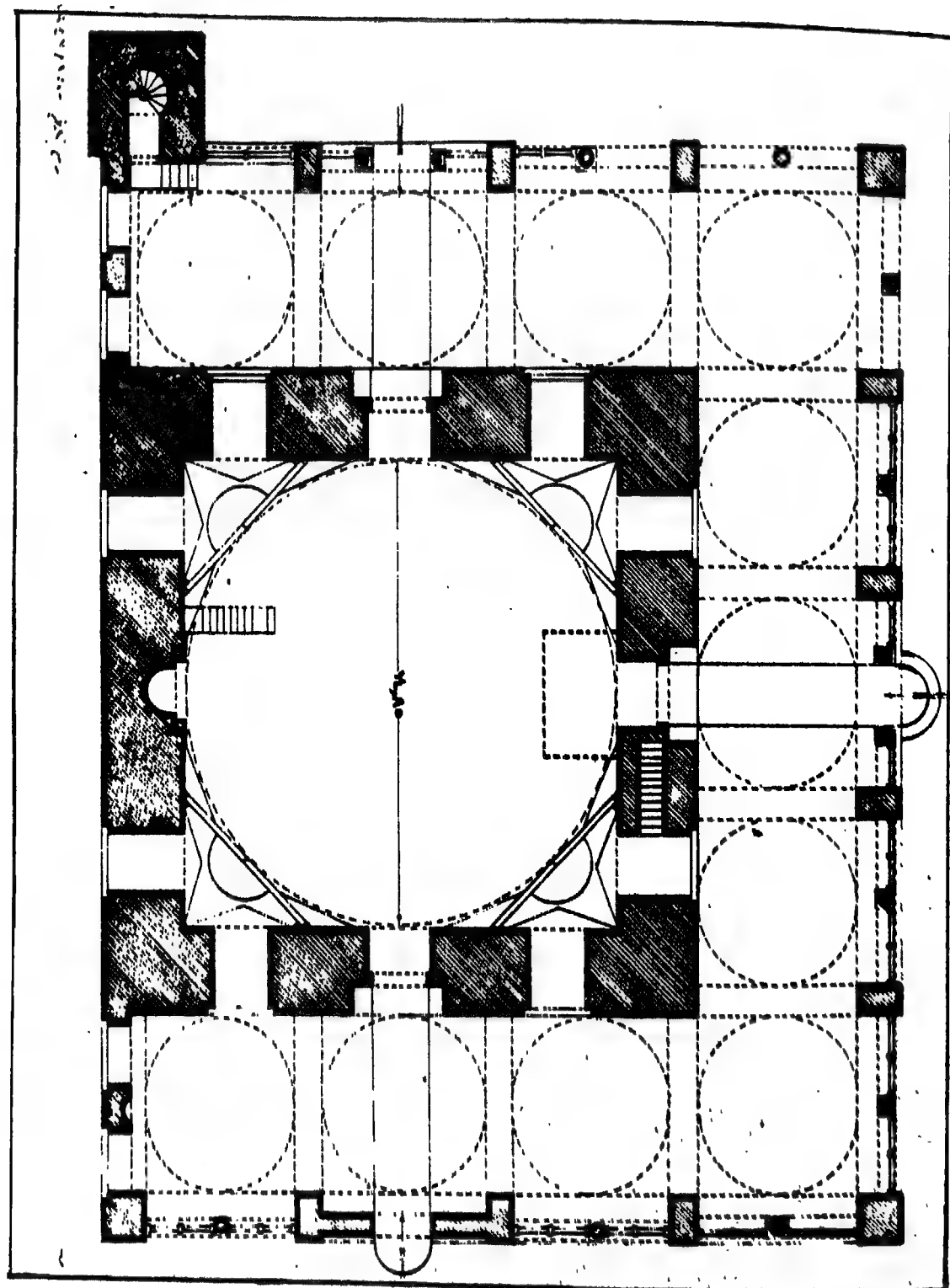


شكل (٧) رسم تخطيطي لجامع سليمان باشا الخادم بالقلعة

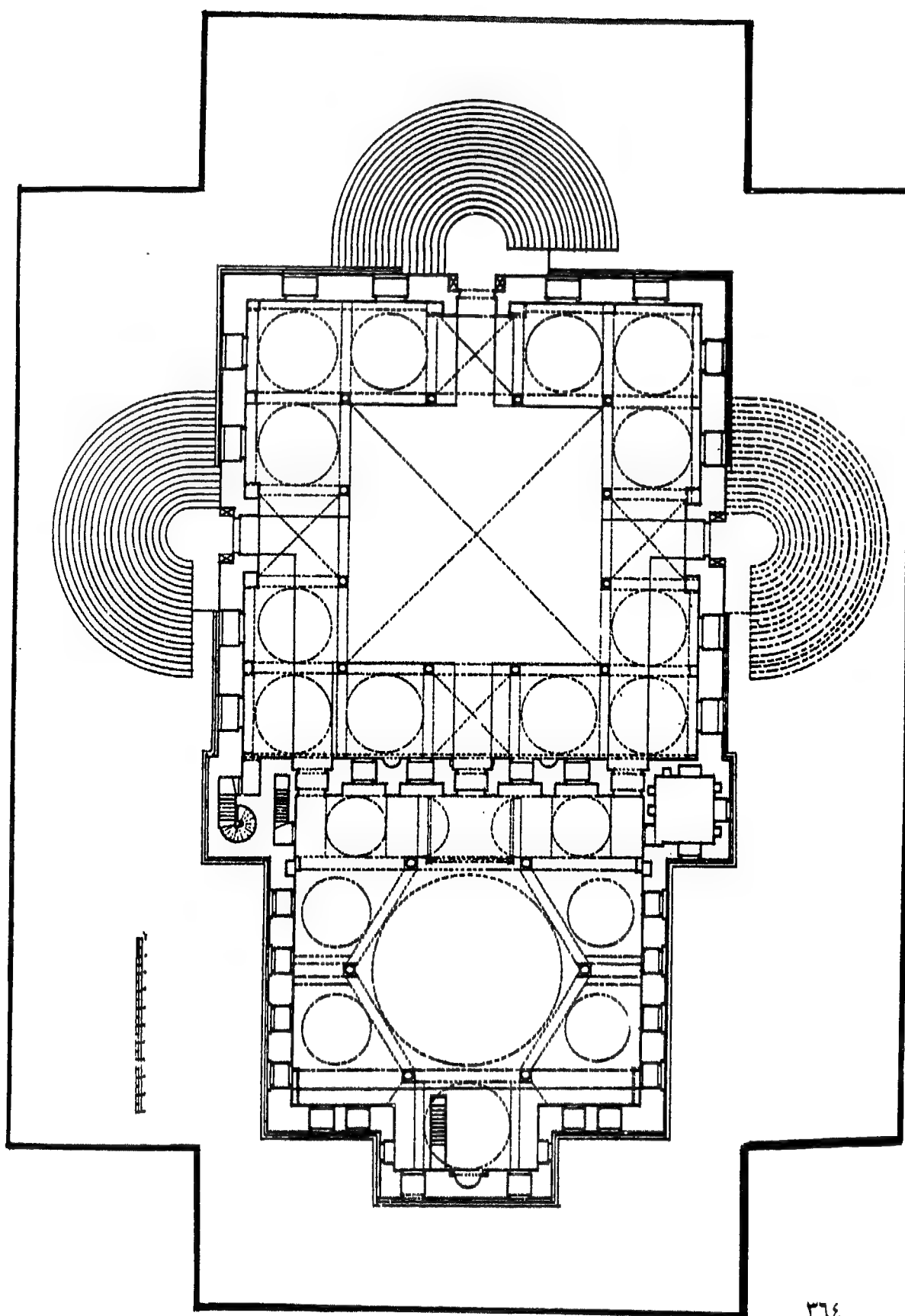


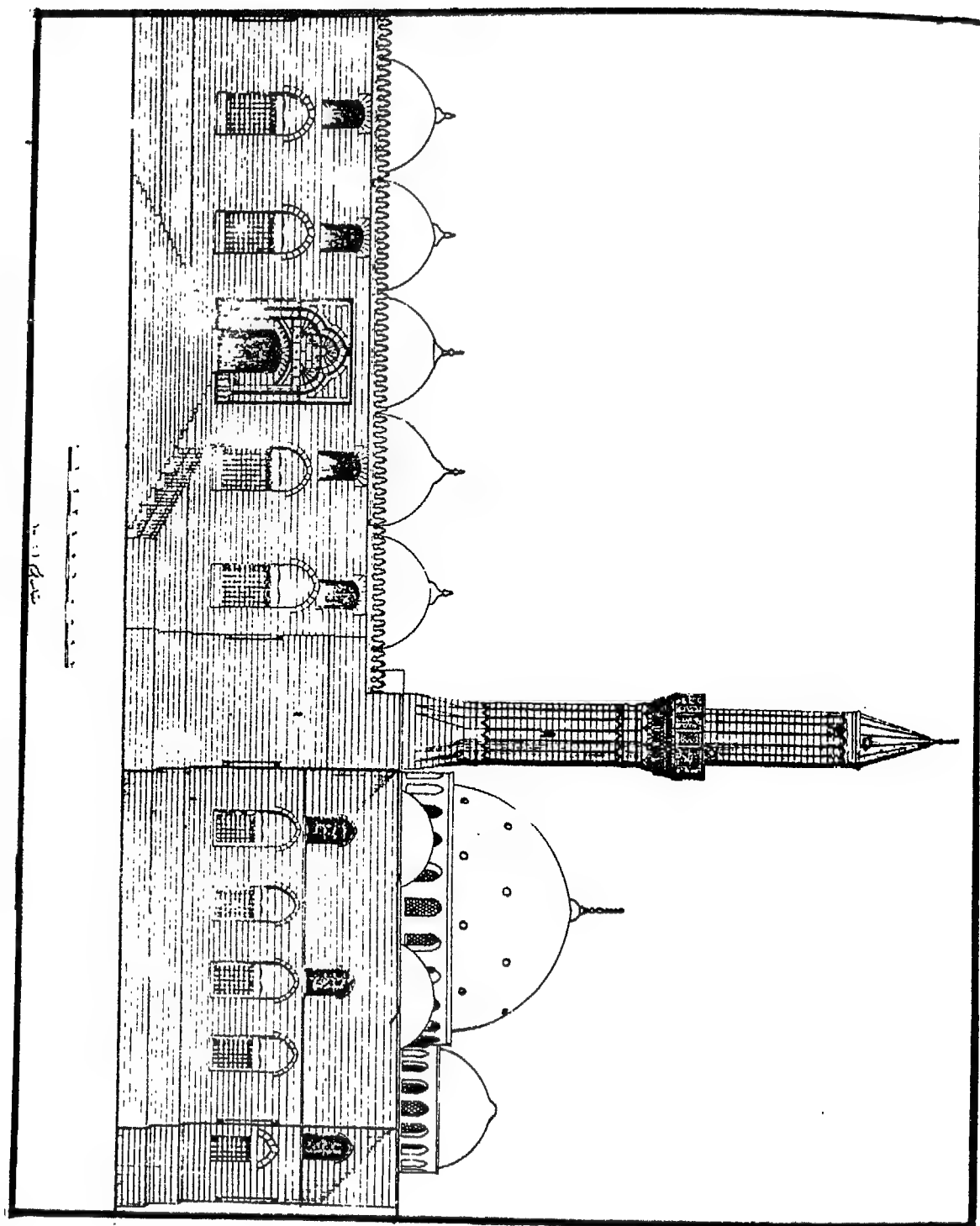
شكل (٨) رسم تخطيطي لمسجد المحمودية

شکل (۹) رسم تخطيطي لجامع سنان باشا بولاق

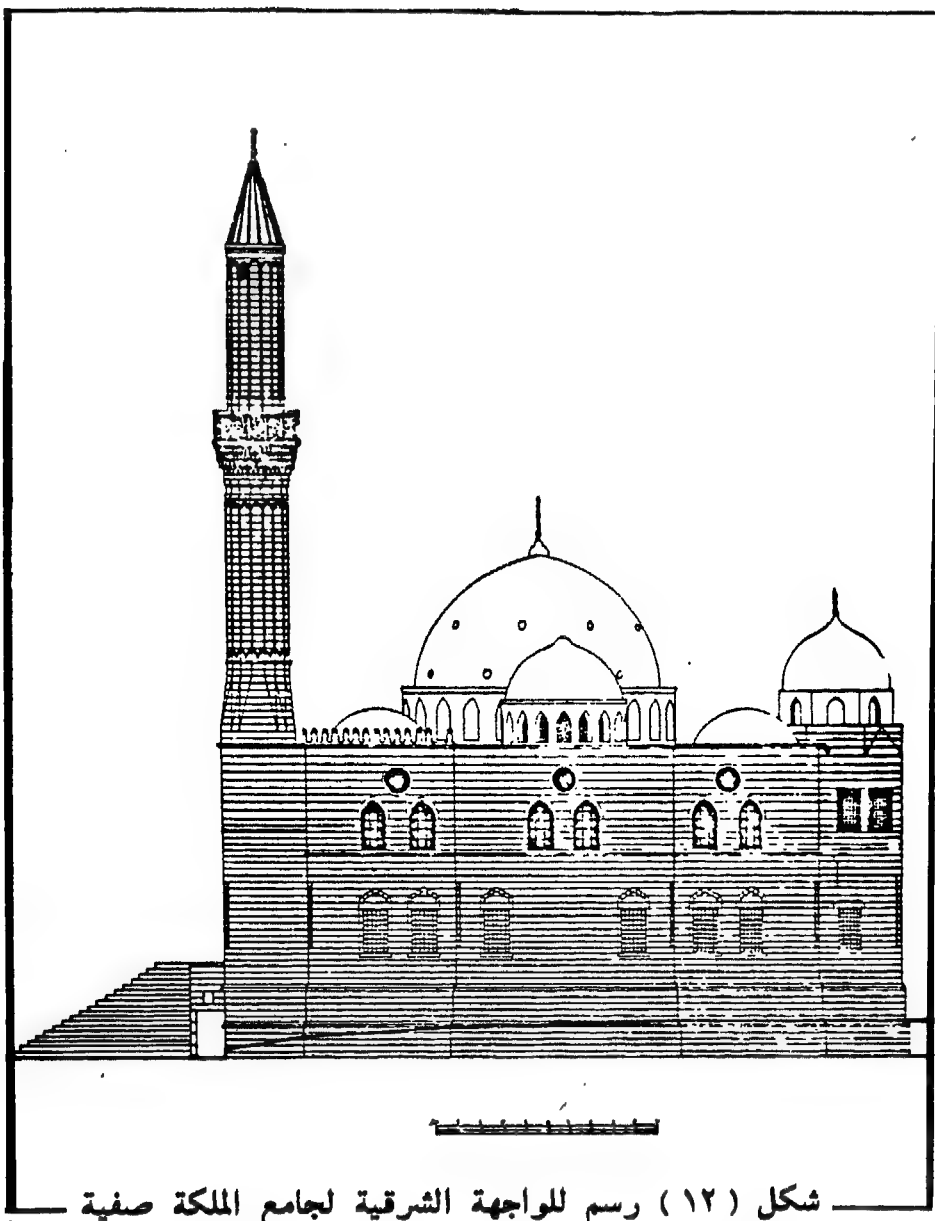


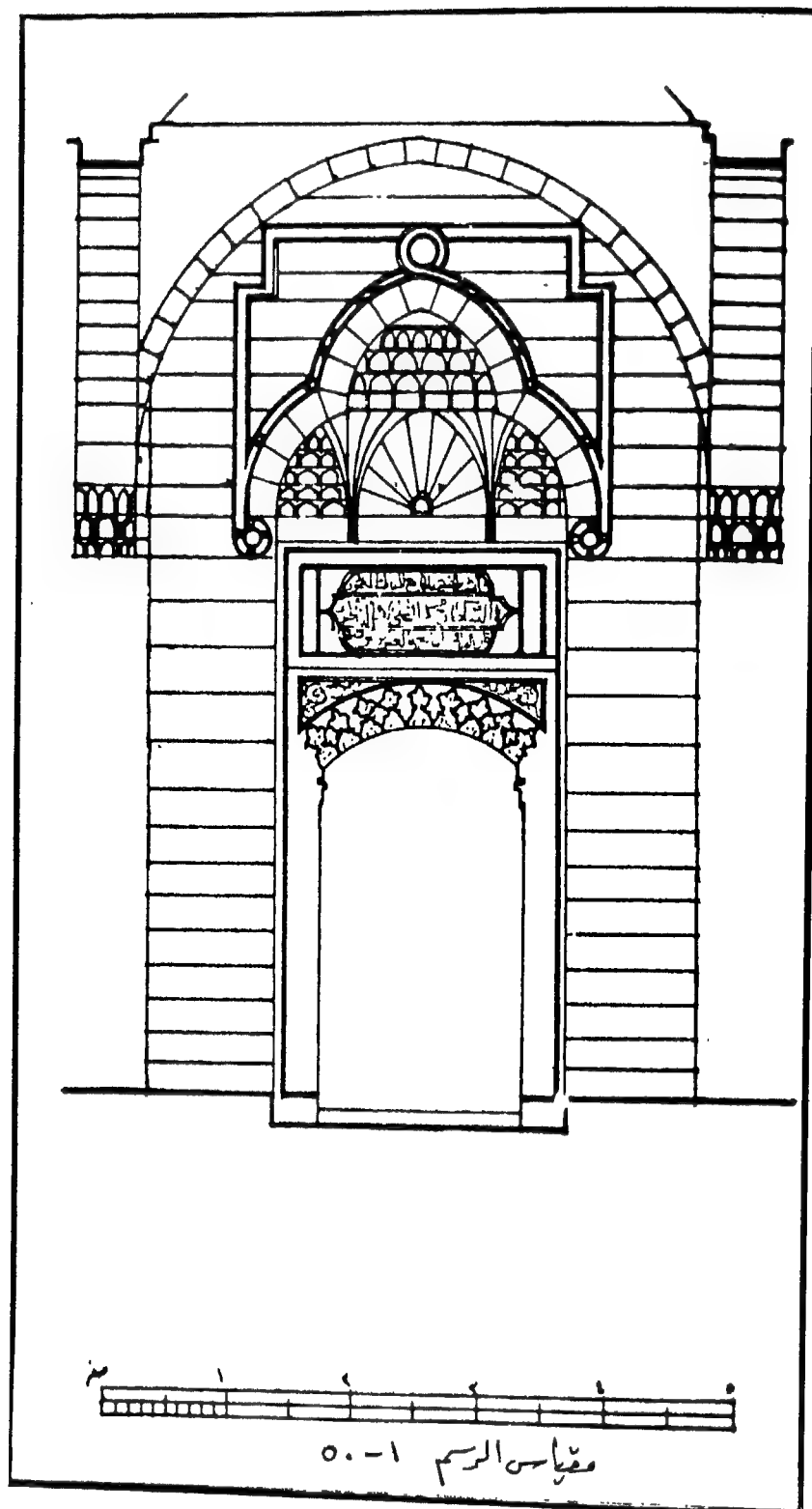
شكل (١٠) رسم تخطيطي لجامع الملكة صفية



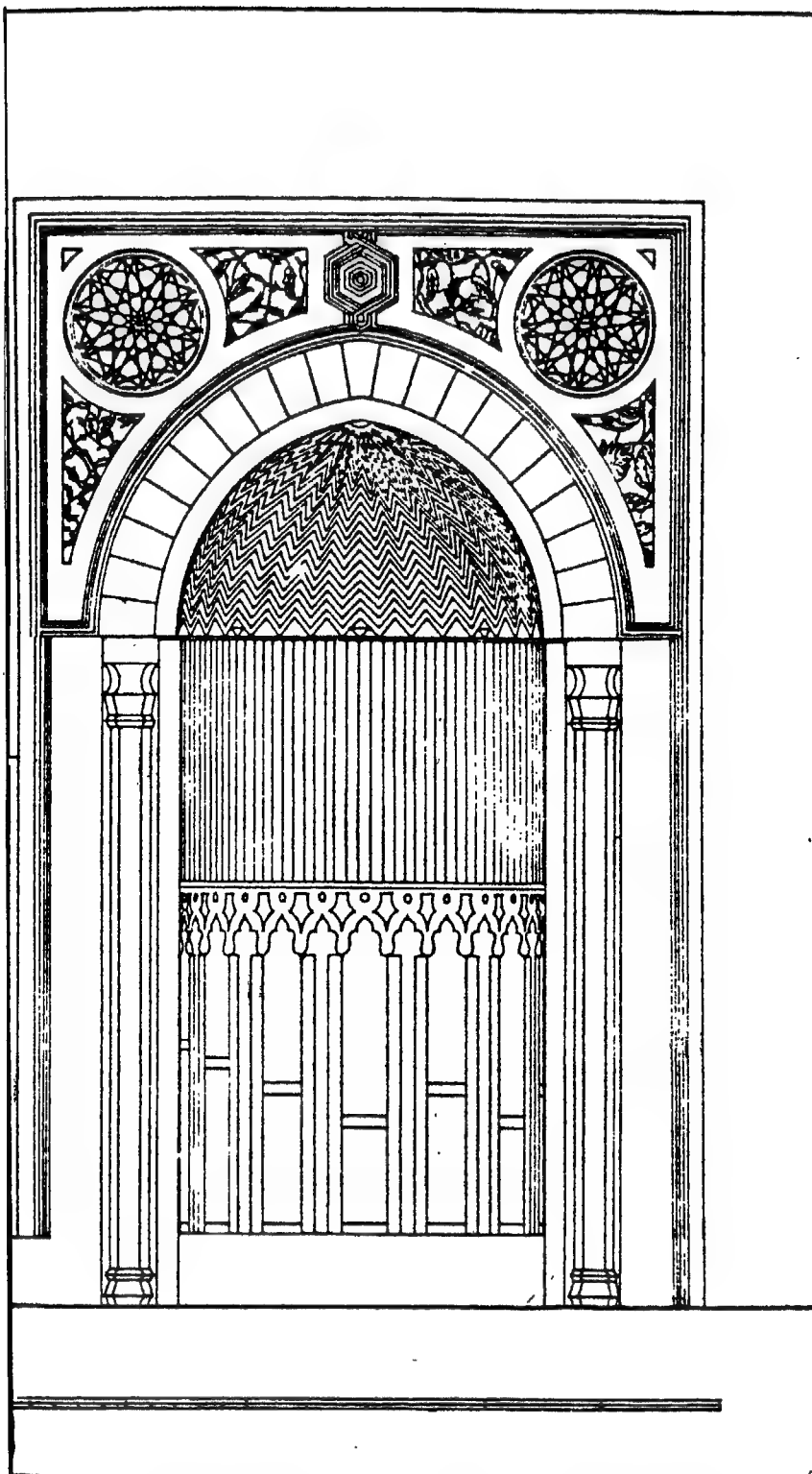


شكل (١١) رسم للواجهة الجنوبية لجامع الملكة صفية

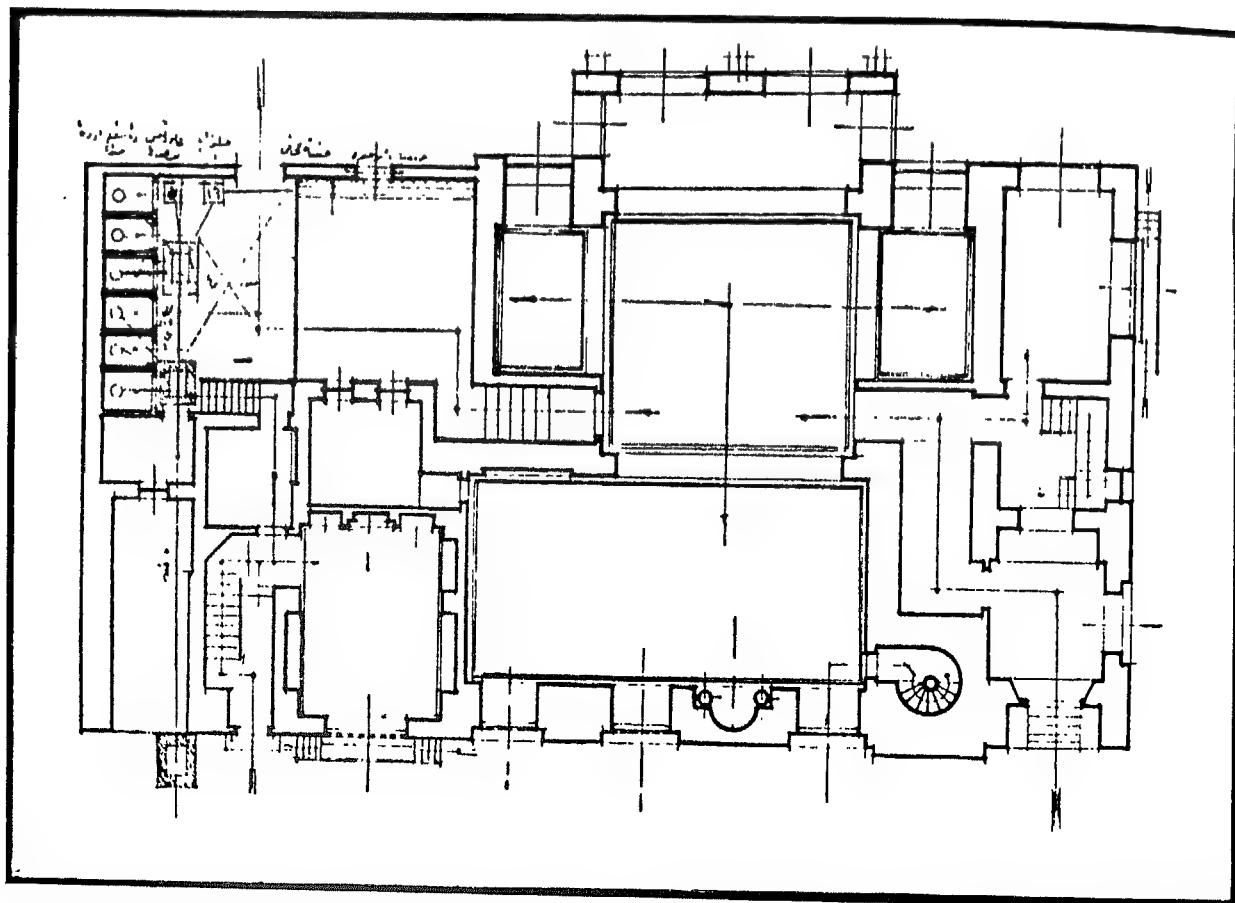




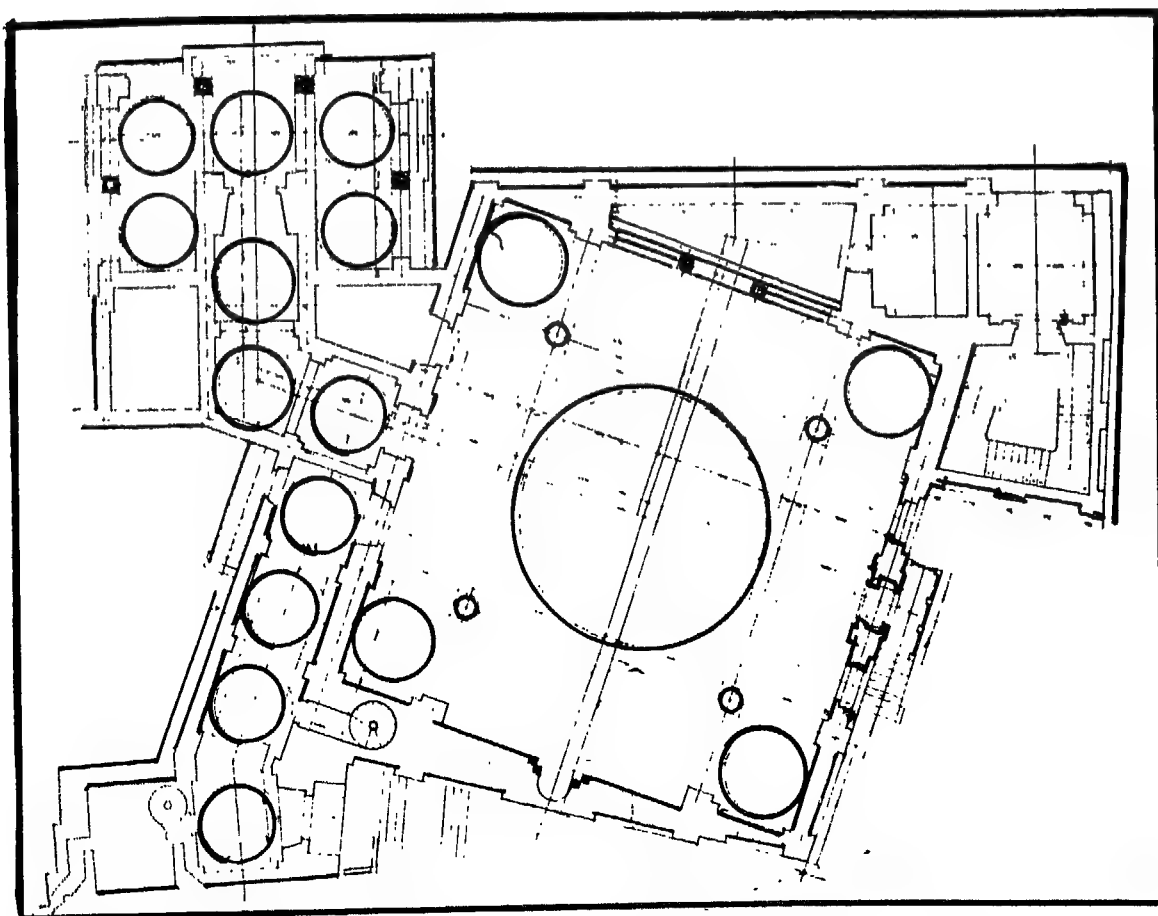
شكل (١٣) رسم للمدخل الرئيسي لمكان الصلاة بمسجد الملكة صفية



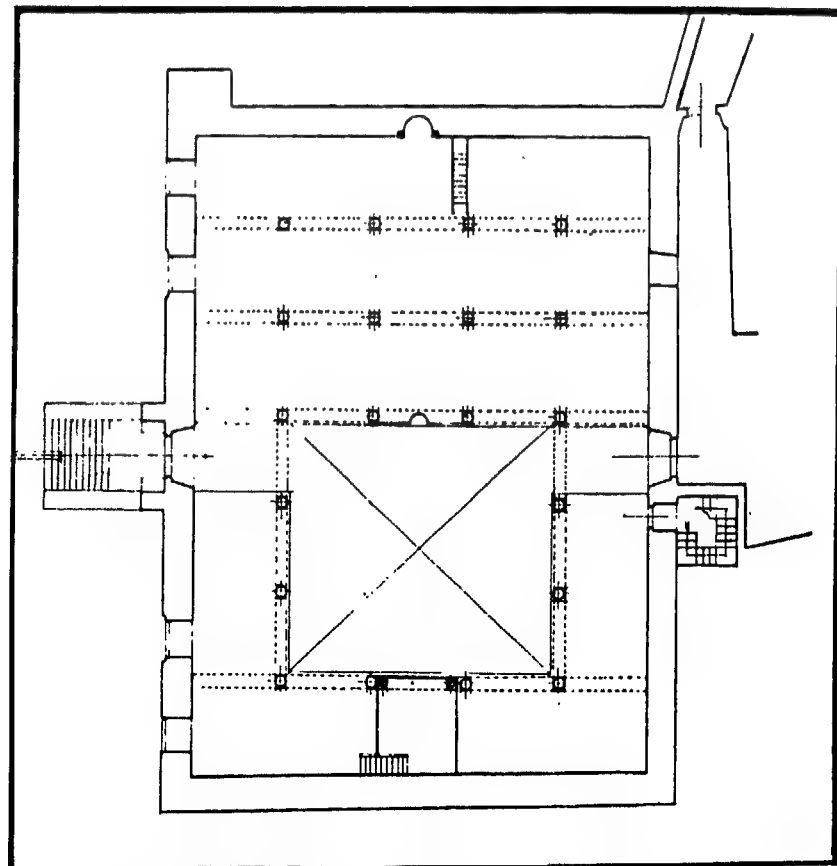
شكل (١٤) رسم لمحراب مسجد الملكة صفية



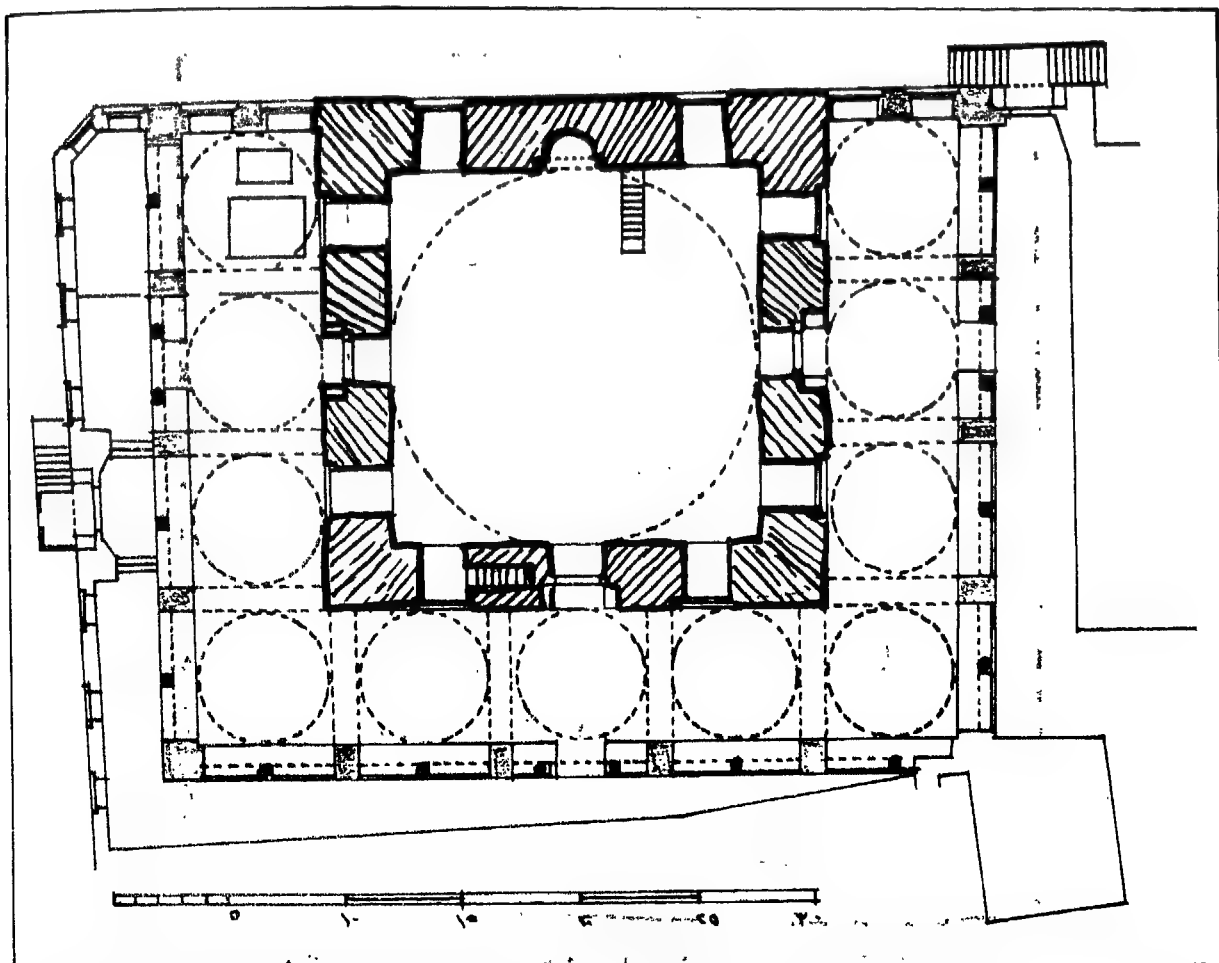
شكل (١٥) رسم تخطيطي لمسجد يوسف الحين



شكل (١٦) رسم تخطيطي لمسجد الفتح

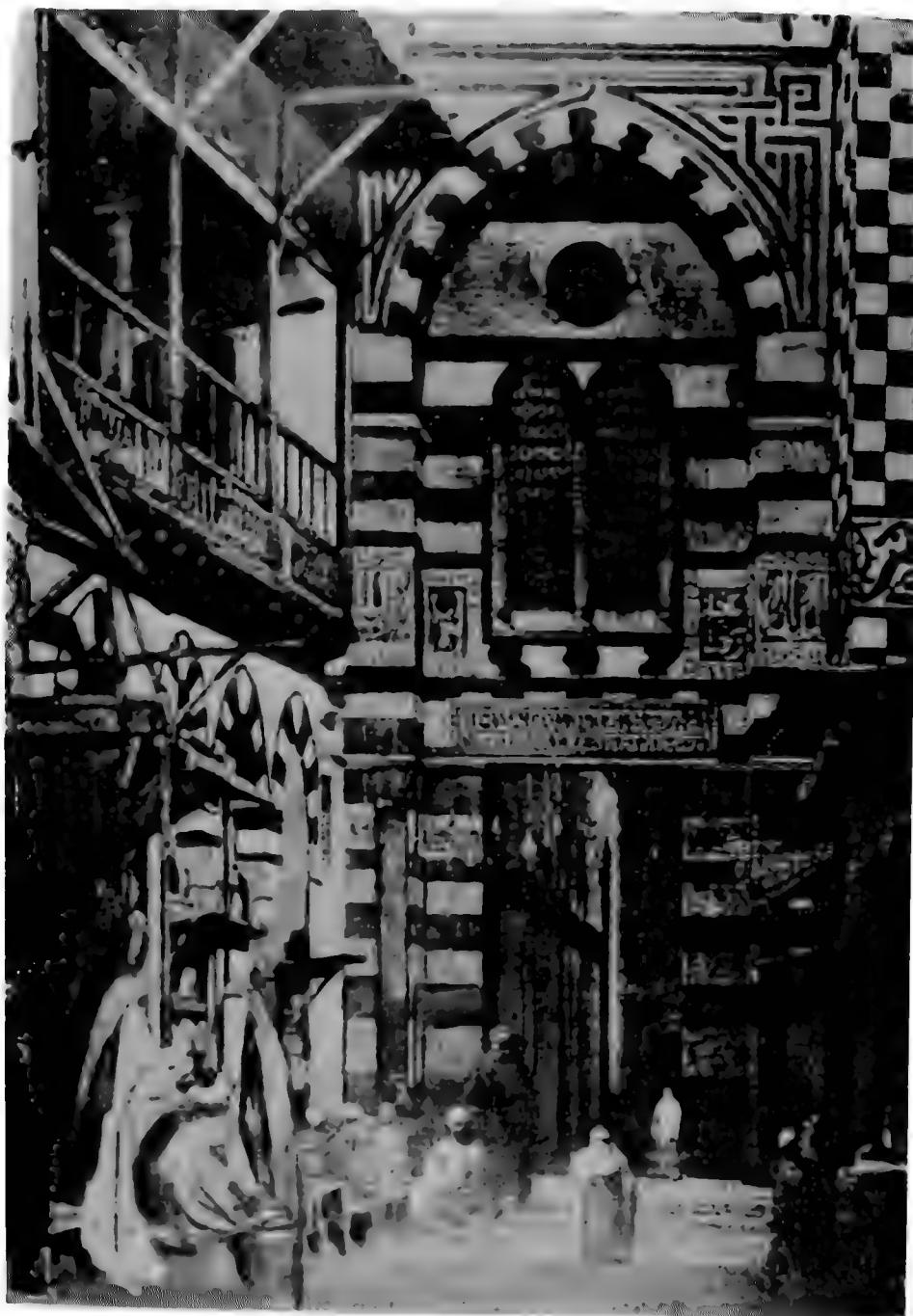


شکل (۱۷) رسم تخطيطی مسجد عثمان کتخدا



شكل (١٨) رسم تخطيطي لمسجد محمد أبو الذهب

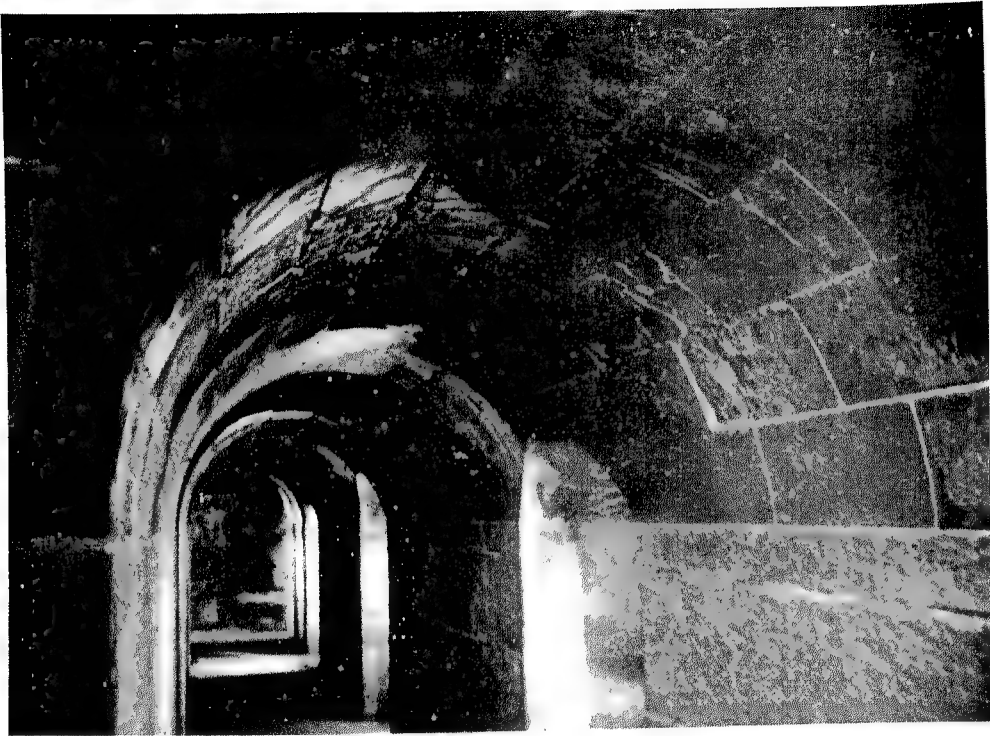
الوحيات



لوحة رقم (١) حي بين القصرين



لوحة رقم (٢) حي النحاسين



لوحة رقم (٣) داخل أسوار القاهرة الشمالية



لوحة رقم (٤١) من السكينة بالقاهرة



لوحة رقم (٥) : العائر الدينية بحى طولون ▲



لوحة رقم (٦) حى بين القصرين
وسوق فى خان الخليلى



لوحة رقم (٧) جامع مسلمة بن مخلد يتوسط مصر القديمة



لوحة رقم (٨) حى القلعة



لوحة رقم (٩) قراة المالك بالعباسية



لوحة رقم (١٠) من باب الخلق بالقرب من باب زويلة



لوحة رقم (١١) حى سور القاهرة الشرق من الدراسة إلى حى باب الوزير



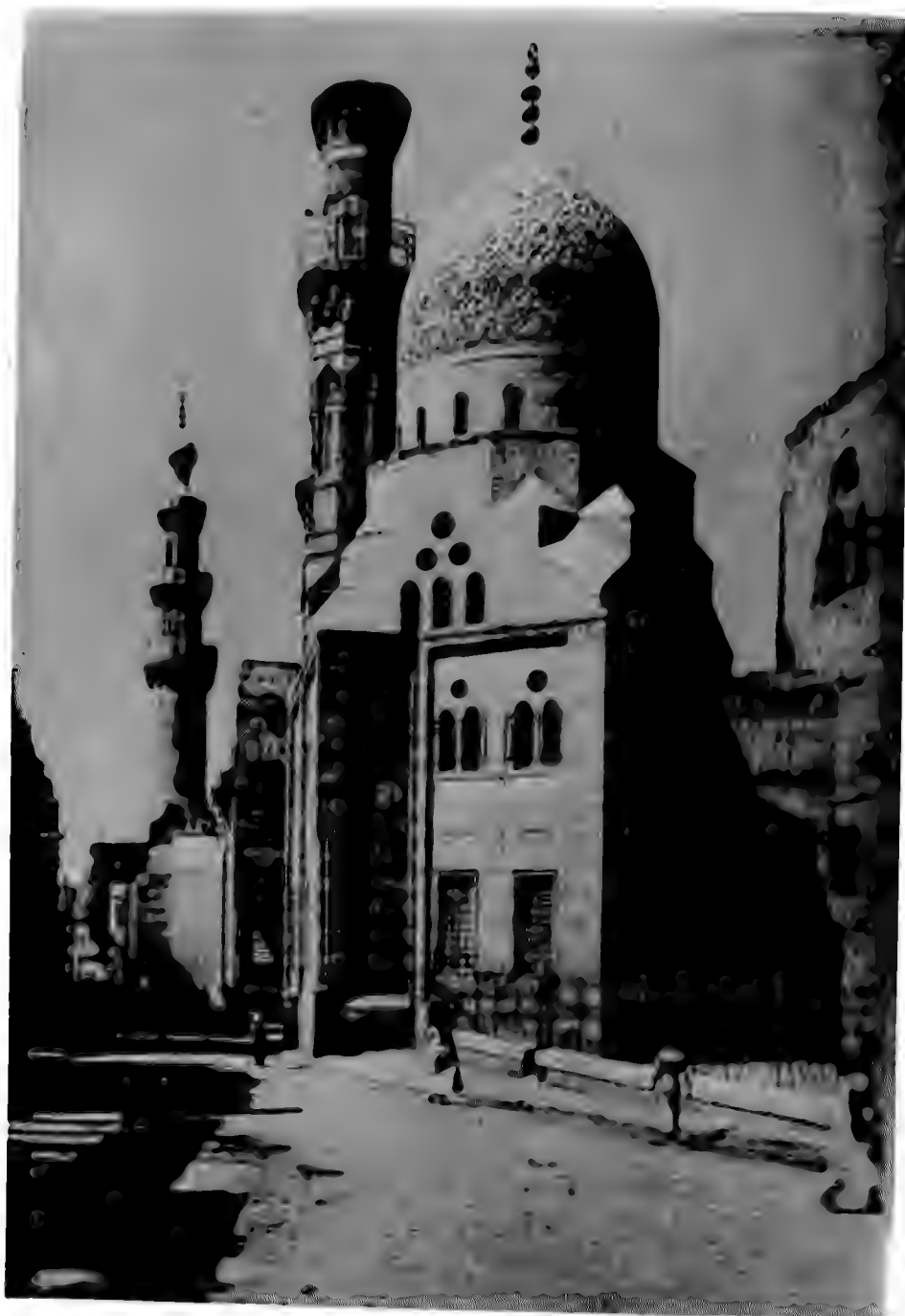
لوحة رقم (١٢) حى باب الوزير نقلا عن (Rhône) سنة ١٨٧٧ م



لوحة رقم (١٣) قبة ومئذنة مدرسة خاير بك



لوحة رقم (١٤) مدرسة خاير بك تولا عن (Prisse
d'auennes سنة ١٨٧٧)



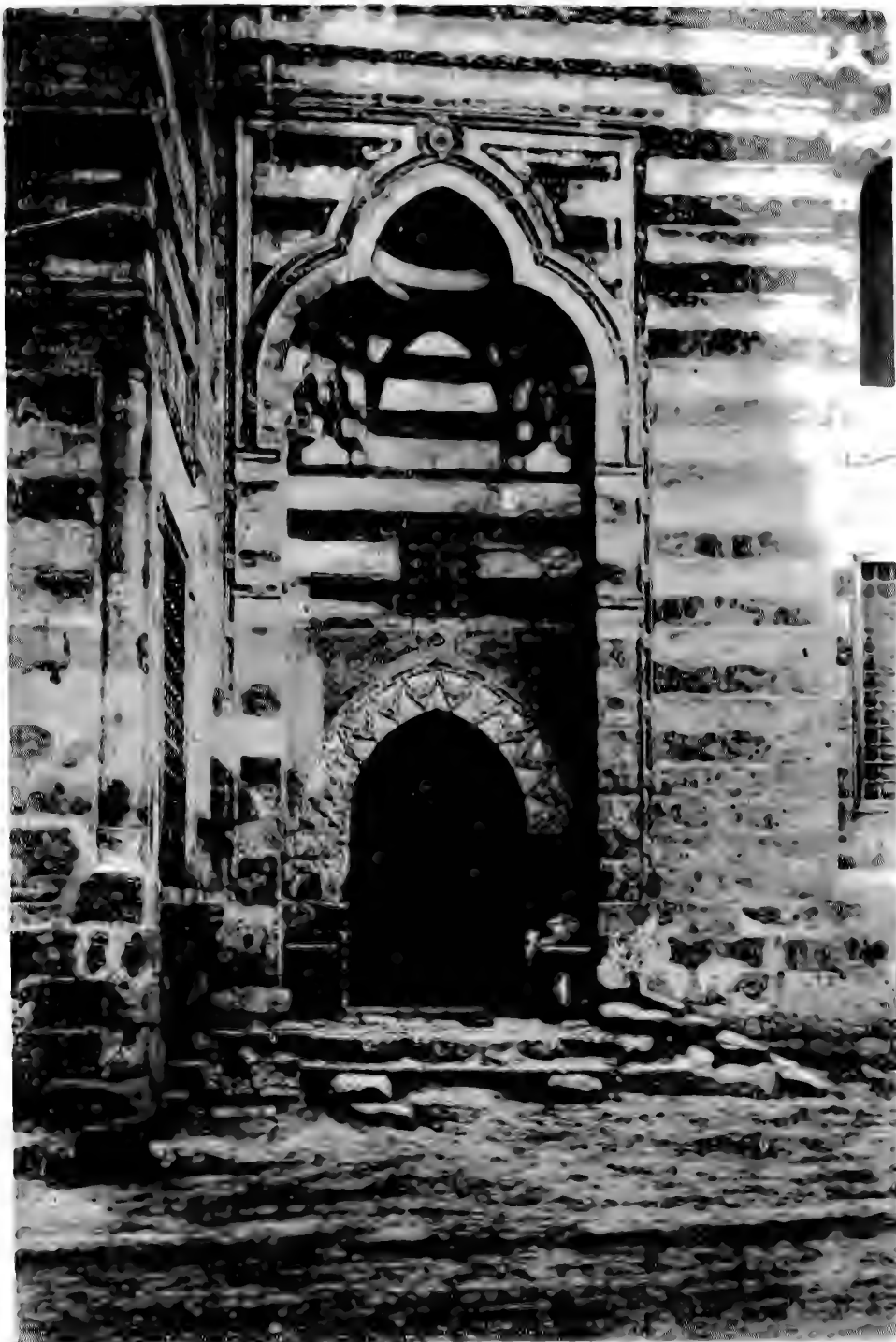
لوحة رقم (١٥) الواجهة الغربية للقبّة الكبيرة بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (١٦) الفناء الخلفي لمدرسة خاير بك نقلا عن لجنة حفظ
الآثار العربية



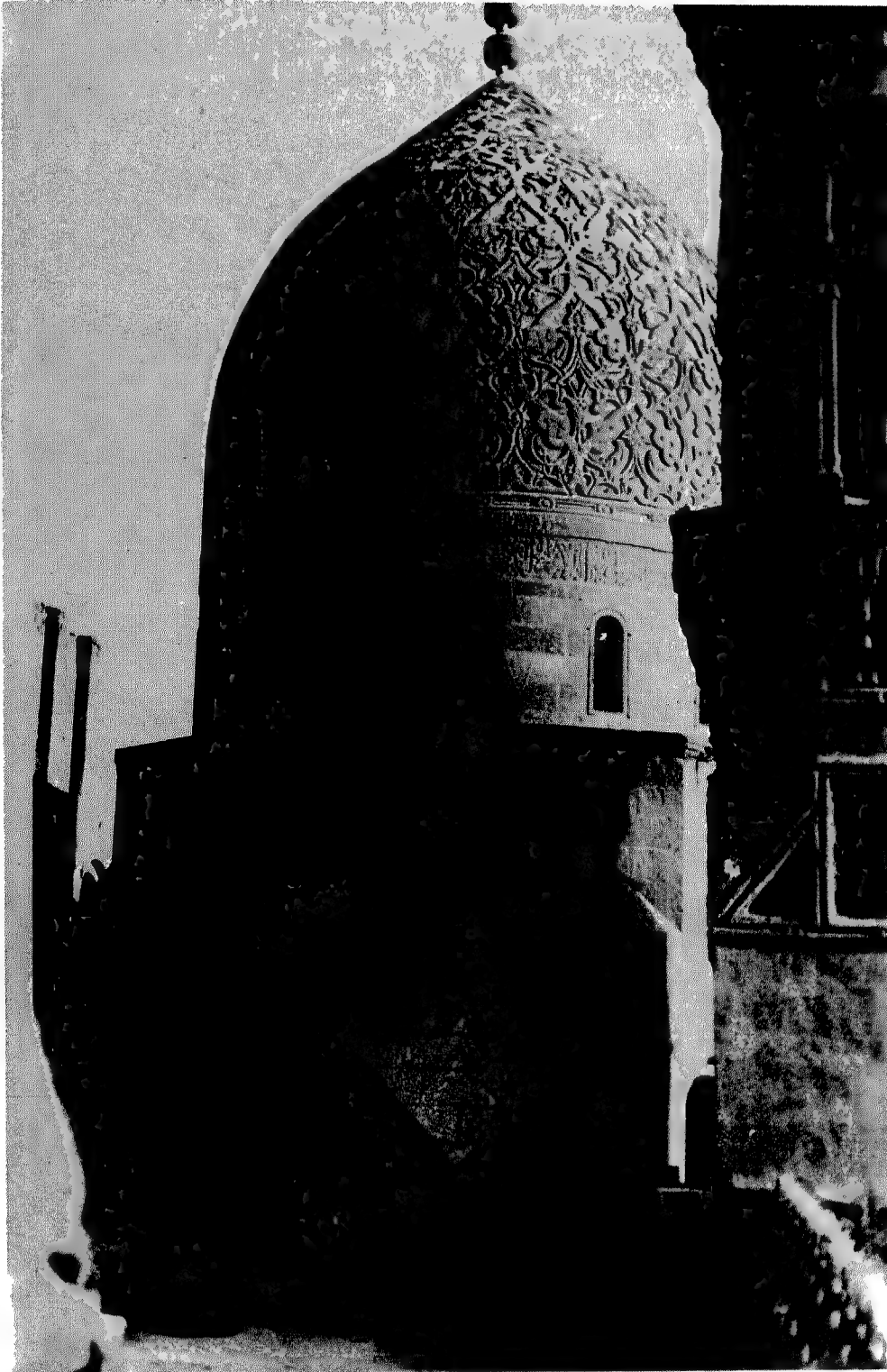
لوحة رقم (١٧) الواجهة الرئيسية لمدرسة خاير بك



لوحة رقم (١٨) المدخل الرئيسى لمدرسة خاير بك



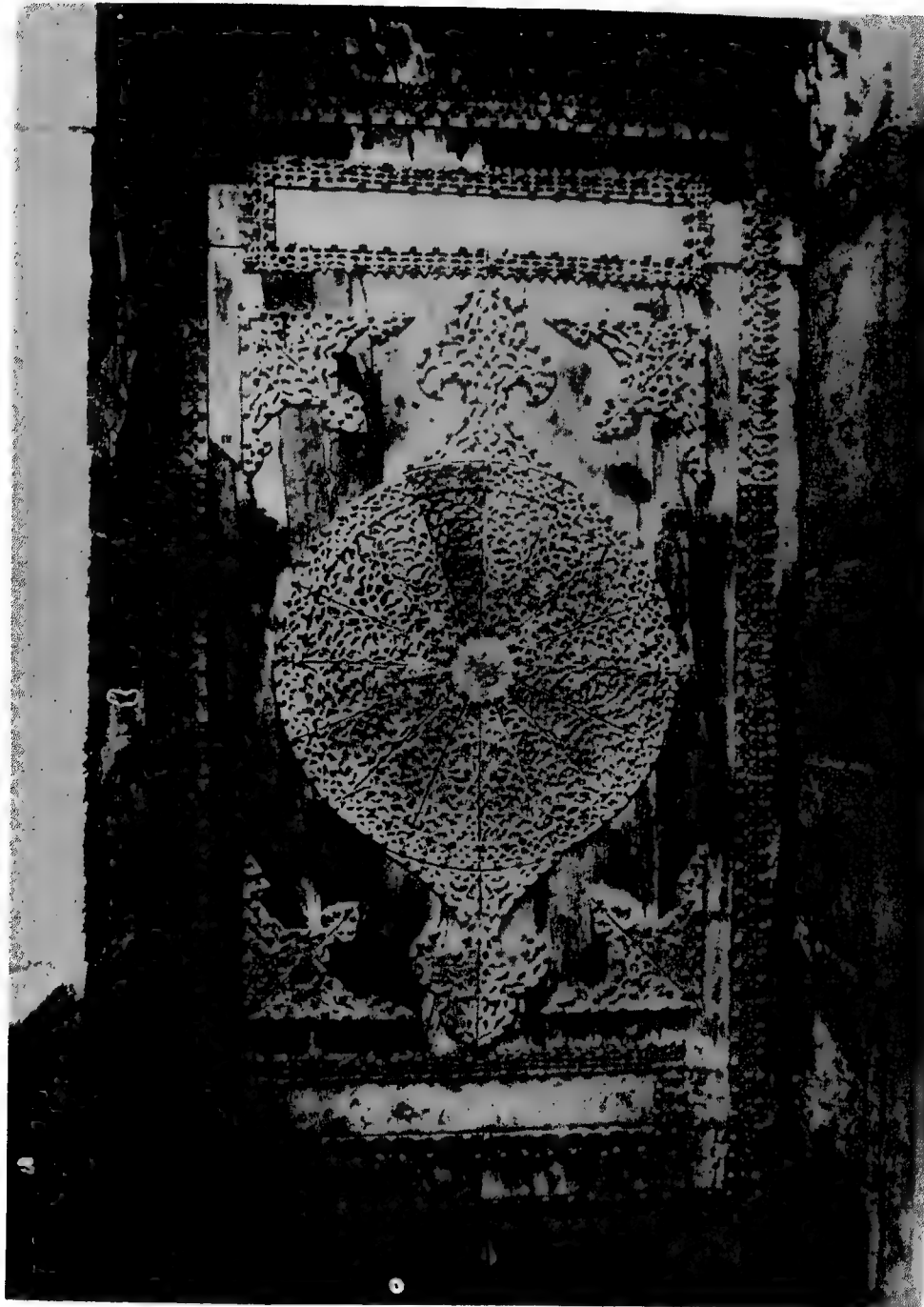
لوحة رقم (١٩) المدخل الرئيسى لمدرسة خاير بك وبجواره نافذة السبيل



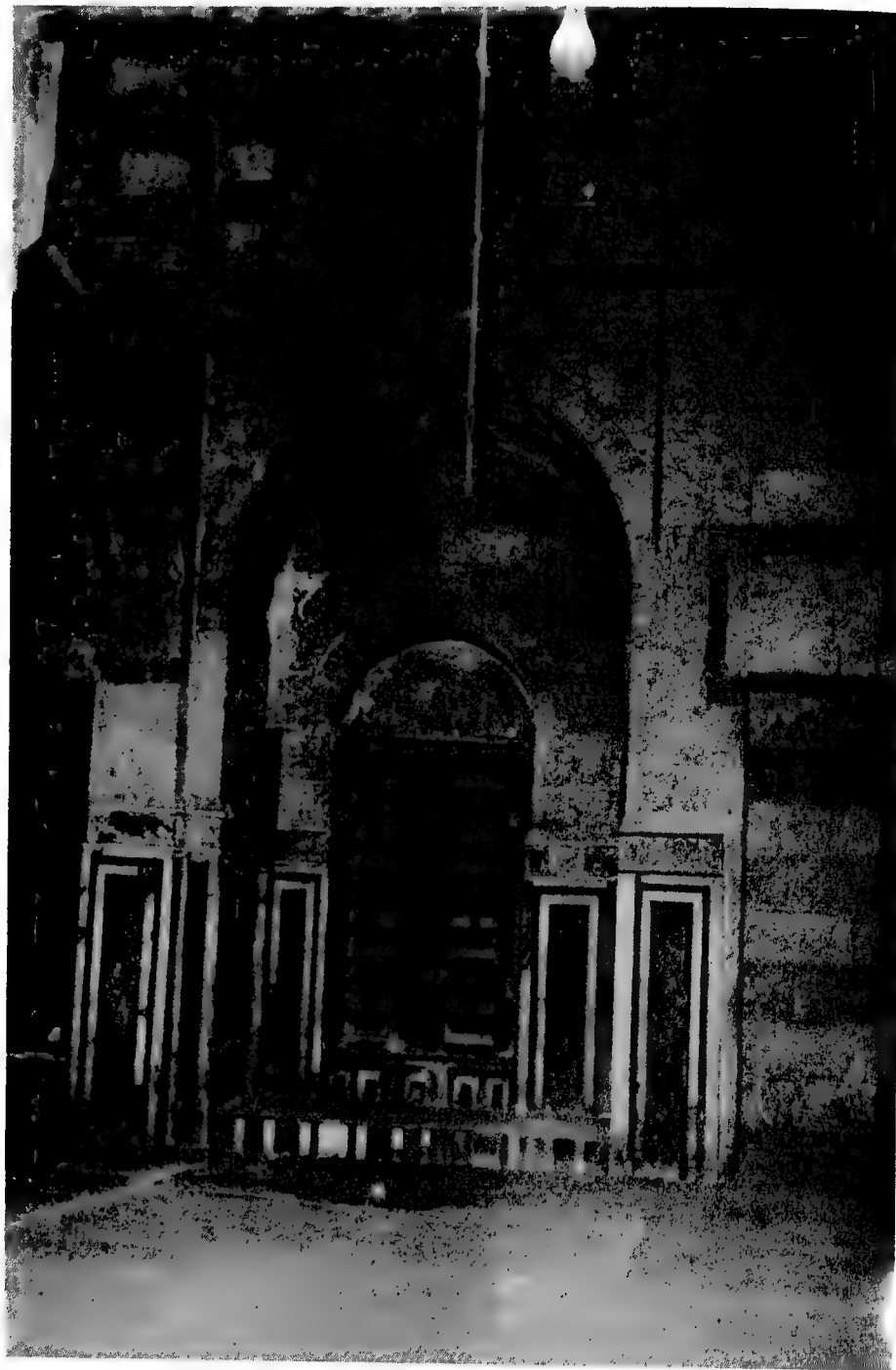
لوحة رقم (٢٠) القبة الكبرى التى تعلو المدفن الكبير الملحق
بمدرسة خاير بك



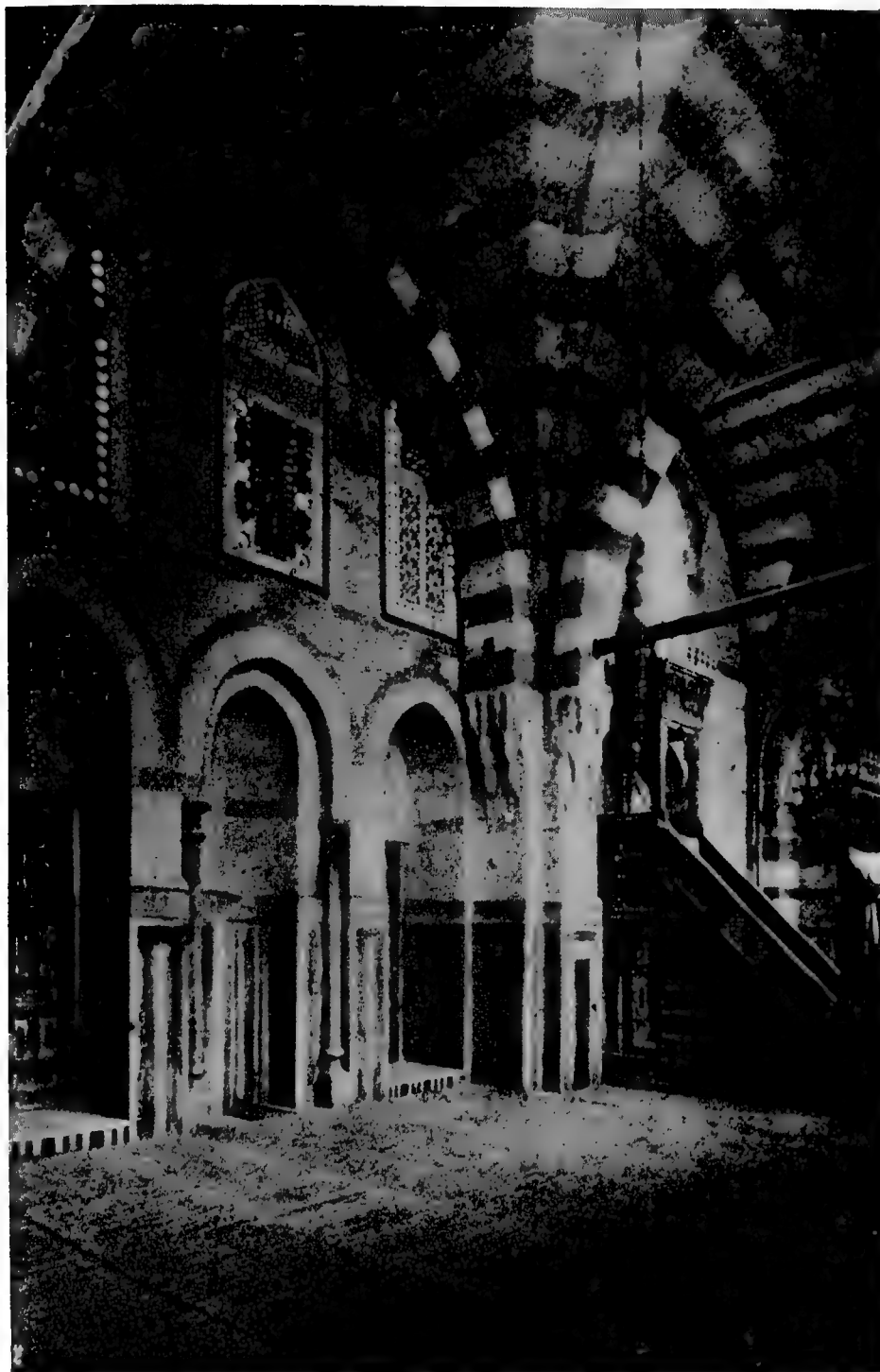
لوحة رقم (٢١) مدخل القبة الكبيرة الملحقة بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٢) مصراع باب اللوق مدخل قبة المدفن الكبير
الملحق بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٣) أيوان القبلة بـدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٤) اهراب والمنبر باموان القبلة بمدرسة خاير بك من الداخل



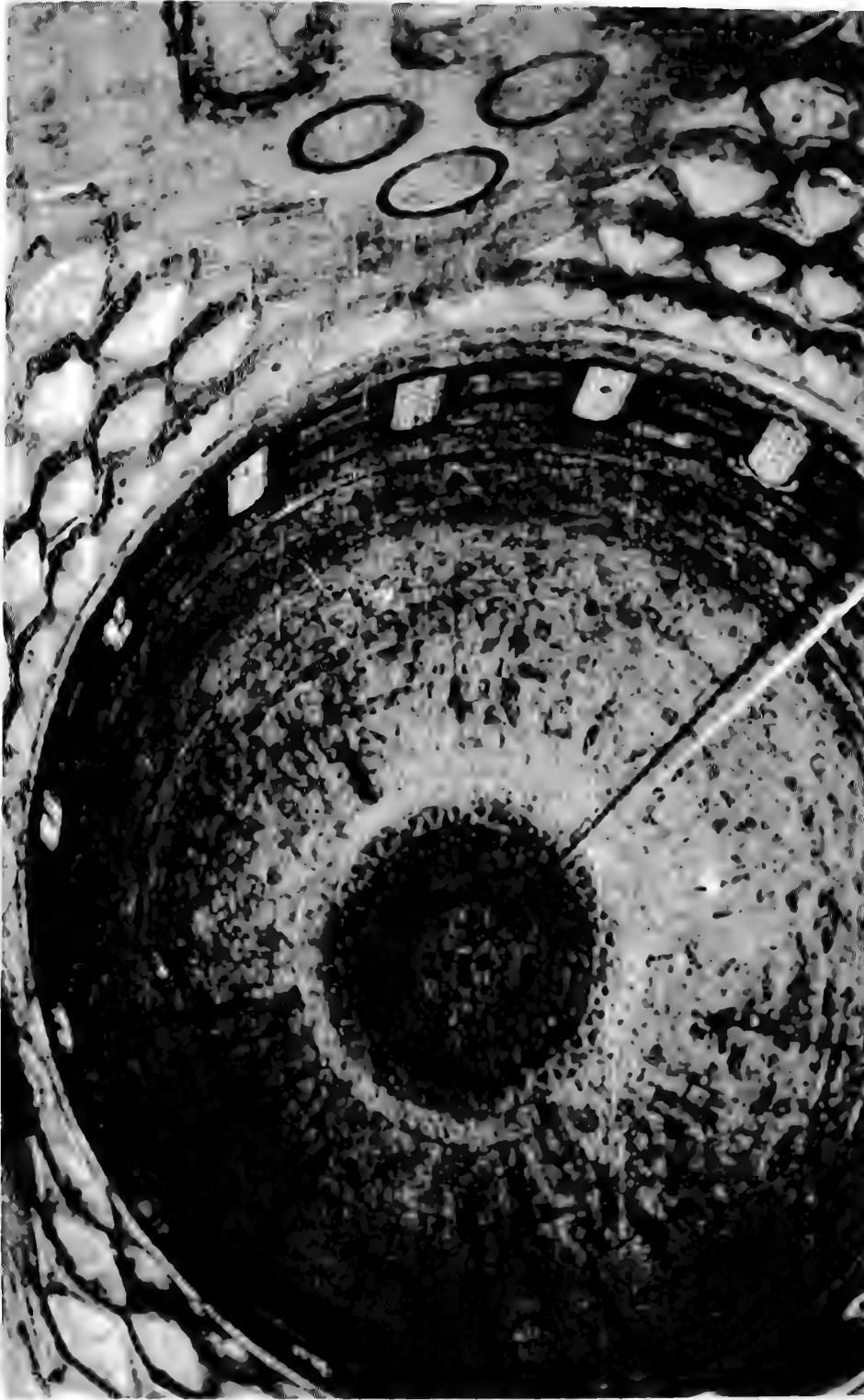
لوحة رقم (٢٥) الايوان الغربى المقابل لايوان القبلة تنصده دكة
المبلغ مدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٦) قبر مروحي ينفطى صحن مدرسة خاير بك



لوحة رقم (٢٧) مدرسة خاير بك من الداخل نقلا عن (سنة ١٩٠٣
Franz) توضح القبور المروحية الذى يغطى
وسط المدرسة



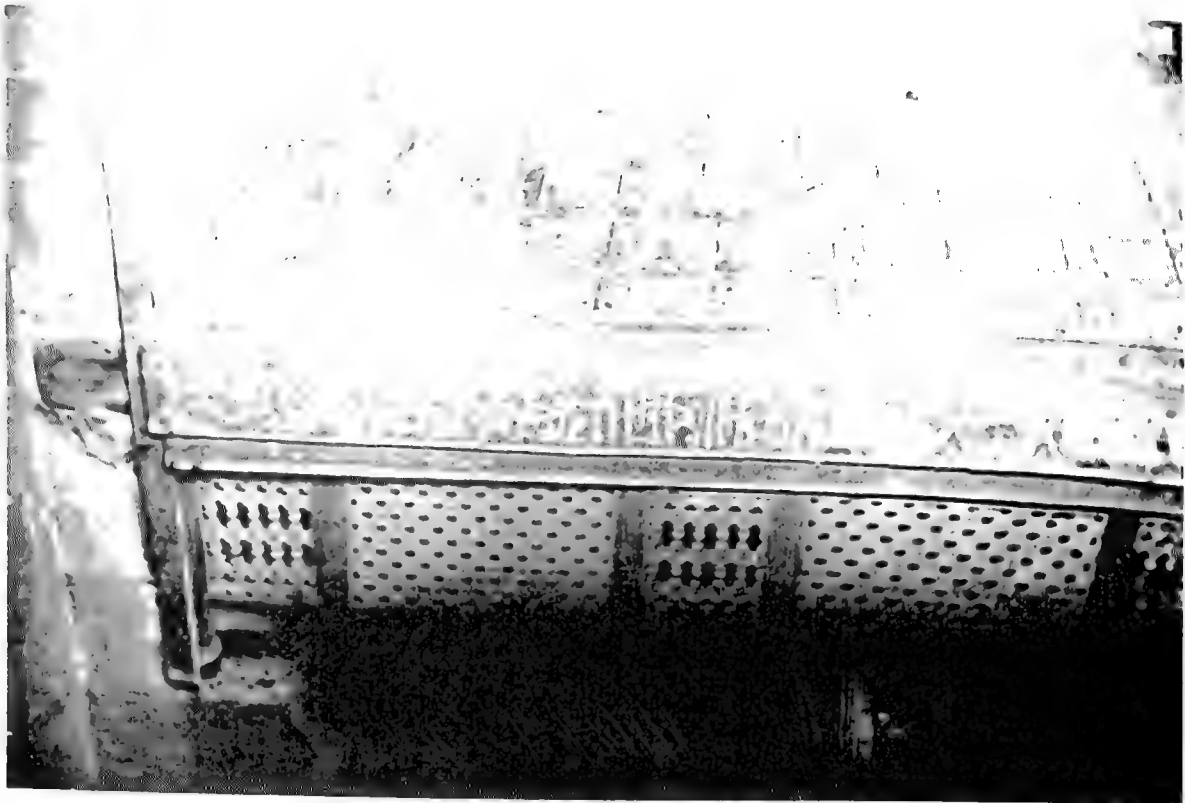
لوحة رقم (٢٨) القبة الكبرى بمدفن مدرسة خاير بك وقد فتحت
في قبتها ستة عشرة نافذة وكتب في قطبها نص
قرأني



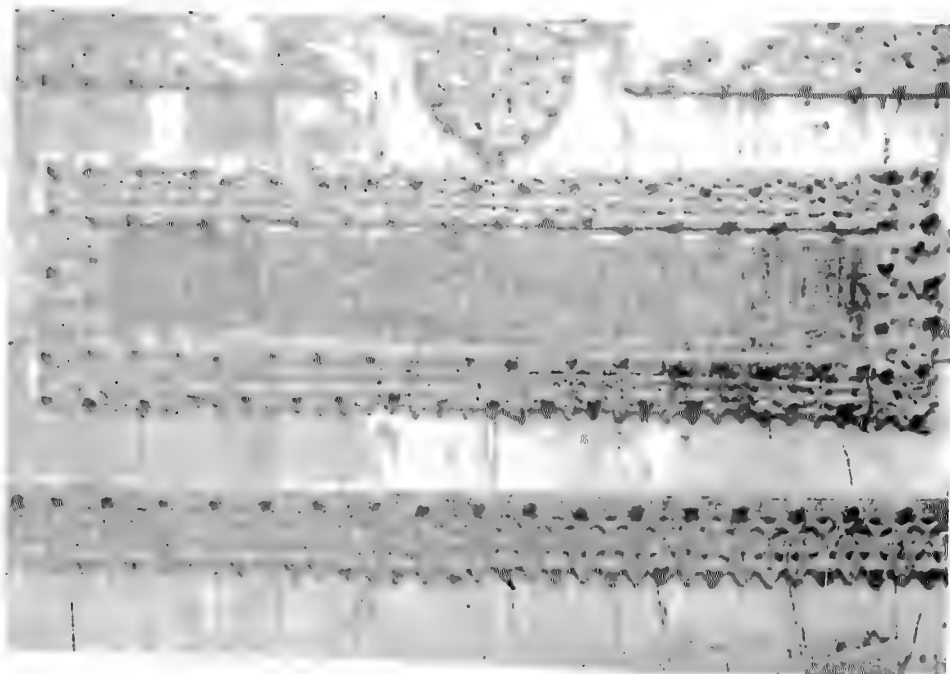
لوحة رقم (٢٩) منطقة الانتقال بقبة خاير بك



لوحة رقم (٣٠) القبة الصغيرة من الداخل الملحقة بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣١) شريط من الكتابة المحيط بدكة المبلغ وقد سجل
فيه تاريخ إنشاء المدرسة سنة ١٣٣٧ هـ بالايوان
الغربي بمدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣٢) النصب التذكاري بمصراع باب مدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣٣) زخارف حول رقبة القبة وسط الشريط الكتابي
مسجد خاير بك

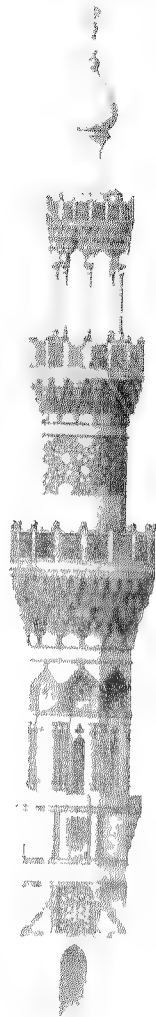


لوحة رقم (٣٤) شريط من الكتابة يعلو الوزرة الرخامية المحيطة بجدران مدرسة خاير بك



لوحة رقم (٣٥)

شريط كتابي يحتوى على نص قرآني يحيط بأعلى
جدران المدفن الصغير بمدرسة خاير بك

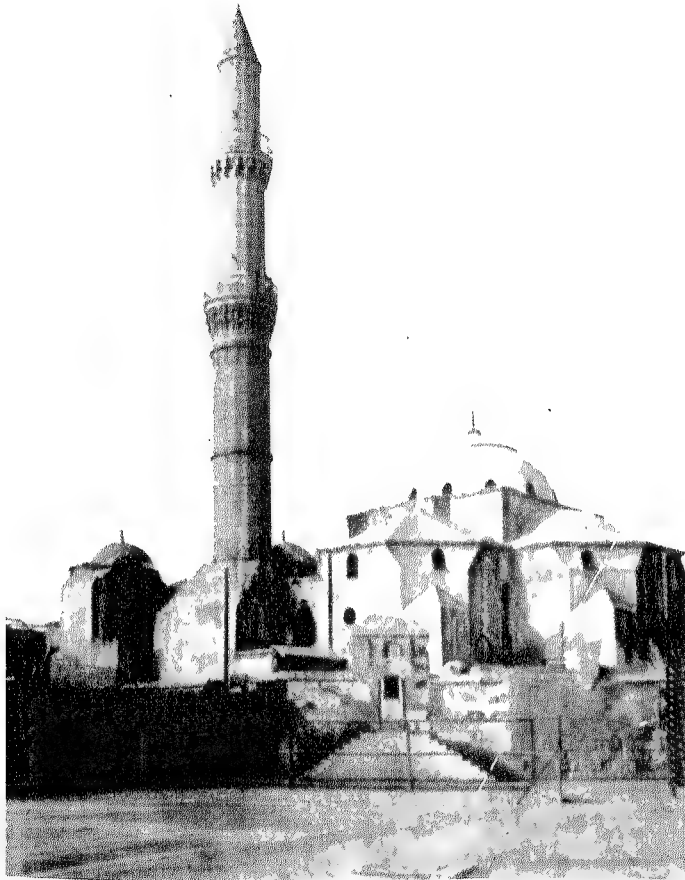


لوحة رقم (٣٦)

مشروع تكملة مئذنة مدرسة خاير بك نقلا عن
مصلحة الآثار



لوحة رقم (٣٧) الواجهة الشمالية الغربية لزواية حسن الرومي
أوزاوية العمود الذي نراه يشغل الفتحة التي
تعلو باب المدخل الرئيسي للزواية



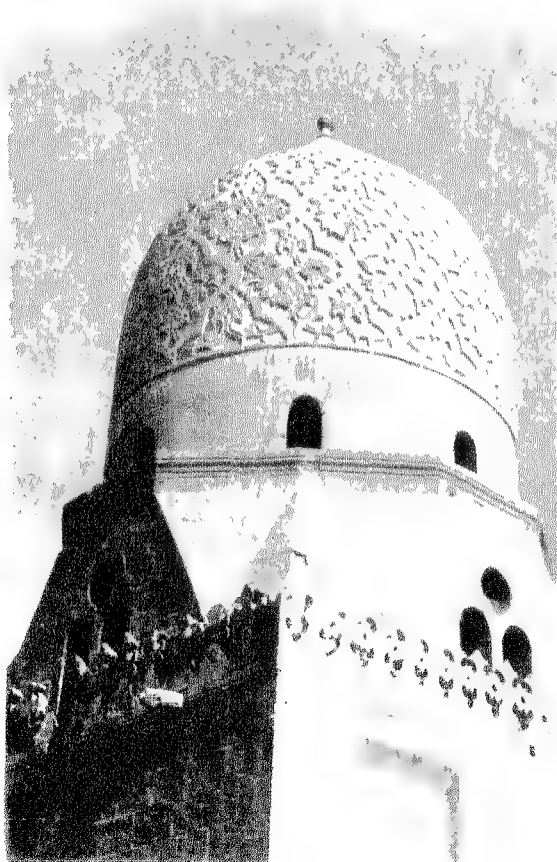
لوحة رقم (٣٨) مئذنة جامع سليمان باشا



لوحة رقم (٣٩) تبين البلاطات الخزفية بقية الشيخ مسعود

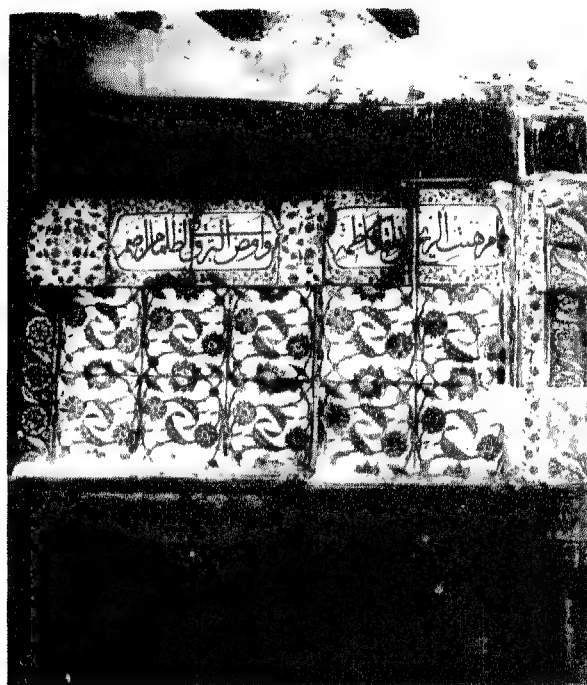


لوحة رقم (٤٠) تبين البلاطات الخزفية التي تكسر (النقيس) أعلى
بواقعة بكية الأمير سليمان



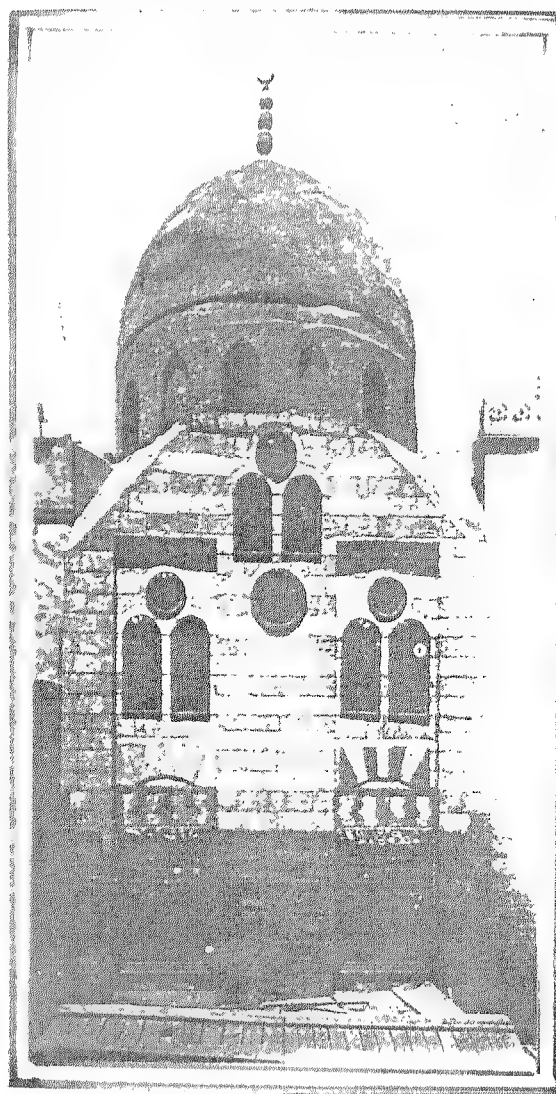
لوحة رقم (٤١)

تبين البلاطات الخزفية برقبة الأمير سليمان باشا

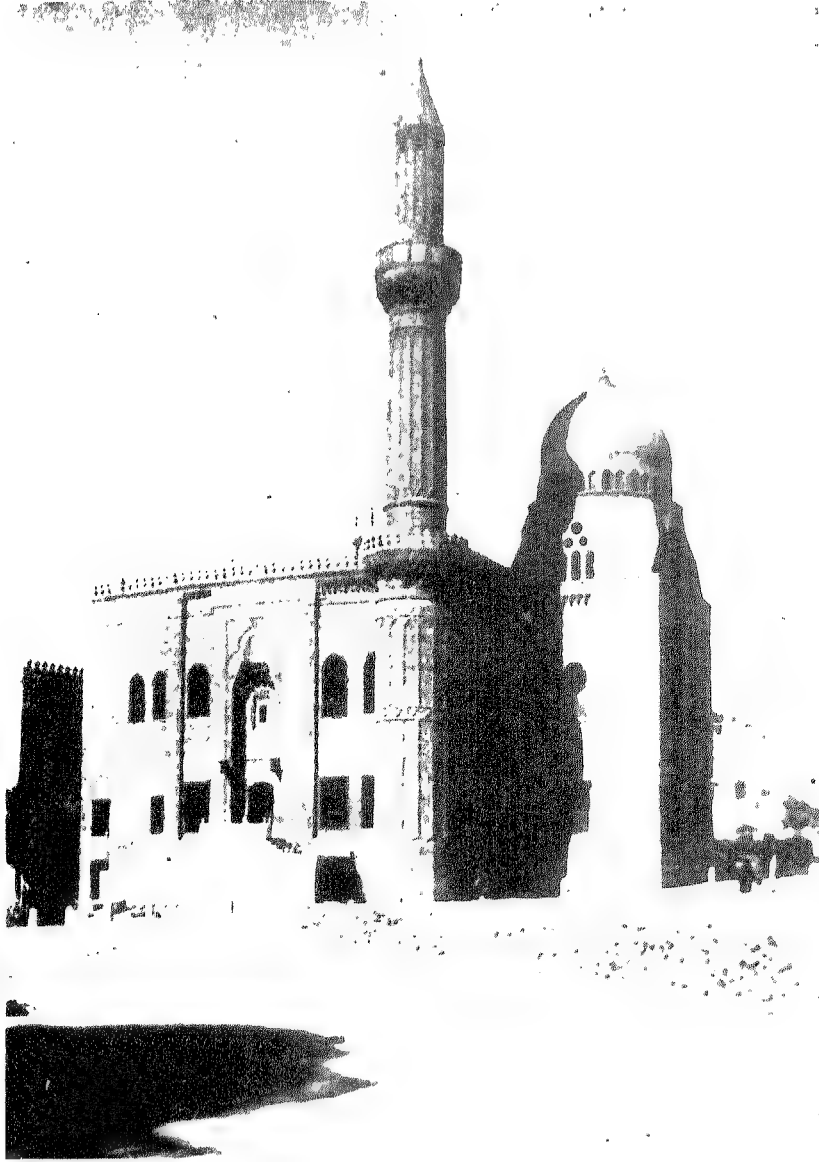


لوحة رقم (٤٢)

تبين زخارف البلاطات التي كانت تكسو جدران
مسجد الخضيرى



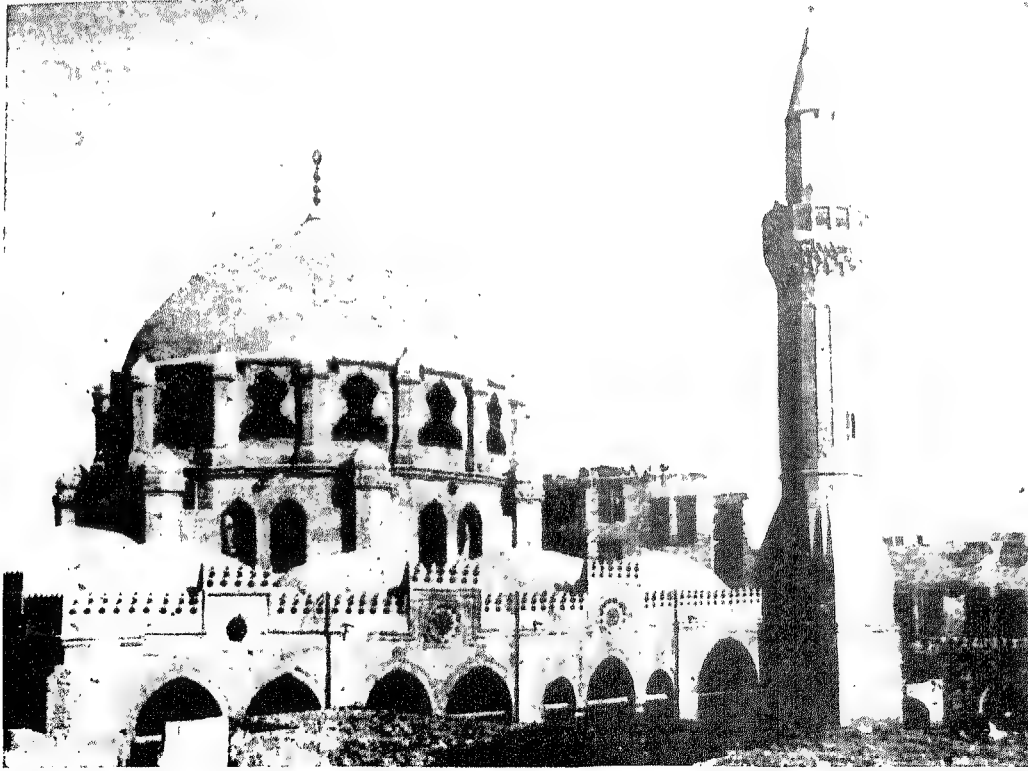
لوحة رقم (٤٣) قبة الشعراوي



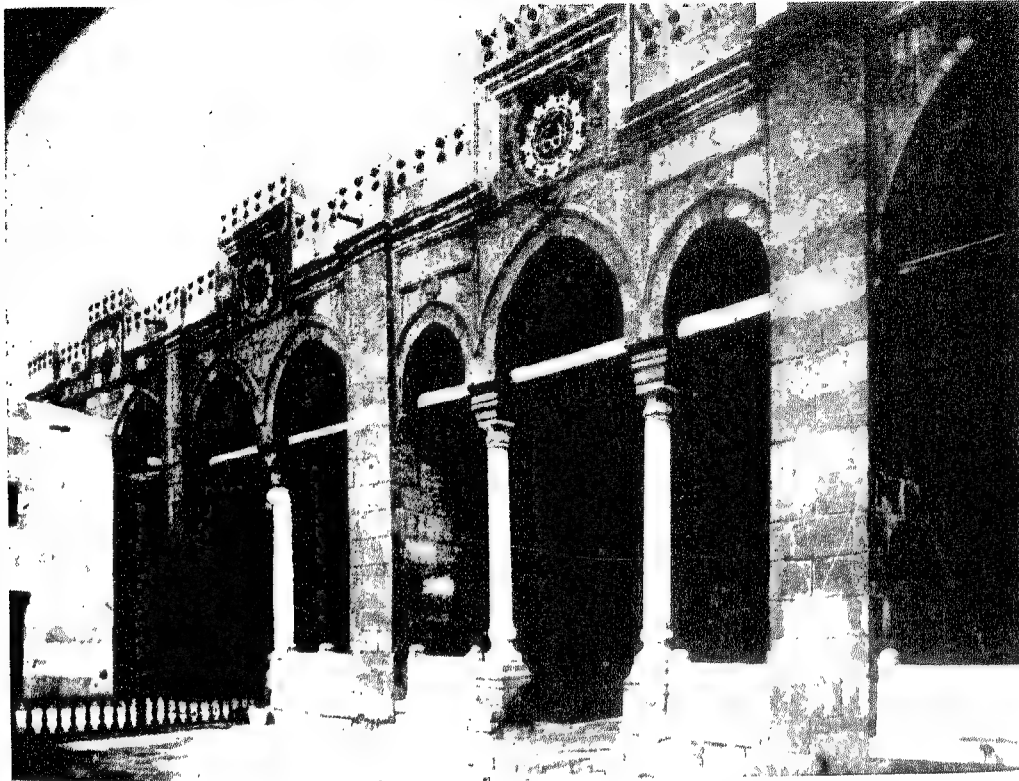
لوحة رقم (٤٤) الممودة الواجهة الرئيسية



لوحة رقم (٤٥) داخل قبة الصخرة



لوحة رقم (٤٦) الوجهة القبلية (مسجد سنان باشا)



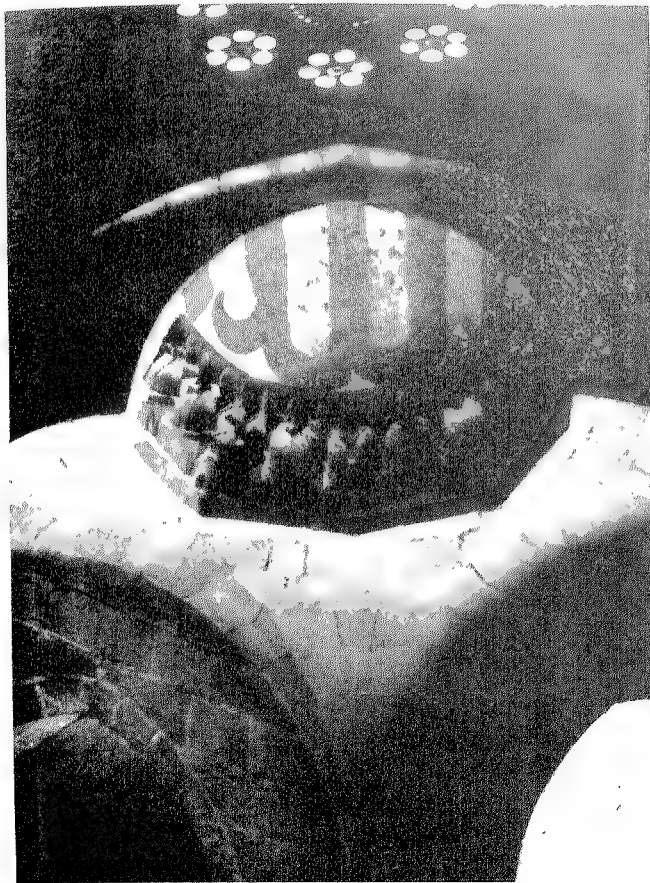
لوحة رقم (٤٧) وجهة الرواق القبلى الخارجى لجامع سنان باشا



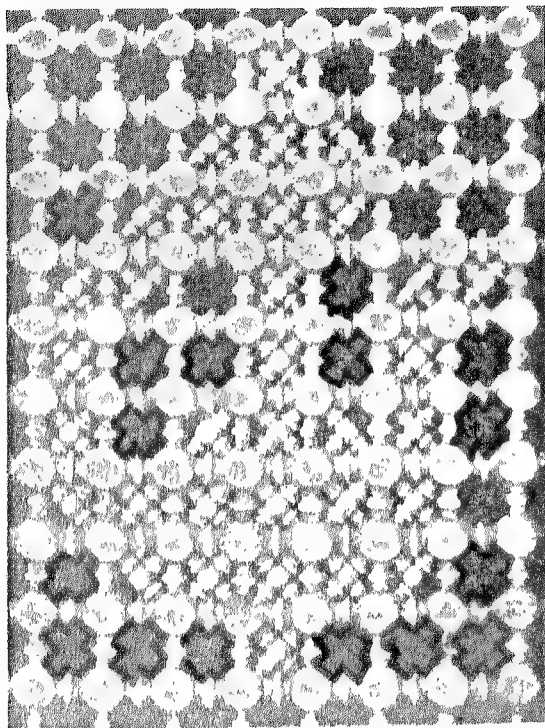
لوحة رقم (٤٨) قبة سنان باشا والدعائم المسادة هـ



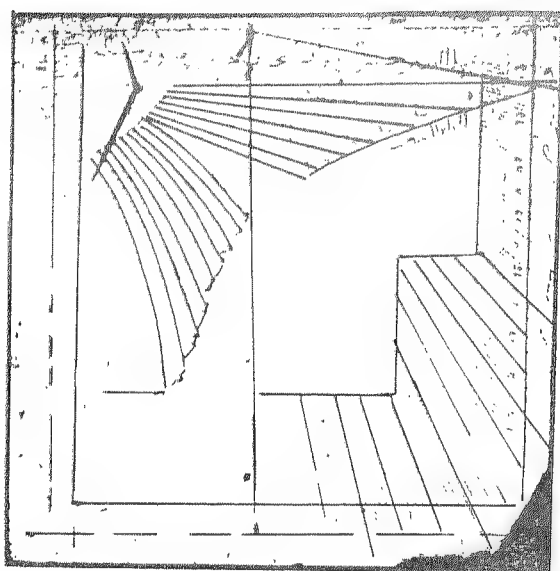
لوحة رقم (٤٩) الرواق الغربى الخارجى لسنان باشا



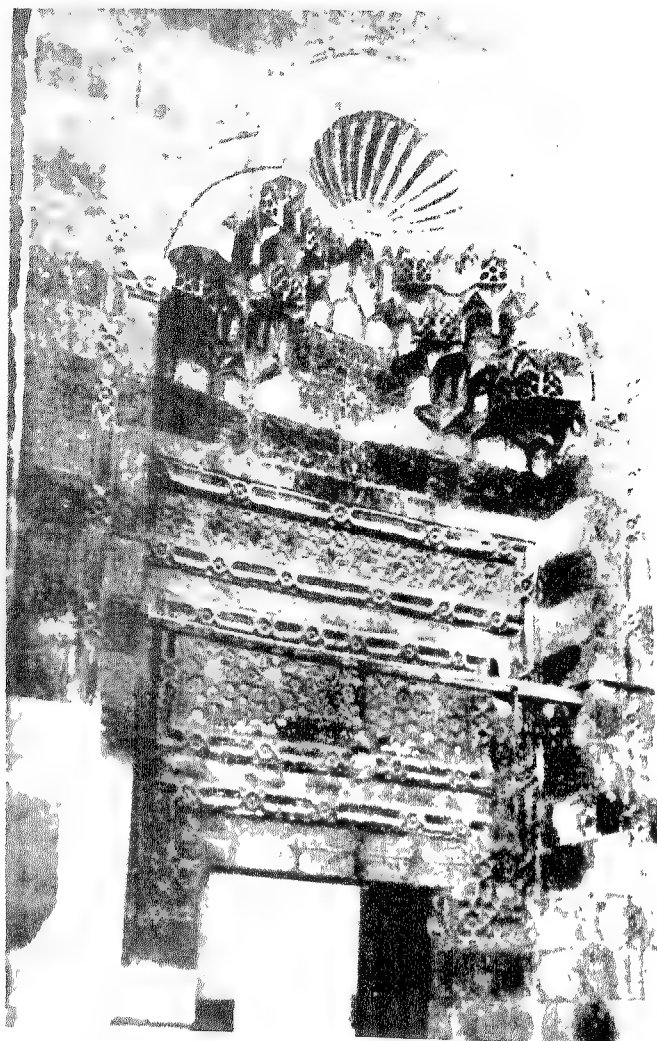
لوحة رقم (٥٠)
لفظ الجلالة في الفص العلوي من
عقد مدخل جامع سنان باشا



لوحة رقم (٥١) خشب خرط لمسجد سنان باشا



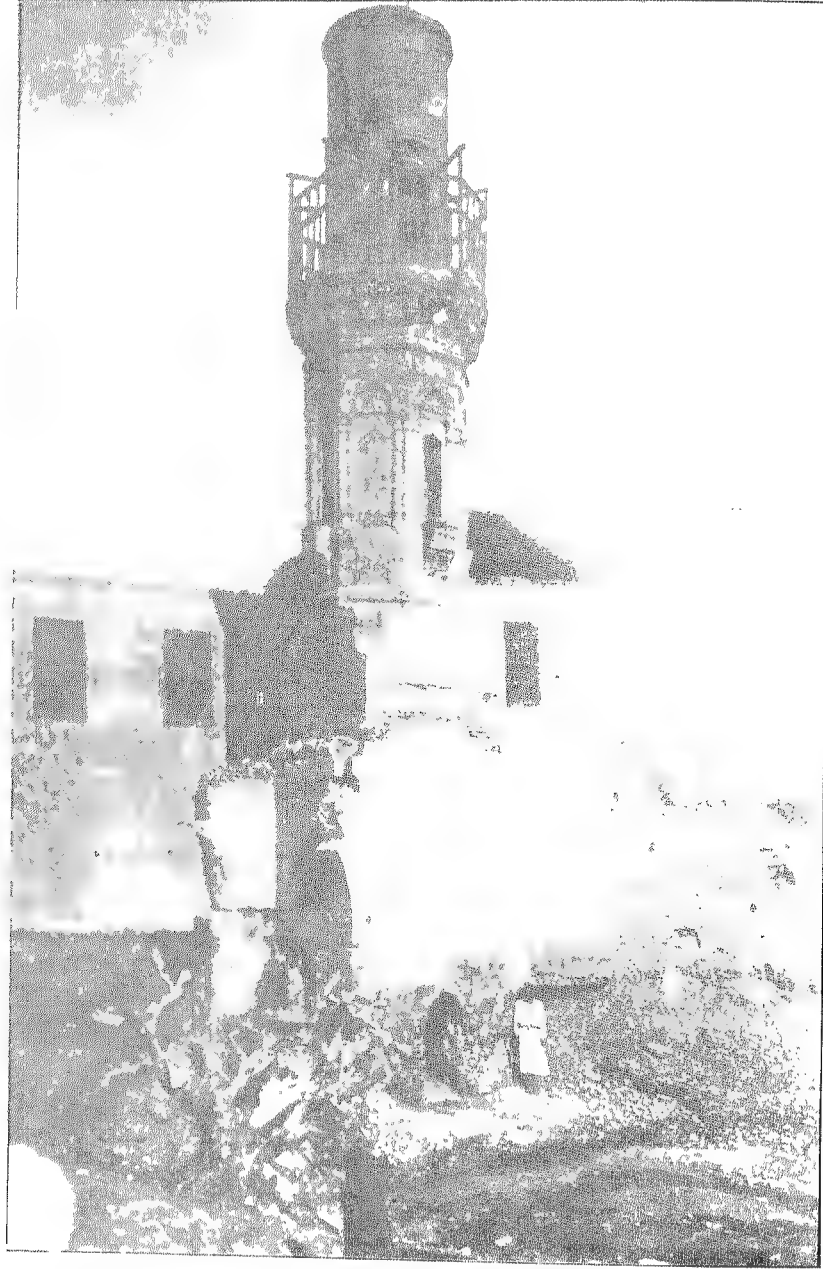
لوحة رقم (٥٢) مزولة مسجد سنان باشا



لوحة رقم (٥٣) الباب الداخل
لمسجد كريم الخلوق



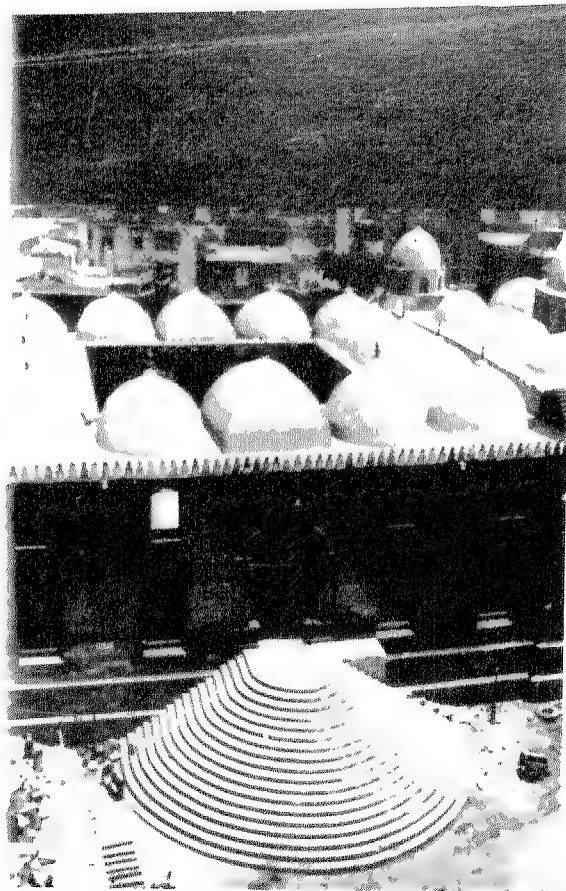
لوحة رقم (٥٤) الأيوان الشرقي لمسجد كريم الدين الخالوق



لوحة رقم (٥٥) تبين مئذنة مسجد السادات بمدينة بليس

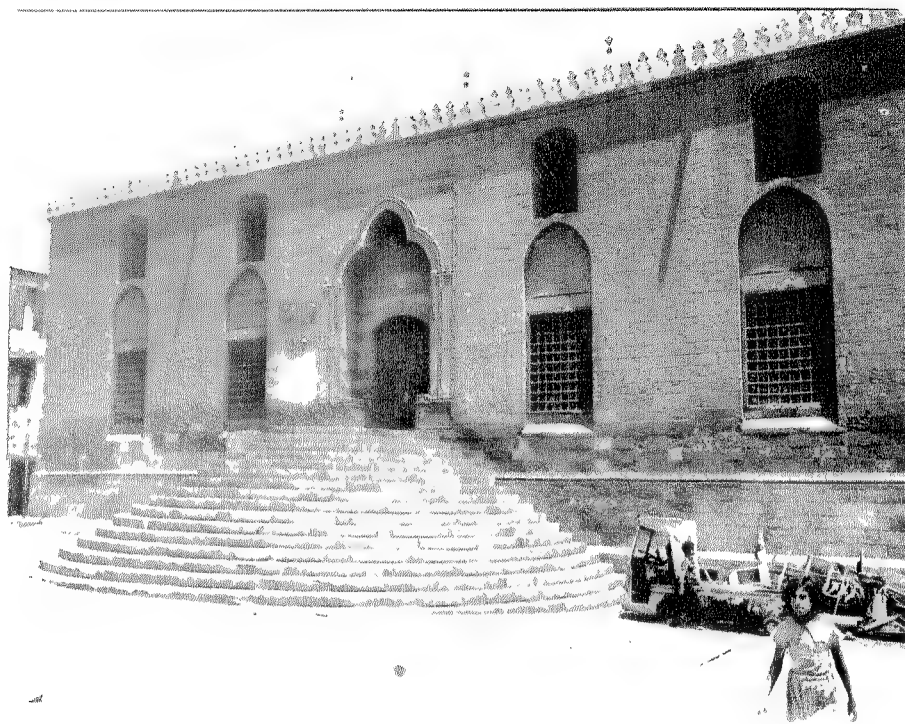
لوحة رقم (٥٦) الوجهة الغربية لمسجد الملكة صفية



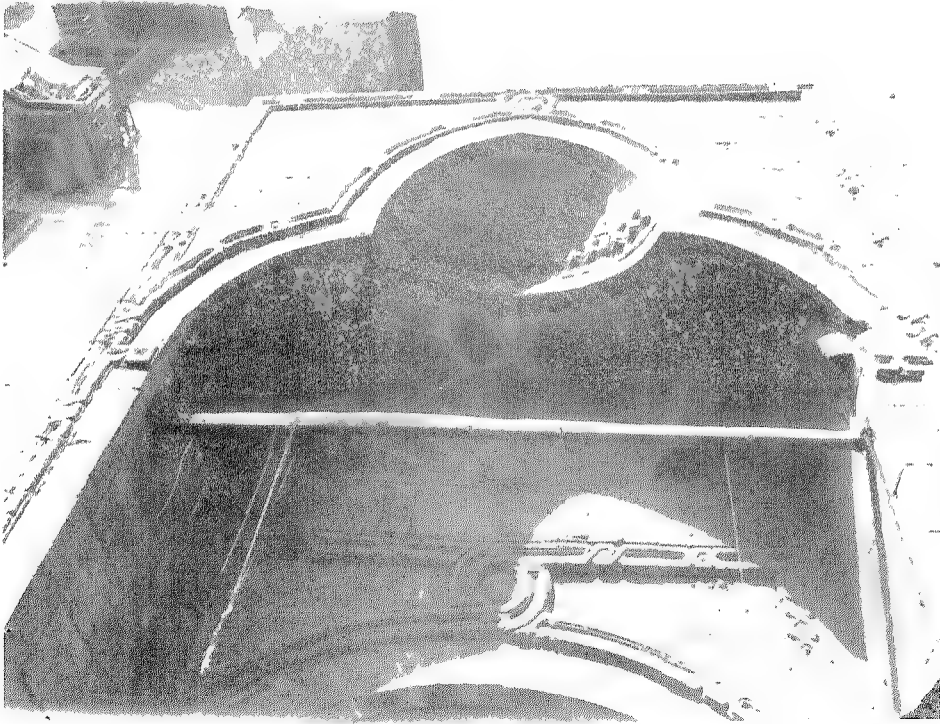


لوحة رقم (٥٧)

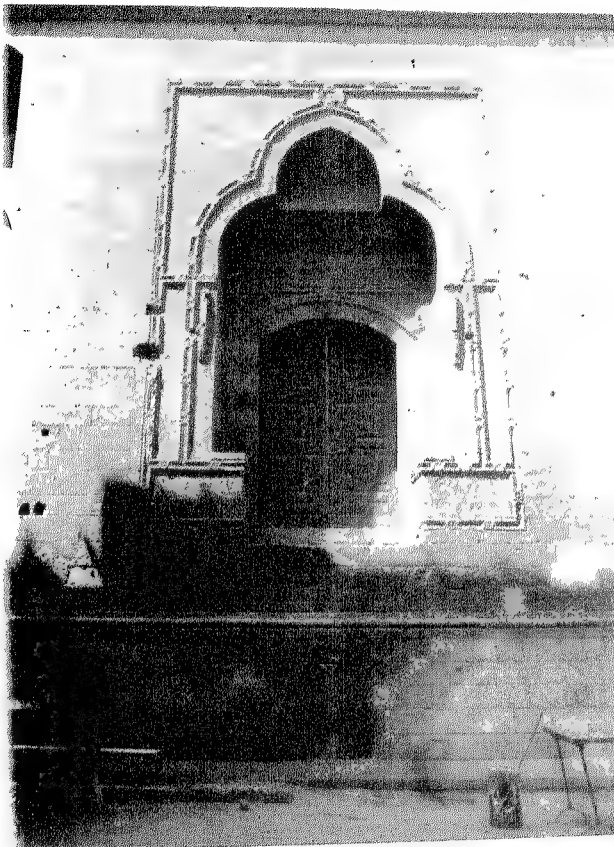
منظر علوى لجامع الملكة صفية من الخارج



لوحة رقم (٥٨) الدخلى الجنوبى لجامع الملكة صفية



لوحة رقم (٥٩) زخارف عقد المدخل الجنوبي لجامع الملكة صفية

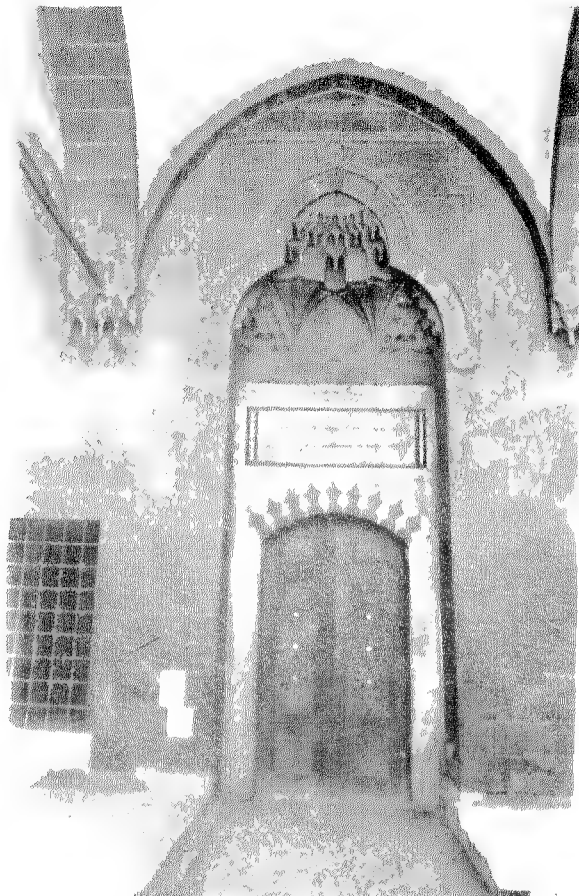


لوحة رقم (٦٠)

مدخل الجهة الشمالية لمسجد الملكة صفية

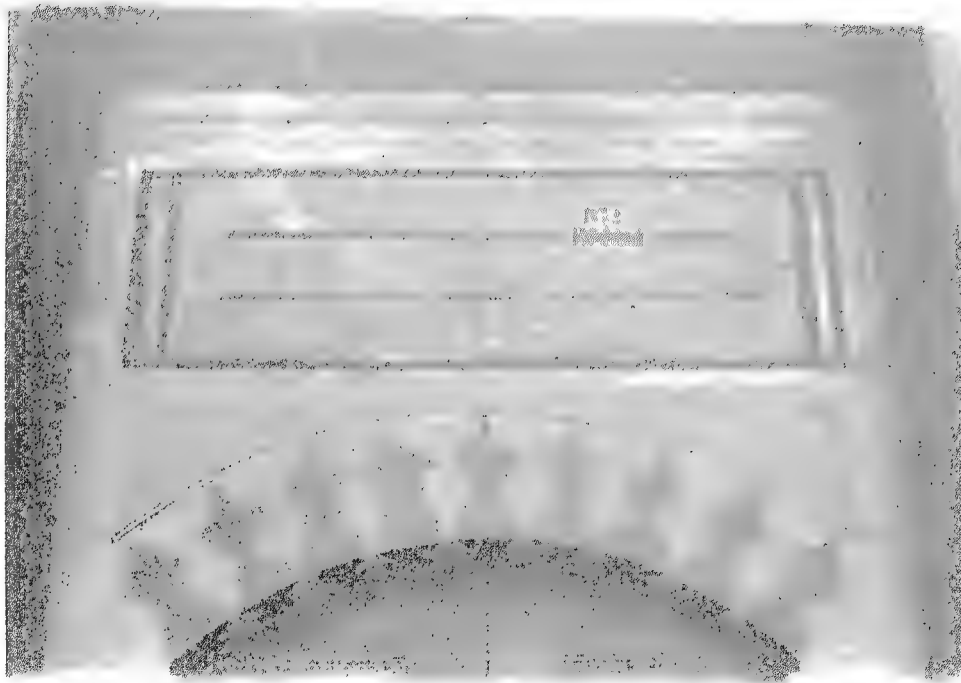


لوحة رقم (٦١) صحن مسجد الملكة صفية والأروقة التي تحيط به

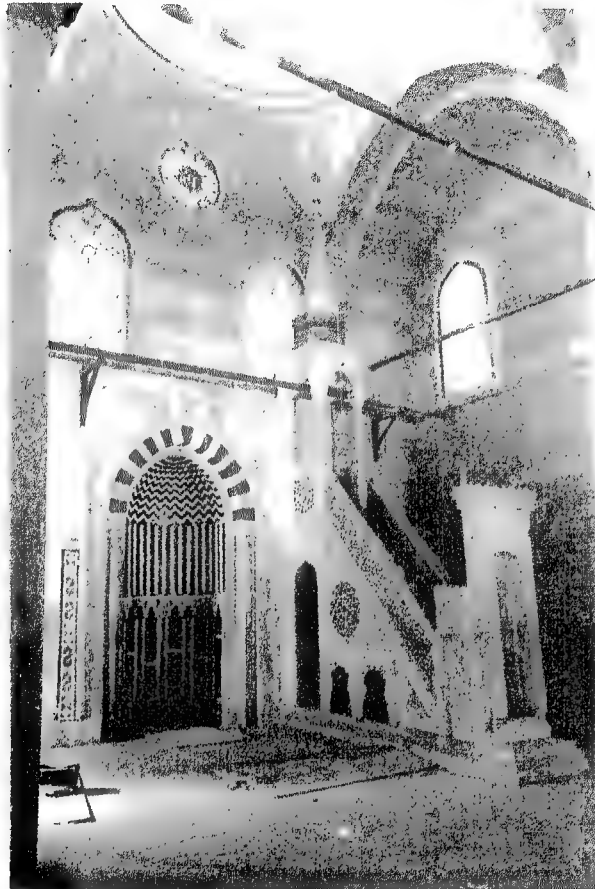


لوحة رقم (٦٢)

المدخل إلى مكان الصلاة في مسجد الملكة صفية



لوحة رقم (٦٣) اللوحة التذكارية التي تعلو مدخل مكان الصلاة
بجامع الملكة صفية

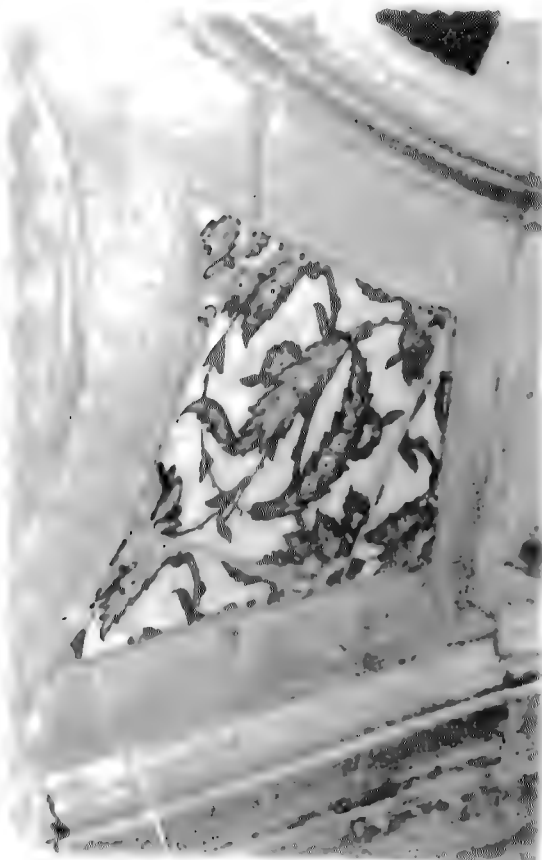


لوحة رقم (٦٤)
محراب ومنبر قبلة مسجد الملكة صفية



لوحة رقم (٦٥) محراب مسجد الملكة صفية

لوحة رقم (٦٦ ، ٦٧) تبين البلاطات الخزفية بمحراب مسجد
الملكة صفية





لوحة رقم (٦٨) الكوايل الساندة
التي تحمل قبة مسجد الملكة صنية



لوحة رقم (٦٩)
منذرة مسجد الملكة صنية



لوحة رقم (٧٠) تبين صحن المسجد اليوسفي بمدينة ملوى ومنذته
ويرجع إلى العصر العثماني



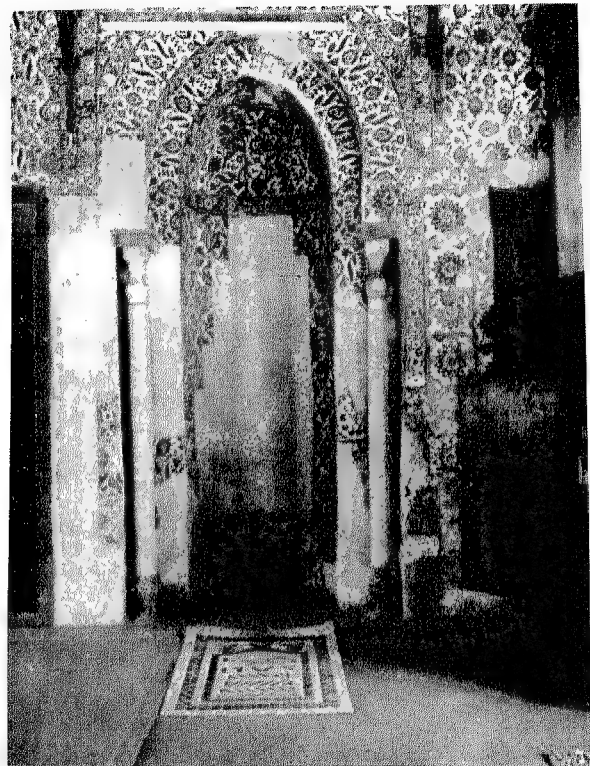
لوحة رقم (٧١) تبين مثذنة مسجد الأمير حماد بمدينة ميت غمر



لوحة رقم (٧٢) تبين ايوان القيلة بمسجد الأمير حماد بيت شعر
ويرجع إلى القرن السابع عشر



لوحة رقم (٧٣) جامع آلى برمق



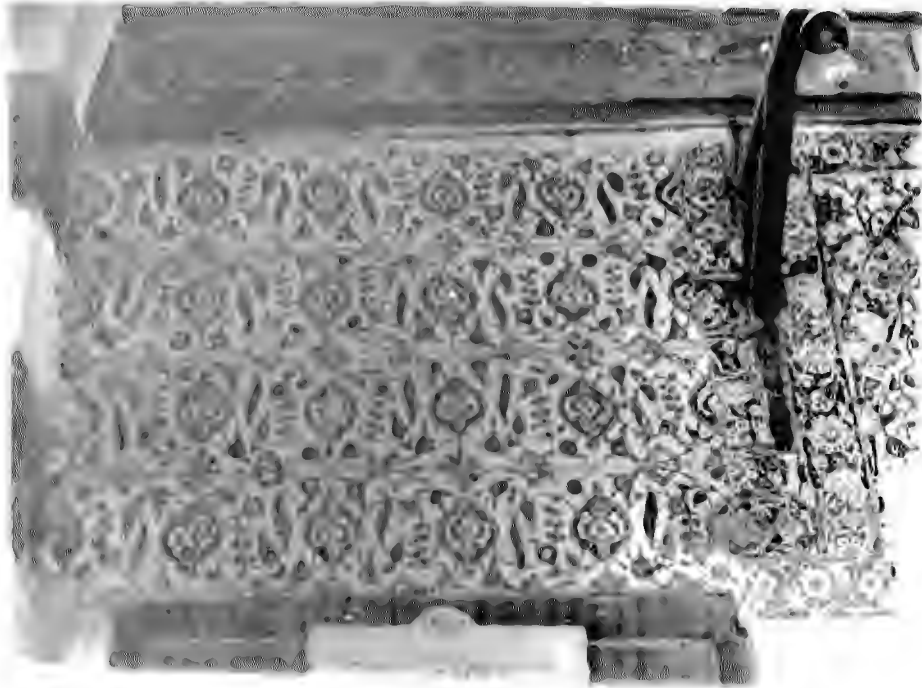
لوحة رقم (٧٤)

تبين البلاطات الخزفية التى تكسو محراب وجدران
مسجد آلى برمق

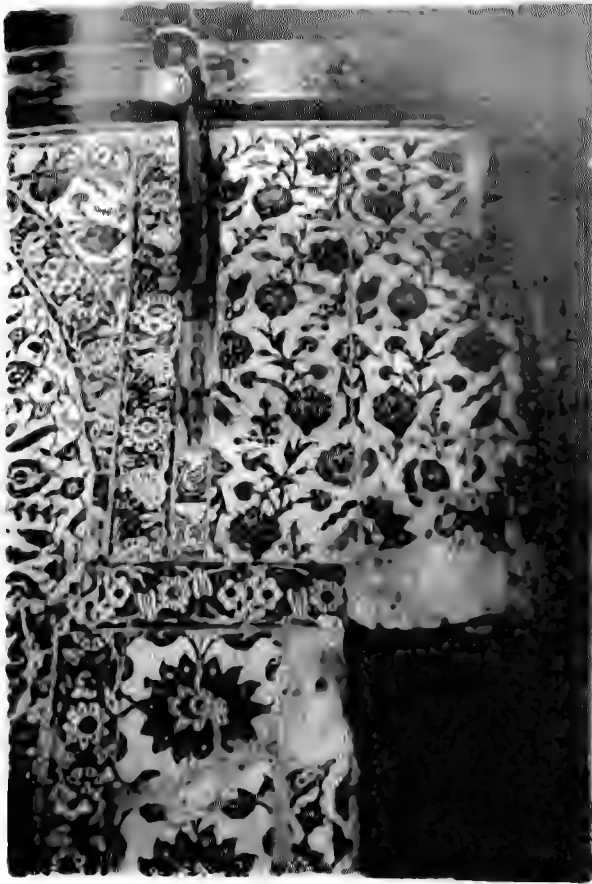


لوحة رقم (٧٥)

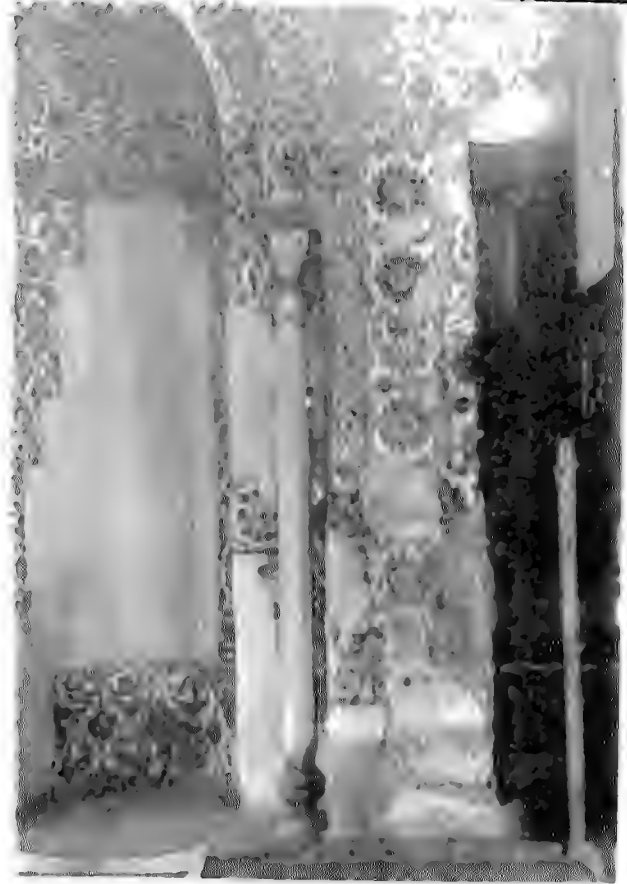
تبين البلاطات الخزفية التي تكسو طاقية محراب
آلى برمق وواجهة عقد، وعقد الدخلة التي
تتقدمه وأطار كوشاة



لوحة رقم (٧٦) تبين تفصيل البلاطات الخزفية على بين طاقية
محراب مسجد آلى برمق



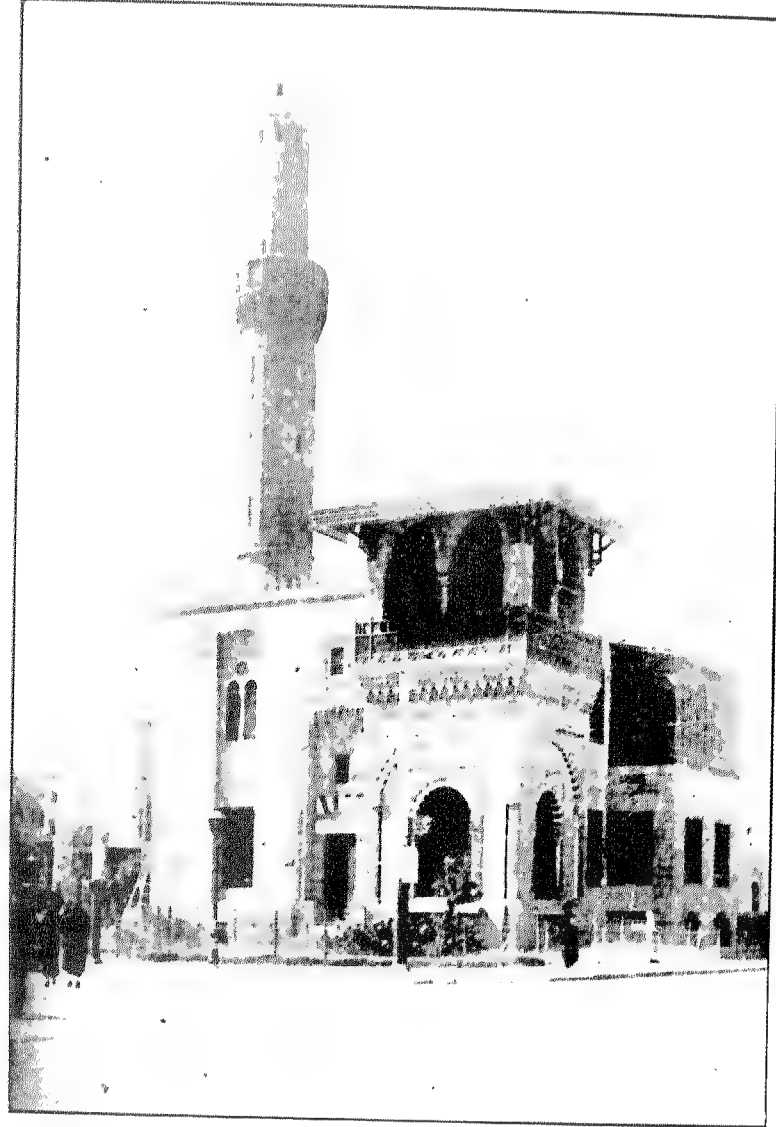
لوحة رقم (٧٨) تبين البلاطات الخزفية على يسار طاقية محراب
مسجد النى برمق



لوحة رقم (٧٧) تبين البلاطات الخزفية على يمين تجويف محراب النى
برمق



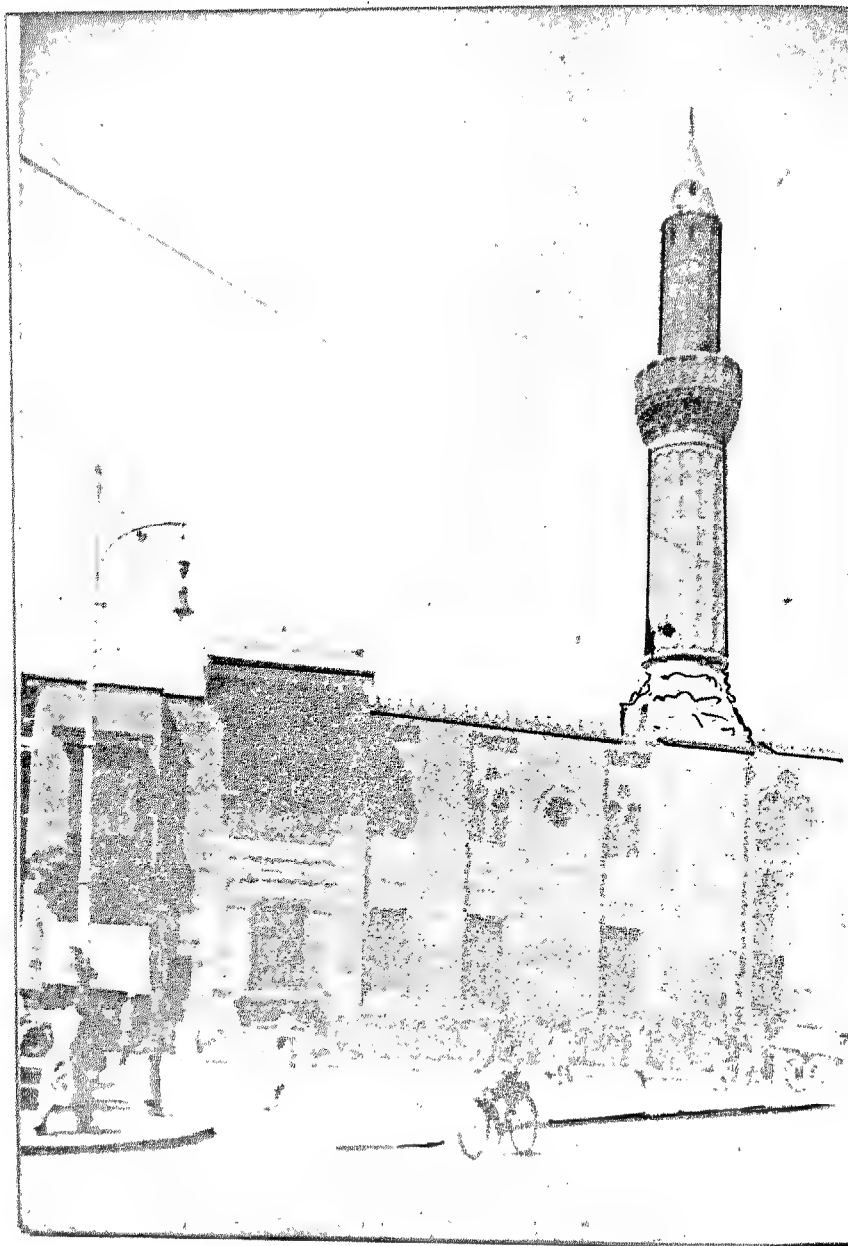
لوحة رقم (٧٩) إطار خشى يحيط بجدار مكان الصلاة بجامع النى برمق



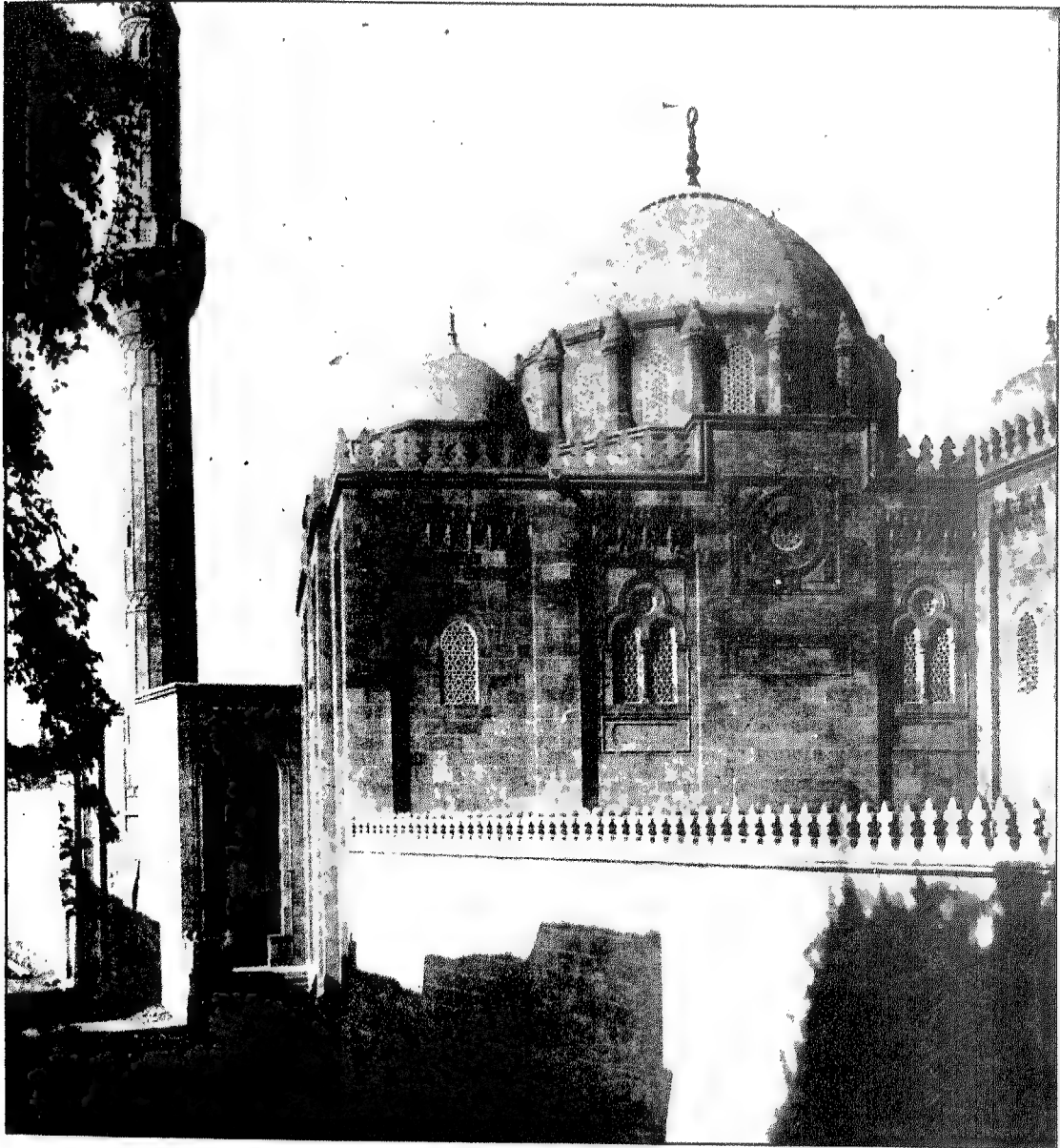
لوحة رقم (٨٠) الوجهة الشمالية وبها السبيل الجديد بمسجد يوسف
الحين



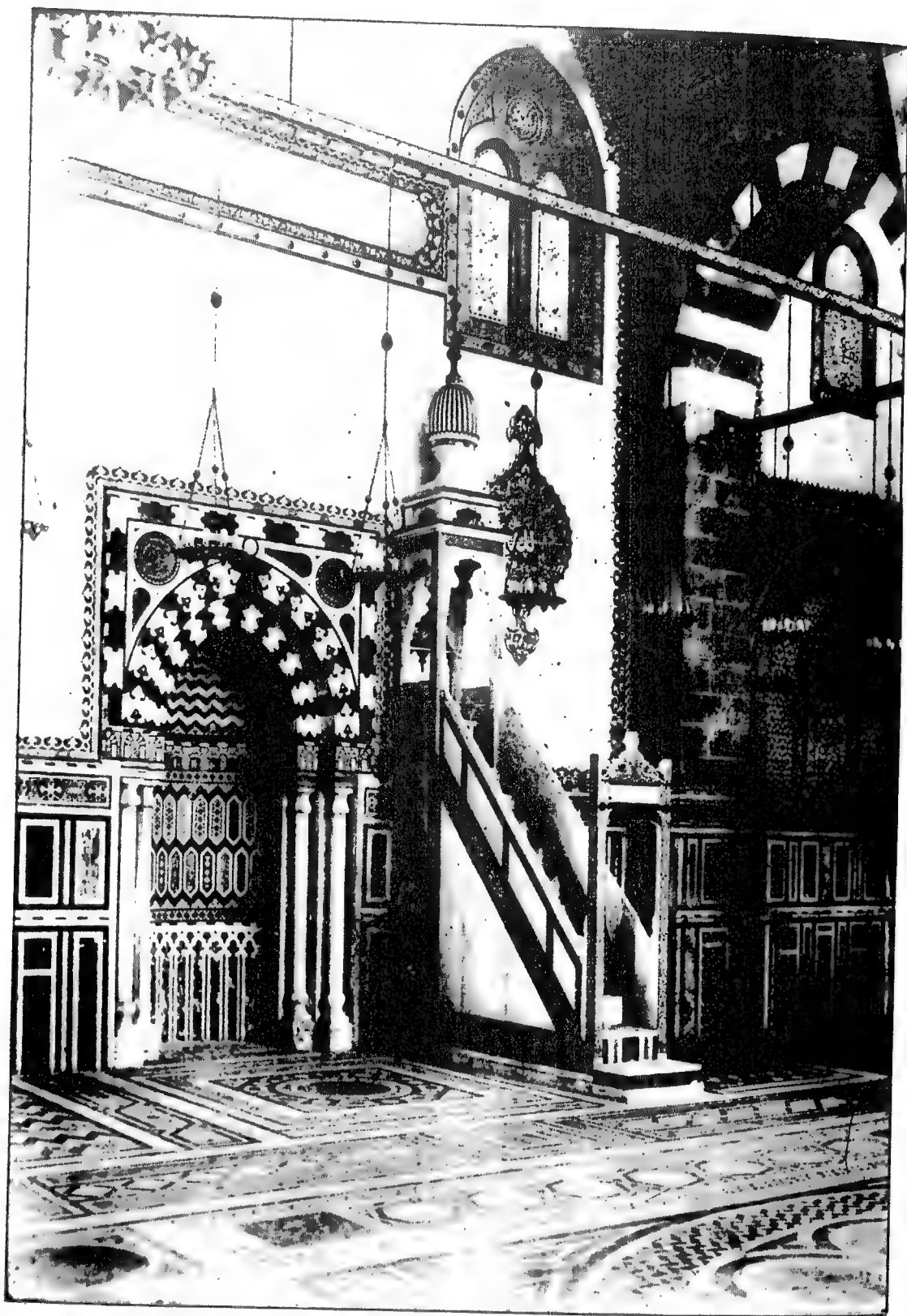
لوحة رقم (٨١) الواجهة البحرية وبها السبيل الجديد



لوحة رقم (٨٢) الواجهة الشرقية لمسجد يوسف الحرين



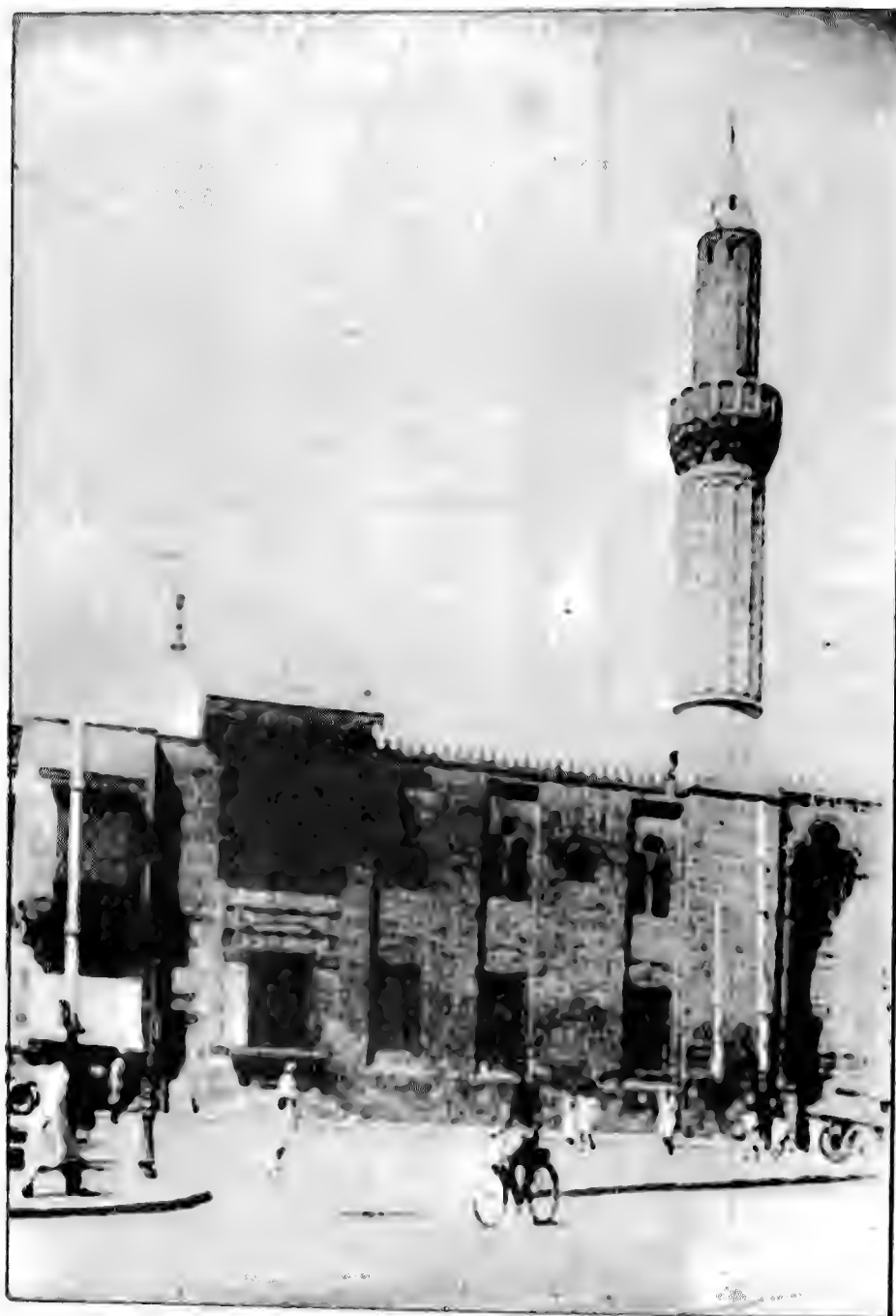
لوحة رقم (٨٣) الوجهة البحرية قبل تعلية السور لمسجد الفتح
الملكي (عابدين)



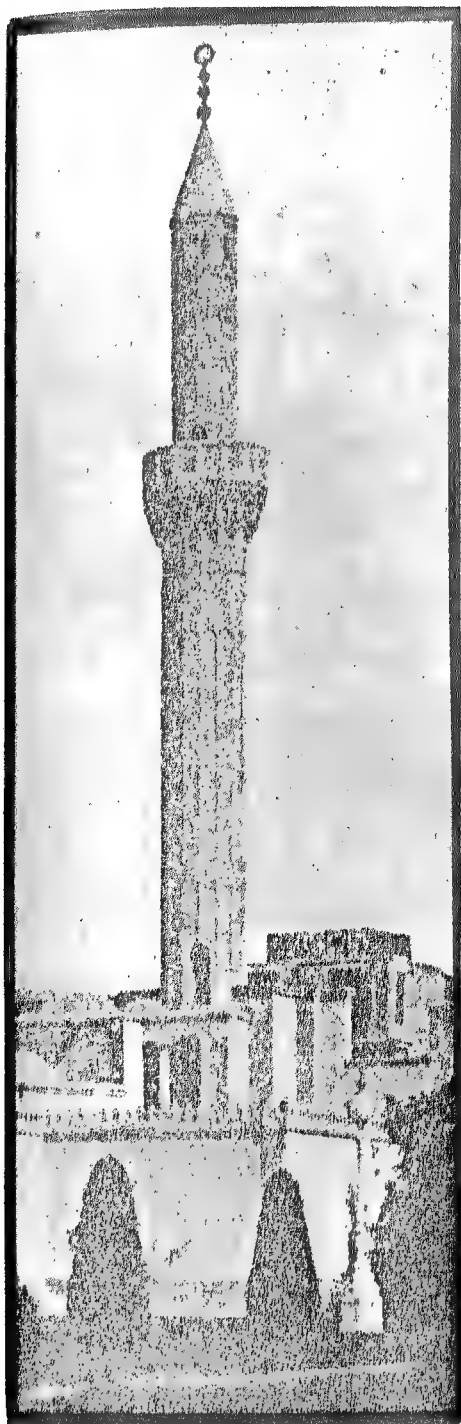
لوحة رقم (٨٤) المهراب والمنبر لمسجد الفتح الملكي



لوحة رقم (٨٥) الأيوان القبلي لمسجد الفتح الملكي



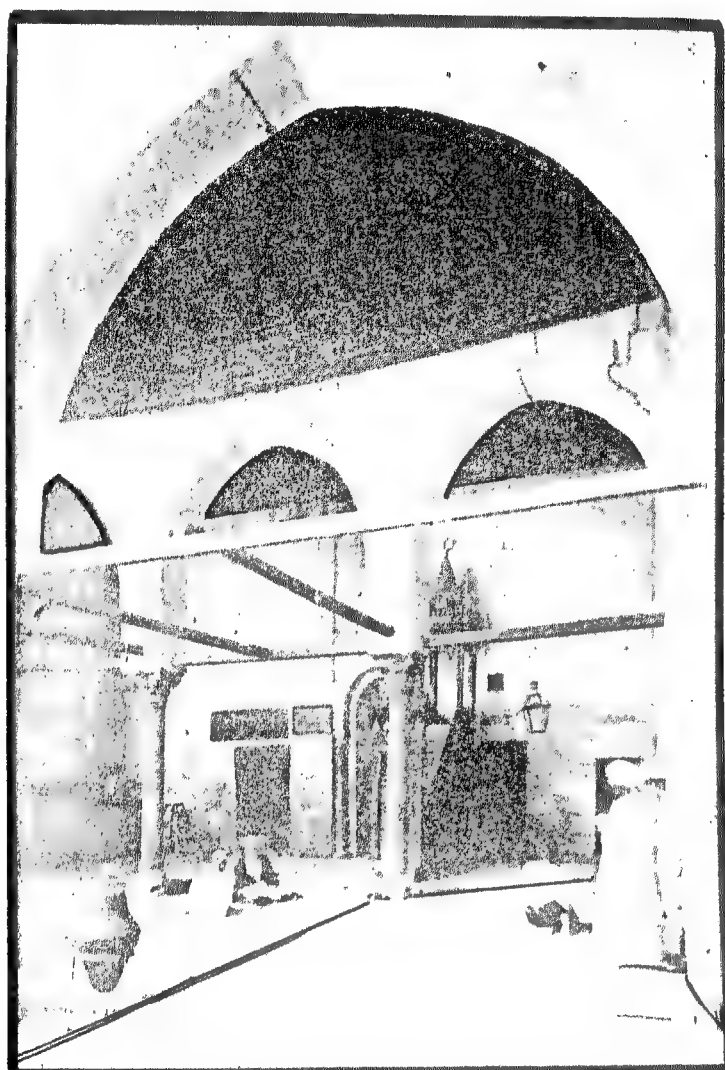
لوحة رقم (٨٦) الواجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين

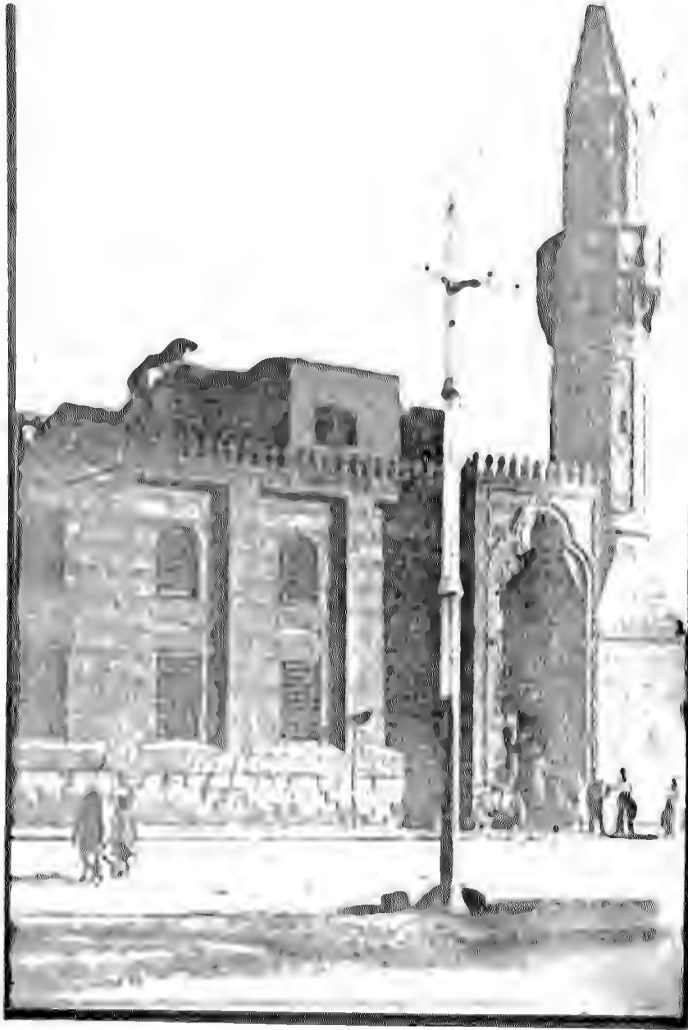


لوحة رقم (٨٧) منارة مسجد الفتح

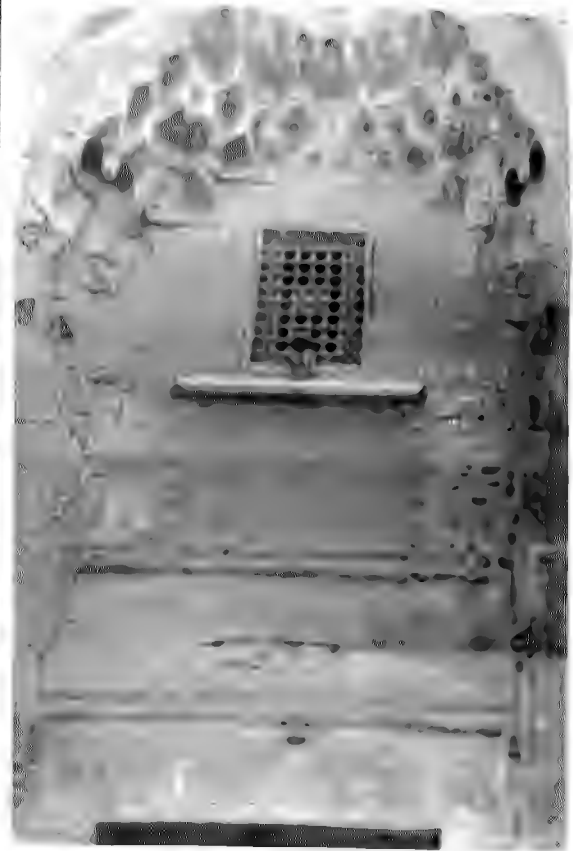


لوحة رقم (٨٨) داخل مسجد المدرسة القارقانية





لوحة رقم (٨٩) الوجهة الغربية لمسجد ذو الفقار



لوحة رقم (٩٠) تبين البلاطات الخزفية التي تزخر مدخل مسجد
ذو الفقار بك



لوحة رقم (٩١)
تبين البلاطات الخزفية التي تعلو
محراب مسجد ذو الفقار بك



لوحة رقم (٩٢) تبين منزل الحاج رمضان بمدينة رشيد ويرجع إلى
العصر العثماني



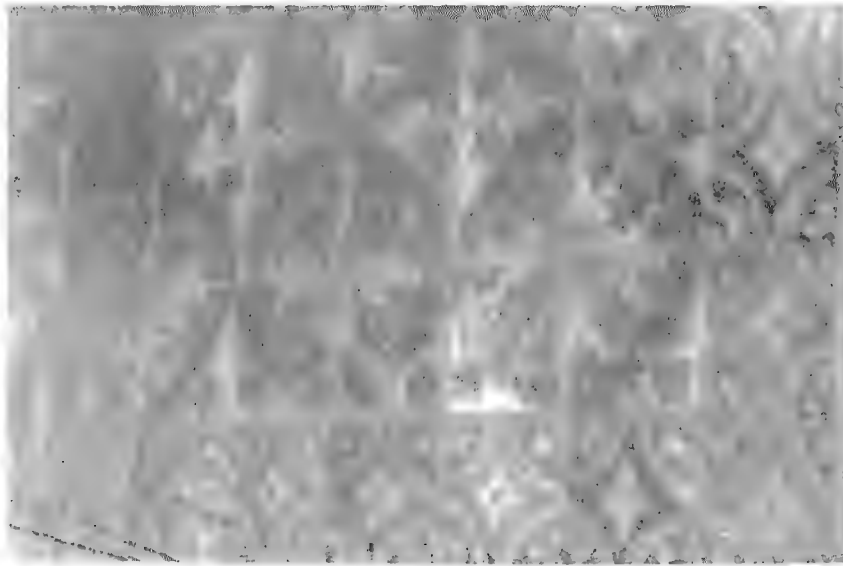
لوحة رقم (٩٣) ▲

تبين التصميم التقليدي للبلاطات التي تنكو
جدران آيوان القبلة لمسجد مصطفى جوريجي
ميرزا

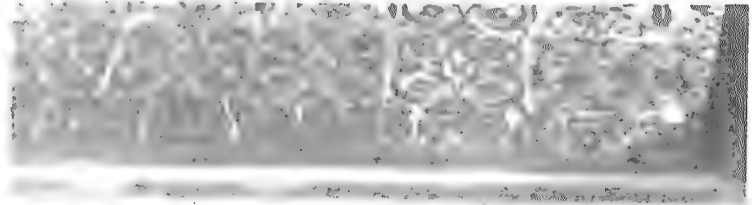


لوحة رقم (٩٤)

تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي
لآيوان القبلة لمسجد مصطفى جوريجي ميرزا

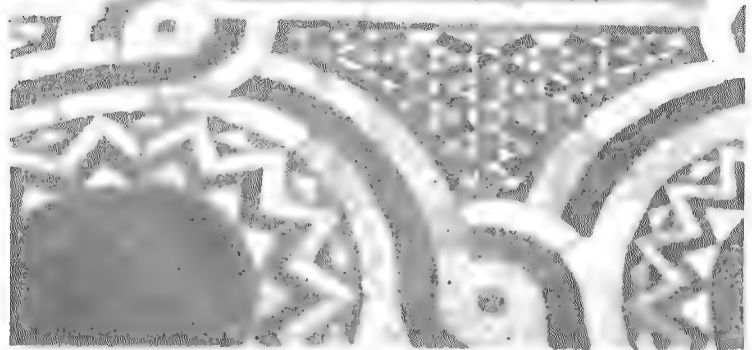


▲ لوحة رقم (٩٥) تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي
لايوان القبلة بمسجد مصطفى جوريجي ميرزا



لوحة رقم (٩٦)

تبين التصميمات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي
تكسو الجدار الشمالي الشرقى بأيوان القبلة بمسجد
مصطفى جوريجي ميرزا



لوحة رقم (٩٧)

توضح التصميمات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي
تكسو الجدار الشمالي الشرقى بأيوان القبلة بمسجد
مصطفى جوريجي ميرزا





لوحة رقم (٩٨) تين مسجد المجاهدين بمدينة أسبوط ويرجع
تأسيسه إلى العصر العثماني



لوحة رقم (٩٩) تبين المدخل الرئيسى لمنزل البحرى بمدينة أحميم



لوحة رقم (١٠٠) تمثل داخل مسجد الخطباء بمحلة أبو علي

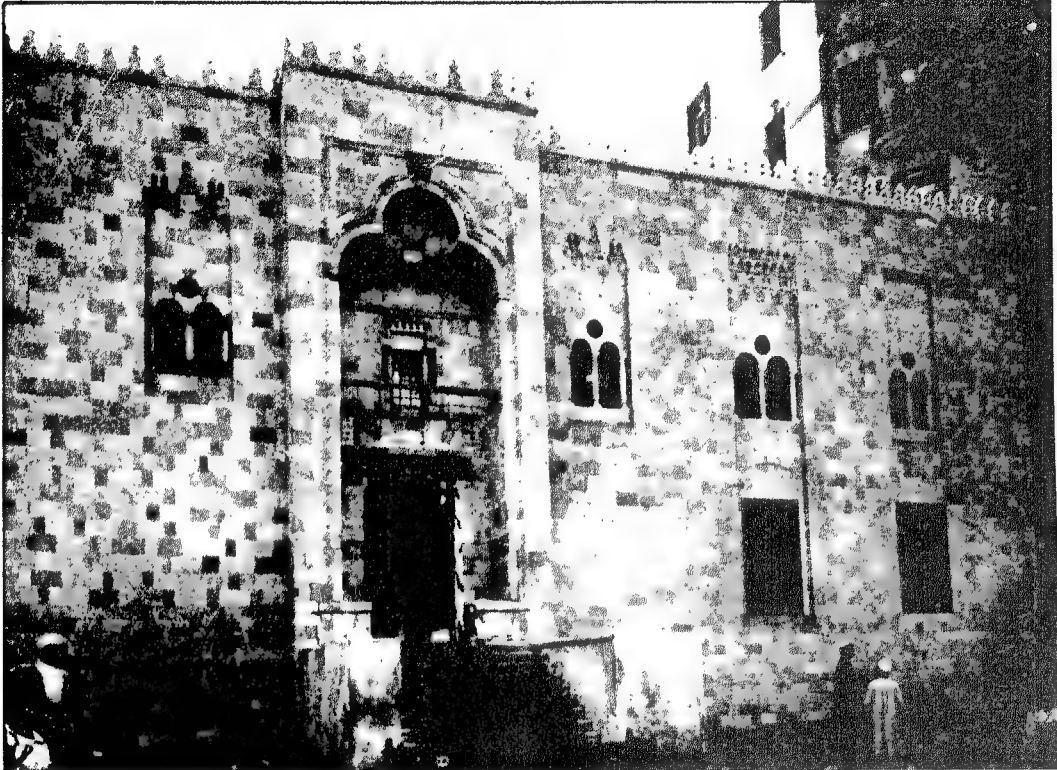


لوحة رقم (١٠١)

تبين البلاطات الزخرفية التي تكسو (فتحة
النفيس) التي تعلو مدخل زاوية عبد الرحمن
كتخدا

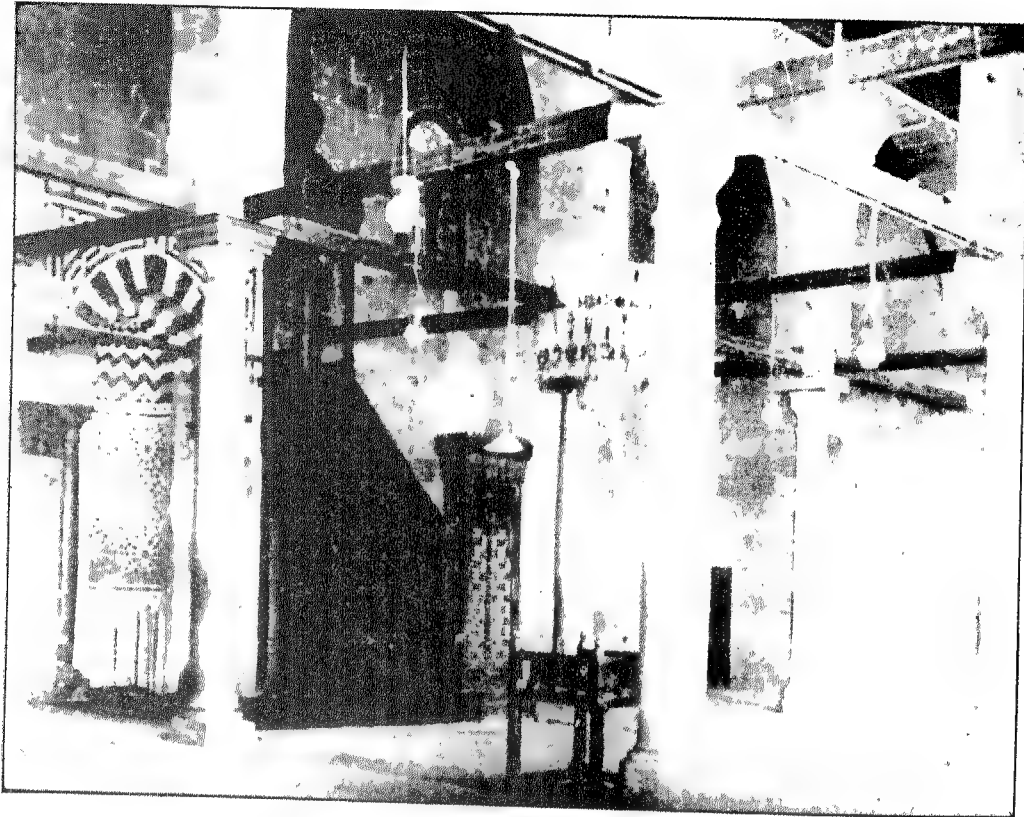
لوحة رقم (١٠٢)

الوجهة البحرية بعد إصلاحها وزيادتها



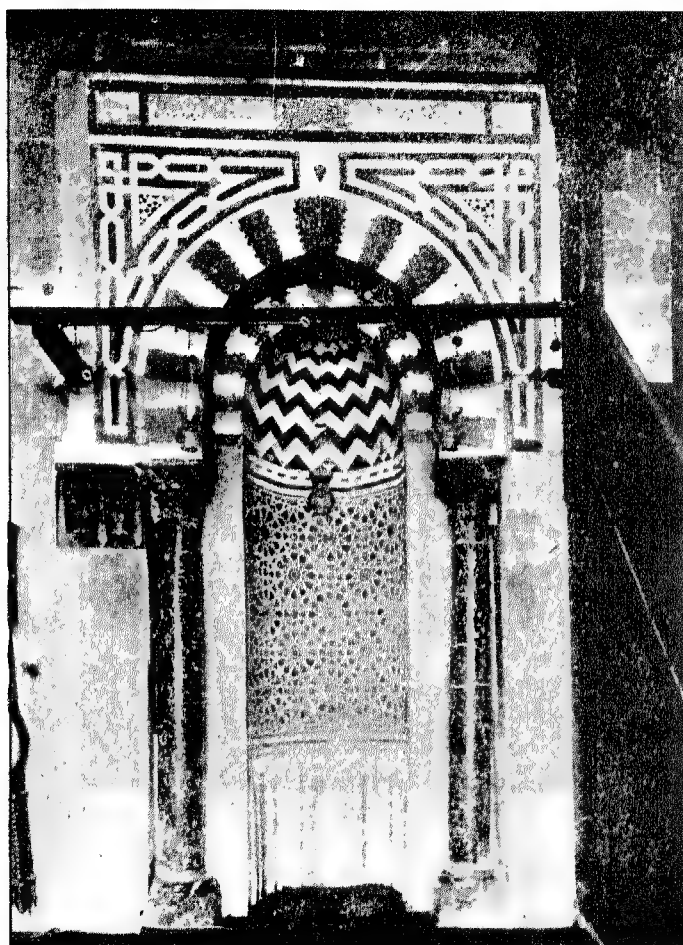
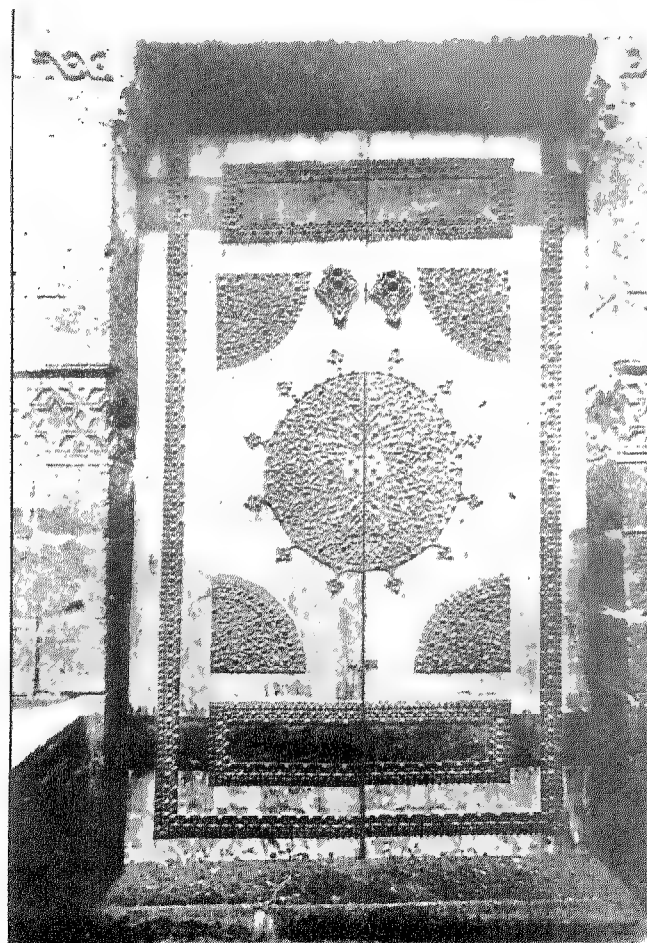


لوحة رقم (١٠٣)
تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد
عثمان كتنخدا



لوحة رقم (١٠٤) داخل مسجد عثمان كتنخدا

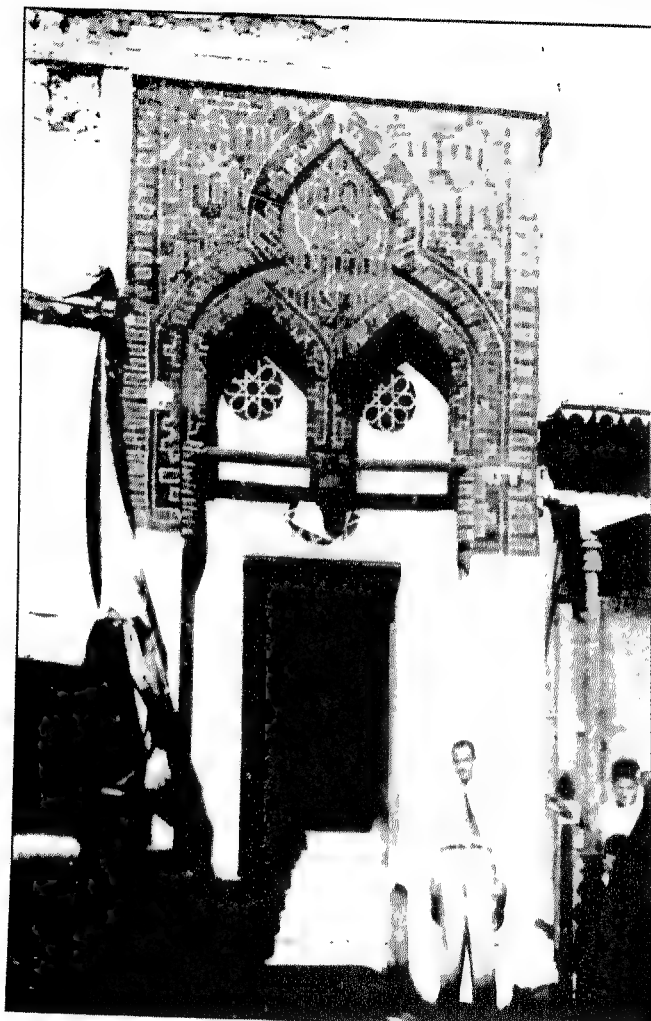
لوحة رقم (١٠٥) باب مسجد عثمان كتيخدا



لوحة رقم (١٠٦) تيين محراب مسجد عثمان كتيخدا



▲ لوحة رقم (١٠٧) الواجهة الجنوبية لمسجد الشوريجى بالاسكندرية



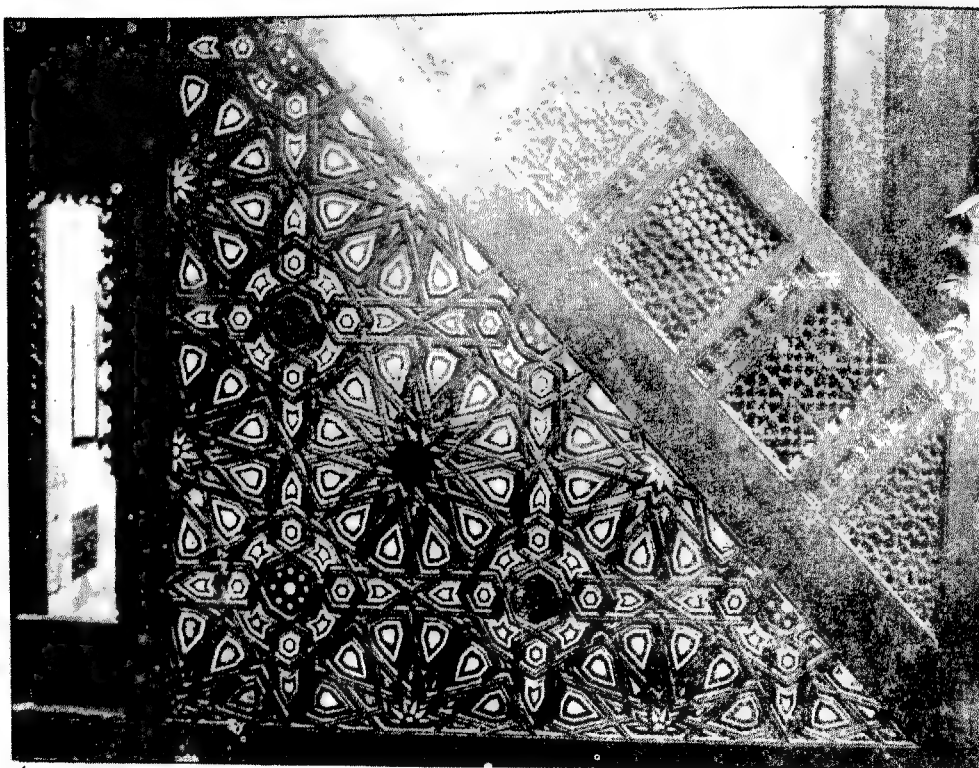
لوحة رقم (١٠٨)
الباب القبلى لمسجد عبد الباقي جوريجى



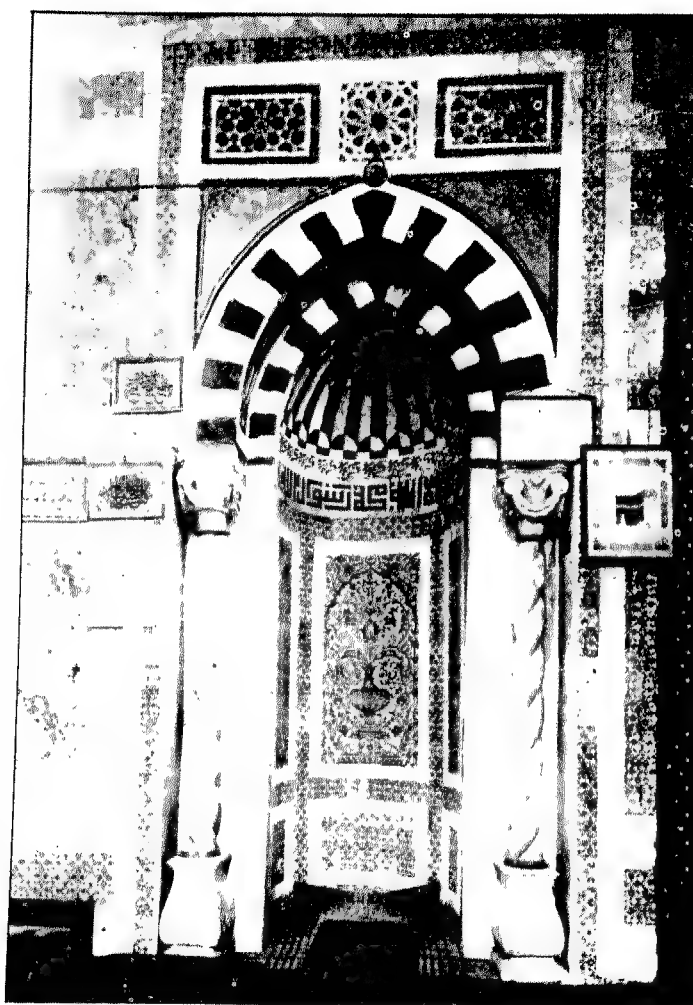
لوحة رقم (١٠٩) تبين رواق القبلة بمسجد الشوريحي بالاسكندرية



لوحة رقم (١١٠) الوجهة القبلىة وبها باب مسجد عبد الباقي جوريجي



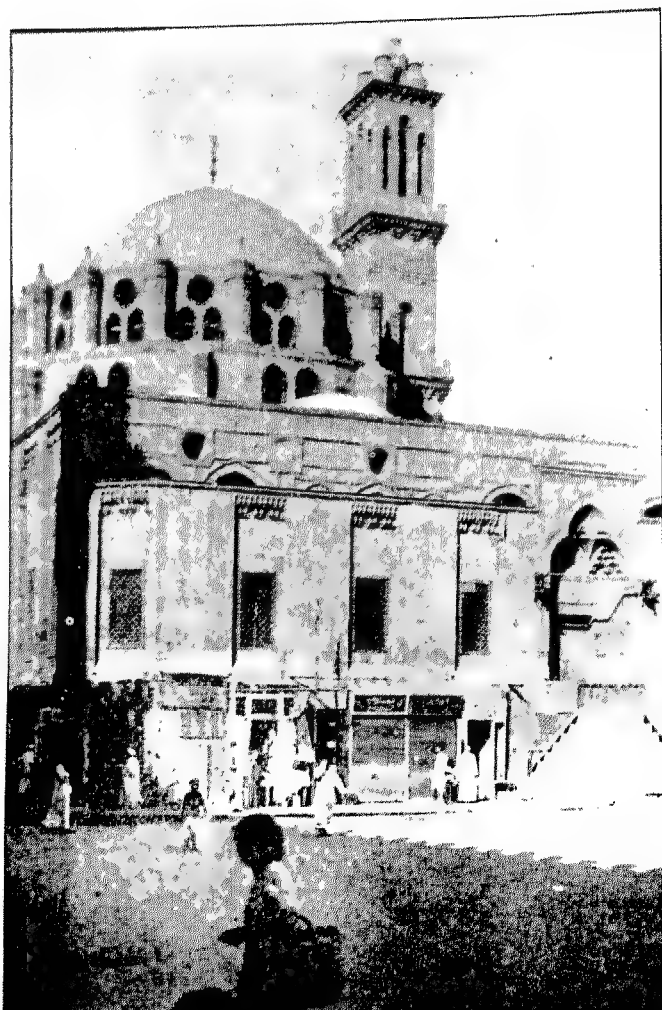
لوحة رقم (١١١) محراب مسجد عبد الباقي جوريجي



لوحة رقم (١١٢)
تفاصيل من المنبر قاعة الطويحي



لوحة رقم (١١٣) داخل مسجد حمام بن نفيسة فرشوط ومشارقة



لوحة رقم (١١٤)
الوجهة البحرية لمسجد محمد بك أبي الذهب

لوحة رقم (١١٥)
جامع أبو الذهب القبة والدعائم الساندة





لوحة رقم (١١٦) تبين زخارف البلاطات التي تكسو فتحة
(النفيس) التي تعلو المدخل الشمالى الشرقى
والجنوبى الشرقى لمسجد محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١١٧) توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحات
(النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد
أبو الذهب

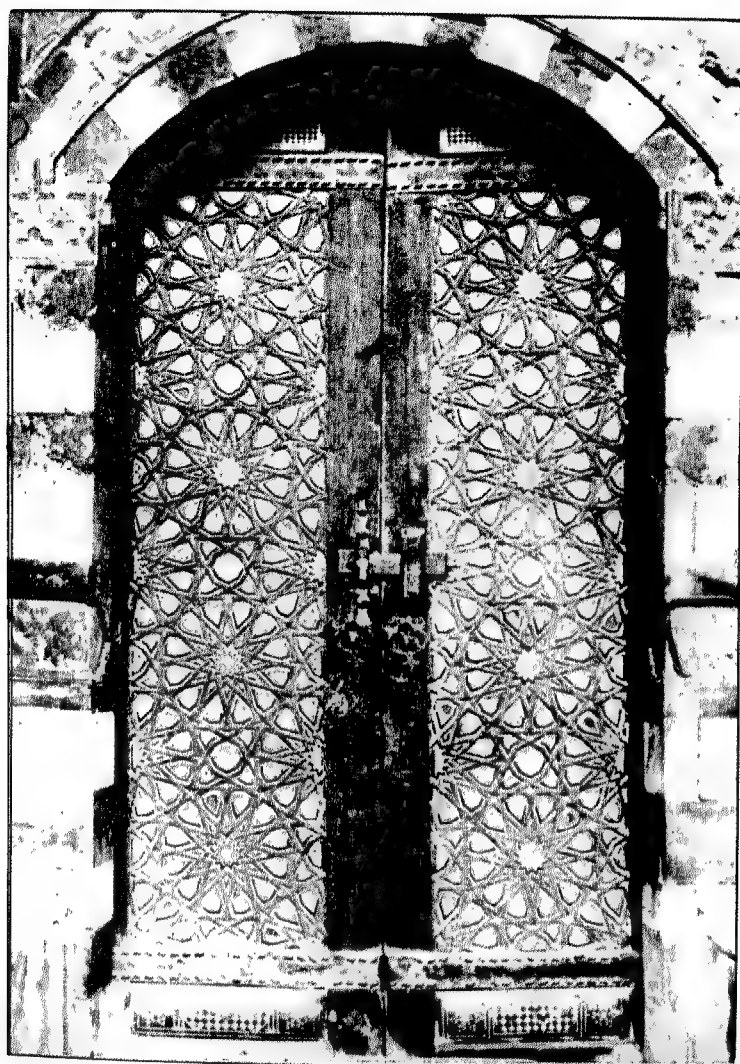


لوحة رقم (١١٨) توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحات
(النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد
أبو الذهب



لوحة رقم (١١٩) توضح زخارف البلاطات التي تكسو فتحات
(النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب

لوحة رقم (١٢٠)
توضيح زخارف البلاطات التي تكسر
فتحة (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد
أبو الذهب

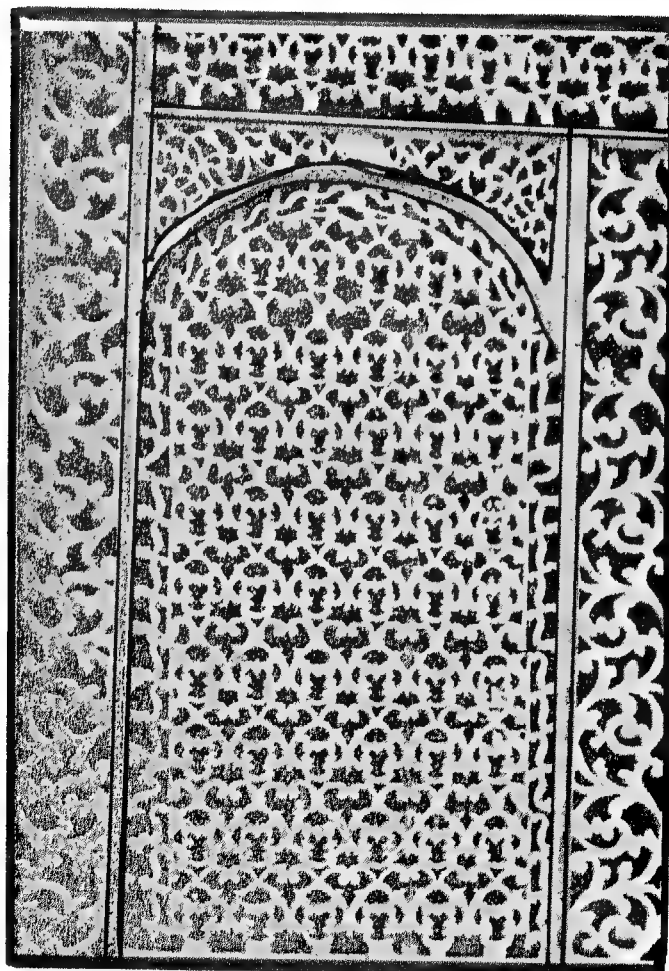


لوحة رقم (١٢١)
الباب البحرى للقبة لمسجد محمد أبو الذهب

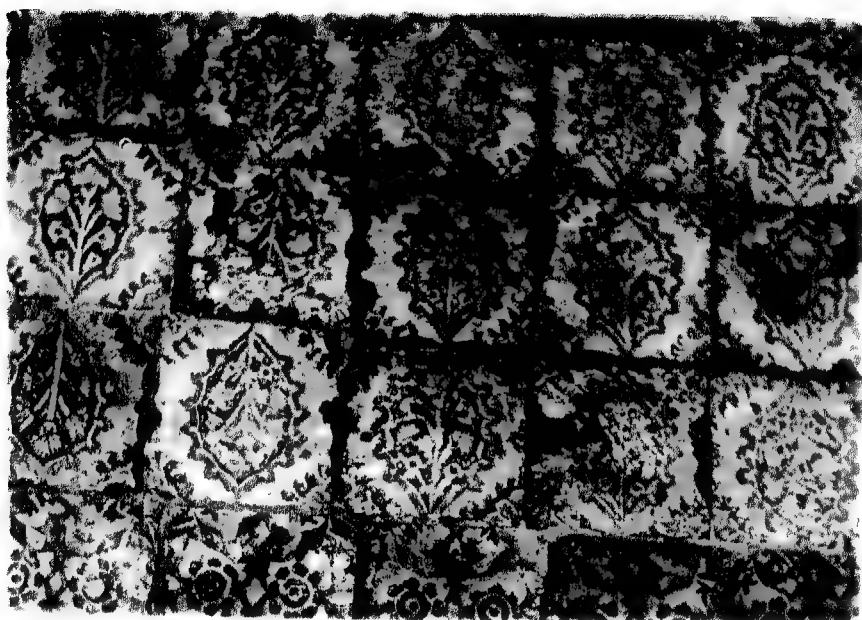


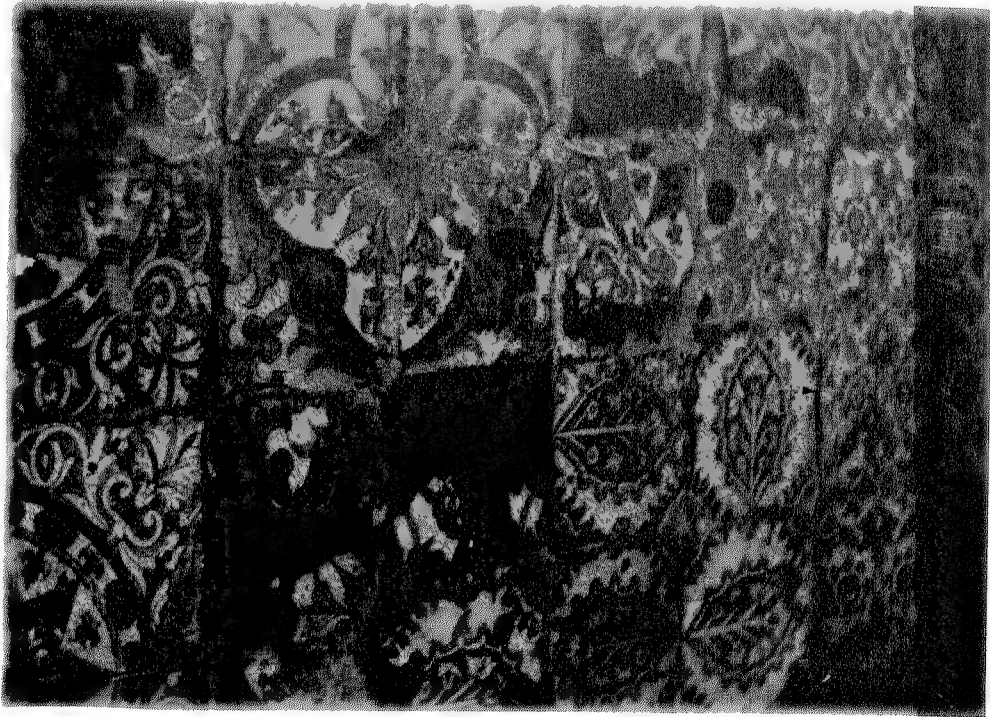
لوحة رقم (١٢٢) المحراب والمنبر لمسجد أبو الدهب

لوحة رقم (١٢٣)
تفاصيل من المقصورة النحاسية



لوحة رقم (١٢٤)
لوحة تبين زخارف البلاطات التي تكسو الجدار
الجنوبي بمدفن محمد أبو الذهب





لوحة رقم (١٢٥)

تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي
تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب

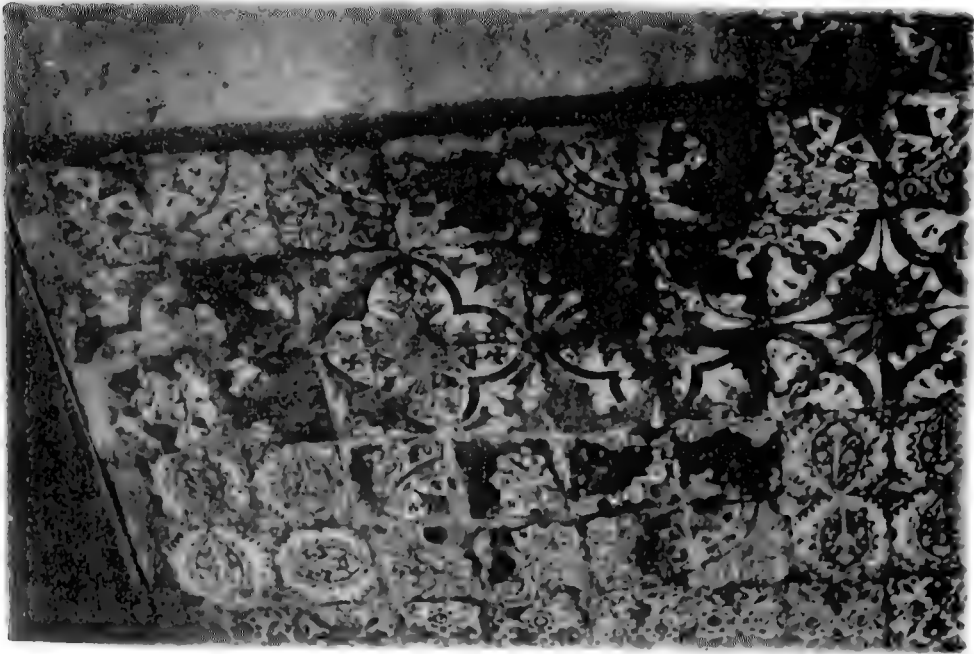


لوحة رقم (١٢٦)

تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي
تكسو جدار مدفن أبو الذهب



لوحة رقم (١٢٧) تبين زخارف إحدى التجهيزات الخزفية بالجدار
الجنوبي الشرقي لمدفن محمد أبو الذهب



لوحة رقم (١٢٨) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التي
تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب

لوحة رقم (١٢٩) مسجد الدشوطى باب الشعبة



لوحة رقم (١٣٠) منارة أبو الذهب





لوحة رقم (١٣١) تبين مسجد الصقلائي بمدينة ملوى ويرجع إلى
القرن الثامن عشر

لوحۃ رقم (۱۳۲) المسجد من الخارج (العطرطري)





لوحة رقم (١٣٣) صحن مسجد الدشوطى بباب الشعرية



لوحة رقم (١٣٤) تبين صحن جامع مدينة هو ومثانيته تعلو الرواق القوي



لوحة رقم (١٣٥) تبين رواق القبلة في مسجد مدينة قفط



لوحة رقم (١٣٦) أيوان القبلة لمسجد الدشطوطى بباب الشعرية



لوحة رقم (١٣٧) الايوان الغربى المقابل للقبلة صحن مسجد
الدشوطى بباب الشعرية



لوحة رقم (١٣٨) خان الجداوى بمدينة إسنا



لوحة رقم (١٣٩) تبين رواق القبلة ومحراب الجامع الصيبي بمدينة
جرجا وقد عرف بهذا الاسم لأن جدرانها مغطاة
ببلاطات القاشاق



لوحة رقم (١٤٠) الايوان الشمالى لمسجد الدشوطى بباب الشعرية



لوحة رقم (١٤١) تين إشارة مسجد المنولى بمدينة جرجا



لوحة رقم (١٤٢) قبة الدشوطى

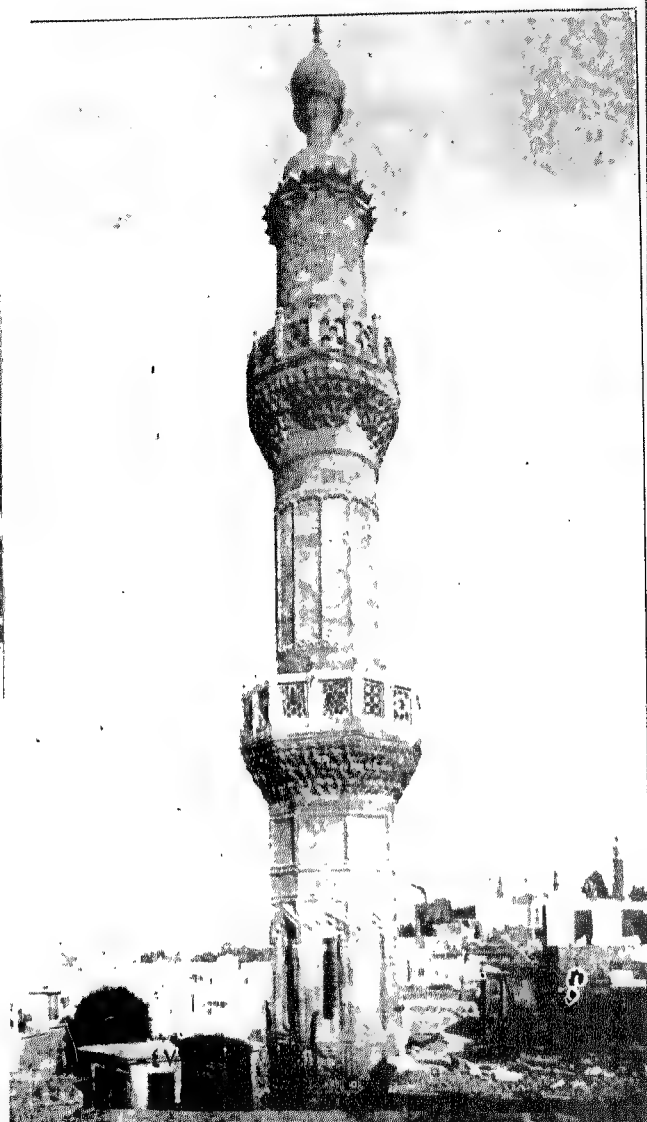


لوحة رقم (١٤٣) تبين صحن جامع الدشوطى بمدينة سوهاج



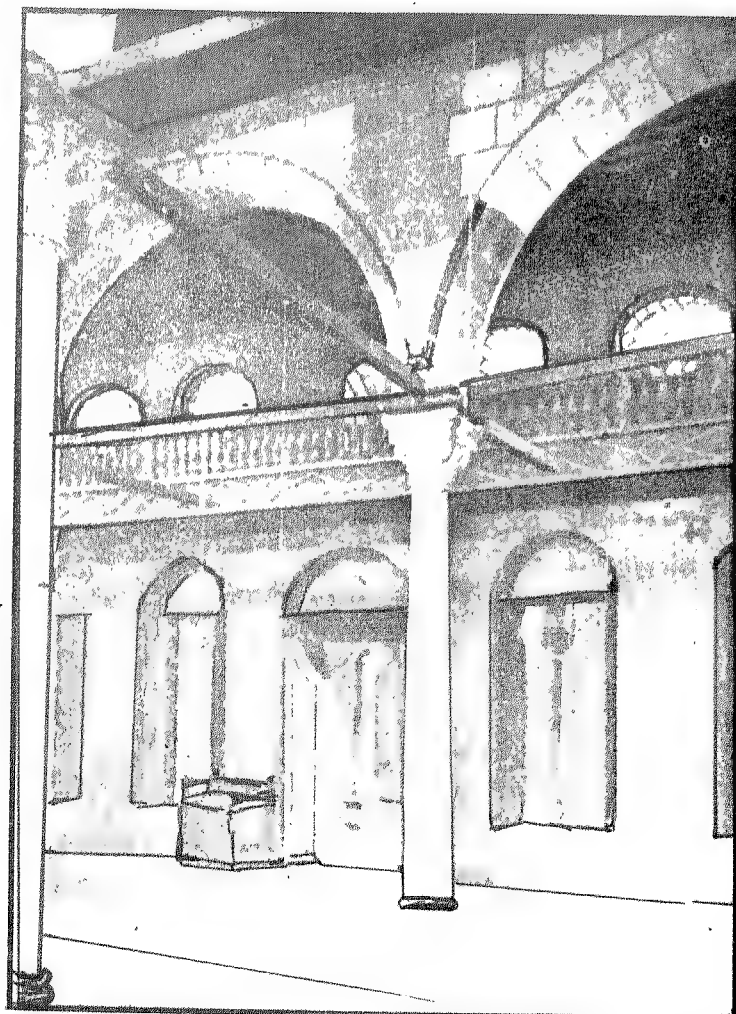
لوحة رقم (١٤٤) تبين مدخل وكالة بيت شلى بمدينة اسيوط وقد
زخرفت وجهته بالطوب المنجور

لوحة رقم (١٤٥) تبين فيه مسجد حسن باشا طاهر

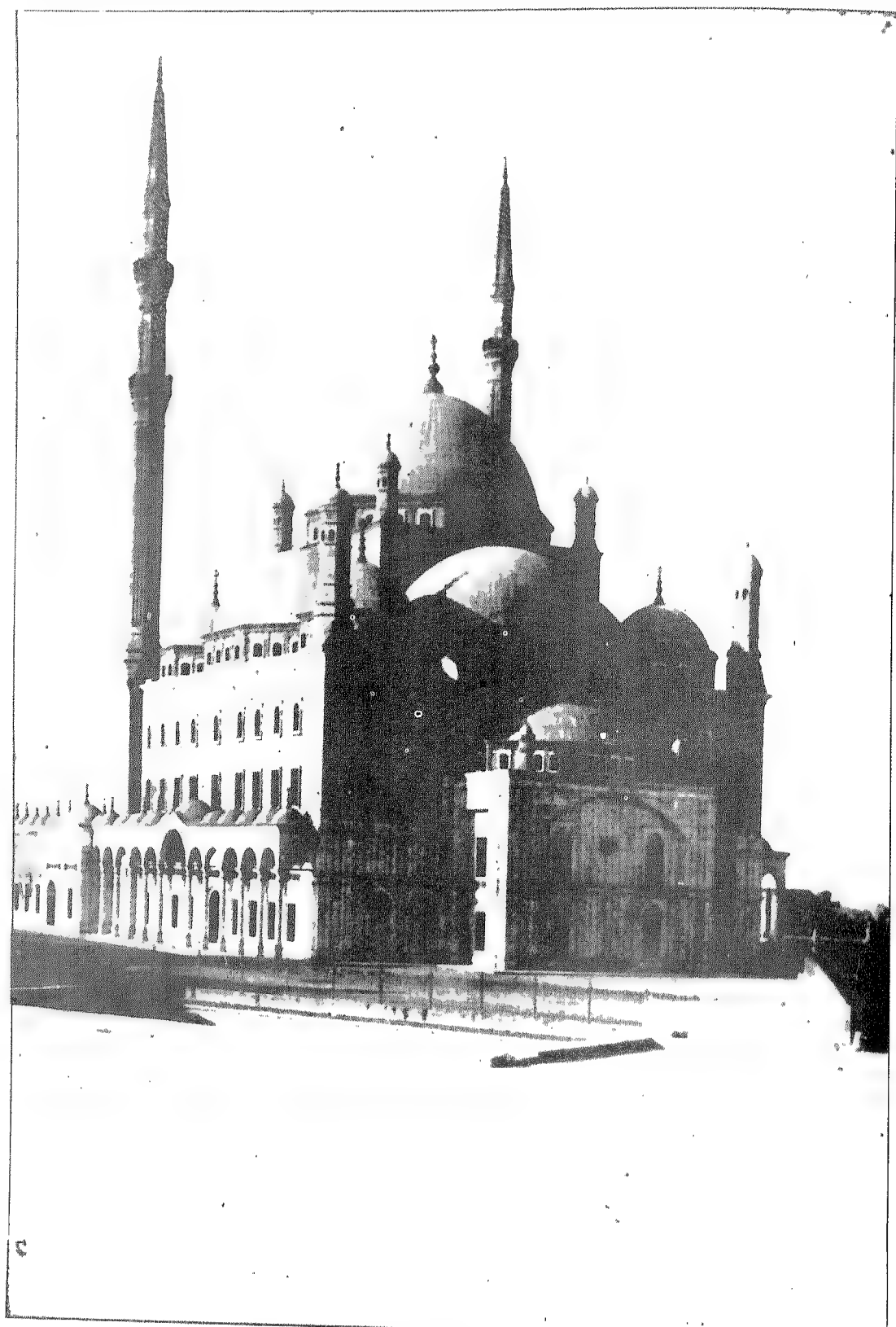


لوحة رقم (١٤٦) تبين المنارة لمسجد حسن باشا طاهر

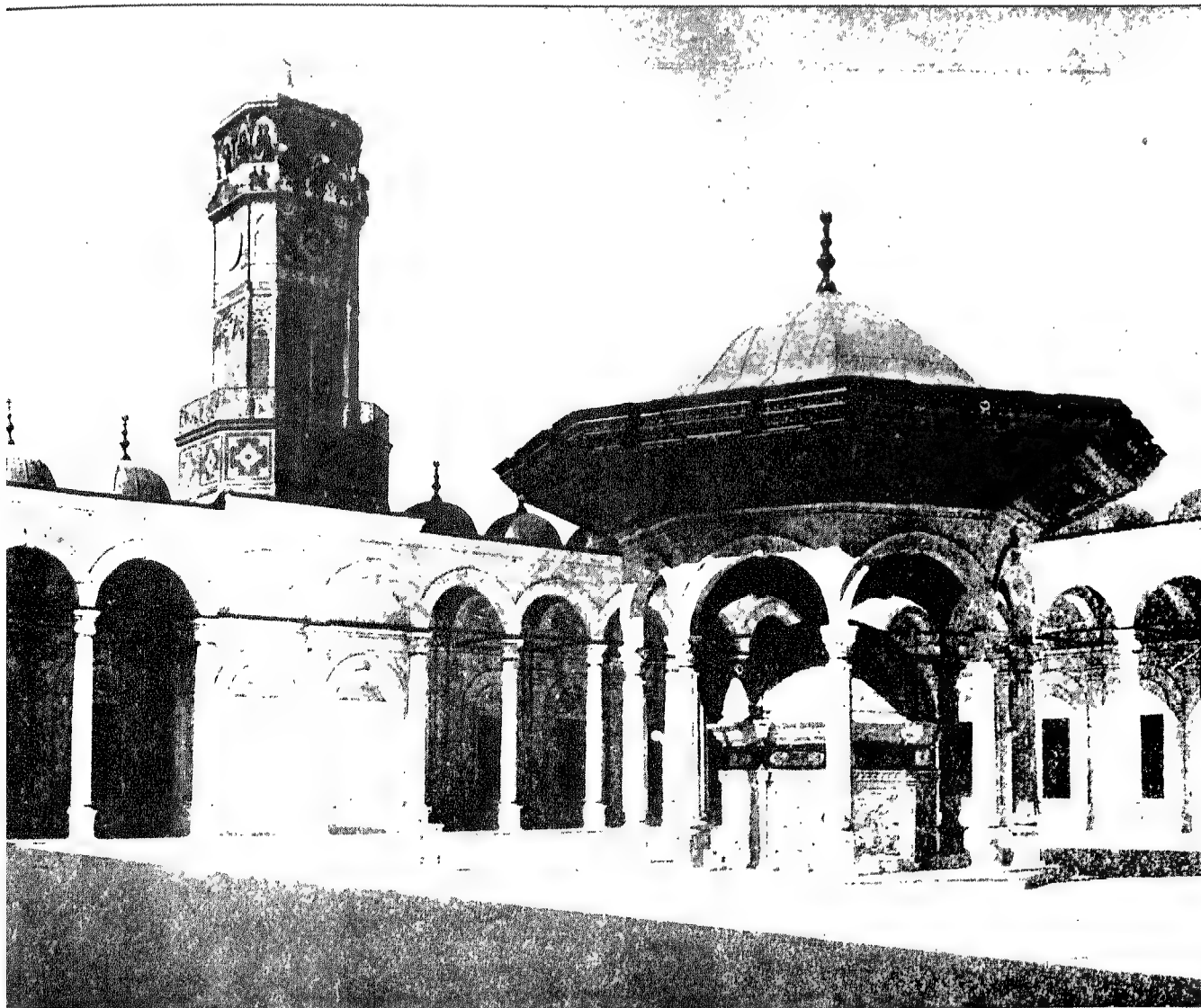
لوحة رقم (١٤٧)
داخل مسجد سليمان أغا السلحدار



لوحة رقم (١٤٨)
تبين زخرفة نوافذ مسجد سليمان أغا السلحدار



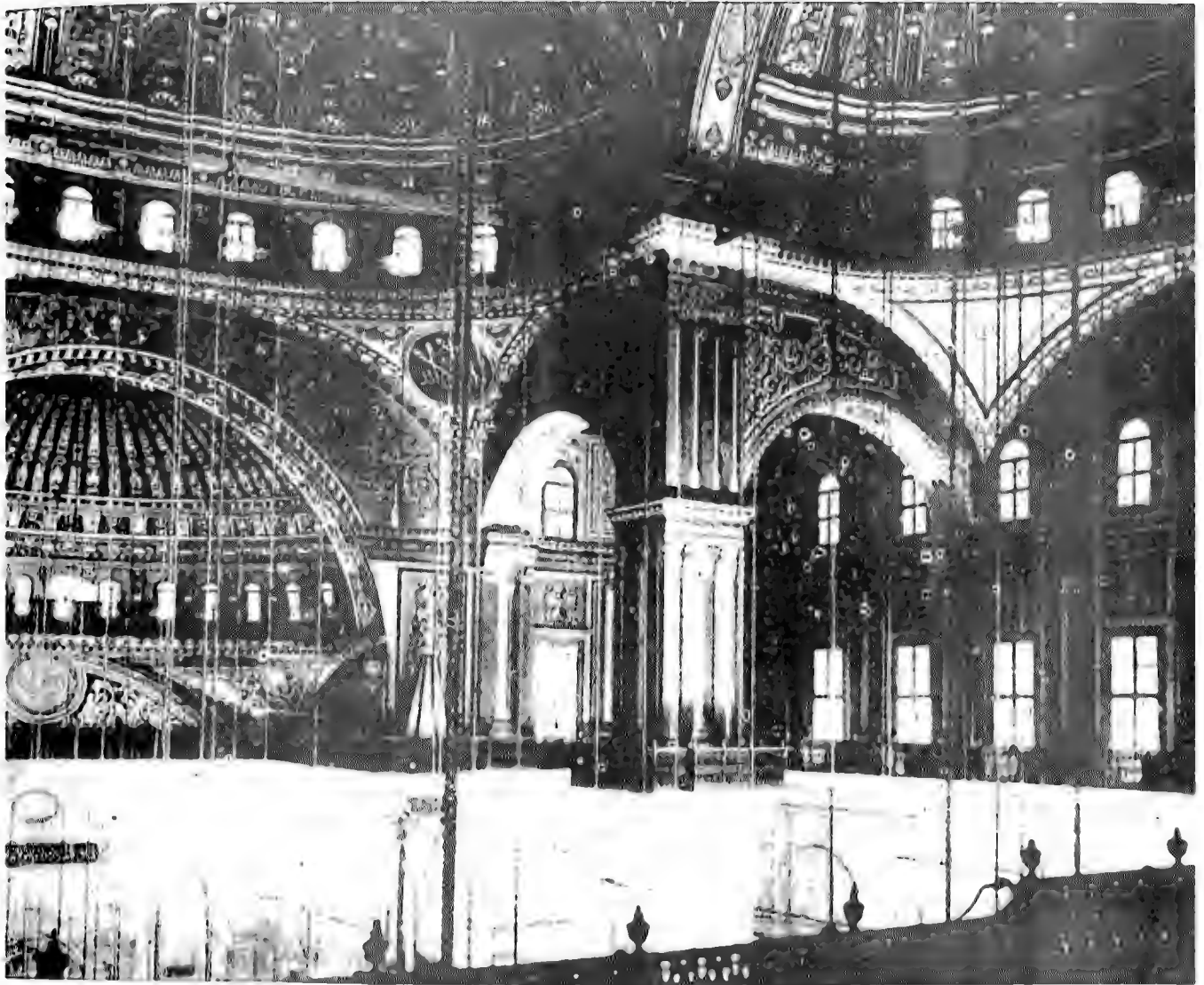
لوحة رقم (١٤٩) الوجهتان الشرقية والقبلية لمسجد محمد علي باشا



لوحة رقم (١٥٠) الوجهة الغربية للصحن وبها برج الساعة لمسجد
محمد علي باشا الكبير



لوحة رقم (١٥١) تبين الرواق الشمالى الخارجى لمسجد محمد على
باشا الكبير



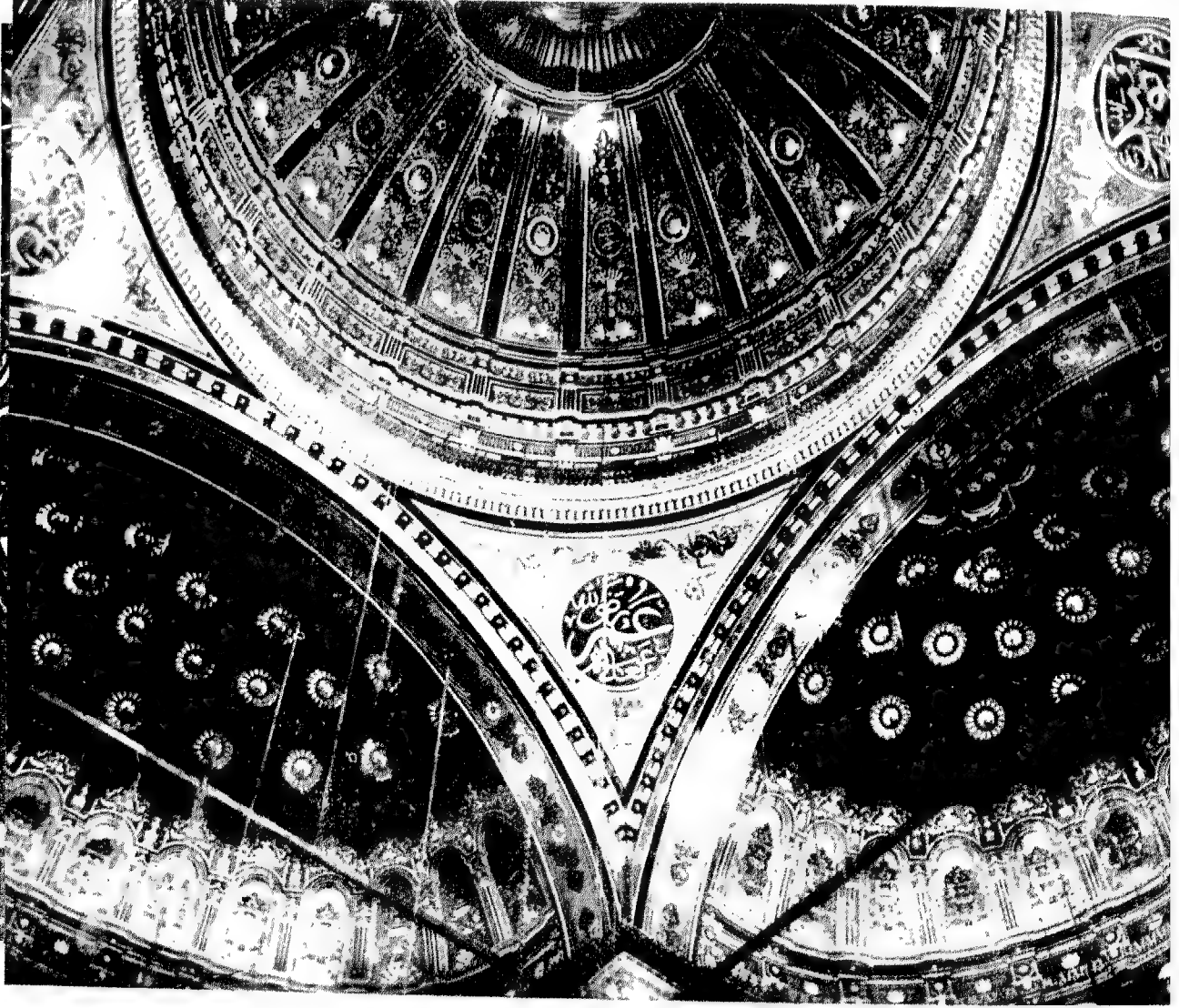
لوحة رقم (١٥٢) داخل المسجد (الجناح الشرقى القبلى) لمسجد محمد
على باشا الكبير



لوحة رقم (١٥٣) منبر الفاروق لمسجد محمد علي باشا الكبير



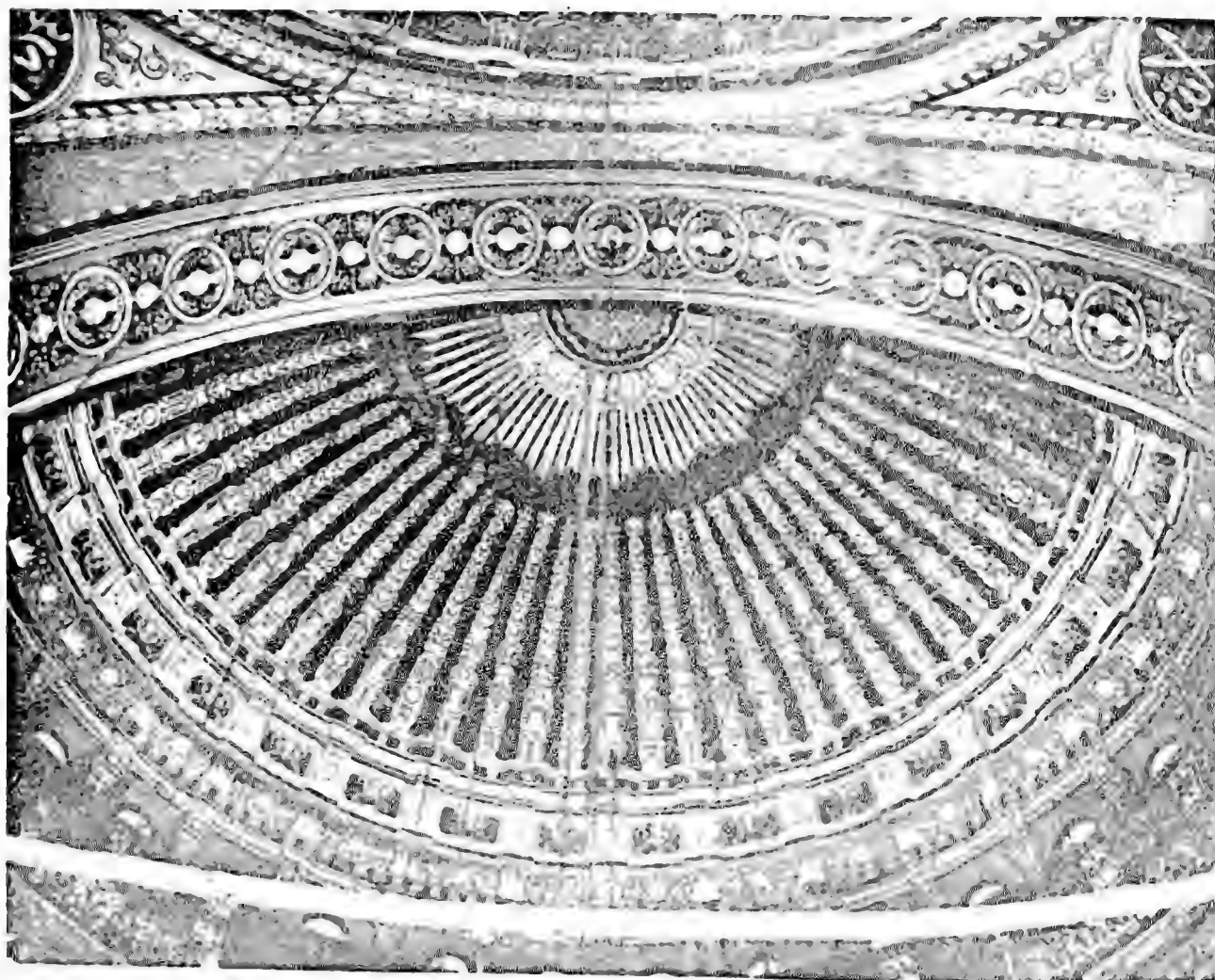
لوحة رقم (١٥٤) الرواق الغربي لمسجد محمد علي باشا الكبير



لوحة رقم (١٥٥) القبة الكبيرة وأنصاف القباب حولها لمسجد محمد
عل باشا الكبير



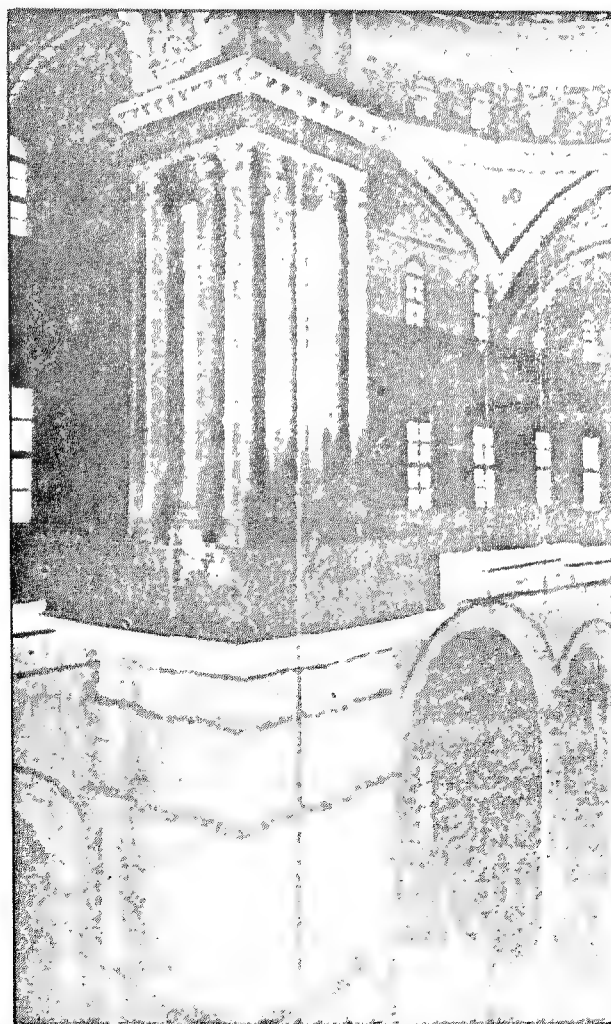
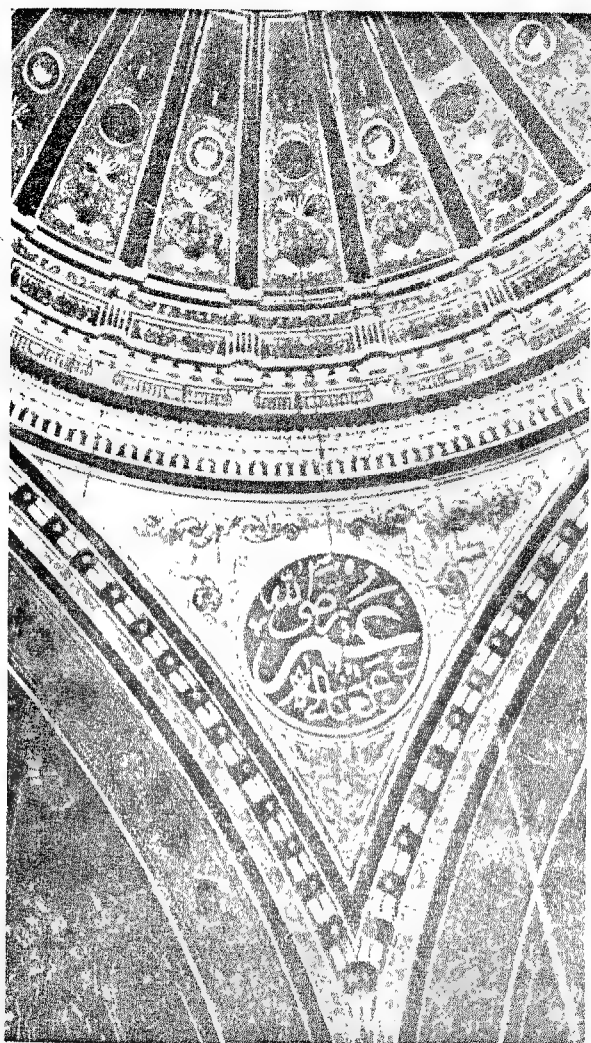
لوحة رقم (١٥٦) تفاصيل من زخارف القبة الكبيرة لمسجد محمد
على باشا الكبير



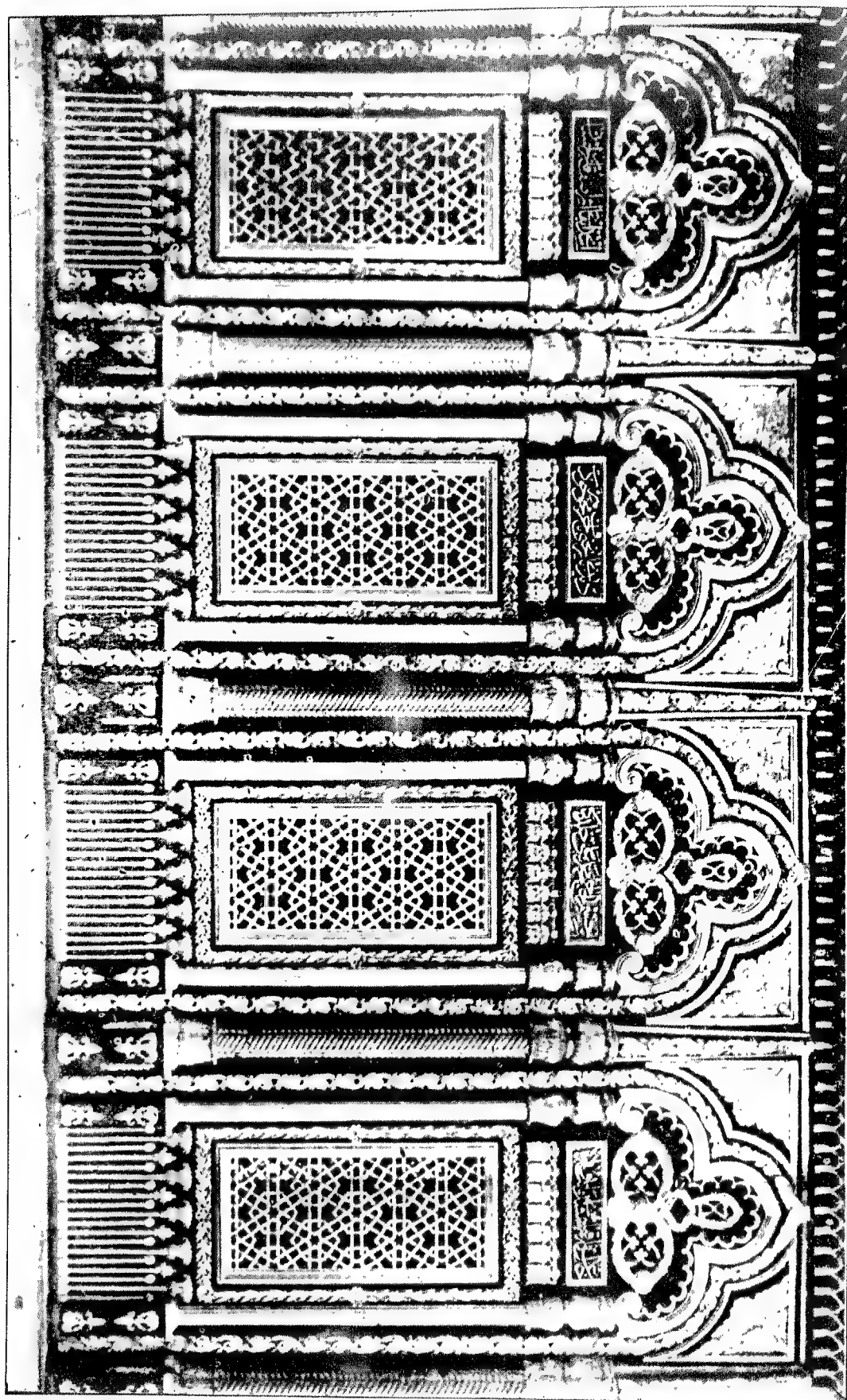
لوحة رقم (١٥٧) زخارف نصف القبة أعلى المحراب لمسجد محمد
على باشا الكبير

لوحة رقم (١٥٨)

أحد أركان القبة الكبيرة لمسجد محمد علي باشا



لوحة رقم (١٥٩) داخل مسجد محمد علي باشا الكبير



لوحة رقم (١٦٠) المقصورة النحاسية حول قبر المغفور له محمد علي باشا



لوحة رقم (١٦١) تبين مثانة مسجد الكاشف بمحافظة سوهاج



لوحة رقم (١٦٢) تبين المدخل الرئيسى للجامع الكبير بمدينة
فارسكور



لوحة رقم (١٦٣) تبين فيه الضريح الحسيني بفارسكور



▲ لوحة رقم (١٦٤) تبين منزل الحاج جلى طوبار بمدينة المنزلة ويرجع تاريخ إنشائه إلى القرن التاسع عشر



لوحة رقم (١٦٥)
تبين واجهة مسجد العمري البرج (البرلس
سابقا) محافظة كفر الشيخ



لوحة رقم (١٦٦) تبين المدخل لرئيسى لمسجد عامر بمدينة ديبي



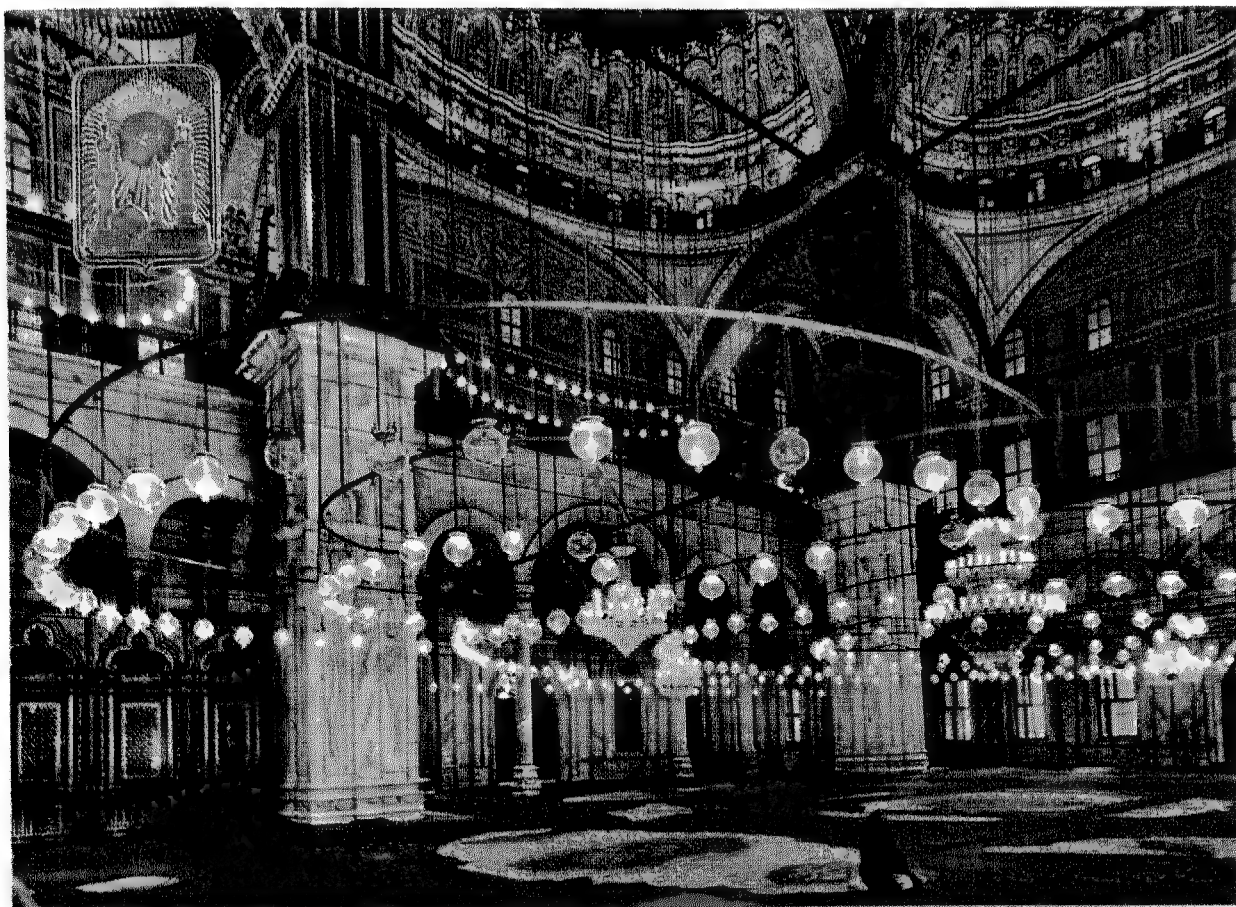
لوحة رقم (١٦٧) تبين قبة الشيخ عنبر



لوحة رقم (١٦٨) منظر خارجي لجامع محمد علي



لوحة رقم (١٦٩) جامع القلعة



لوحة رقم (١٧٠) مكان الصلاة بجامع محمد علي



لوحة رقم (١٧١) تبين قبة الخرزجي بمدينة دبي



لوحة رقم (١٧٢) تبين واجهة مسجد العمري بحلة مرحوم بركز
طنطا ويرجع إلى القرن السابع عشر



لوحة رقم (١٧٣) المدخل الرئيسى للجامع العمري بالمحلة الكبرى



لوحة رقم (١٧٤) مشننة الجامع العمري



لوحة رقم (١٧٥) معهد جامع المتولى بالمحلة الكبرى



لوحة رقم (١٧٦) مئذنة جامع المتولى بالمحلة الكبرى

الفصل

فهرس الأشكال

- شكل (١) رسم تخطيطى لجامع علاء الدين فى بروسه
شكل (٢) رسم تخطيطى لجامع أورهان بك فى بروسه
شكل (٣) رسم تخطيطى لجامع أوشى شريفلى فى أدرنه
شكل (٤) رسم تخطيطى لآيا صوفيا
شكل (٥) رسم تخطيطى لجامع بايزيد الثانى فى اسطنبول
شكل (٦) رسم تخطيطى لزاوية الشيخ حسن الرومى
شكل (٧) رسم تخطيطى لجامع سليمان باشا الخادم بالقلمه
شكل (٨) رسم تخطيطى لمسجد المحمودية
شكل (٩) رسم تخطيطى لجامع سنان باشا ببلاق
شكل (١٠) رسم تخطيطى لجامع الملكة صفية
شكل (١١) رسم للواجهة الجنوبية لجامع الملكة صفية
شكل (١٢) رسم للواجهة الشرقية لجامع الملكة صفية
شكل (١٣) رسم للمدخل الرئيسى لمكان الصلاة بمسجد الملكة صفية
شكل (١٤) رسم لمحراب مسجد الملكة صفية
شكل (١٥) رسم تخطيطى لمسجد يوسف الحين
شكل (١٦) رسم تخطيطى لمسجد الفتح
شكل (١٧) رسم تخطيطى لمسجد عثمان كتخدا
شكل (١٨) رسم تخطيطى لمسجد محمد أبو الذهب

فهرس اللوحات

- لوحة رقم (١) حى بين القصرين
- لوحة رقم (٢) حى النحاسين
- لوحة رقم (٣) داخل أسوار القاهرة الشمالية
- لوحة رقم (٤) حى السكلاية الغورية
- لوحة رقم (٥) العماثر الدينية بحى طولون
- لوحة رقم (٦) حى بين القصرين وسوق فى خان الخليلى
- لوحة رقم (٧) جامع مسلمة بن مغل يتوسط مصر القديمة
- لوحة رقم (٨) حى القلعة
- لوحة رقم (٩) قرافة الممالك بالعباسية
- لوحة رقم (١٠) حى باب الخلق بالقرب من باب زويلة
- لوحة رقم (١١) حى سور القاهرة الشرقى من الدراسة إلى حى باب الوزير
- لوحة رقم (١٢) حى باب الوزير نقلا عن (Rhone) سنة ١٨٧٧ م
- لوحة رقم (١٣) قبة ومثذنة مدرسة خاير بك
- لوحة رقم (١٤) مدرسة خاير بك نقلا عن (Prisse d'Auennes سنة ١٨٧٧)
- لوحة رقم (١٥) الواجهة الغربية للقبة الكبيرة بمدرسة خاير بك
- لوحة رقم (١٦) الفناء الخلفى لمدرسة خاير بك نقلا عن لجنة حفظ الآثار العربية
- لوحة رقم (١٧) الواجهة الرئيسية لمدرسة خاير بك
- لوحة رقم (١٨) المدخل الرئيسى لمدرسة خاير بك
- لوحة رقم (١٩) المدخل الرئيسى لمدرسة خاير بك وبجواره نافذة السبيل
- لوحة رقم (٢٠) القبة الكبرى التى تعلو المدفن الكبير الملحق بمدرسة خاير بك
- لوحة رقم (٢١) مدخل القبة الكبيرة الملحق بمدرسة خاير بك
- لوحة رقم (٢٢) مصراع باب اللوق مدخل قبة المدفن الكبير الملحق بمدرسة خاير بك
- لوحة رقم (٢٣) أيوان القبلة بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٢٤) المهراب والمنبر بآيوان القبلة بمدرسة خاير بك من الداخل
لوحة رقم (٢٥) (آايوان الغربى المقابل لآيوان القبلة تتصدره دكة المبلغ بمدرسة
خاير بك

لوحة رقم (٢٦) قبو مروحى يغطى صحن مدرسة خاير بك
لوحة رقم (٢٧) مدرسة خاير بك من الداخل نقلا عن (سنة ١٩٠٣ Franz)
توضح القبو المروحى الذى يغطى وسط المدرسة
لوحة رقم (٢٨) القبة الكبرى بمدفن مدرسة خاير بك وقد فتحت فى قبتها ستة عشرة
نافذة وكتب فى قطبها نص قرآنى

لوحة رقم (٢٩) منطقة الانتقال بقبة خاير بك
لوحة رقم (٣٠) القبة الصغيرة من الداخل الملحقة بمدرسة خاير بك
لوحة رقم (٣١) شريط من الكتابة المحيط بدكة المبلغ وقد سجل فيه تاريخ إنشاء
المدرسة سنة ٩٣٧ هـ بالآيوان الغربى بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣٢) النصب التذكارى بمصراع باب مدرسة خاير بك
لوحة رقم (٣٣) زخارف حول رقبة افقية وسط الشريط الكتابى بمسجد خاير بك
لوحة رقم (٣٤) شريط من الكتابة يعلو الوزرة الرخامية المحيطة بجدران مدرسة خاير
بك

لوحة رقم (٣٥) شريط كتابى يحتوى على نص قرآنى يحيط بأعلى جدران المدفن
الصغير بمدرسة خاير بك

لوحة رقم (٣٦) مشروع تكلمة مثذنة مدرسة خاير بك نقلا عن مصلحة الآثار
لوحة رقم (٣٧) الواجهة الشمالية الغربية لزاوية حسن الرومى أو زاوية العمود الذى
نراه يشغل الفتحة التى تعلو باب المدخل الرئيسى للزاوية

لوحة رقم (٣٨) مثذنة جامع سليمان باشا
لوحة رقم (٣٩) تبين البلاطات الخزفية بقبة الشيخ مسعود
لوحة رقم (٤٠) تبين البلاطات الخزفية التى تكسو (النقيس) أعلى نوافذ بكية الأمير
سليمان

- لوحة رقم (٤١) تبين البلاطات الخزفية برقبة الأمير سليمان باشا
- لوحة رقم (٤٢) تبين زخارف البلاطات التي كانت تكسو جدران مسجد الخنضيري
- لوحة رقم (٤٣) قبة الشعراوي
- لوحة رقم (٤٤) المعمودية الواجهة الرئيسية
- لوحة رقم (٤٥) داخل قبة المعمودية
- لوحة رقم (٤٦) الواجهة القبلية (مسجد سنان باشا)
- لوحة رقم (٤٧) وجهة الرواق القبلي الخارجى لجامع سنان باشا
- لوحة رقم (٤٨) قبة سنان باشا والدعائم المساندة لها
- لوحة رقم (٤٩) الرواق الغربى الخارجى لسنان باشا
- لوحة رقم (٥٠) لفظ الجلالة فى الفص افعلوى من عقد مدخل جامع سنان باشا
- لوحة رقم (٥١) خشب خرط لمسجد سنان باشا
- لوحة رقم (٥٢) مزولة مسجد سنان باشا
- لوحة رقم (٥٣) الباب الداخلى لمسجد كريم الخلوقى
- لوحة رقم (٥٤) الأيوان الشرقى لمسجد كريم الدين الخلوقى
- لوحة رقم (٥٥) تبين مثذنة مسجد السادات بمدينة بلبس
- لوحة رقم (٥٦) الواجهة الغربية لمسجد الملكة صفية
- لوحة رقم (٥٧) منظر علوى لجامع الملكة صفية من الخارج
- لوحة رقم (٥٨) المدخل الجنوبي لجامع الملكة صفية
- لوحة رقم (٥٩) زخارف عقد المدخل الجنوبي لجامع الملكة صفية
- لوحة رقم (٦٠) مدخل الجهة الشمالية للملكة صفية
- لوحة رقم (٦١) صحن الملكة صفية والأروقة التي تحيط به
- لوحة رقم (٦٢) المدخل إلى مكان الصلاة في مسجد الملكة صفية
- لوحة رقم (٦٣) اللوحة التذكارية التي تعلو مدخل مكان الصلاة بجامع الملكة صفية
- لوحة رقم (٦٤) محراب ومنبر قبلة الملكة صفية
- لوحة رقم (٦٥) محراب الملكة صفية

لوحة رقم (٦٦ ، ٦٧) تبين البلاطات الخزفية بمحراب مسجد الملكة صفية
 لوحة رقم (٦٨) الكوابيل الساندة التي تحمل قبة الملكة صفية
 لوحة رقم (٦٩) مثذنة الملكة صفية
 لوحة رقم (٧٠) تبين صحن المسجد اليوسفي بمدينة ملوى ومثذنته ويرجع إلى العصر
 العثماني

لوحة رقم (٧١) تبين مثذنة مسجد الأمير حماد بمدينة ميت غمر
 لوحة رقم (٧٢) تبين ايوان القبلة بمسجد الأمير حماد بميت غمر ويرجع إلى القرن
 السابع عشر

لوحة رقم (٧٣) جامع آلى يرمق
 لوحة رقم (٧٤) تبين البلاطات الخزفية التي تكسو محراب وجدران مسجد آلى يرمق
 لوحة رقم (٧٥) تبين البلاطات الخزفية التي تكسو طاقية محراب آلى يرمق وواجهة
 عقد ، وعقد الدخلة التي تتقدمه وأطار كوشاة
 لوحة رقم (٧٦) تبين تفصيل البلاطات الخزفية على يمين طاقية محراب مسجد آلى
 يرمق

لوحة رقم (٧٧) تبين البلاطات الخزفية على يمين تجويف محراب آلى يرمق
 لوحة رقم (٧٨) تبين البلاطات الخزفية على يسار طاقية محراب مسجد آلى يرمق
 لوحة رقم (٧٩) إطار خشبي يحيط بجدار مكان الصلاة بجامع آلى يرمق
 لوحة رقم (٨٠) الواجهة الشمالية وبها السبيل الجديد بمسجد يوسف الحين
 لوحة رقم (٨١) الواجهة البحرية وبها السبيل الجديد
 لوحة رقم (٨٢) الواجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين
 لوحة رقم (٨٣) الواجهة البحرية قبل تعلية السور لمسجد الفتح الملكي (عابدين)
 لوحة رقم (٨٤) المحراب والمنبر لمسجد الفتح الملكي
 لوحة رقم (٨٥) الأيوان القبلي لمسجد الفتح الملكي
 لوحة رقم (٨٦) الواجهة الشرقية لمسجد يوسف الحين
 لوحة رقم (٨٧) المنارة لمسجد الفتح

- لوحة رقم (٨٨) داخل مسجد المدرسة القارقانية
 لوحة رقم (٨٩) الواجهة الغربية لمسجد ذو الفقار
 لوحة رقم (٩٠) تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد دواسر بـ
 لوحة رقم (٩١) تبين البلاطات الخزفية التي تعلو محراب مسجد ذو الفقار بك
 لوحة رقم (٩٢) تبين منزل الحاج رمضان بمدينة رشيد ويرجع إلى العصر العثماني لمسجد
 مصطفى جرجي ميرزا

- لوحة رقم (٩٣) تبين التصميم التقليدي للبلاطات التي تكسو جدران أيوان القبلة
 لوحة رقم (٩٤) تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي لأيوان القبلة بمسجد
 مصطفى جورجي ميرزا
 لوحة رقم (٩٥) تبين زخارف البلاطات للضلع الجنوبي الغربي لأيوان القبلة بمسجد
 مصطفى جورجي ميرزا

- لوحة رقم (٩٦) تبين التصميمات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي تكسو الجدار الشمالي
 الشرقى بأيوان القبلة بمسجد مصطفى جورجي ميرزا
 لوحة رقم (٩٧) توضح التصميمات الزخرفية المختلفة للبلاطات التي تكسو الجدار
 الشمالي الشرقى بأيوان القبلة بمسجد مصطفى جورجي ميرزا

- لوحة رقم (٩٨) تبين مسجد المجاهدين بمدينة أسيوط ويرجع تأسيسه إلى العصر العثماني
 لوحة رقم (٩٩) تبين المدخل الرئيسي لمنزل البحيري بمدينة أخميم
 لوحة رقم (١٠٠) تمثل داخل مسجد الخطباء بمحلة أبو علي
 لوحة رقم (١٠١) تبين البلاطات الزخرفية التي تكسو (فتحة النفيس) التي تعلو
 مدخل زاوية عبد الرحمن كتحدا

- لوحة رقم (١٠٢) الواجهة البحرية بعد إصلاحها وزيادتها
 لوحة رقم (١٠٣) تبين البلاطات الخزفية التي تزخرف مدخل مسجد عثمان كتحدا
 لوحة رقم (١٠٤) داخل مسجد عثمان كتحدا
 لوحة رقم (١٠٥) باب مسجد عثمان كتحدا
 لوحة رقم (١٠٦) تبين محراب مسجد عثمان كتحدا

- لوحة رقم (١٠٧) الواجهة الجنوبية لمسجد الشوريجى بالاسكندرية
- لوحة رقم (١٠٨) الباب القبلى لمسجد عبد الباقي جوريجى
- لوحة رقم (١٠٩) تبين رواق القبلة بمسجد الشوريجى بالاسكندرية
- لوحة رقم (١١٠) الواجهة القبلىة وبها باب مسجد عبد الباقي جوريجى
- لوحة رقم (١١١) محراب مسجد عبد الباقي جوريجى
- لوحة رقم (١١٢) تفاصيل من المنبر قاعة الطويى
- لوحة رقم (١١٣) داخل مسجد همام بمدينة فرشوط ومنارته
- لوحة رقم (١١٤) الواجهة البحرية لمسجد محمد بك أبى الذهب
- لوحة رقم (١١٥) جامع أبو الذهب القبة والدعائم الساندة
- لوحة رقم (١١٦) تبين زخارف البلاطات التى تكسو فتحة (النفيس) التى تعلو المدخل الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى لمسجد محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١١٧) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١١٨) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١١٩) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحات (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٠) توضح زخارف البلاطات التى تكسو فتحة (النفيس) أعلى نوافذ قبة مسجد محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢١) الباب البحرى للقبة لمسجد محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٢) المحراب والمنبر لمسجد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٣) تفاصيل من المقصورة النحاسية
- لوحة رقم (١٢٤) لوحة تبين زخارف البلاطات التى تكسو الجدار الجنوبى بمدفن محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٥) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التى تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب

- لوحة رقم (١٢٦) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التى تكسو جدار مدفن أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٧) تبين زخارف إحدى التجهيزات الخزفية بالجدار الجنوبي الشرقى لمدفن محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٨) تبين زخارف البلاطات الهندسية المختلفة التى تكسو جدران مدفن محمد أبو الذهب
- لوحة رقم (١٢٩) مسجد الدشطوطى بباب الشعرية
- لوحة رقم (١٣٠) منارة أبو الذهب
- لوحة رقم (١٣١) تبين مسجد العسقلاني بمدينة ملوى ويرجع إلى القرن الثامن عشر
- لوحة رقم (١٣٢) المسجد من الخارج (الطرطوشى)
- لوحة رقم (١٣٣) صحن مسجد الدشطوطى بباب الشعرية
- لوحة رقم (١٣٤) تبين صحن جامع مدينة هو ومثذنته تعلو الرواق الغربى
- لوحة رقم (١٣٥) تبين رواق القبلة فى مسجد مدينة قفط
- لوحة رقم (١٣٦) أيوان القبلة لمسجد الدشطوطى بباب الشعرية
- لوحة رقم (١٣٧) الايوان الغربى المقابل للقبلة صحن مسجد الدشطوطى بباب الشعرية
- لوحة رقم (١٣٨) خان الجداوى بمدينة إسنا
- لوحة رقم (١٣٩) تبين رواق القبلة ومحراب الجامع الصيفى بمدينة جرجا وقد عرف بهذا الاسم لأن جدرانها مغطاة ببلاطات القاشانى
- لوحة رقم (١٤٠) الايوان الشمالى لمسجد الدشطوطى بباب الشعرية
- لوحة رقم (١٤١) تبين منارة مسجد المتولى بمدينة جرجا
- لوحة رقم (١٤٢) قبة الدشطوطى
- لوحة رقم (١٤٣) تبين صحن جامع الدشطوطى بمدينة سوهاج
- لوحة رقم (١٤٤) تبين مدخل وكالة بيت شلى بمدينة اسيوط وقد زخرفت وجهته بالطوب المنجور

لوحة رقم (١٤٥) تبين فيه مسجد حسن باشا طاهر
 لوحة رقم (١٤٦) تبين المنارة لمسجد حسن باشا طاهر
 لوحة رقم (١٤٧) داخل مسجد سليمان أغا السلحدار
 لوحة رقم (١٤٨) تبين زخرفة نوافذ مسجد سليمان أغا السلحدار
 لوحة رقم (١٤٩) الوجهتان الشرقية والقبلية لمسجد محمد على باشا
 لوحة رقم (١٥٠) الوجهة الغربية للصحن وبها برج الساعة لمسجد محمد على باشا
 الكبير

لوحة رقم (١٥١) تبين الرواق الشمالى الخارجى لمسجد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٥٢) داخل المسجد (الجناح الشرقى القبلى) لمسجد محمد على باشا
 الكبير

لوحة رقم (١٥٣) منبر الفاروق لم جد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٥٤) الرواق الغربى لمسجد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٥٥) القبة الكبيرة وأنصاف القباب حولها لمسجد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٥٦) تفاصيل من زخارف القبة الكبيرة لمسجد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٥٧) زخارف نصف القبة أعلى المحراب لمسجد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٥٨) أحد أركان القبة الكبيرة لمسجد محمد على باشا
 لوحة رقم (١٥٩) داخل مسجد محمد على باشا الكبير
 لوحة رقم (١٦٠) المقصورة النحاسية حول قبر المغفور له محمد على باشا
 لوحة رقم (١٦١) تبين مثذنة مسجد الكاشف بمحافظة سوهاج
 لوحة رقم (١٦٢) تبين المدخل الرئيسى للجامع الكبير بمدينة فارسكور
 لوحة رقم (١٦٣) تبين فيه الضريح الحسينى بفارسكور
 لوحة رقم (١٦٤) تبين منزل الحاج جلى طوبار بمدينة المنزلة ويرجع تاريخ إنشائه إلى

القرن التاسع عشر

لوحة رقم (١٦٥) تبين واجهة مسجد العمرى البرج (البرلس سابقا) محافظة
 كفر الشيخ

- لوحة رقم (١٦٦) تبين المدخل الرئيسى لمسجد عامر بمدينة دبي
لوحة رقم (١٦٧) تبين قبة الشيخ عنبر
لوحة رقم (١٦٨) منظر خارجى لجامع محمد على
لوحة رقم (١٦٩) جامع القلعة
لوحة رقم (١٧٠) مكان الصلاة بجامع محمد على
لوحة رقم (١٧١) تبين قبة الخرزجى بمدينة دبي
لوحة رقم (١٧٢) تبين واجهة مسجد العمرى بمحلة مرحوم بمركز طنطا ويرجع إلى
القرن السابع عشر
لوحة رقم (١٧٣) المدخل الرئيسى للجامع العمرى بالمحلة الكبرى
لوحة رقم (١٧٤) مئذنة الجامع العمرى
لوحة رقم (١٧٥) معهد جامع المتولى بالمحلة الكبرى
لوحة رقم (١٧٦) مئذنة جامع المتولى بالمحلة الكبرى

المراجع العربية والافرنجية

(١)

- | | | |
|--------------------------|---------------------------------------|--------------------------|
| (١) آدم مز | الحضارة الإسلامية (مترجم) | (١٩٥٧ م) |
| (٢) ابن الأثير | أسد الغابة فى معرفة الصحابة | |
| (٣) » » | تاريخ الكامل | بولاق (سنة ١٢٩٠ هـ) |
| (٤) ابن أبى أصيبعة | عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء | (سنة ١٣٠٠ هـ) |
| (٥) ابن إياس | بدائع الزهور فى وقائع الدهور | (بولاق سنة ١٣١٣ هـ) |
| (٦) ابن تغرى بردى | النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة | (دار الكتب) |
| (٧) » » » | المنهل الصافى فى المستوفى بعد الوافى | (دار الكتب) |
| (٨) ابن جبير | رحلة ابن جبير | (طبع مصر) |
| (٩) ابن بطوطة | رحلة ابن بطوطة | (١٢٨٧ هـ) |
| (١٠) ابن جرير الطبرى | تاريخ الرسل والملوك | (سنة ١٣٢٦ هـ) |
| (١١) » » » | القرى لقاصد أم القرى | (سنة ١٩٤٨ م) |
| (١٢) ابن الجيعان | التحفة السنية | (سنة ١٨٨٩ م) |
| (١٣) ابن حزم | الفصل فى الملل الأهواء والنحل | (سنة ١٣١٧ هـ) |
| (١٤) ابن الحاج | المدخل | (سنة ١٩٢٩ م) |
| (١٥) ابن الجوزى | المنتظم فى أخبار الملوك والأمم | (سنة ١٣٥٩ هـ) |
| (١٦) ابن حوقل | الممالك والمسالك | (سنة ١٨٣٣ م) |
| (١٧) ابن حجر العسقلانى | الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة | (سنة ١٣٤٩ هـ) |
| (١٨) » » » | الإصابة فى تمييز الصحابة | |
| (١٩) » » » | أنباء الغمر فى أنباء العمر | (المجلس الأعلى ١٣٩٠ م) |
| (٢٠) ابن خرواذبة | الممالك والمسالك | (سنة ١٣٠٩ هـ) |
| (٢١) ابن الأخوة | معالم القرية فى أحكام الحسبة | (سنة ١٩٣٧ م) |
| (٢٢) ابن خلدون | العبر وديوان المبتدأ والخبر | (سنة ١٢٨٤ هـ) |
| (٢٣) ابن خلكان | وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان | (بولاق سنة ١٢٧٥ هـ) |
| (٢٤) ابن الزيات | الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة | (طبعة بغداد) |
| (٢٥) ابن زولاى | العيون الدعج فى أخبار دولة بنى طفج | (سنة ١٨٩٩ م) |
| (٢٦) » » | فضائل مصر وأخبارها | |

- (٢٧) ابن رسته
(٢٨) ابن شاکر الکبتی
(٢٩) ابن شاهنشاه
(٣٠) ابن الشيخ
(٣١) ابن ظهيرة
(٣٢) ابن دقماق
(٣٣) ابن العماد
(٣٤) ابن عبدربه
(٣٥) ابن العميد
(٣٦) ابن قتيبة
(٣٧) ابن كثير
(٣٨) ابن محمود السخاوى الحنفى تحفة الأحباب وبنية الطلاب
(٣٩) ابن مماتى
(٤٠) ابن ميسر
(٤١) ابن النديم
(٤٢) ابن النجار
(٤٣) ابن فضل الله العمرى
(٤٤) ابن الوردى
(٤٥) أبوأحمد سعيد العسكرى
(٤٦) أبوحنيفة الدينورى
(٤٧) أبو محمد المقدسى
(٤٨) أبو محمد يوسف الكندى
(٤٩) أبو محمد عبد الله البلوى
(٥٠) أبو القداء
(٥١) أبو الفرج الأصفهانى
(٥٢) أبويحيى زكريا القزوينى
(٥٣) أحمد تيمور باشا
(٥٤) أحمد رمزى
(٥٥) أحمد فکرى
(٥٦) أحمد فکرى
(٥٧) إبراهيم رفعت
(٥٨) ابن إياس
(٥٩) الجبرتى
(٦٠) أحمد السعيد سليمان
(٦١) أحمد رمضان أحمد
- الأعلاق النفيسة
فوات الوفيات
تقويم البلدان
ألف باء
الفضائل الباهرة
الانتصار لواسطة عقد الأمصار
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب
العقد الفريد
تاريخ المسلمين
عيون الأخبار
البداية والنهاية
قوانين الدواوين
أخبار مصر
الفهرست
الدرة الثمينة فى أخبار المدينة
مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار
تاريخ ابن الوردى
ت سنة ٣٨٢ هـ - التصحيف
الأخبار الطوال
الروضتين فى أخبار الدولتين
الولاية والقضاة
سيرة أحمد بن طولون
المختصر فى أخبار البشر
الأغانى
آثار البلاد وأخبار العباد
الآثار النبوية
القاموس الجغرافى
المدخل للعمارة الإسلامية
العمارة الفاطمية
مرآة الحرمين
بدائع الزهور من وقائع الدهور
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار
تاريخ الدول الإسلامية (جزأين)
المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام
فى العصور الوسطى
- (سنة ١٣٤٦ هـ)
(١٨٩٠ م)
(سنة ١٢٨٧ هـ)
(دارالكتب سنة ١٩٦٩ م)
(بولاى سنة ١٣٠٩ هـ)
(سنة ١٣٥١ هـ)
(بولاى سنة ١٢٩٣ هـ)
(سنة ١٩٢٥ م)
(سنة ١٣٤٨ هـ)
(طبع مصر)
(سنة ١٣٥٦ هـ)
(سنة ١٩١٩ م)
(سنة ١٣٤٨ هـ)
(سنة ١٩٥٦ م)
(سنة ١٣٤٢ هـ)
(سنة ١٢٨٥ هـ)
(سنة ١٣٣٠ هـ)
(سنة ١٢٨٨ هـ)
(سنة ١٩٠٨ م)
(سنة ١٣٥٨ هـ)
(سنة ١٣٢٥ هـ)
(دار الكتب)
(سنة ١٨٤٨ م)
(١٣٤٨ هـ)
(دار الكتب)
(دار المعارف)
(دار المعارف)
(بولاى ١٣١١ هـ)
(مصر ١٣٢٢ هـ)
(دارالمعارف بمصر ١٩٧٢ م)
(القاهرة)

- (٦٢) أحمد فكري المدخل للعمارة الإسلامية
(٦٣) مساجد القاهرة ومدارسها (الجزء الأول)
(٦٤) مساجد القاهرة ومدارسها (الجزء الثاني)
(٦٥) المقریزی الخطط (مجلدين - الطبعة الجديدة بالأوفست طبعة بولاق)
(دار المعارف)
(دارالمعارف سنة ١٩٦٥ م)
(دارالمعارف سنة ١٩٦٩ م)
(سنة ١٢٧٠ هـ)

(ب)

- (٦٦) بدر الدين الحسيني عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان
(٦٧) البلاذري فتوح البلدان
(٦٨) البيهقي المحاسن والمساوي
(٦٩) البيهقي السنن الكبرى
(٧٠) برنارد لويس النقابات الإسلامية (ترجمة عبد العزيز الدوري عدد ٣٥٧)
(٧١) تاريخ المساجد الأثرية (جزأين)
(سنة ١٨٦٦ م)
(سنة ١٣١٦ هـ)
(سنة ١٣١٦ هـ)
(الهند سنة ١٣١٦ هـ)
(القاهرة سنة ١٨٤٦ م)

(ت)

- (٧٢) تقى الدين المقریزی إغاثة الأمة بكشف الغمة
(٧٣) تقى الدين المقریزی البيان والإعراب
(٧٤) تقى الدين المقریزی الخطط والآثار
(٧٥) تقى الدين المقریزی اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء
(٧٦) تقى الدين المقریزی السلوك لمعرفة دول الملوك
(٧٧) تاج الدين عبد الوهاب السبكي طبقات الشافعية
(نشر زيادة والشيال)
(سنة ١٩١٦ م)
(بولاق سنة ١٢٧٠ هـ)
(سنة ١٩٠٩ م)
(نشر زيادة)
(سنة ١٣٢٤ هـ)

(ح)

- (٧٨) حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي ٤ أجزاء
(٧٩) حسن إبراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية
(٨٠) حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد الأثرية
(٨١) الحسن عبد الله آثار الدول في ترتيب الدول
(سنة ١٩٦٤ م)
(دار الكتب سنة ٦٤)
(بولاق سنة ١٢٩٥ هـ)

(ز)

- (٨٢) زكى محمد حسن فنون الإسلام
(سنة ١٩٤٨ م)

(س)

- (٨٣) سعاد ماهر
(٨٤) سعاد ماهر
(٨٥) سعاد ماهر
(٨٦) سعاد ماهر
(٨٧) سبط الجوزى
(٨٨) السمنهوى
(٨٩) السيوطى
(٩٠) سعاد ماهر
(٩١)
(٩٢)
(٩٣)
(٩٤)
(٩٥)
(٩٦)
- مخلفات الرسول فى المسجد الحسينى
الحصير فى الفن الإسلامى
محافظات الجمهورية العربية فى العصر الإسلامى
شواهد القبور بجبانة امسوان (تحت الطبع) (مع آخرين)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى
حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة
القاهرة القديمة وأحيائها
القاهرة فى ألف عام
الخزف التركى
مساجد مصر وأولياؤها الصالحون
(أربعة أجزاء)
(القاهرة سنة ١٩٧١ ،
١٩٧٦ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨١)
(دار المعارف
بمصر سنة ١٩٦٩ م)
مشهد الإمام على فى النجف
وما به من الهدايا والتحف
محافظات جمهورية مصر العربية
فى العصر الإسلامى وآثارها الباقية

(ش)

- (٩٧) الشببى
(٩٨) شهاب الدين أحمد النورى نهاية الدرب فى فنون الأدب
(٩٩) شمس الدين محمد الساخاوى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
(١٠٠) الشهرستانى
الديارات
شهاب الدين أحمد النورى نهاية الدرب فى فنون الأدب
شمس الدين محمد الساخاوى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
الملل والنحل
(نشر كوركيس عواد)
(دار الكتب)
(سنة ١٣٥٤ هـ)
(طبعة الأنجلو)

(ط)

- (١٠١) الطقطقى
الفخرى فى الآداب السلطانية
(سنة ١٣١٧ هـ)

(ع)

- (١٠٢) عبد الوهاب الشعرانى
(١٠٣) عبد الوهاب الشعرانى
الطبقات الكبرى
» الصغرى
(سنة ١٢٧٦ هـ)

- (١٠٤) عبد الرحمن الجبرتي عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (بولاق سنة ١٢٩٧ هـ)
- (١٠٥) عبد الرؤوف المناوى الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية (٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م)
- (١٠٦) عبد الرحمن السخاوى التبر المسبوك فى ذيل السلوك (سنة ١٨٩٦ م)
- (١٠٧) عبد الله أحمد الأسوانى النوبة
- (١٠٨) عمر بن محمد الكندى فضائل مصر المحروسة
- (١٠٩) على مبارك الخطط التوفيقية
- (١١٠) عبد الغنى البابلسى الحقيقة والمجاز
- (١١١) العقاد عمرو بن العاص
- (١١٢) عبد العزيز مرزوق الفنون الزخرفية فى العصر العثمانى
- (١١٣) على باشا مبارك الخطط التوفيقية الجديدة لمصر (بولاق سنة ١٣٠٦ هـ)
- (عشرون جزءا فى أربعة مجلدات) القاهرة الطبعة الأولى

(غ)

- (١١٤) غرس الدين خليل بن شاهين زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (سنة ١٨٩٤ م)

(ق)

- (١١٥) القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد
- (١١٦) القضاعى عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف
- (١١٧) القلقشندى صبح الأعشى (بولاق سنة ١٩١٤ م)

(ك)

- (١١٨) كمال الدين الأدفوى الطالع السعيد (سنة ١٩١٤ م)
- (١١٩) كمال الدين سامح تطور القبة فى العمارة الإسلامية (القاهرة سنة ١٩٥٠ م)
- (١٢٠) محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار القديمة العربية (بولاق ١٨٨٤ هـ - ١٩٤٥ م)

(م)

- (١٢١) محى الدين الخطيب الأزهر (سنة ١٣٤٥ هـ)
- (١٢٢) محمد الصبان إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى (سنة ١٢٩٠ هـ)
- (١٢٣) محمد توفيق البكرى بيت السادات الوفائية (سنة ١٣٣٦ هـ)
- (١٢٤) محمد كامل حسين أدب مصر الفاطمية (ألف كتاب)

- (١٢٥) محمد بن عبد الله الزركشى إعلام الساجد بأحكام المساجد
(١٢٦) محمد أحمد جامع عمرو بن العاص
(١٢٧) محمد عبدالحى الكنوى الفوائد البهية فى تراجم الحنفية
(١٢٨) محمد عكوش تاريخ الجامع الطولونى
(١٢٩) محمود الببلاوى التاريخ الحسينى
(١٣٠) محمد أنيس الدولة العثمانية والشرق العربى
(١٣١) محمد رمزى القاموس الجغرافى خمسة أجزاء
قسمين
(١٣٢) فهرس القاموس الجغرافى
(١٣٣) المقدسى أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
(١٣٤) المسعودى التنبيه والإشراف
(١٣٥) المسعودى مروج الذهب
(١٣٦) ناصر خسرو سفر نامه (تعريب يحيى الخشاب)
(١٣٧) نعوم شقير تاريخ سيناء
- (المجلس الأعلى سنة ١٣٨٥)
(بولاى سنة ١٩٣٨ م)
(سنة ١٣٢٤ هـ)
(سنة ١٩٢٧ م)
(سنة ١٣٢٤ هـ)
(مكتبة الأنجلو)
(القاهرة سنة ١٩٥٤ م)
(سنة ١٩٦٠ م)
(القاهرة سنة ١٩٦٨ م)
(سنة ١٩٠٩ م)
(سنة ١٨٩٣ م)
(بولاى سنة ١٢٨٣ هـ)
(سنة ١٩١٦ م)

(ى)

- (١٣٨) ياقوت الحموى مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع
(١٣٩) اليعقوبى تاريخ اليعقوبى
(١٤٠) اليعقوبى البلدان
(١٤١) يعقوب بن إبراهيم كتاب الخراج
- (سنة ١٨٧٩ م)
(سنة ١٣٥٨ هـ)
(سنة ١٨٩٢ م)
(سنة ١٩٠٢ م)

المراجع الأجنبية

- Arsevan Celal Esad : Les Arts Décoratifs Turques. Istambul 1939.
- Aslanapa Oktay : Turkish Art and Architecture. London 1971.
- Atasoy Nurhan : Ibrahim Pasa Saray. Istambul 1972.
- Atasoy Nurhan, Filiz Cagman : Turkish Miniature Painting. Istambul 1974.
- Atil Esin : Ceramics from the World of Islam. Freer Gallery of Art. Washington 1973.
- Berchem, Max Van : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum. Première Partie. Egypte. Paris 1903.
- Celebi Evliya : Seyahatnamesi Volume X Misir, Sudan, Habes (1672 — 1680) Istambul 1938.
- Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. Comptes rendus des Exercices 1915 — 1919. Le Caire 1922.
- Creswell (K. A. C.) : Early Muslim Architecture. 1 — 2 Parts. Oxford 1969.
- Idem : Muslim Architecture of Egypt. I and II. Oxford 1951 and 1960.
- Idem : Short Account of Early Muslim Architecture. London 1958.
- Deherain (H) : L'Egypte Turque. Histoire de la Nation Egyptienne Tome V. Paris 1934.
- Description de l'Egypte. Planche Etat Moderne. Paris 1822.
- Ettinghansen (R) : les siècles de l'Islam ; Les Trésors de la Turquie. Genève 1966.
- Gabriel Albert : Les Mosquées de Constantinople. Paris 1926.
- Goodwin (G.) : A History of Ottoman Architecture. London 1971.
- Hammer- Purgstall (J. Von) : Histoire de l'Empire Ottoman 18 Vols. Paris 1835 - 46.
- Hautecoeur (L) et Wiet (G) : Les Mosquées Du Caire. Paris 1932.
- Jomard (M) : Description Abrégée de la Ville et de la Citadelle du Caire. Description de l'Egypte E. M. Tome 2 (IIème partie).
- Kuhnel (E) : (E) : Islamic Art and Architecture. Translated by K. Watson. London 1966.
- Kuran Aptullah : The Mosque in Early Ottoman Architecture. Chicago 1968.
- Lane H. : A Guide to the Collection of Tiles. Bristol 1960.
- Idem. : Later Islamic Pottery. 2nd Edition. London 1971.

- Lannay (M) : L'Architecture Ottomane. Constantinople 1873.
- Levey (M) : The World of Ottoman Art. London 1975.
- Lewis (B) : The Islamic Guilds, in Economic History Review Vol. VIII. 1937.
- Mayer (L. A.) : Islamic Architects and their Works. Geneve 1956.
- Pauty Edmond : L'Architecture au Caire depuis la Conquête Ottomane. Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale. Tome XXXVI. J. F. A. F. 1936.
- Shaw (S) : The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 - 1798). New Jersey 1962.
- Stratton (A) : Sinan. U. S. A. 1972.
- Unsal Behcet : Turkish Islamic Architecture. London 1970.
- Taeschner (F) : Das Futuwwa- Rittertum des Islamischen Mittelalters Leipzig 1944.
- Victoria and Albert Museum : Turkish Pottery. London 1966.
- Witteck Paul : The Rise of the Ottoman Empire. Royal Asiatic Society Monographs. London 1938.

REFERENCES

- Abu Saleh** : Churches and Monasteries of Egypt. (Oxford 1895).
- Ahmed Fakhry** : The Oasis of Siwa (Cairo).
- Ahmed Fakhry** : The Necropolis of El-Bagawat in Kharga Oasis (Cairo).
- Butker** : Churches of Egypt.
- Butler** : Ancient Coptic churches. (1884).
- Creswell** : Early Muslim Architecture, Vol. I & II (Oxford).
- Creswell** : Muslim Architecture of Egypt (Oxford).
- Cost Pascal** : Architecture Arabe ou Monuments du Caire (Paris 1839).
- David Weill** : Bois à Epigraphes jusqu'à l'époque Mamelouk.
- Devonshire** : La Mosquée de d'Amru (B.I.F. Tome XXXII 1931).
- Devonshire** : L'Egypte Musulmane et les fondateurs de ses monuments (Paris 1926).
- Dimand** : A Handbook of Muhammedan Art (Second edit. 1946).
- Dimand** : Studies in Islamic ornaments (Ars Islamica Vol. IV).
- Hautecaur et Wiet** : Les Mosquées du Caire (Vol. I & II 1932).
- G. Wiet** : Deux inscriptions cofigues de Qous (Bulletin I.E. vol. XVII 1935 & 36).
- G. Wiet** : L'Egypte Arabe (Paris 1937).
- Gnophman A.** : Arabic Papri in the Egyptian Library (Cairo 1932).
- Gouthier Henri** : Les nomes d'Egypte depuis Hérodote jusqu'à la Conquête Arabe (Caire 1935).
- Lane-Poole** : Egypt in the Middle Ages.
- Lounme** : Fatimid wood work (B.I.E. XVIII 1935-36).
- Mayer** : Islamic wood carver and their work. (Albert, Geneva 1958).
- Monneret de Villard** : La Necropoli Musulman di Aswan (Le Caire 1930).
- Pauty** : Le Minbar de Qous (1940).
- Prisse D'Avennes** : L'art. Arabe Atlas.
- Van Bereham** : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (M.M.A.F. du Caire).
- Répertoire chronologique d'épigraphie Arabe.
- Encyclopaedia of Islam.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
مصر فى العصر العثمانى	٥
التقسيم الادارى لمصر فى العصر العثمانى	٩
أحياء القاهرة	١٣
حى بين القصرين (الصاغة)	٢٩
الضواحي الجنوبية للقاهرة	٣٣
الضواحي الشمالية للقاهرة	٣٩
طرز العمارة الدينية فى العصر العثمانى	٤٣
مسجد الشيخ عبد القادر الدشوطى ٩٢٤ هـ	٥١
ضريح شيخ الاسلام الشيخ زكريا الأنصارى ٩٢٦ هـ	٥٥
مدرية خابر بك ٩٢٨ هـ	٦١
مسجد الدمرداش وزاويته ٩٢٩ هـ	٦٧
زاوية العمود أو ضريح حسن الرومى ٩٢٩ هـ	٧٣
مسجد أبو السعود الجارحى ٩٣١ هـ	٧٧
مسجد سليمان باشا الخادم ٩٣٥ هـ	٨١
زاوية الشيخ سعود ٩٤١ هـ	٨٥
مسجد الشيخ سطيحة ٩٤٢ هـ	٨٧
جامع شاهين لخلوتى ٩٤٥ هـ	٩١
التكية السليمانية ٩٥٠ هـ	٩٥
قبة الأمير سليمان باشا ٩٥١ هـ	٩٩
جامع شهاب الدين الرمل الأنصارى ٩٥٧ هـ	١٠١

الموضوع	الصفحة
جامع داود باشا ٩٦١ هـ	١٠٥
جامع الخضيرى ٩٦٥ هـ	١١٣
مسجد الأمير سليمان بالفيوم ٩٦٦ هـ	١١٧
مسجد الشعراوى ٩٧٣ هـ	١٢٣
جامع محمود باشا ٩٧٥ هـ	١٢٩
مسجد سنان باشا ٩٧٩ هـ	١٣٣
جامع كريم الدين الخلوتى ٩٨٦ هـ	١٤١
مسجد الشيخ مرزوق ومسجد عز الرجال ٩٨٦ هـ	١٤٧
جامع الشيخ على الخواص فى القرن العاشر للهجرة	١٥١
مسجد السادات بيليس ١٠٠٢ هـ	١٥٧
جامع الملكة صفية ١٠١١ هـ	١٦٣
المسجد اليوسفى بملوى ١٠٢٧ هـ	١٦٩
مسجد الأمير حماد بميت غمر ١٠٢٤ هـ	١٧٣
مسجد آلتى بارمق ١٠٣٣ هـ	١٧٥
مسجد يوسف الحين ١٠٣٥ هـ	١٧٩
مسجد البدرى بدمياط ١١٠٦ هـ	١٨٣
زاوية الرضوانية بدمياط ١٠٣٩ هـ	١٨٣
ضريح جم ل الدين شيحة بدمياط ١١٧٠ هـ	١٨٣
جامع الفتح ١٠٤١ هـ	١٩٣
مسجد الحبشلى أو الفرقانى ١٠٨٠ هـ	١٩٩
مسجد ذو الفقار ١٠٩١ هـ	٢٠٥
مسجد زغلول برشيد فى القرن الحادى عشر للهجرة	٢١١
جامع دمقسيى برشيد ١١٠٦ هـ	٢١٧
مسجد مصطفى جوريجى ميرزا ١١١٠ هـ	٢١٩
مسجد المجاهدين بأسيوط ١١٢٠ هـ	٢٢٣
جامع الأمير حسن باخميم ١١٢١ هـ	٢٢٧
مسجد عبد الله عاصى ١١٣٥ هـ	٢٣١

الموضوع	الصفحة
جامع الخطباء بمحلة أبو على بدسوق ١١٣٦ هـ	٢٣٣
زاوية عبد الرحمن كتخدا ١١٤٢ هـ	٢٣٧
مسجد عثمان كتخدا القازدغلي ١١٤٧ هـ	٢٤٣
مسجد عبد الباقي جوريجي بالاسكندرية ١١٧١ هـ	٢٤٧
مسجد الهياثم ١١٧٧ هـ	٢٥١
جامع همام بفرشوط ١١٨٣ هـ	٢٥٣
مسجد محمد بك أبي الذهب ١١٨٨ هـ	٢٥٧
جامع السادات الوفائية ١١٩١ هـ	٢٧١
مسجد العسقلاني بملوى ١١٩٣ هـ	٢٧٩
مسجد مدينة قفط في القرن الثاني عشر للهجرة	٢٨١
مسجد الشيخ أحمد الدردير ١٢٠١ هـ	٢٨٧
الجامع الصيني بجرجا ١٢٠٢ هـ	٢٩١
جامع العروس العريان ١٢٠٨ هـ	٢٩٣
مسجد حسن باشا طاهر ١٢٢٤ هـ	٢٩٩
ضريح الشيخ حسن العطار ١٢٥٠ هـ	٣٠٥
مسجد سليمان أغا السلحدار ١٢٥٥ هـ	٣١١
جامع محمد علي باشا بالقلعة ١٢٦٤ هـ	٣١٥
جامع العدوى بميدان سيدنا الحسين ١٢٨٣ هـ	٣٢١
ضريح الشيخ علي الليثي ١٣١٣ هـ	٣٢٧
مسجد الشيخ حسنين الحصافي بدمنهو ١٣٢٩ هـ	٣٣١
مسجد علي الكاشف جمال الدين ١٢٦٦ هـ	٣٣٧
جامع الشيخ عامر برشيد ١٠١٤ هـ	٣٤١
مسجد علي نور الدين برشيد ١١٧٦ هـ	٣٤١
مسجد سيد علي الخورجي برشيد ١١٢٩ هـ	٣٤١
المسجد الكبير بدیروط ٩٦١ هـ	٣٤٣
مدرسة محمد بن بغداد ٩٦٧ هـ	٣٤٥
الجامع العمري القرن الحادي عشر هـ	٣٤٥

الموضوع	الصفحة
مسجد الشيخ علام القرن الثالث عشر هـ	٣٤٥
الجامع الكبير بفارسكور في القرن الثاني عشر هـ	٣٤٧
قبة الياز بالدقهلية في القرن الثالث عشر هـ	٣٤٧
الجامع الحديدى وزاوية الأنصارى بالدقهلية ١٢٠٠ هـ	٣٤٧
مسجد كفر المياسرة بالدقهلية ١٢٠١ هـ	٣٤٧
قبة الشيخ عنبر بالمنزلة ١٢٢٧ هـ	٣٤٩
جامع الحلبي بأدفينا مركز رشيد ١٢٧٥ هـ	٣٥١

تم بحمد الله

رقم الايداع ١٩٨٣/٤٤١٠

الترقيم الدولي x-٠٠١١-٣-٩٧٧ ISBN

مطابع الأهرام التجارية

